٢٠٣٨٥



المملكة المغربية
القصر الملكي
دار الحديث الحسنية



دار الحديث الحسنية

سنوية علمية تعنى بشؤون الفكر الإسلامي

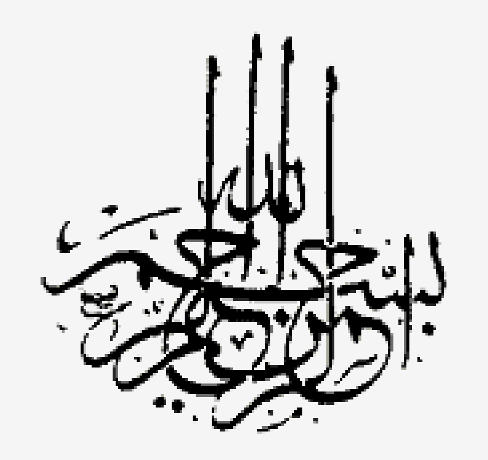
رئيس التحرير:

الدكتور محمد فاروق النبهان

مدير دار الحديث الحسنية

العدد 11

1414 هـ ـ 1993 م





رقم الايداع القانوني

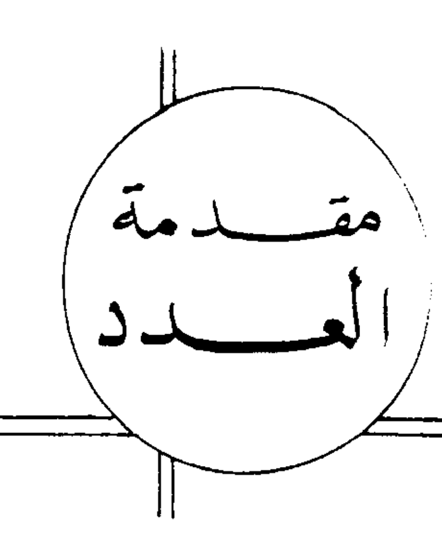
1979 / 6

ISSN 0851 — 0245



راعي العلوم والفنون أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني وهو يترأس بقصره العامر الدروس الحسنية التي تلقى بين يدي جلالته طيلة شهر رمضان المبارك من كل عام بحضور علماء الاسلام


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



للدكتور محمد فاروق النبهان
مدير دار الحديث الحسنية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسرني أن أقدم العدد الحادي عشر من مجلة دار الحديث الحسنية وهو امتداد للأعداد السابقة التي حفلت ببحوث ودراسات جادة في مختلف الدراسات الإسلامية، ويصدر هذا العدد في السنة التي تصادف مرور ثلاثين سنة على إنشاء دار الحديث الحسنية التي أنشأها جلالة الملك الحسن الثاني لكي تكون مركز إشعاع فكري وثقافي في الغرب الإسلامي الذي يعتبر المغرب من أبرز دوله مكانة وأصالة وأغناهم تراثا وحضارة وكان له دور متميز في تاريخ هذه المنطقة من عالمنا الإسلامي، بما أسهم به من اثراء لتراث الإسلام، ودفاع عن قيمه الإنسانية.

ودار الحديث الحسنية هي امتداد لمعاهد علمية عريقة، اغنت الفكر الإسلامي، وأسهمت في تكوين أجيال من العلماء، مازالت مصنفاتهم العلمية تشهد لهم بالمكانة والتميز، ومن حق هذا الجيل أن يعرف الكثير عما أسهمت به هذه المؤسسة الإسلامية، لكي يطمئن إلى أن الأمل المعقود عليها قد حققته، أو على الأقل قد حققت بعض ما كانت تتطلع إليه، وما تحقق حتى اليوم تنطق به عشرات المصنفات العلمية في التفسير والحديث والفقه والأصول والعقيدة والتاريخ والحضارة، ويزيد عدد هذه المصنفات عن مائة وخمسين مؤلفاً، ما بين رسالة للدبلوم وأطروحة للدكتوراه، بالإضافة إلى عشرات البحوث والدراسات التي حرصت هذه المجلة على نشر بعضها، ومن اليسير علينا أن نرى ملامح هذه المؤسسة في معظم الندوات العلمية واللقاءات الثقافية التي تعقد بين الحين والآخر في الجامعات والكليات والمعاهد العليا، وفي مختلف الشعب العلمية والمراكز الثقافية، وقلما نجد تجمعا علميا لا يضم بين رواده بعض أبناء هذه المؤسسة، الذين يشاركون في هذه اللقاءات

بكفاءة ومقدرة وحماس مؤكدين بذلك أن مغرب اليوم هو مغرب الأمس، لا يختلف عنه أبدا، في اعتزازه الكبير بثقافته الإسلامية، وفي حرصه على أن يجمع بين القديم والحديث، بين الأصالة والمعاصرة في منهج فكري وثقافي، يختاره بدقة وذكاء، لكي يطل من خلاله على عالم اليوم والغد، والغد أمر حتمي بالنسبة لهذا الجيل وللأجيال اللاحقة، والأمس لا يغني عن الغد، ويجب أن نعد لذلك الغد عدته التي لا يمكن أن نتجاهلها، وأهمها تكوين الانسان المؤهل لذلك الغد القادر على أن يخوض معركة البناء الحضاري بالجهد المطلوب، وليس بمجرد الأمنيات، فالأمنية كلمة صامتة، تنطقها الارادة، وينميها الجهد والنشاط، وتغذيها المعرفة، والإرادة التي نريدها هي الإرادة الباعثة والمحرضة على مزيد من الجهد والعمل، والمعرفة التي نحتاج إليها هي المعرفة التي تسهم في نمو الادراكات العقلية القادرة على التمييز بين النافع والضار والإيجابي والسلبي من الإهتمامات... ومعرفة لا تسهم في اسعاد الإنسان، وتوفير أسباب الحياة الكريمة له وحماية إنسانيته من الفقر والجوع والمرض والاستغلال لا يحتاج إليها الإنسان، لأنها معرفة لا يشعر الإنسان بغيابها، وما يمكن الإستغناء عنه من أنواع المعارف من العبث أن يشغل الإنسان نفسه به، فما هو أولى بالاهتمام هو ما تشتد الحاجة إليه، لاشباع رغبات ضرورية وحماية حقوق طبيعية، وأهمها حق الإنسان في الحياة، وحقه في كل ما يجعل الحياة ميسرة وسعيدة، من غذاء يجعل الابدان سليمة، وعلاج يحمي تلك الابدان من الأمراض، وتعليم يسهم في تكوين وعي الانسان، وتكريم يمارس بفضله الانسان إنسانيته من غير قيود مذلة ولا استغلال يباشره القوي ضد الضعيف... وهذه هي رسالة الإسلام الحقيقية...

والشخصية العلمية مكلفة بأن تؤدي دور التنوير في المجتمع، والتنوير المطلوب هو تغذية القيم الإنسانية في شخصية الانسان ومقاومة الأمراض الإجتماعية بكل الوسائل التي تجعل تلك الأمراض في موطن الادانة، فلا يستقر أمرها، والعالم الذي لا يقوم بدور التنوير لا يؤدي مهمته المقدسة، ويسهم من خلال سلبيته في تكريس حالات التخلف، والتخلف لا يقاوم إلا بإرادة التصحيح، والتصحيح مهمة شاقة تتطلب شجاعة ومقدرة على مواجهة رموز الإنحراف في المجتمع.

والإسلام الأصيل هو ذلك الإسلام المستمد من ينابيعه، وليس ذلك الإسلام الذي لوثت نقاءه تيارات فكرية، ومؤثرات سياسية ومصالح اجتماعية وثقافات وافدة وغازية، جعلت منه ذلك المولود المشوه الذي لا يحمل ملامح أصوله... والإسلام

الأصيل يدركه المسلم من خلال فطرته النقية الصافية... هو إسلام الإستقامة والنزاهة... وإسلام العدالة والسلام.. يحارب الظلم والإستغلال، ويقاوم التبعية والانهزام، يمد يده برفق لمساعدة الإنسان في سعيه الدائب لتحرير نفسه من أنواع العبوديات التي تتجاهل حقوقه الإنسانية...

ومن حق الإنسان أن يدافع عن وجوده الإنساني، وأن يقاوم كل وصاية تتجاهل حقوقه الإنسانية، وكل شيء مسخر لخدمة الإنسان، والانسان هو أداة البناء والتعمير والتصحيح، لكي يستقيم أمر الكون والمجتمع، ولا يتحقق التعايش إلّا في ظلّ شعور الجميع بالأمن والعدل والحرية وهذه غايات لا يتحقق السلام إلا بها.. ولا يستقيم أمر المجتمع إلّا باحترامها...

ومن حق مجتمعنا الإسلامي أن يجد نفسه في ظل المجتمع الدولي معترفا له بكل حقوقه وحرياته، ولا يمكن للقوة أن تحقق السلام الدائم فالشعوب ترهبها القوة ولكن لا تخيفها، وعندما يبلغ التحدي أقصاه تنطلق من أعماق الشعوب المستذلة صرخة الحياة معلنة عن عزمها الأكيد على مقاومة كل إذلال، مؤكدة حقها في الدفاع عن ذاتها... وشعبنا العربي المسلم قادر على الصمود ولن يفنى أبدا، وسيوقظه التحدي والاستفزاز، وسوف يتراءى له من خلال النوافذ المغلقة تاريخه المجيد، ويسمع صوت آبائه وأجداده، وهم ينشدون له أنشودة الحياة والمجد، ويبشرونه بمولد جيل جديد مؤمن بربه، معتز بأصالته، يحرر الأرض من كل مغتصب، ويحرر الثقافة من كل دخيل، ويبنى صرحا من قيم التواصل والتساكن، يحقق به الأمن الإجتماعي، ويحمي به حصون الأمة من كل الأخطار والتحديات...

وإننا نطالب الإعلام الغربي بأن يوقف حملته المشبوهة في تخويفنا من إسلامنا، فإسلامنا لا يخيفنا مهما بدت عليه علائم الغضب، فهو منا وإلينا، وهو نتاج واقعنا، وليس أمرا دخيلا علينا، وسوف ينقلب الغضب إلى رشد والتطرف إلى اعتدال، عندما يتوقف الغرب عن استفزاز المشاعر الاسلامية بتجاهله المتعمد لحقوقنا المشروعة في سيادتنا على أرضنا ومواردنا وقراراتنا، ولا يمكن لأمتنا أن تقبل أي وصاية على قضاياها، وما نراه اليوم من تطرف وعنف فهو دليل خلل في مسيرة المجتمع وعندما يبتدىء التصحيح وتبرز آثاره من خلال احترام مشاعر المواطن والاهتمام بقضاياه فإن من المؤكد أن التطرف المرضي لن يجد موقعه في الأبدان القوية، وسوف يسهم المجتمع

في مطاردة كل الرموز التي تهدد أمنه الاجتماعي واستقراره..

والاسلام في حقيقته هو دين التعايش والتساكن، وسماحته ليست سماحة ضعف واستسلام، وإنما هي سماحة فكر يؤمن بحق الآخر في العقيدة وفي الفكر وفي السلوك، بشرط ألا يخل ذلك بالثوابت الفكرية والاخلاقية التي دعت إليها الاديان السماوية، وجعلتها من أبرز أهدافها...

وادعو الله تعالى أن يوفقنا ويسدد خطانا، وأن يلهمنا رشدنا، لكي نحمل الأمانة ونتابع الطريق، مؤمنين بقدرة هذه الأمة على أن تختار الطريق الأفضل لحاضرها ومستقبلها..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الرباط فاتح شعبان 1414

14 يناير 1994



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مقالات علمية



شخصية السيوطي
من خلال كتابه
الإتقان في علوم القرآن

للدكتور محمد فاروق النبهان

نشأة علوم القرآن :

ابتدأت مسيرة العلوم الاسلامية بالدراسات القرآنية، لأن القرآن هو الكتاب الأول في تاريخ الفكر الاسلامي، وهو كتاب الله الخالد، الذي لا يأتيه الباطل، وهو مصدر التشريع، ومن الطبيعي أن يحظى باهتمام الباحثين المسلمين الأولين، وأن تتوجه إليه الأنظار وتلتف حوله القلوب، وتتناوله الأقلام بالدراسة والتفسير، باحثة عن تاريخه وجمعه، منقبة عن أسباب نزوله، معرفة بكيفية أدائه ورسمه، مؤكدة كل رأي برواية، ومدعمة كل اجتهاد بحجة ودليل.

واشتهر عدد من الصحابة بمعرفة القرآن واتقان حفظه، ثم أخذت المدارس القرآنية مكانتها على يد عدد من التابعين الذين اشتهروا بالقراءة في كل من مكة والمدينة والشام والبصرة، وكانت هذه المدارس القرآنية هي المدارس الأولى التي انبثقت عنها المدارس الفقهية المؤسسة للمذاهب الفقهية التي ظهرت في الحجاز والعراق، ونستطيع أن نؤكد أن المدارس القرآنية هي الحلقات العلمية الأولى المؤسسة لكل الحلقات العلمية التي كانت النواة الأولى لنشأة العلوم الاسلامية في القراءات والتفسير والحديث والفقه والعقيدة...

والتأليف الأول في تاريخ العلوم الاسلامة هو **التأليف في علم من علوم القرآن**، ولم تكن كلمة علوم القرآن معروفة في ذلك الحين، واقتصرت الكتابات القرآنية الأولى على تدوين بعض الروايات المتعلقة بتفسير آية أو توضيح لفظ أو ضبط كيفية أداء، أو بيان سبب لنزول آية أوضبط ما هو ناسخ ومنسوخ من

الآيات، وظهرت الكتابات الأولى على شكل تدوين مسائل وبيان أحكام، ثم تطورت فيما بعد ونمت، وأخذت شكل العلوم المستقلة.

ووقع اختلاف حول نشأة «**علوم القرآن**»، كعلم مستقل له مؤلفاته، وذهب الزرقاني في مناهل العرفان إلى أن أول كتاب في الموضوع هو البرهان في علوم القرآن للحوفي المتوفى سنة 330هـ، ويقع في ثلاثين مجلدا، وأكد أنه اطلع على نسخة مخطوطة ناقصة غير مرتبة في دار الكتب المصرية [1] ورجح الدكتور صبحي الصالح في كتابه علوم القرآن أن كتاب الحوفي هو كتاب تفسير وان الكتاب الأول والأسبق في علوم القرآن هو كتاب «الحاوي في علوم القرآن» لابن المرزبان في القرن الثالث الهجري، واعتبر الدكتور صبحي الصالح كتاب «البرهان في علوم القرآن» لعلي بن ابراهيم الحوفي من المصنفات التي ظهرت في القرن الخامس، وليس في القرن الثالث، وان هناك مصنفات ظهرت قبل ذلك في القرن الثالث والرابع، أهمها كتاب «عجائب القرآن» للانباري و«المختزن في علوم القرآن» لأبي الحسن الأشعري [2].

ثم تتالت بعد ذلك المصنفات في علوم القرآن، ومن أبرزها «**فنون الأفنان في علوم القرآن**» لابن الجوزي و«**المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز**» لأبي شامة.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وكل الروايات تؤكد بدء الكتابة في علوم القرآن في وقت مبكر ولكن هذا العلم لم يأخذ مكانته المستقلة كعلم متكامل يعكف عليه علماء مختصون يفردون له مصنفات متكاملة إلا بعد القرن الثالث، وكانوا يعرضون فيها لعلوم القرآن بطريقة تؤكد استقلالية هذا العلم وتميزه عن العلوم الأخرى، وتكامل بحوثه، ووضوح منهجه في عرض العلوم المتعلقة بالقرآن بطريقة مغايرة لما تعرضها كتب التفسير والبلاغة والنحو واللغة، فما يعرضه المفسر في صدر تفسيره عن القرآن يختلف عما تعرضه مصنفات علوم القرآن من مباحث متكاملة واضحة لا تداخل فيها ولا تناقض في اطار منهجية سليمة متميزة... [3].

---

(1) **انظر** مناهل العرفان ج 1 ص : 28.

(2) **انظر** مذكرات للمؤلف بعنوان : محاضرات في علوم القرآن ص 104.

(3) **انظر** مقدمة السيوطي لكتابه الاتقان ج 1، ص : 7 — 9.

وبرز كتاب «الاتقان في علوم القرآن» للحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي المتوفى سنة 911هـ بالقاهرة في قمة ما ألف في هذا الفن، ووصفه الأستاذ المحقق محمد أبو الفضل ابراهيم في مقدمة تحقيقه بأنه «الحلقة الذهبية في سلسلة كتب الدراسات القرآنية، احسنها تصنيفا وتأليفا واكثرها استيعابا وشمولا، جمع فيه اشتات الفوائد ومنثور المسائل ما لم يجتمع في كتاب» (4).

وقال المحقق في مقدمته: «ومن خير ما امتاز به كتاب الاتقان أنه أورد فيه كثيرا من نصوص الكتب التي لم تقع لنا، من كتب الجعبري والباقلاني والكياهراسي والزملكاني وابن الانباري وغيرهم بعد أن نثرها متفرقة في الفصول والأبواب» (5).

السيوطي يعرف بكتابه الاتقان:

ذكر السيوطي في مقدمة كتابه «الاتقان في علوم القرآن» الأسباب التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب، وأهمها أن المتقدمين لم يدونوا كتابا شافيا في علوم القرآن كما دونوا ذلك بالنسبة لعلوم الحديث، وما كتبه السابقون عليه لا يفي بالغرض المطلوب، وأخذ يبحث عما كتبه السابقون والمعاصرون.

وسمع استاذه محيي الدين الكافيجي (6) الذي لازمه السيوطي وأخذ عنه العلم لمدة طويلة يحدثه عن كتابه في التفسير، ويصفه له بأنه لم يسبق إليه، ولما اطلع عليه السيوطي لم يشف غليله، لأنه لم يتجاوز ما ذكر فيه مباحث في التفسير والتأويل ومباحث في شروط القول بالرأي، ثم نصحه شيخه علم الدين البلقيني بقراءة كتاب أخيه جلال الدين البلقيني (7) بعنوان «مواقع العلوم من مواقع النجوم» واشتمل هذا الكتاب على خمسين مبحثا فرعيا في ستة أبواب رئيسية تتحدث عن مواطن النزول والسند والأداء والألفاظ والمعاني المتعلقة بالأحكام والمعاني المتعلقة بالألفاظ.

ويبدو أن السيوطي قد اعتمد على هذا الكتاب في تدوينه لكتابه الأول الذي سماه «التحبير في علوم التفسير» الذي اشتمل على أكثر من مائة مبحث في نزول

(4) انظر مقدمة الاتقان ج 1 ص 7.

(5) انظر مقدمة الاتقان ج 1 ص 9.

(6) هو محمد بن سليمان بن سعد الحنفي، واشتهر بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في علم النحو وتوفي سنة 879هـ.

(7) هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكناني العسقلاني، وكان من علماء الحديث توفي سنة 824هـ.

القرآن وأسانيده والقراءات والتجويد والألفاظ القرآنية والمعاني والبلاغة والآداب. ومن اليسير علينا أن نجد أوجه التشابه بين الكتابين في المباحث والأنواع المذكورة، وأضاف السيوطي زيادات وتتمات وفوائد.

ولما وقف على كتاب «البرهان في علوم القرآن» للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي المتوفى سنة 794هـ، عكف على اعداد كتاب «الاتقان في علوم القرآن» ووصفه بقوله: «وضعت هذا الكتاب العلي الشأن، الجلي البرهان، الكثير الفوائد والاتقان، ورتبت أنواعه ترتيبا أنسب من ترتيب البرهان، وأدمجت بعض الأنواع في بعض، وفصلت ما حقّه أن يبان، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد، والقواعد والشوارد، ما يشنف الآذان، وسميته بالاتقان في علوم القرآن» (8).

وقد جعل «الاتقان» مقدمة لتفسيره الكبير مجمع البحرين ومطلع البدرين الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية «واشتمل كتاب الاتقان على ثمانين مبحثا على سبيل الادماج وقال لو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمائة» (9).

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

مصادر الاتقان:

ذكر السيوطي في مقدمة كتابه الاتقان مصادره التي اعتمد عليها، وأهمها ما يلي (10):

أولا: **الكتب النقلية**: وأهمها كتب التفسير لابن جرير وابن كثير وكتب فضائل القرآن لابي عبيد وابن أبي شيبة وكتب آداب حملة القرآن...

ثانيا: **كتب القراءات**: وأهمها «جمال القراء» للسخاوي و«النشر» لابن الجزري وكتب الواسطي وابن الأنباري والنحاس والداني.

ثالثا: **كتب اللغات والغريب والاعراب**: وأهمها «مفردات القرآن» للراغب و«غريب القرآن» لابن قتيبة و«اعراب القرآن» لابي البقاء...

(8) انظر مقدمة الاتقان ج 1 ص 14.
(9) انظر مقدمة الاتقان ج 1 ص 17.
(10) نفس المصدر ص 18.

رابعا : كتب الأحكام : وأهمها كتب أحكام القرآن والناسخ والمنسوخ وأدلة الأحكام...

خامسا : كتب الاعجاز والبلاغة : وأهمها كتب اعجاز القرآن للخطابي والرماني والجرجاني والباقلاني والرازي، وكتب المجاز في القرآن [11].

وهناك كتب أخرى ذكرها السيوطي في مقدمته، واعتبرها من الكتب التي رجع إليها، ولا أظن أنه ترك كتابا لم يذكره في مصادره من كتب التفسير والقراءات والأحكام...

ومن المرجح أنه اطلع على هذه الكتب، ونقل منها، ولخص آراء مصنفيها، وقارن بين هذه الآراء ورجح ما رآه الأصح، ولو رجعنا إلى ما صنفه السيوطي في علوم القرآن والتفسير والقراءات لوجدنا أن هذه المصنفات التي ذكرها في الجزء الأول من كتابه حسن المحاضرة [12] في معرض ترجمته لحياته لا يمكن لمصنف أن يكتبها ما لم يطلع على كل مصنفات المتقدمين، وقد ذكر في كتابه «الاتقان» بعض هذه المصنفات عندما كان يعرض لعلم من علوم القرآن، **ومؤلفات السيوطي في دراسات القرآن والتفسير كثيرة وأهمها** : «الاتقان في علوم القرآن»، «والدر المنثور في التفسير المأثور»، «وترجمان القرآن» في التفسير، «ولباب النقول في أسباب النزول»، و«تناسق الدرر في تناسب السور»، و«ومراصد المطامع في تناسب المقاطع والمطالع»، و«ومجمع البحرين» في التفسير، و«خمائل الزهر في فضائل السور»، و«معترك الأقران في اعجاز القرآن»، و«مفحمات الأقران في مبهمات القرآن» [13].

ونظرة يسيرة إلى كتابه «معترك الأقران في اعجاز القرآن «تؤكد لنا عظمة السيوطي الذي استطاع أن يكتب خمسة وثلاثين وجها من وجوه الاعجاز في القرآن [14] وفي كل وجه من الوجوه كان يبين وجه الاعجاز، ويشرح ويفصل، ويأتي بالأدلة ويستشهد، ولا يضيق بما يكتبه، ولا يستعجل، ولا يتوقف إلا بعد أن يشبع

---

(11) انظر الاتقان ج 1 ص 18.

(12) انظر حسن المحاضرة ج 1 ص 142 المطبعة الشرقية.

(13) انظر نفس المصدر.

(14) انظر معترك الأقران الجزء الأول.

البحث وينتهي به إلى نهايته، فإذا شعر أن الأمر يحتاج إلى تفصيل خصه بكتاب مستقل، كما فعل في موضوع الابهام في القرآن الذي اعتبره من مظاهر الاعجاز [15] وذكر العلماء الذين أفردوا هذا الموضوع بالتأليف كالسهيلي صاحب «الروض الأنف» في كتابه : «التعريف والاعلام لما ابهم في القرآن من الأسماء والأعلام»، وابن عساكر والقاضي بدر الدين ابن جماعة، ثم قال : ولي فيه تأليف لطيف [16] ولعله اراد مصنفه «مفحمات الأقران في مبهمات القرآن»، وقبل أن يتحدث عن المبهمات في القرآن شرح أسباب الابهام، اما للاستغناء ببيانه في موضع آخر أو لاشتهاره أو للستر عليه أو لعدم أهميته أو لتعظيمه أو لتحقيره [17].

ومنهجية السيوطي واحدة في كتبه، وما يمكن أن نلاحظه في كتابه «الاتقان» نلاحظه في كتابه «معترك الأقران»، وكأننا نقرأ في كتاب واحد، ففي بداية كل فصل من فصول الكتابين يذكر من أفرد هذا العلم بالتأليف، ويذكر مراجعه ومصادره، ويقوّم هذه المصنفات بكلمة مختصرة أو اشارة خاطفة، ولا يقف طويلا عندها، وهو وإن كان يتطلع إلى درجة الاجتهاد بسبب أهمية ما صنف من كتاب فإنه يعترف بقصوره في مواطن كثيرة، ويشيد بأثر شيوخه عليه، ويثني على من كان من أهل الفضل منهم...

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

مقارنة بين الاتقان والبرهان :

ومن اليسير أن نكتشف أوجه التشابه بين كتابي البرهان والاتقان، والتشابه واضح وكبير، في المنهج والعبارات والأفكار، وأحيانا تكون العبارة واحدة، في كل من الكتابين، ويتميز البرهان بدقة العبارة وتكامل الموضوع وأصالة المنهج، في الوقت الذي يتميز فيه كتاب الاتقان بالجمع والايجاز ووضوح الفكرة.

ومن المؤكد أن كتاب الاتقان يغنى عن أي كتاب آخر، لوضوح منهجه وسلامة عبارته، ولأنه اشتمل على إضافات جيدة وهامة، وبخاصة فيما يتعلق بالمصادر والمادة العلمية، ومن أهم مميزات السيوطي أنه يسر سبيل البحث والدراسة على

---

(15) انظر معترك الأقران في اعجاز القرآن ج 1 ص 484.

(16) انظر معترك الأقران في اعجاز القرآن ج 1 ص 484.

(17) انظر نفس المصدر ص 485.

الباحثين، لأنه جمع مادة علمية يصعب على أي باحث أن يطلع عليها، وإذا كانت المصادر التي ذكرها السيوطي في مقدمة كتابه الاتقان قد استوعبت كل أمهات الكتب مما يصعب على السيوطي أن يطلع عليه، فإن من المؤكد أن السيوطي استطاع أن يستوعب الكثير من تلك المصادر، وأن ينقل الكثير مما اشتملت عليه، أو مما انفردت به، وهذه ميزة لا يمكننا تجاهل أهميتها في مجال دراستنا لمؤلفات السيوطي ولمنهجه في التأليف والتصنيف.

وعبارة السيوطي راقية جميلة معبرة، تركن إليها النفس، ولا تضيق بها، ولا تجد لديه ذلك الاستطراد المخل الذي يضفي على بعض المصنفات صفة الغموض والابتعاد عن الموضوعية، فالسيوطي فيما يكتب ملتزم بالموضوع مختصر لعبارته، منسق لأفكاره، مستوعب لمادته العلمية، وقلما نجد هذه الخصوصية المنهجية في مصنفات معاصريه...

ولعل هذا هو السبب الذي جعل مؤلفات السيوطي الكثيرة تحظى بمكانة متميزة في الأوساط العلمية، ويتداولها الباحثون بكثرة ويعتمدون عليها كمصادر موثوقة لأبحاثهم ودراساتهم...

ويكفينا للتأكيد على هذه الحقيقة أن نرجع إلى كتابه الاتقان وسوف نجد في الفقرة الأولى من كل مبحث من المباحث التي كان يسميها «نوعا» عبارات مختصرة منتقاة بدقة، دالة على المعاني التي أراد تعريف القاريء بها، وكأنه كان يغرف من مائدة ممدودة أمامه لا يجد صعوبة في أن يأخذ ما شاء منها من غير صعوبة أو حرج أو تردد، وليس من اليسير على الباحث أو المؤلف أن يجزم بما وقع الشك فيه، من مادته العلمية، ومع هذا فإن السيوطي كان ينقل مادته العلمية من غير حرج ولا تردد.

ويبدو أن السيوطي قد استفاد كثيرا من كتاب البرهان للزركشي، ونقل الكثير مما ورد فيه من المعارف، وأحيانا كان ينقل نفس العبارة أو يستعمل نفس الألفاظ والمصطلحات، ويظهر هذا من خلال مقارنتنا لفقرتين من كل من كتابي البرهان والاتقان في أسباب النزول :

قال الزركشي في البرهان (18) : «وقد اعتنى بذلك المفسرون في كتبهم وأفردوا

(18) انظر البرهان ج 1 ص 22.

فيه تصانيف، منهم علي بن المديني شيخ البخاري، ومن اشهرها تصنيف الواحدي في ذلك واخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ وليس كذلك، بل له فوائد :

ـ منها وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم
ـ ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب
ـ ومنها الوقوف على المعنى
ـ ومنها أنه قد يكون اللفظ عاما ويقوم الدليل على التخصيص
ـ ومن الفوائد أيضا دفع توهم الحصر».

وقال السيوطي في الاتقان [19] : «افرده بالتصنيف جماعة اقدمهم علي بن المديني شيخ البخاري، ومن اشهرها كتاب الواحدي على ما فيه من اعواز، وقد اختصره الجعبري فحذف أسانيده، ولم يزد عليه شيئا، والف فيه شيخ الاسلام أبو الفضل ابن حجر كتابا مات عنه مسودة فلم نقف عليه كاملا، وقد ألفت فيه كتابا حافلا موجزا محررا لم يؤلف مثله في هذا النوع سميته «لباب النقول في اسباب النزول»».

ثم قال في معرض حديثه عن المسألة الأولى :

«زعم زاعم أنه لا طائل تحت هذا الفن لجريانه مجرى التاريخ، واخطأ في ذلك، بل له فوائد :

ـ منها معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم
ـ ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب
ـ ومنها أن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه...
ـ ومنها دفع توهم الحصر...»

وهذا التشابه في الألفاظ والتماثل في المصطلحات والتقارب في الموضوعات يؤكد اعتماد السيوطي في تأليف كتابه «الاتقان» على كتاب البرهان للزركشي، ولم ينكر السيوطي هذا، فلقد أكد أنه اعاد ترتيبه، وأدمج بعض الأبواب في بعض، وفصل ما حقه ان يبان، وزاد بعض الفوائد والفرائد، ومن اليسير أن نكتشف الاضافات التي اضافها السيوطي والزيادات التي زادها في كثير من فصول الاتقان...

---

(19) انظر الاتقان ج 1 ص 82 طبعة المكتبة العصرية.

خصوصيات شخصية السيوطي :

وتتميز شخصية السيوطي بخصوصيات واضحة، وأهمها ما يلي :

أولا : قدرته الفائقة على جمع مادته العلمية من الأصول المعتمدة :

وهذا الجمع هو جهد يستحق التقدير، ويدل على سعة ثقافة السيوطي ومعرفته بمصادر مادته العلمية، وليس من اليسير على أي باحث أن يستوعب المصادر العلمية وأن يحيط بما جاء بها من آراء وأفكار...

ثانيا : سعة ذاكرته وقدرته على الحفظ : ويبدو أن السيوطي كان يملك ذاكرة قوية مكنته من استحضار ما يحتاج إليه من معلومات بدقة وموضوعية وأمانة، ولا نستطيع أن نغفل هنا أثر العصر في تكوين منهج السيوطي وهو منهج موسوعي اتصف بالنظرة الشمولية للثقافة، والجهود التي يغلب عليها العمل الموسوعي تجسد حالة استقرار في المجتمع، وكانت القاهرة في هذه الفترة الزمنية في أوج ازدهارها العلمي، في ظل نكسات متلاحقة كانت تعصف ببلاد العراق على يد المغول والتتار، في الوقت الذي كانت غرناطة تسدل الستار على تاريخها الاسلامي...

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

ثالثا : دقته في تصنيف الأفكار، وترتيب المعلومات، وهذه القدرة تحتاج إلى موهبة واستعداد، واستطاع السيوطي أن يصقل أفكاره وأن يختار منها ما يحتاج إليه لتقديم مادته العلمية، وإذا كان مما يؤخذ عليه أنه يلخص أفكار غيره ويجمع ماتراكم في الكتب المصنفة، فهذا التلخيص والجمع يحتاج لمواهب خاصة، وما كان يمكن لغير السيوطي أن يقوم بهذا العمل الكبير، الذي جمع فيه تراث الأجيال المتلاحقة وصفاه ونقحه واضاف إليه من الفوائد ما جعله في متناول الباحثين والدارسين...

والسيوطي وليد عصره، ويجسد ذلك العصر الذي توقفت فيه روح الابتكار وضعفت فيه ارادة التجديد، وتراجعت فيه الهمم عن التفكير الجاد في إضافة علمية وكان التراث العلمي هو مادة الدراسة والبحث، شرحا لمتونه، واختصارات لشروحه، وجمعا لمادته، واهتماما بالتدوين والتبويب والتحسين، وكانت هذه هي مهمة العلماء، يتبارون فيها ويتنافسون، وبفضل هذا التنافس صنفت كتب رائعة التبويب حسنة الترتيب، وأصبحت فيما بعد من أمهات كتب التراث الذي نعتز به.

وكتاب «الاتقان في علوم القرآن» هو نموذج حي لمؤلفات السيوطي ولمنهجه العلمي في الجمع والترتيب والتصنيف، وهو اليوم المصدر الأهم في تاريخ الدراسات القرآنية، وهو حجة للباحثين، ولا يستغنى عنه، وعبارته سهلة يسيرة، وجميلة وأنيقة...

وإذا كان بعض العلماء قد شكك في أمانة الامام السيوطي، واتهمه بالسطو على مكتبة المدرسة المحمودية التي كان يتردد عليها، ونسب لنفسه ما كان غيره من المتقدمين من لم يشتهر أمره قد ألفها وصنفها بعد أن أدخل عليها من التقديم والتأخير ما جعلها من مصنفاته فإن من المؤكد أن جهده في الترتيب والتصنيف والجمع والتلخيص جدير بأن يجعله في موضع الاشادة، وبخاصة وأننا نلاحظ أن معظم مصنفاته ذات منهج متقارب، تبرز فيه خصوصية المؤلفات المنسوبة إلى السيوطي من حيث حسن التبويب وجودة التصنيف بالاضافة إلى منهجه النقدي الذي يعتمد فيه على منطقه العقلي الذي أعطى لمصنفاته العلمية مكانة متميزة.

ولا نستطيع أن ننكر التشابه والتقارب بين مؤلفات السيوطي ومؤلفات من سبقوه في التدوين في نفس العلم، ولا ننكر أيضا أن السيوطي قد نقل الكثير من غيره، كما اتضح لنا ذلك من خلال مقارنة نصين من كل من كتابي البرهان للزركشي والاتقان للسيوطي، ولكن هذا التقارب لا يقلل من أهمية المصنفات التي وضعها السيوطي، فهو صاحب قدرة على تجميع المادة العلمية واعادة ترتيبها وفق منهجية مريحة وواضحة، وهذه المنهجية اعطت لمؤلفات السيوطي مكانتها في صدارة امهات الكتب الاسلامية.

منهج السيوطي في الاتقان :

ويتميز منهجه في تصنيف كتابه الاتقان بما يلي :

أولا : مقدمته الرائعة التي افتتح بها هذا الكتاب : وتحدث فيها عن علوم القرآن، وما دون في هذا العلم، والمراجع التي اعتمد عليها، والمصنفات التي كتبت في هذه العلوم، وخص كتاب البرهان للزركشي باهتمام وعناية، ولعل سبب ذلك أنه الأقرب إلى مصنفه...

ثانيا : ذكره في بداية كل نوع (والمراد به الفصل)، من أفراد ذلك الموضوع بالتصنيف، مبتدئا الفقرة الأولى بقوله : أفرده بالتصنيف جماعة، ومنهم فلان وفلان...

ونورد مثالا لذلك ما ورد في النوع الثالث والستين في موضوع الآيات المشتبهات قال : «أفرده بالتصنيف خلق، أولهم فيما احسب الكسائي، ونظمه السخاوي، وألف في توجيهه الكرماني كتابه «البرهان في متشابه القرآن» وأحسن منه «درة التنزيل وغرة التأويل» لابي عبد الله الرازي، واحسن من «ملاك التأويل» لأبي جعفر ابن الزبير، ولم اقف عليه، وللقاضي بدر الدين ابن جماعة في ذلك كتاب لطيف سماه «كشف المعاني عن متشابه المثاني» وفي كتابي اسرار التنزيل المسمى «قطف الأزهار في كشف الأسرار» من ذلك الجم الغفير...» (20).

ثالثا : وضوح منهجه في تلخيص الكتب الأخرى : وقد ذكر التلخيص في عدة مواطن، وبين المصنفات التي اعتمد عليها فصله، مثال ذلك ما ورد في النوع الخامس والثلاثين من الاتقان في آداب التلاوة، قال : «أفرده بالتصنيف جماعة، منهم النووي في «التبيان»، وقد ذكر فيه وفي «شرح المهذب» وفي «الأذكار» جملة من الآداب، وأنا الخصها هنا، وأزيد عليها اضعافها وأفصلها مسألة مسألة ليسهل تناولها» (21).

رابعا : قدرته على نقل أقوال للعلماء الذين صنفوا في هذا العلم :

وينقل أقوالهم بدقة وأمانة، كما يذكر اسماء كتبهم، وأحيانا يرجح بين الروايات والأقوال ويضعف بعضها ويورد ما يراه هو الأصح.

ويظهر هذا فيما نقله عن القاضي جلال الدين البلقيني حول اقسام القراءة وهي متواترة وآحاد وشاذ، وبعد أن أورد رأيه قال : «وهذا الكلام فيه نظر يعرف مما سنذكره، وأحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراء في زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير ابن الجزري، قال في أول كتابه النشر...»

---

(20) انظر الاتقان ج ص 339.

(21) انظر الاتقان ج 1 ص 292.

ومنهج الترجيح يؤكد استيعاب السيوطي لمادته العلمية، وتحكمه فيما ينقل، وقدرته على اختيار الرأي الأرجح، ناسبا الرأي الراجح لصاحبه، معترفا له بالتفوق والتميز والدقة.

ولاشك أن كتاب «الاتقان في علوم القرآن» يعتبر من أمهات الكتب المعتمدة في الدراسات القرآنية، وهو من أكثر الكتب مكانة وشهرة، ولا يمكن لباحث في علوم القرآن أن يستغني عنه، فهو يغني عن غيره، وغيره لا يغني عنه، ولو لم يكن للسيوطي غير هذا الكتاب لكفاه فخرا.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الله ورسوله أمن وأفضل
الخطبة النبوية إثر غزوة حنين

للدكتور فاروق حمادة*

— 1 —

المواقف وخلفيات النفوس :

عندما يواجه المرء موقفا عصيبا بغتة دون سابق ترقب أو استعداد، ولا مناص له من اتخاذ قرار تجاه هذا الموقف تبرز عنده المكنونات النفسية، والخلفية الثقافية والفكرية واضحة بأجلى ما يكون الوضوح، وبأدق ما يمكن تعبيرا عن الشخصية الدفينة، والبعد النفسي الذي لا يمكن للبشر أن يطلعوا عليه من بعضهم ؛ وهم يتعايشون على هذه الأرض في أحوالهم العادية، وهنا يظهر للعيان عمق التأثير والتأثر في هذا الانسان، الذي تعرض لهذا الموقف الحرج العصيب.

ولعل أول من يعرف البعد الداخلي هذا هو صاحبه، الذي قد يخادع نفسه في كثير من الأحيان، ويركن إلى هذا الخداع!! ويركن إليه مَنْ حوله، فكأن حاله وحالهم في بناء هذه الشخصية كمن يبني بناءه مع أسّ من الملح، إذا ما لاقته رشحات رطوبة الأرض، أو زخات مطر السماء انماع وتهدم البناء.

ولعل أكثر المواقف صعوبة في حياة الانسان هي مواقف الضراء والبأساء التي تداهم على حين غِرَّة، فتنقشع جراءها الضبابات، وتظهر حقائق كانت خفية في الأعماق، هذه المواقف التي أشار إليها المولى سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ومن الناس من يعبد الله على جرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾.

فالايمان لم يتمكن، والعبادة على تنوع مظاهرها ليست إلا طلاء رقيقا أزالته أول صدمة في سبيل هذا الايمان، وكانت نتيجته خسراناً مبينا.

* أستاذ كرسي السنة وعلومها بكلية الآداب ــ جامعة محمد الخامس ــ الرباط

دروس قرآنية :

وقد خلد القرآن الكريم في محكم الآيات، وبأبلغ الكلمات عظةً من العظات لأولي النهى والألباب عديدا من المواقف التي أسماها مواقف الفتنة كما في الآيات المتقدمة. وتشمل نوعين هما : الضراء والسراء.

أما الأول : فسأقتصر منه على موقف زلزل الأقدام، وأرعد الفرائص وهز القلوب، كما قال تعالى مبينا لنا ما حدث في غزوة الأحزاب الخطيرة : ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾.

في هذه الصدمة بانت حقيقة الناس، وأعرب كل واحد عما في خفاياه، فأما المنافقون ذوو القشرة الرقيقة، والطلاء الخارجي، فأعلنوها صريحة ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾ وتصرفوا على هدي قناعتهم هذه فولوا الأدبار وأعلنوا استعدادهم للاستسلام للمنتصر، وتطاولت ألسنتهم، بالشائن من الكلم، وعيونهم بالمريب من النظرات... كما بينه القرآن الكريم في محكم الآيات لأنه موقف إنساني يتكرر عبر العصور والدهور.

وأما المؤمنون فما زادتهم صدمة الموقف إلا ثباتا وإقداما وطاعة لله واستسلاما كما قال تعالى : ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب، قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، ومازادهم إلا إيمانا وتسليما﴾.

وهناك مواقف كثيرة كموقف الضر هذا خلدها القرآن العظيم تبصرة وذكرى، ولاستقصائها والنظر فيها مواضع أخرى بحول الله.

وأما النوع الثاني من مواقف (الفتنة) التي تكشف وتظهر الحقائق فهي مواقف السراء والنعمة وإقبال الدنيا، حيث يظن المرء أن الشقاء قد ولى والخير قد درَّت بوادره، لا سيما إذا كان بسبب له فيه جهد عمل، أو محاولة وسبب، فمن لم يكن راسخ الايمان، ثابت اليقين، يتسرب إلى ذهنه ومشاعره أن هذه النعم بكدِّ يمينه، وعرق جبينه، وعميق تفكيره وصائب تدبيره، فينسى توفيق الله وفضله، ويغفل عن المنعم، وقد يمنع حقه في هذه النعمة المبسوطة، وهذه حالة متكررة مع الأيام،

وستبقى على الدوام ما بقي على وجه البسيطة أنام من ذرية آدم، الذي قال الملائكة في حقه وحق هذه الذريات لله تعالى ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾؟!

ولهذا ذكر الله تعالى لعباده في محكم التنزيل صورة، بل صورا عن الجاحد الأثيم، المعرض اللئيم، الذي تستهويه الدنيا فتقطعه عن الله والدار الآخرة، فقال تعالى : ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، إذ قال له قومه : لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين، قال إنما أوتيته على علم عندي... فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾.

وهكذا تتشوف نفوس إلى مثل حاله، وتشرئب أعناق إلى حظه ومناله، فذكرها الذي يعلم من خلق، سنة عامة دائمة ﴿كلا بل تحبون العاجلة، وتذرون الآخرة﴾ ﴿كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى﴾.

وما ذلك إلا بيان للسبيل، وتوضيح للمسير ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيي عن بينة.

— 3 —

وإن من الناس طائفة، قد خلصت معادنهم، وزكت عناصرهم وصفت سرائرهم، فآمنوا حق الايمان، وأخلصوا لله ورسوله كامل الاخلاص فتعرضوا لمواقف السراء والضراء، لمحن الموت وشدائده، ومحن الحياة الزاهية الرغيدة، فلم يرتجفوا من تلك، ولم تمل بهم هذه أو يميلوا بها، فانطبق عليهم قوله تعالى ﴿أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم، ومغفرة ورزق كريم﴾.

ومن هؤلاء أنصار الله ورسوله، الأوس والخزرج، الذين بايعوا على نصرة هذا الدين بكل حال، فقدموا دماءهم وأموالهم، ووقفوا المواقف الخالدة التي أصابهم فيها القرح، فلم يجأروا بالشكوى، ولم يئنوا امتعاضا من البلوى فكم قضى منهم شهيد!! وكم لوحق منهم طريد، فما كان قول هذا وذاك إلا فزت ورب الكعبة!!!

إنهم صبروا ابتغاء مرضاة الله، وأصابتهم مواقف الفرح والسرور، فلم يبطروا ولم يطغوا، بل حمدوا الله وشكروه، واعترفوا أن ذلك بنعمته وفضله، ولهذا أثنى الله عليهم أبد الدهر على كل لسان عرف الحق، وجعل منهم ميزان حق وصدق يميز بين المؤمن وغير المؤمن، كما قال ﷺ : «آية الايمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار» لأن حبهم حب للدين وبغضهم بغض لآيات رب العالمين. وإن هذا الموقف الذي بين أيدينا من المواقف الرهيبة التي كشفت عن عظمة هؤلاء القوم، الذين ما نصروا الاسلام ابتغاء غد رافل، أو نفع عاجل، فقد قتل منهم قتلى، وكسبوا غنائم عظيمة جدا : ستة آلاف أوقية من السبي، وأربعة وعشرين ألف رأس من الابل، وأربعين ألفا من الشاء، وأربعة آلاف أوقية من الفضة... هي لهم ولمن معهم في نظر كل ناظر، وقسمة كل قاسم، ولكن الحكمة الربانية صرفتها إلى غيرهم وهم ينظرون، ولم ينالوا منها شيئا وهم لها مؤمّلون، وليس هكذا فحسب، بل صرفت إلى الذين قتلوا قتلاهم، وأدموا أحياءهم، وقعدوا لهم كل مرصد نِواء وعداء، فهل كان لهم أن يعترضوا على الحكمة الالهية والقسمة النبوية طمعا بمال أو رغبة بدنيا مؤثرة ؟! إنه موقف، وأي موقف في حساب غير المؤمنين، أما هم فقد قالوها من قبل : سمعنا وأطعنا فيما قضى الله ورسوله..

وتحركت نفوس شابة لم تعايش الأمور من بداياتها، ولم تتمكن من الفقه في الدين كإخوان لهم لم يغيبوا عن موقف أو يتخلفوا عن ركب أو معركة... على طيب في العنصر، وخلوص في الايمان، وثبات في اليقين، فوجدوا في الأمر مفارقة لم يعهدوها من رسول الله ﷺ وقد بادلهم حبا بحب، ووفاء بوفاء، وإخلاصا بإخلاص، وتحرك في قلوبهم هاجس كانوا يخشونه، ويخافونه أيما خوف، ألا وهو مفارقة الحبيب المصطفى ﷺ لربعهم، ومغادرته لديارهم، بعد أن تمكن الاسلام من البلد الحرام ونواحيه، وهو يتوجه إليه صلوات الله عليه في صلواته ودعواته.

وتعاظم هذا الهاجس في قلوبهم، فوضعوا حدا له، بسعي زعيمهم سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ، ليستبينه وجه الحكمة في هذه القسمة، فأدرك النبي ﷺ ما يجول بخواطرهم، ووجدها فرصة سانحة ملائمة، ليكشف عن مكنون قلبه ودفين حبّه، لمن وجد فيهم النصير والمعين والأهل والعشيرة، ويطمئنهم أن المحيا محياهم، والممات مماتهم لا رجعة بعد الهجرة، ولا قوم بعد الأنصار!!

لقد جمعهم دون غيرهم، ووقف فيهم خطيبا بموقف التذكرة والعتاب، لمن غفل عن الارتباط القائم بينهم وبينه ﷺ، بحديث القلب الطافح بالايمان، مذكرا لهم بفضله عليهم وحسن مواقفهم معه، فما كان منهم إلا أن قالوها كلمة واحدة : «الله ورسوله أمنّ وأفضل» وسألهم إن كاوا يريدون الدنيا ليقطعهم منها نصيبا وافرا، فقالوا : وما حاجتنا بالدنيا بعدك يا رسول الله ؟! وتجاوبت القلوب وعرفوا نعمة الاسلام عليهم وحب رسول الله لهم، فبكوا وبكوا فرحا بهذه النعمة، وإشفاقا من الهواجس التي دارت في رؤوس بعضهم، وبكى معهم رسول الله ﷺ لما سينالهم من الحيف والأثرة وسألهم : هل تصبرون ؟

فعاهدوه على الصبر إلى أن يلقوه على الحوض في رياض الجنة، فوفوا رضي الله عنهم أحسن الوفاء وأجمله، وصبروا أجمل الصبر وأكمله، وبقوا يذكرون موقف رسول الله ﷺ هذا وعهدهم معه، حتى آخر رجل فيهم وكلما تعرضوا (لفتنة) أو غاشية، ذكروا هذا الوعد فحدثوا به من حولهم، وتجاوزوا ما هم فيه بنفوس مطمئنة وقلوب راضية، وبقي هذا الموقف الخالد أسوة للاحقين، ومَشْرعا للمتبعين، وعبرة للانسانية التي تنشد الكمال والسمو، ولا يكون ذلك إلا باليقين وحق الايمان.

— 4 —

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

هذه الخطبة : قد جاءت نصوصها المباركة في جميع مصادر السنة النبوية وكتب الحديث، عن عديد من الصحابة الكرام، لكنها جاءت متفرقة، واقتطف كل مصدر منها موضع شاهد يريده، أو نصا له به قصد ليودعه في كتابه، استدلالا على حكم خاص، أو بيانا لفريضة، أو سنة أو إرشاد..

ولم أجدها مجموعة في كتاب واحد، أو مسوقة مساقا واحدا، ولهذا أردت أن أجمعها، كما جمعت من قبلها خطبتيه عليه السلام في فتح مكة وحجة الوداع.

وخرّجت فقرات هذه الخطبة ؛ وأكثرها في الصحيحين، وما ليس فيهما ذكرت موضعه وقيمته، وخرجنا بنتيجة : ألا وهي صحة هذا النص وتواتره عنه ﷺ، وبينا ذلك في تخريجه كما نَهَّج أهل الحديث ونقاده، وجعلتها نموذجا يمكن أن يحتذى في توثيق نصوص السنة النبوية، التي ستدحر اليوم ترهات الأفاكين، كما دحرت بالأمس جحود الجاحدين، والله تعالى أسأل أن يتقبل مني

هذا الجهد، وينفعني والمسلمين بحديث المصطفى ﷺ، وإليك نص الخطبة النبوية لتسترشد بهديها، وتقتبس من نورها وتجعلها غاية التربية المثلى على وجه الأرض فيما وليت وقدرت :

وقف رسول الله ﷺ فيهم خطيبا ولم يكن بينهم من غيرهم إلا ابن أخت لهم، فقال : أفيكم أحد من غيركم ؟ قالوا : ابن أخت لنا، قال : ابن أخت القوم من أنفسهم.

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

1 ــ يا معشر الأنصار، ما قَالَة بلغتني عنكم، وجِدة وجدتموها علي في أنفسكم ؟

2 ــ ألم آتكم ضُلّالا فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟

3 ــ وكنتم لا تركبون الخيل ؟

4 ــ قالوا : بلى الله ورسوله أمنّ وأفضل.

5 ــ قال : ألا تجيبوني يا معشر الأنصار ؟

قالوا : وماذا نجيبك يا رسول الله، ولرسول الله المن والفضل ؟

وجدتنا في ظلمة فأخرجنا الله بك إلى النور، ووجدتنا على شفا حفرة فأنقذنا الله بك، ووجدتنا ضُلَّالا فهدانا الله بك، قد رضينا بالله ربا، وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا، فاصنع ما شئت يا رسول الله في أوسع الحل.

6 ــ قال : أما والله لو شئتم قلتم، فلصدقتم وصُدّقتم : أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فاويناك، وعائلا فآسيناك،

7 ــ وخائفا فآمناك، وقبلنا ما رد عليك الناس.

8 ــ أوجدتم، يا معشر الأنصار، في لعاعة تألّفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟

9 ــ ألم يمن الله عليكم بالايمان، وخصكم الله بالكرامة، وسمَّاكم أحسن الأسماء، أنصار الله وأنصار رسوله ؟!.

10 ــ فإني أعطي رجالًا حديثي عهد بكفر أتألفهم.

وإن قريشا حديثو عهد بجاهلية ومصيبة، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم.

11 ــ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يرجع الناس بالشّاء والبعير، وترجعون

برسول الله تحوزونه إلى رحالكم؟!.
قالوا : بلى يا رسول الله قد رضينا.
12 ـ والذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار.
13 ـ ولو سلك الناس واديا أو شعبا، وسلكت الأنصار واديا أو شعبا، لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار،.
14 ـ أأكتبُ لكم بالبحرين كتابا من بعدي تكون لكم خاصة دون الناس ؟
قالوا : وما حاجتنا بالدنيا بعدك يا رسول الله ؟!!
15 ـ قال : أما لا فسترون بعدي أثرة شديدة.
16 ـ فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإن موعدكم الحوض، قالوا : سنصبر.
17 ـ وهو كما بين صنعاء وعمان، وآنيته أكثر من عدد النجوم.
18 ـ من أحبَّني أحب الأنصار، ومن أبغضني أبغض الأنصار، ولا يحبهم إلا مؤمن، ولا يُبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله.
19 ـ الأنصار شعار، والناس دثار،
20 ـ الأنصار كرشي وعيبتي.
21 ـ اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.
22 ـ فبكى القوم وأكثروا البكاء، حتى أخضلوا لحاهم، وبكى معهم رسول الله ﷺ.
23 ـ وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا.
ثم انصرف رسول الله ﷺ، وكانوا بالذي سمعوه من رسول الله ﷺ من القول أقرّ عينا، وأشدّ اغتباطا منهم بالمال.

ـ 5 ـ

توضيحات في النص :

1. **القَالَة** :هي اللفظ والقول الذي يخوض فيه القوم لإيقاع الخصومة، وفي رواية للصحيحين وغيرهما «ما حديث بلغني عنكم».

والجِدَة : يريد بها الموجدة، وهي الغضب والحزن.

2. **الضُّلّال** :جمع ضال، ومعناه أنهم كانوا مع الوثنية فهداهم الله إلى الاسلام.

والعالة: جمع عائل وهو الفقير، والعيلة : الفقر، وقد جاء في القرآن الكريم ﴿وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله﴾.

وأعداء: كانوا متحاربين ـــ الأوس والخزرج ـــ وعند البخاري وغيره : «وكنتم متفرقين فألفكم الله بي».

3. هذه الفقرة عند الامام أحمد في مسنده، وكانت الأوس والخزرج في المدينة المنورة قبل الاسلام أهل زراعة وحرث، ولم يكونوا أهل غزو واختصاص بالخيل والفروسية، كما كان غيرهم من أهل مكة والقبائل.

4. **المن** : هو العطاء والاحسان.

5. هذه الفقرة أخرجها الطبراني في معجمه الكبير، ضمن النص مطولا من حديث الصحابي السائب بن يزيد انظر 7 /180 ورجال إسناده ثقات إلا رشدين بن سعد، وحديثه في الرقائق ونحوها حسن، كما يقول الهيثمي.

6. **آسيناك** : أي شاركناك في المعاش والرزق كواحد منا.

7. **وقبلنا ما رد عليك الناس** : هذه الفقرة عند موسى بن عقبة، كما في دلائل النبوة للبيهقي 5 /180 ومعناها : قبلنا رسالة الاسلام في الوقت الذي لم يقبلها أحد، أي أنهم أسرعوا قبل غيرهم إلى الدين ونصروه.

8. **أوجدتم** : أي حزنتم وغضبتم، واللعاعة : بقلة خضراء ناعمة يشبه بها زهرة الدنيا ونعيمها في قلة بقائها، وفي بعض الروايات «في شيء من الدنيا» والتألف : المداراة والايناس، أي يستميل قلوبهم بالاحسان ليثبتوا على الاسلام.

9. كرم الله سبحانه وتعالى الأنصار بالثناء والتقدير في آيات عديدة، ومنها قوله : ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾.

وهذه الفقرة عند الطبراني في الكبير 7 /180 من حديث السائب بن يزيد، ومغازي موسى بن عقبة.

10. **أجبرُهم** : أي يرد عليهم بعض ما ذهب منهم أثناء الفتح وحنين، ويعوضهم منه.

11. **لما تنقلبون به** : أي الذي ترجعون به...

12. قال الخطابي : أراد بهذا الكلام تألف الأنصار واستطابة نفوسهم والثناء عليهم في دينهم، حتى رضي أن يكون واحدا منهم لولا ما يمنعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها.

13. **الشِّعب** : هو المنفرج بين جبلين، أو الطريق في الجبل.

14. هذه الفقرة عند الواقدي في المغازي، ضمن النص مطولا، وأخرجه أحمد في مسنده ثلاثيا فقال : ثنا أبو معاوية ــ وهو الضرير ــ ثنا يحيى بن سعيد الأنصاري عن أنس قال : دعانا رسول الله ﷺ ليكتب لنا قطعة، فقلنا : لا، إلا أن تكتب لاخواننا المهاجرين مثلها، انظر : ثلاثيات أحمد 2 /319 وهو في البخاري وغيره كذلك، وكانت البحرين أغنى البلاد المفتوحة آنئذ وهي بلاد معروفة في جنوب شرق الجزيرة العربية.

15. **الأثرة** : هي الانفراد بالشيء المشترك دون من يشركه فيه.

والمعنى أنه يستأثر عليكم بما لكم فيه اشتراك في الاستحقاق، ويعطي غيركم أكثر منكم.

16. قولهم : سنصبر، جاء في روايات عديدة صحيحة.

17. هذه الفقرة في وصف الحوض، جاءت عند الواقدي في المغازي.

18. **الشِّعار** : الثوب الذي يلي الجسد، والدِّثار الثوب الذي يجعل فوق الشعار، وهي استعارة لطيفة لفرط قربهم منه، أي أنهم بطانته وخاصته وأنهم ألصق الناس به، وأقرب إليه من غيرهم.

19. **كَرِشي وعَيْبتي** : أي خاصتي وموضع سري، والعرب تكني عن القلوب والصدرو بالعياب، لأنها مستودع الأسرار كما أن العياب مستودع الثياب.

20. **والعَيْبة** : الجونة التي يضع المرء فيها نفيس متاعه.

21. **أخضلوا لحاهم** : أي بللوها بالدموع.

22. هذه الفقرة عند موسى بن عقبة والطبراني في الكبير.

توثيق النص :

لقد روى هذا النص الجليل عن رسول الله ﷺ ــ وقد ألقاه أمام جمع غفير من الأنصار ــ مجموعة من الصحابة الكرام، وهم حسب ما استطعنا إحصاءه : أنس بن مالك الأنصاري، عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري، جابر بن عبد الله، أبي بن كعب، أبو قتادة الأنصاري، أبو هريرة، أبو سعيد الخدري، السائب بن يزيد، سهل بن سعد الساعدي، عبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

وعدتهم في هذه الطبقة الأولى : عشرة دون الشواهد.

1. ويرويه عن أنس : ثابت، أبو التياح، ابن شهاب الزهري، قتادة، النضر بن أنس، أبو بكر بن أنس، هشام بن زيد بن أنس، حميد الطويل، علي بن يزيد بن جدعان، يحيى بن سعيد الأنصاري. وهؤلاء عشرة يرويه عنهم :

حماد بن سلمة، وشعبة بن الحجاج، ومعمر بن راشد، ويونس بن يزيد، وأبو صالح، وابن أخي الزهري، وحجاج بن محمد، ومحمد بن عون، وعبيدة بن حميد، ومحمد بن أبي عدي، وإسماعيل بن جعفر، وصالح بن أبي الأخضر، وحماد بن زيد، وحرب بن ميمون، وسفيان بن عيينة، ويزيد بن هارون، ويحيى بن سعيد القطان، وهؤلاء سبعة عشر يرويه عنهم ستة عشر وهم : عفان، وسليمان بن حرب، ومحمد بن جعفر، وهشام بن عبد الملك الباهلي، وعبد الرزاق، وعبد الله ابن وهب، وإبراهيم بن سعد، ويعقوب بن إبراهيم، وأزهر، وسليم بن أخضر، ومعاذ بن معاذ، وأبو أيوب المقابري، ومحمد بن بشار، ومحمد بن عبيد بن حسان، وعلي بن حجر، وحرملة بن يحيى.

وهؤلاء أئمة ثقات، ومن أعلام هذه الطبقة والتي بعدها دخل المصنفات التي تواترت إلينا عن مصنفيها، مثل مسند أحمد بن حنبل، وصحيح البخاري وأضرابها.

وبهذا يمكن القول : إنه تواتر عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال الحافظ ابن كثير : إنه كالمتواتر عن أنس، انظر البداية 4 /358 قلت بل هو متواتر.

ومواضعه في مسند أحمد : 3 /111 ــ 246 ــ 249 ــ 166 ــ 169 ــ 173 ــ 188 ــ 196 ــ 201 ــ 224 ــ 279 ــ 280 ــ 375.

وفي صحيح البخاري مع فتح الباري : 8 /52 ــ 53 (المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان) و 7 /110 (كتاب المناقب : مناقب الأنصار).

وفي صحيح مسلم : 2 /733 ــ 736 (كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الاسلام وتصبير من قوي إيمانه).

وفضائل الصحابة للنسائي : رقم 221 ــ 222 ــ 230 ــ 242.

ومصنف عبد الرزاق : 11 /59

ومصنف ابن أبي شيبة : 12 /160

ومسند الحميدي : رقم 1201

والاحسان في ترتيب صحيح ابن حبان : 16 /257 ــ 267.

وشرح السنة للبغوي : 14 /173 ــ 176.

وسنن سعيد بن منصور : حديث رقم 2900 /(كتاب الجهاد : باب جامع الشهادة).

2. وأما عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري :

فيرويه عنه عباد بن تميم

يرويه عنه

عمرو بن يحيى بن عمارة

يرويه عنه

إسماعيل بن جعفر، وعبد العزيز بن محمد، ووهيب

يرويه عنهم :

عفان، وموسى بن إسماعيل، وسريج بن يونس، ويعقوب بن حميد.

انظر مسند أحمد 4 /42

وصحيح البخاري مع فتح الباري : 8 /47 (المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان) و 13 /225 (التمني : باب ما يجوز من اللهو)

ومسلم 2 /738 (الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الاسلام..)
ومصنف ابن أبي شيبة 12 /162

3. وأما أبو هريرة : فيرويه عنه :

محمد بن زياد، وهمام بن منبه، وأبو سلمة ابن عبد الرحمن، والأعرج، وأبو صالح السمان.

ويرويه عن هؤلاء :

شعبة بن الحجاج، ومعمر بن راشد، ومحمد بن سيرين، وأبو الزناد، وسهيل بن أبي صالح، ومحمد بن عمرو.

ويرويه عنهم :

عبد الرحمن، ومحمد بن جعفر، وعفان، وعبد الرزاق الصنعاني، ويزيد، وشعيب بن أبي حمزة، ومحمد بن إسحاق، ويعقوب بن عبد الرحمن، ومحمد بن بشر العبدي.

ثم يصل في الطبقة الموالية : إلى كتب المصنفين أو شيوخهم، وهو مثبت في المصادر انظر :

مسند أحمد : 2 /410، 412، 510، و67/3
مصنف عبد الرزاق 11 /59.
وصحيح البخاري 7 /112 (المناقب : مناقب الأنصار : باب قول النبي ﷺ لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار) و13 /225 (التمني باب ما يجوز من اللهو وقوله تعالى لو أن لي بكم قوة)
فضائل الصحابة للنسائي رقم 214 ـــ 218.
مصنف ابن أبي شيبة 12 /157
الاحسان في ترتيب صحيح ابن حبان 16 /259
شرح السنة للبغوي 14 /170

4. أبو سعيد الخدري :

يرويه عنه :

محمود بن لبيد، وأبو صالح السمان، وعطية العوفي

يرويه عنهم :

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الفضيل بن مرزوق، وعاصم بن عمر بن قتادة، والأعمش
يرويه عنهم :
يحيى بن أبي كثير، ومحمد بن إسحاق، ومعمر بن راشد
وفي الطبقة التالية التي بعده، يثبت في المصنفات انظر :
مصنف عبد الرزاق : 11 /64.
مسند أحمد : 2 /89، 67، 76، 57 وبعض أسانيده رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن إسحاق، وقد صرح بالسماع.
مصنف ابن أبي شيبة 12 /156
سيرة ابن هشام : 4 /146.
كشف الأستار في زوائد البزار : حديث رقم 65، 66
شرح السنة 14 /175

5. أبي بن كعب :
يرويه عنه :
ابنه الطفيل
ويرويه عن الطفيل :
عبد الله بن محمد بن عقيل
ويرويه عنه :
زهير بن محمد وعبد الله بن عمرو
وعنهما :

أبو حذيفة موسى، وأبو عامر وزكريا بن أبي عدي وهاشم بن الحارث وأحمد بن عبد الملك الحراني ويحيى بن بكير، ثم يثبت في المصادر :

انظر :

مصنف ابن أبي شيبة 12 /159، 1601 المسند : 5 /137، 138 جامع الترمذي مع تحفة الأحوذي 4 /369 وقال : هذا حديث حسن.

6. جابر بن عبد الله يرويه عنه :
أبو الزبير المكي
يرويه عنه :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ابن لهيعة،
وعنه :
موسى بن عقبة، ويثبت بعد هذه الطبقة في المصادر في :
مسند أحمد، وفي سنده ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح انظر مجمع الزوائد 10 /30.

7. السائب بن يزيد :

يرويه عنه :
الزهري
وعنه :
يونس بن يزيد الأيلي، وعقيل
وعنهما :
رشدين بن سعد، وعنه عبد الله بن سليم، ويرويه عنه أيوب بن محمد الوزان، وعنه الحسن بن علي المعمري

ثم يثبت في المصادر، كما في المعجم الكبير للطبراني 7 /179 ورجاله ثقات، إلا رشدين بن سعد ففيه كلام وحديثه في الرقائق ونحوها حسن.

8. سهل بن سعد الساعدي :

يرويه عنه ابنه عباس،
وعنه ابنه : عبد المهيمن
وعنه :
ابن أبي فديك،
وعنه عبد الرحمن بن إبراهيم.
ثم يثبت في المصادر، انظر : سنن ابن ماجه حديث رقم 164 ورجاله ثقات، خلا عبد المهيمن بن سهل.

9. أبو قتادة الأنصاري :

يرويه عنه :
يحيى بن النضر الأزدي
يرويه عنه : أبو صخر

يرويه عنه : عبد الله بن وهب
يرويه عنه : هارون بن معروف
ثم يثبت في المصادر.
انظر : مسند أحمد 5 /307 ورجاله ثقات

10. عبد الله بن عباس :

لم أتمكن من العثور على إسناده في المصادر الموجودة بين يدي، وقد قال الهيثمي في مجمع الزوائد 10 /31 : رواه الطبراني، وفيه محمد بن جابر السلمي وقد وُثق.

ورواه موسى بن عقبة في المغازي، وعروة بن الزبير في مغازيه كذلك، دون أن يبينا لنا المصادر التي أخذا منها هذا النص، ولا يعزب عن البال أن عروة من أئمة التابعين.

وكذلك الواقدي رواه عن شيوخه، وهم ستة من علماء السيرة (الزهري، وأسامة بن يزيد، وأبو معشر، وعبد الرحمن بن عبد العزيز، ومحمد بن يحيى بن سهل. وغير هؤلاء ؛ ممن لم يسم وهم ثقات) انظر مغازي الواقدي 3/932.

وباستثناء الزهري، لم يذكر هؤلاء في الأسانيد المتقدمة، مما يؤكد لنا شيوع هذا النص وذيوعه عند جميع علماء الحديث والسيرة، في طبقة التابعين وأتباعهم ومن تلاهم.

وهناك روايات أخرى لهذا الحديث وهي ضعيفة، ومن أمثلتها :

11. عن عبد الله بن جبير، أخرجه الطبراني، وعبد الله بن جبير قيل إنه تابعي، وهو ثقة وبقية رجاله رجال الصحيح انظر مجمع الزوائد 10 /31.

النتائـــج :

ــ الرواة من الصحابة : عشرة.
ــ الرواة من التابعين : أكثر من عشرين رجلا.
الرواة من أتباع التابعين : أكثر من خمسة وعشرين راويا.
الرواة من أتباع أتباع التابعين : أكثر من ثلاثين راويا.

وكلهم في جميع طبقاتهم علماء أجلاء، نجوم العلم الشريف، وحملته وأمناء الله عليه، وبهذا يمكننا أن نقرر : أن هذا النص متواتر، بالمعنى الاصطلاحي عن النبي ﷺ والتواتر يعني : رواية جمع يمتنع اتفاقهم على الكذب عادة، في جميع طبقاته، دون تحديد عدد معين، ويبدأ بأربع ويزداد كثرة، وهؤلاء الذين رووا هذا النص عن النبي ﷺ، مكانهم في الثقة والعدالة في المحل الأرفع، وقد جردوا أنفسهم ووقفوا حياتهم للحفاظ على السنة النبوية، والصفات العلية في الرواة، تقوم مقام العدد أو تزيد، كما قرر ذلك علماء الحديث.

ولمضمون هذا النص شواهد كثيرة جدا، مما يزيدنا اطمئنانا للحكم المتقدم.

كما أن لهذا النص شواهد من حديث :

معاوية بن أبي سفيان :

انظر مصنف ابن أبي شيبة 12 /165

وزيد بن أرقم :

عند البخاري تفسير سورة المنافقون، ومسلم : فضائل الصحابة، والترمذي، وابن أبي شيبة 12 /162

مركز تحقيقات کامپیوتری علوم اسلامی

وأسيد بن حضير : عند البخاري في الصحيح / المناقب، وابن أبي شيبة 12 /165.

ورفاعة بن رافع : عند ابن أبي شيبة 12 /165.

وغير هؤلاء.

وقد وقف النبي ﷺ خطيبا في أخريات أيامه بل آخر خطبة وقفها، وفي مرضه ﷺ، وذكر الناس بفضل الأنصار وذكر بعضا من هذه الخطبة وقال أيضا :

«الأنصار كرشي وعيبتي، الناس يكثرون، ويقلون ــ أي الأنصار ــ فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم».

وقد جاء هذا النص عن أنس بن مالك :

عند مسلم (فضائل الصحابة رقم 2510)

والبخاري /المناقب 3801

والنسائي في فضائل الصحابة رقم 220 والترمذي 13 /269 مع عارضة الأحوذي وأحمد

وأسيد بن حضير :

النسائي في فضائل الصحابة رقم 219.

وأبي سعيد الخدري :

الترمذي 68/13 مع عارضة الأحوذي

وسهل بن سعد الساعدي :

الاحسان إلى صحيح ابن حبان 16 /276

وعبد الرحمن بن كعب بن مالك :

عند عبد الرزاق 11 /63 وأحمد في المسند

وأبي هريرة :

عند عبد الرزاق 61/11ـ62

والبراء بن عازب :

مصنف ابن أبي شيبة 12 /159 وغيرهم

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

إنه وفاء رسول الله ﷺ، وأخلاق الاسلام امتزجت بعنصر طيب فأثمرت أنصاراً لله وأنصاراً لرسوله.

جعلنا الله تعالى ممن يهتدون بالسنة النبوية ويقفون عند حدود التعاليم المصطفوية، ويحبون في الله، ويعادون في الله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



مختاراتٌ مِنَ الأطروحات والرّسائل المقدّمة إلى دار الحديث الحسنيّة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مدخل إلى
مدرسة الأنصاص القرآنية بشمال المغرب

للأستاذ عبد العزيز عيادي

رحلة المغاربة إلى المشرق :

لقد فرض الله للاسلام أعمدة خمسة لا يتم اسلام المرء إلا بها، وهذه القواعد الخمسة المفروض تطبيقها على كل مسلم، تختلف حسب أعمار المسلمين ومقدرتهم على أدائها.

والحج أحد قواعد الاسلام الذي أوجبه الله على المسلم بشروط : البلوغ والحرية، والقدرة والاستطاعة. فالمسلمون عليهم أن يؤدوا هذه الشعيرة مرة في العمر إذا توفرت لهم الشروط الضرورية لذلك، ومنها المال، والصحة والأمن. وكانت الرحلة لأداء مناسك الحج ـــ بالنسبة للمغاربة ـــ ذات أبعاد متعددة، وأهداف متنوعة منها : طلب العلم من منابعه، والاتصال بالسند العالي لتوثيق ذلك العلم والتأكد من رجاله. يقول محمد الطاهر بن عاشور : «وما صارت افريقيا دار علم إلا بعد أن خرج من أهلها رجال إلى المشرق في طلب العلم، وقفلوا من الشرق يحملون علم الشريعة» [1]. وغرضنا هنا هو ابراز بعض الأعلام الذين رحلوا من الأندلس إلى المشرق للتفقه والتعليم في القرآن وعلومه، ورجعوا يحملون هذه العلوم إلى بلادهم، فكانوا السبب في نشرها في طول البلاد وعرضها منذ ذلك التاريخ. يقول أحمد بن محمد المقري التلمساني : «ان حصر أهل الارتحال، لا يمكن بوجه ولا بحال، ولا يعلم ذلك على الاحاطة إلا علام الغيوب، ولو أطلقنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام، لطال الكتاب وكثر الكلام» [2]. وفي

---

(1) محمد الطاهر بن عاشور : أليس الصبح بقريب ص 66.

(2) أحمد المقري التلمساني : نفح الطيب ج 2 /213.

مجال التعريف بالقراء الأوائل نذكر جملة من حملة القرآن وعلومه الذين شدوا رحالهم للطلب والاستفادة :

1. غازي بن قيس الأندلسي، أبو محمد : امام جليل ثقة. أخذ القراءة عرضا وسماعا عن نافع ابن أبي النعيم وضبط عنه اختياره. وهو أول من أدخل قراءة نافع للاندلس، وصحح مصحفه على مصحف نافع 13 مرة. توفي عام 199هـ [3].

2. اسماعيل ابن عبد الله التجيبي النحاس، قرأ على الأزرق صاحب ورش، وهو أجل أصحابه. توفي سنة 280 هـ [4].

3. محمد بن وضاح القرطبي المتوفى سنة 287هـ. روى القراءة عن عبد الصمد ابن عبد الرحمان عن ورش، وسمع منه الاختلاف بين نافع وحمزة. قال الداني : «ومن وقته اعتمد أهل الاندلس رواية ورش، وصارت عندهم مدونة. وكانوا قبل يعتمدون على رواية الغازي بن قيس عن نافع» [5].

4. محمد بن محمد بن خيرون المعافري الأندلسي، المتوفى سنة 306هـ، شيخ القراء بالقيروان. أخذ القراءة عن اسماعيل النحاس عرضا. قال الداني : في قراءة نافع من رواية ورش عنه، ثقة مأمون. وكان يأخذ أخذا شديدا على مذهب المشيخة من أصحاب ورش، وسلك أصحابه في ذلك. قال ابن الجزري : وهو الذي قدم بقراءة نافع على تلك البلاد. فإنه كان الغالب على قراءته حرف حمزة. ولم يكن يقرأ لنافع إلا خواص الناس. فلما قدم ابن خيرون القيروان اجتمع عليه الناس ورحل إليه القراء من الآفاق [6].

5. أحمد بن أسامة التجيبي المصري، المتوفى سنة 342 هـ وهو يناهز 110 سنوات. قرأ على اسماعيل النحاس لورش، وقرأ عليه خلف بن ابراهيم بن خاكان [7].

---

(3) شمس الدين محمد بن الجزري : غاية النهاية في ضبقات القراء ج 2، ص 2.
(4) محمد بن الجزري : نفس المرجع السابق ج 1 /165.
(5) محمد بن الجزري : نفس المرجع 2 /275.
(6) ابن الجزري : غاية النهاية ج 2 /217.
(7) ابن الجزري : نفس المرجع السابق 1 /38.

6. عبد الحكم بن ابراهيم القروي، المتوفى بعد 300 هـ. مقريء حاذق، روى رواية ورش عن محمد بن خيرون [8].

7. محمد بن أحمد بن عبد الأعلى القرطبي الورشي نسبة إلى قراءة ورش في اشتهاره بها المتوفى سنة 393هـ [9].

8. الامام أبي عمر عثمان بن سعيد الداني، شيخ القراء ونهاية أسانيدهم، صاحب التصانيف العديدة المفيدة المتوفى سنة 444هـ [10].

وقد كتب عمر بن الخطاب (ض) إلى أبي موسى الأشعري وهو بالبصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة، ويتخذ للقبائل مساجد. فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة. وكتب مثل ذلك إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة. وإلى عمرو بن العاص وهو على مصر [11]. وبهذه الفلسفة انطلق الرواد الأوائل من الجزيرة العربية لنشر راية الاسلام شرقا وغربا لأنهم كانوا يحسون أنه لم يكن عبثا أن المبادرة الأولى للرسول ﷺ بعد الهجرة هي بناء المسجد. وإنما كان عملا ذا دلالات عديدة ومتنوعة أبرزها الاشارة إلى أن إقامة المسجد خطوة أولية لبناء المجتمع الاسلامي.

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وكان نصيب المغرب جامع القرويين الذي أسسته فاطمة الفهرية بمالها الخاص سنة 245 هـ في عهد يحيى بن محمد الادريسي المتوفى سنة 249هـ [12]. وإلى هذا الجامع يرجع الفضل في استمرار الوجود لاسلامي بهذه الديار وفي حياة الحرف العربي بسائر أطراف افريقيا [13].

وبإقامة النواة الأولى للعلم في المغرب، انتشرت حركة موازية بربوع البلاد طولا وعرضا لتقريب عملية التعليم من الشعب، فصارت المساجد والجوامع من معالم البناء الحضاري والعلمي للمغرب في مدنه وقراه إلى يومنا هذا. وإلى عهد قريب

---

(8) ابن الجزري نفس المرجع ج 1 /359.

(9) أحمد المقري التلمساني : نفح الطيب ج 2 /314.

(10) ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 /503.

(11) الدكتور علي عبد الحليم محمود : المسجد ص 37.

(12) عبد الهادي التازي : جامع القرويين ج 1 /46.

(13) عبد الهادي التازي : نفس المرجع السابق ج 1 /11.

كانت المعمرة تغص بالتلاميذ الذين يأمونها من القرية يتلون كتاب الله صباح مساء إلى أن حل التعليم العصري محل التعليم المغربي، وأصبحت المعامر بعد هذا أماكن يعشش فيها الغراب.

وهذا الأستاذ الفاروقي الرحالي رئيس المجلس العلمي وعميد كلية اللغة العربية بمراكش ـــ رحمه الله ـــ يستنجد لانقاذ التعليم المغربي وبث الروح في هيكله والحفاظ على شخصيته الاسلامية، قبل أن يذوب في مناهج مستوردة، فتفقده انسيته وتمسخ معالمه وتجتث جذوره، فيسهل آنذاك تنعيجه وتمسيخه. «فهذه الكتاتيب التي كانت تحتضن الآلاف المؤلفة من حفظة القرآن الكريم، أصبحت خرابا بلقعا ينعق فيها الغراب بعد أن كانت تتلى فيها آيات الرحمان ليلا ونهارا. فكيف يرتفع عدد التلاميذ للقرآن إذا لم تعد المعمرة إلى سابق عهدها وعزها وغابر مجدها؟ وقد كانت مثوى التربية الاسلامية لقربها من المسجد، ولاتصال أطفالها بالعبادة...» (14).

الاهتمام بعلوم القراءات :

وأول من عرف القراءات السبعة ودونها الامام أحمد بن مجاهد البغدادي (ت 324 هـ) في كتابه : «السبعة في القراءات» وهو مطبوع بتحقيق الدكتور شوقي ضيف. وأول من نظم هذه القراءات وجعلها متداولةِ بين الطلاب في الأندلس هو الامام القاسم بن فيرة الشاطبي الضرير (ت 599هـ) في منظومته التي اشتهرت في الآفاق، وتطاولت إليها الأعناق شرقا وغربا المسماة : «حرز الأماني ووجه التهاني» ابتداها بالأندلس وأكملها بالقاهرة. فرزقها الله من الشهرة والقبول ما لا يوصف ولا يحصى. ولدى المغاربة اعتقاد أن البيت الذي توجد فيه نسخة «الشاطبية» لا تلتهمه النيران. وسمعت ذلك مرارا وتكرارا من فقهاء وعلماء لمسوا ذلك عن تجارب ملموسة. وفي مكتبتي نسخة خطية قديمة لهذه المنظومة. والقصيدة مكونة من 1173 بيتا، ومقسمة إلى ثلاثة أقسام : قسم في الأصول العامة للقراءة، وقسم في فرش الحروف، وقسم في مخارج الحروف وصفاتها. وجعل الناظم القراء ورواتهم حسب الحروف الابجدية، حتى ما إذا نفدت هذه الحروف، جمع القراء في حروف مركبة تدل على اشتراكهم في قراءة واحدة.

---

(14) الفاروق الرحالي : دعوة الحق عدد 4 السنة 11 (1968) ص 45.

جعلت أبا جاد على كل قارئ دليل على المنظوم أول أولا
ومن بعد ذكر الحرف أسمي رجاله متى تنقضي آتيك بالواو فيصلا

ولتقريب هؤلاء القراء للمبتدئين في المغرب، توجد عدة أبيات متداولة بشمال المغرب تؤطر القراء بالحروف الأبجدية، مخالفة لما في «الشاطبية» ومأخوذة من روحها.

أبج : ألف لنافع ثم باؤها لقالون ثم الجيم ورش به انجلا
دهز : ذال مكي وهاء لأحمدا وحيث أتاك الزاي فانسب لقنبلا
حطي : فحرف الهاء بصري وطائها لدور عليهم والياء للسوسي أقبلا
كلم : كاف للشامي لام هشامهم وأما ابن دكوان له الميم مثلا
نصع : نونها عند عاصم وصادها لشعبتهم والعين حفص به انجلا
فضق : فاؤها عن حمزة ثم ضادها لخلافهم والقاف خلد أولا
رست : راء علي وسين لليثهم وتاء لدورهم بها الرواة كملا

نص :

أبجد دهز حطي كلم نصع
فضق رست رزم القراء فاسمع
قالون مع ورش لنافع انتمى
البزي قنبل للمكي فاعلما
دوري سوسي للبصري
دكوان هشام للشامي
وحفص شعبة لعاصم نسبوا
خلاف خلاد لحمزة ذهبوا
دوري أبو الحارث للكسائي
خذهم رواة رووا للقراء

وإذا اجتمعت قراءات فأكثر في قراءة واحدة فإن الحروف الابجدية تتكرر. وقد وضع الامام الشاطبي لهذه المكررات رموزا هي :

1. إذا اجتمع قراء الكوفة على قراءة واحدة كان رمزهم (ث)
2. إذا اجتمع القراء الستة على قراءة (السبعة غير نافع) كان رمزهم (خ).
3. إذا اجتمع قراء الكوفة مع قاريء الشام، كان رمزهم (ذ).
4. إذا اجتمع قراء الكوفة مع قاريء مكة كان رمزهم (ظ).

5. إذا اجتمع قراء الكوفة مع قاريء البصرة كان رمزهم (غ)
6. حمزة مع تلميذه الكسائي لهما رمز (ش)
7. حمزة والكسائي وشعبة، إذا اجتمعوا في قراءة كان رمزهم (صحبة)
8. حمزة والكسائي مع حفص إذا اجتمعوا في قراءة كان رمزهم (صحاب).
9. إذا اجتمع قارىء المدينة مع قارىء الشام كان رمزهم (عم)
10. إذا اجتمع نافع وأبي عمرو البصري والمكي كان رمزهم (سما)
11. إذا اجتمع عبد الله بن كثير وأبي عمرو البصري كان رمزهم (حق)
12. إذا اجتمع قارىء المدينة وقاريء مكة كان رمزهم (حرمي)
13. إذا اجتمع المكي والبصري والشامي، كان رمزهم (نفر).
14. إذا اجتمع قراء الكوفة مع قاريء المدينة كان رمزهم (حصن) [15].

هذه هي مفاتيح القراءات، كما هندسها الامام الشاطبي الضرير في «حرز الاماني ووجه التهاني» وهذه الرموز هي التي نلاحظها في المصاحف التعليمية للقراءات وبواسطتها يتعلم المبتديء اسناد القراءة إلى صاحبها في لوحة أثناء التعلم.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

تلك القراءات التي كادت شمسها أن تغيب من المغرب، لولا أن قيض الله لها المومن الهمام جلالة الحسن الثاني، فأمر بإحيائها وتشجيعها في عدد من المراكز التعليمية بالمغرب، نذكر أنشطها مركزا سيدي زوين، بأحواز مراكش،ودار زهيرو قرب مدينة طنجة.

فالطالب المبتديء الذي يعتمد الحفظ دون التجاوز إلى البحث عن العلل والأسباب، ولا يكون له تضلع في اللغة العربية وقواعدها، يكون مضطرا إلى معرفة رموز القراء والرواة، من أجل ارجاع كل قراءة إلى قارئها، وكل رواية إلى راويها.

وبعد ما يحفظ الطالب القرآن برواية ورش، يبدأ في «التحنيش» على حد تعبيرهم، برواية قالون، وهو بذلك يبحث عن الترقيق والتفخيم، والتوسط والقصر وتحقيق الهمز وتسهيله.

---

(15) الامام أبو القاسم القرطبي : حرز الأماني، مخطوط عندي.

ثم يشرع في قراءة المكي «بروايتيه» : بزي وقنبل، وهو يبحث عن ميم الجمع الساكنة فيحركها، والهمز فيظهره، وبعد اتقان قراءة «المكي» يكون قد اتقن ما يسمونه ب «الحرمي» نسبة إلى قراء الحرمين الشريفين : مكة والمدينة.

ثم ينتقل إلى قراءة «البصري» بروايتيه : الدوري والسوسي، وهو يبحث عن الادغام الكبير والصغير. فإذا أتقن هذه يكون قد أتقن قراءة «سما» ثم ينتقل إلى الشيوخ الأربعة برواتهم دفعة واحدة. ومن أهم ما ألفه المغاربة في تقريب القراءات للطلاب : رسمية الفقيه سيدي محمد الهواري الذي كان حيا عام 1161هـ. وهو من تلامذة عبد الرحمان بن ادريس المنجرة.

وهي من أندر المخطوطات المغربية التي تستحق التحقيق والدراسة. تتكون من 50 ورقة (100 صفحة) من القطع المتوسط (موجودة عندي).

الرسم القرآني :

المراد بالرسم القرآني، أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية. ففي المصحف حروف كثيرة وقع رسمها (كتابتها) على غير المعروف من قياس الخط... فجاءت مخالفة لأوضاع الخط وقانونه، واحتيج إلى حصرها [16]. فبعدما أدرك الخليفة الثالث لرسول الله ﷺ ضرورة توحيد كلمة المسلمين في توحيد المصاحف، وبعد أن تعالت الهتافات بضرورة التدخل لتوحيد الصف وجمع الشمل في كتاب الله، شكل لجنة من خيرة الصحابة وثقاة الحفاظ هم : زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام، ووضع لهم دستورا لا يحيدون عنه، مستعينين بالمصحف الموجود عند حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين، وأوصاهم بالرجوع إلى لغة قريش عند اختلافهم في حرف من الحروف [17]. فكان المصحف الامام الذي بعث به هذا الخليفة إلى الأمصار، وأمر بدفن المصاحف الفردية بين القبر والمنبر [18]. وعن المصحف الامام أخذت المصاحف جميعا. وصار هذا

---

(16) عبد الرحمان بن خلدون : المقدمة ص 784.

(17) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان ج 1 /250.

(18) ابو داوود السجستاني : كتاب المصاحف 43.

المصحف برسمه وخطه هو موضوع كل حديث للناس قديما وحديثا، وأصبحت معرفة رسمه وكتابته وأداء قراءته تشكل علما خاصا من علوم القرآن [19].

ففيما يخص كتابة القرآن الأولى، خص بها علم يسمى «علم رسم القرآن» وفيما يخص ضبط القرآن ونقط حروفه خص به علم خاص يسمى «علم ضبط القرآن».

وفيما يخص طريقة أدائه وترتيله خص بها علم خاص يسمى «علم التجويد». وفيما يخص أداءه على الحروف المختلفة علم خص به خاص يسمى «علم القراءات». وظلت فكرة رسم المصحف بالطريقة الأولى محل جدال وحوار بين العلماء الأصوليين المحافظين، والذين تشددوا في ضرورة اتباع من كانوا أكثر منهم علما، وأصدق قلبا ولسانا، وأعظم أمانة، وأنه لا يحق للخلف أن يستدرك على السلف. فما زيد في الخط وما نقص منه، وما كتب على القياس فلأحكام خفية، تصدى لها العلماء لبيان أحكامها المعنوية أو الروحانية، كما تصدى المؤلفون لاحصائها وبيانها في القرآن، كما فعل الداني في «المقنع»، والشاطبي في «العقيلة»، والخراز في «المورد» وغيرهم.

ويقابل التيار الأصولي تيار آخر يدعي أن مسألة الكتابة مسألة اجتهادية تتحكم فيها المقاييس الاقليمية، والاعتبارات الاجتماعية، يقول ابن خلدون : «اعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم (الصحابة)، إذا الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية، والكمال في الصنائع إضافي، وليس بكامل مطلق، إذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال، وإنما يعود إلى أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلالته على ما في النفوس. وقد كان النبي ﷺ أميا، وكان ذلك كمالا في حقه» [20].

وللتوفيق بين الرأيين، نهج الناس نهج التوسط، فحافظوا على رسم كتابة الصحابة رضوان الله عليه، واجتهدوا في التمييز بين الحروف المتشابهة بنقطها،

(19) انظر الرسالة الكاملة التي بعثها الخليفة عثمان إلى البصرة بشأن توحيد المصحف الذي أجمع عليه الصحابة وترك بقية المصاحف الفردية في البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي : ج 2 /535 مطبعة أطلس، دمشق.

(20) عبد الرحمان بن خلدون : المقدمة ص 748.

وضبطها، وادخال وسائل تعليمية جديدة تسهل ادراك حفظ القرآن وقراءته على الوجه المطلوب، مثل الاتفاق الذي حصل في المغرب على الوقف، ووضع المد، بأنواعه المختلفة أثناء التعلم، إلى غير ذلك.

المغاربة والالتزام بالأصالة :

ولئن اجتهد المشارقة في اتخاذ منهج معين في كتابة المصحف، فإن المغاربة على العكس من ذلك لم يحيدوا قيد أنملة عما رسمه الصحابة، وما أتى به العلماء فيما يجب اتباعه في رسم المصحف. فقد جاء في الأثر أن النبي ﷺ وضع منهاجا للكتابة، أملاه على كاتب الوحي معاوية بن أبي سفيان (ض) عندما أراد أن يكتب البسملة. «الق الداوة، وحرف القلم، وانصب الباء، وفرق السين، ولا تعور «الميم»، وحسن «الله»، ومد «الرحمان»، وجود «الرحيم»، وضع قلمك على أذنك اليسرى، فإنه أذكر لك» (21).

ومنذ ذلك الحين ورسم المصحف يعتبر توقيفا يحرم مخالفته : يقول الشيخ محمد مكي ناصر : «واتباع المصحف في هجائه واجب، والطاعة في هجائه كالطاعة في تلاوته، كيف وقد تواطأ عليه اجماع الأمة، حتى قالوا في جميع هجائه أنه كان يحضره جبريل عليه السلام، وعن النبي ﷺ كان يملي على زيد بن ثابت من تلقي جبريل عليه السلام» (22).

وجاء في كتاب الابريز، ان ابن المبارك سأل سيدي عبد العزيز الدباغ عن سبب عدم كتابة القرآن الكريم بالرسم القياسي فقال : «للكلام القديم أسرار، ولكتابته دخل في تلك الأسرار، فمن كتبه بالكتابة التوقيفية فقد أداه بجميع أسراره، ومن كتبه بالكتابة القياسية فقد نقص من أسراره، ويكون الذي كتبه كلمات من تلقاء نفسه، لا الكلمات القرآنية المنزلة» (23). والمغاربة احتراما لمقام الصحابة والتابعين، والعلماء المجتهدين التزموا بالرسم التوقيفي للقرآن الكريم، على الرغم من تحليلات المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون. فقد سار المغاربة على نهج السلف

(21) عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان ج 1 /370.
(22) محمد مكي ناصر : نهاية القول المفيد في التجويد : ص 185.
(23) ابن المبارك : الابريز من كلام سيدي عبد العزيز ص 105.

الصالح الذي يقول بالوسطية، من أجل تسهيل حفظ كتاب الله وتعليمه ونشره بين الفئات العريضة للجماهير الشعبية المسلمة وأبنائهم منذ الفتح الاسلامي إلى الآن.

ورغم ظهور بعض التيارات المعاصرة، القائلة بعدم التزام رسم المصحف في كتابة الآيات والسور القرآنية في الكتب المدرسية لتسهيل تناولها وقراءتها وتقريبها للتلاميذ، قياسا على الكتابة القياسية التي تطبع بها الكتب المدرسية الأخرى، والتي تزعمها أحد رواد التأليف المدرسي عبد اللطيف ابن حيدة، فإن ذلك أثبت بالتجربة على أن المتتبع للتطور العلمي لهؤلاء التلاميذ أنهم ينشأون في جهل مطبق بالقراءة في المصاحف المتداولة في الكتاتيب والمساجد القرآنية المغربية.

إن مثل هذه التيارات التي تترعرع في غياب المراقبة المستمرة للمسؤولين عن المخططات التربوية، ان لم تخلق ازدواجية فكرية تزعزع القيم الأصولية للمغرب، فإنها تخلق قاعدة عريضة من الشباب تنشأ على التباعد والنفور من المصحف والتعامل معه، والائتلاف به، والالتزام بقراءته وتدبره وتطبيق أوامره. ولقد انتبهت وزارة التربية الوطنية أخيرا إلى مثل هذه الثغرات، فأخذت على نفسها تطعيم الكتب المدرسية المخصصة للتربية الاسلامية في التعليم الابتدائي والثانوي بنصوص من كتاب الله العزيز بخط مغربي جميل، ورسم عثماني أصيل. وهي بذلك تقطع الطريق أمام أولائك الذين حاولوا التسلل إلى مقدساتنا وعقيدتنا وأصالتنا لتهديم أصولها، وتخريب قواعدها، واستئصال جذورها حتى يسهل على أعداء الاسلام مهاجمتنا واقتحام حصوننا.

والدليل على ذلك أن تيار ابن حيدة صادف فئة كبيرة من المعلمين والأساتذة في مختلف أطوار التعليم ممن يؤيدون الفكرة ويروجون لها في واضحة النهار ويطبقون ما يؤمنون به مع تلامذتهم وطلابهم من الأقسام، مما يصعب على الأصوليين الهجوم المضاد لارجاع الحق إلى نصابه، والأحمق إلى صوابه سيما عندما يصل أطفال اليوم الستين من عمرهم، ويجدون أنفسهم يجهلون قراءة القرآن ومسايرة القراء والمقرئين مما سينتج عنه الهجران والاهمال.

ان الوحدة السياسية لا تعيش وحدها في معزل عن الوحدة المذهبية والعقيدية والقرآنية. فلا يجدر بنا ــ في الوقت الحاضر ــ أن نهدم ما بناه الأولون أون تقوض دعائم ما شيده سلفنا الصالح. وإلا فستكون تلك القطيعة الفكرية من

جانبنا نوعا من العقوق وكفران النعمة، وجحود الفضل. ولقد أوصانا الله بالاحسان إلى الوالدين وأن لا نقول لهما أف، وأن لا ننهرهما أحياء كانوا أم أمواتا، قريبين كانوا أم بعيدين عنا وعن زماننا، وهجران نهجهم القويم والشرود عن طريقهم المستقيم هو عقوق في أوسع مظاهره.

قراءة نافع سنة :

وإذا كان مذهب صاحب دار الهجرة قد أخذ مكانته في المغرب والأندلس عن طريق شابين أندلسيين هما : يحيى بن يحيى الليثي المتوفى سنة 234هـ [24]، وعبد الملك بن حبيب المتوفى سنة 238هـ[25]، فإنه لم يكن من المستغرب أن يتبع ذلك قراءة امام دار الهجرة نافع بن عبد الرحمان بن أبي نعيم. وانتقال قراءة نافع للاندلس والمغرب جاء نتيجة لاعتناق المغاربة الأندلسيين وبكل حرارة وشوق لمذهب الامام مالك بن أنس.

فالمغاربة الذين جعلوا الحجاز (مكة والمدينة) هدف رحلتهم لاداء مناسك الحج، لا يفوتون لاماكن أخرى، أخذوا بالتالي بمنهج الصحابة والتابعين في تفسير النصوص وتأويلها، واستنباط الأحكام منها، كما أخذوا باختياراتهم في القراءات القرآنية التي يروونها عن كبار الصحابة والتابعين الذين أقاموا بمدينة الرسول ﷺ لا سيما وقد سئل مالك عن قراءة نافع فقال : «قراءة نافع سنة [26]».

وجاء في «غاية النهاية» عند ترجمة أحمد بن عبد الله الطنافسي أنه قال : «من أراد أحسن القراءة، فعليه بقراءة أبي عمرو (البصري)، ومن أراد الأصل فعليه بقراءة ابن كثير (المكي)، ومن أراد أفصح القراءات فعليه بقراءة عاصم بن أبي النجود (الكوفي). ومن أراد أغرب القراءات فعليه بقراءة ابن عامر (الشامي)، ومن أراد الأثر فعليه بقراءة حمزة، ومن أراد أظرف القراءات، فعليه بقراءة الكسائي، ومن أراد السنة فعليه بقراءة نافع [27]». وليس المراد «بالسنة» هنا أن القراءات الأخرى ليست سنة، بل كلها متواترة عن النبي ﷺ، وإنما المقصود التخفيف عن الأمة بهذه الأوجه.

---

(24) أحمد المقري التلمساني : نفح الطيب ج 2 /217.

(25) أحمد المقري التلمساني : نفح الطيب ج 2 /215.

(26) ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ج 1 /112.

(27) ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 /75.

وأول من أدخل قراءة نافع إلى الأندلس، هو الغازي بن قيس المتوفى سنة 199هـ، والذي أخذ القراءة عرضا وسماعا عن نافع وضبط عنه اختياره، وصحح مصحفه على مصحفه 13 مرة. قال الداني : «كان خيرا فاضلا عالما أديبا ثقة مأمونا [28]». وبدخول قراءة نافع للاندلس، وانتشارها بربوع شبه الجزيرة الايبيرية، استكملت مظاهر الوحدة الفكرية والايديولوجية للدولة الأموية الناشئة بعد زوال أثرها من المشرق على يد العباسيين.

سند الامام نافع ورواته في القراءة :

تقدم أن لمقريء المدينة عدة تلاميذ أخذوا القراءة عنه، وانفرد به واشتهر عنه راويان هما :

1. أبو سعيد عثمان بن عدي المصري، مولى الزبير بن العوام، الملقب بورش لشدة بياضه. ارتحل إلى المدينة للاخذ عن نافع سنة 155 هـ فقرأ عليه ختمتان، ورجع إلى مصر فانتهت إليه رئاسة الاقراء بها. كان بارعا في العربية والتجويد جيد القراءة، يهمز ويشدد ويبين الاعراب. ولد سنة 10 هـ ومات سنة 197هـ ودفن بالقرافة بمصر [29].

2. عيسى بن مينى بن وردان، مولى الزهريين. اختص بنافع ولازمه لانه كان ربيبه، وهو الذي لقبه بقالون لجودة قراءته. انتهت إليه القراءة في المدينة بعد نافع. وكان أصما لا يسمع البوق، فإذا قريء القرآن عليه سمعه. ولد سنة 120هـ وتوفي سنة 220هـ [30]. قرأ ورش وقالون عن نافع، ونقلا اختياره في القراءة. وقرأ نافع على سبعين من التابعين، سمى منهم خمسة :

أبو جعفر يزيد بن القعقاع المتوفى سنة 130هـ [31] و عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المتوفى بالأسكندرية سنة 117هـ [32] وشيبة بن نصاح القاضي ختن

(28) ابن الجزري : غاية النهاية ج 2 /2.
(29) ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 /502.
(30) ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 /615.
(31) ابن الجزري : غاية النهاية ج 2 /382.
(32) ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 /381.

أبي جعفر بن القعقاع على ابنته، توفي سنة 130هـ [33] ومسلم بن جندب الهذلي [34] القاص مؤدب عمر بن عبد العزيز، من فصحاء زمانه مات سنة 130هـ، وأبو روح يزيد بن رومان المتوفى سنة 120هـ [35].

وأخذ هؤلاء عن ثلاثة من الصحابة : أبي هريرة المتوفى 57 هـ [36] وعبد الله ابن عباس المتوفى سنة 68 هـ [37] حبر الأمة، وبحر التفسير. دعاله الرسول ﷺ بالعلم والتأويل والفقه والرشد، وعبد الله بن عياش المتوفى سنة 78هـ [38]. وقرأ هؤلاء الثلاثة على أبي بن كعب المتوفى سنة 30 هـ[39]». وقرأ أبي بن كعب على الرسول ﷺ عن جبريل عن رب العزة جل جلاله.

وللمغاربة نص يجمع شيوخ المقريء نافع إلى الرسول ﷺ :

فنافع جعفر وشيبة هرمز ... وجندب رومان كذاك عن الولا
هريرة عباس ونجل ابن عياش ... أبيّ محمد وجبريل فاعقلا
عن اللوح المحفوظ عن الله ربنا ... إسناد لنافع فخذه محصلا

ورش يأخذ الجنسية المغربية :

يقول صاحب البحر المحيط : «القرآن برواية ورش، هي الرواية التي ننشأ عليها ببلادنا ونتعلمها أولا في المكتب» [40] ولعل اختيار المغاربة لرواية ورش ترجع لوجوده في أقرب نقطة جغرافية إليهم، نقطة عبور الحجاج إلى بيت الله الحرام.

ودخلت قراءة نافع للاندلس برواية ورش عن طريق محمد بن وضاح القرطبي المتوفى سنة 237 هـ الذي روى القراءة عن عبد الصمد بن عبد الرحمان المتوفى سنة 231هـ [41] عن ورش. وسمع منه الاختلاف بينه وبين حمزة. وقال

---

(33) ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 /329.
(34) ابن الجزري : غاية النهاية ج 2 /297.
(35) ابن الجزري : غاية النهاية ج 2 /38.
(36) ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 /370.
(37) ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 /425.
(38) ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 /439.
(39) ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 /31.
(40) محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي : البحر المحيط ج 1 /11.
(41) ابن الجزري غاية النهاية ج 2 /275.

الداني : «ومن وقته اعتمد أهل الأندلس على رواية ورش، وصارت عندهم مدونة. وكانوا قبل ذلك معتمدين على رواية الغازي بن قيس [42]».

ودخلت رواية ورش عن نافع لافريقيا (تونس) على يد محمد بن محمد بن خيرون المتوفى سنة 306 هـ، شيخ القراء بالقيروان. أخذ القراءة عرضا عن اسماعيل النحاس المتوفى سنة 280هـ [43].

قال الداني : قراءة نافع برواية ورش عنه ثقة المامون. قدم القيروان واستوطنها وأقرأ بها. وكان يأخذ أخذا شديدا على مذهب المشيخة من أصحاب ورش. وسلك أصحابه في ذلك طريقه، وكذلك من أخذ عنهم إلى اليوم. قال ابن الجزري : وهو الذي قدم لقراءة نافع على تلك البلاد فإنه كان الغالب على قراءتهم حرف حمزة ولم يكن يقرأ لنافع إلا خواص الناس. فلما قدم بن خيرون القيروان اجتمع عليه الناس ورحل إليه القراء من الآفاق [44]. وعن اسماعيل بن عبد الله النحاس أيضا أخذ أحمد ابن أسامة التجيبي رواية ورش عن نافع. قال الداني : توفي سنة 342 هـ عن عمر يناهز 110 سنوات [45]. وعن أحمد بن أسامة التجيبي أخذ خلف بن ابراهيم بن خاقان المصري المتوفي سنة 402هـ، الأستاذ الضابط في رواية ورش، وعنه أخذ الداني وعليه اعتمد رواية ورش في كتابه «التيسير» قال عنه : كان ضابطا لقراءة ورش متقنا لها مجودا مشهورا بالفضل والنسك، واسع الرواية، صادق اللهجة [46].

الداني، جوهرة العقد :

عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الداني القرطبي الحافظ، شيخ مشايخ المقرئين. ولد سنة 371 هـ ومات سنة 444هـ. من جملة من أخذ عنهم : خلف بن ابراهيم السالف الذكر. ومن جملة من أخذوا عنه أبو داود سليمان بن نجاح المتوفى سنة 496هـ [47].

---

(42) ابن الجزري : غاية النهاية ج 2 275.
(43) نفسه : ج 1 /165.
(44) ابن الجزري : غاية النهاية ج 2 /217.
(45) ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 /38.
(46) ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 /271.
(47) ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 /500.

ترك تراثا قرآنيا لم يسبق له مثيل، نذكر منها : «التيسير في القراءات السبع» مطبوع باسطنبول سنة 1940م، «المقنع في رسم المصحف وهجائه»، طبع بدمشق بتحقيق الدكتور أحمد دهمان و«المحكم في نقط المصحف» طبع بدمشق سنة 1960 بتحقيق الدكتور عزة حسن (48). وإذا أطلق الداني في القراءات القرآنية فالمقصود به عثمان بن سعيد.

ورغم بعد المسافة بيننا وبين الداني فإن اسمه مازال يتردد في أنصاص الأصول القرآنية التي هي موضوع هذه الدراسة. وعن الداني أخذ جم غفير من التلاميذ، ونذكر أهمهم : أبو داوود سليمان بن نجاح، امام القراءة بعد الداني، أخذ عنه ولازمه وسمع منه مصنفاته، وهو أجل أصحابه. من أهم كتبه المذكورة في «الانصاص» : كتاب «التنزيل»، المختزل للاسم الحقيقي والكامل لـ«التبيين لهجاء التنزيل» (49).

وعن أبي داوود سليمان بن نجاح، أخذ علي بن محمد بن هذيل البلنسي امام زاهد ثقة، لازم أستاذه مدة سنين لانه كان زوج أمه، نشأ في حجره وهو أجل أصحابه وأثبتهم. انتهت إليه رئاسه الاقراء في زمانه لعلو روايته مات سنة 564 هـ وتزاحم الناس على نعشه (50).

مركز تحقيقات کامپیوتری علوم اسلامی

وعن علي بن محمد بن هذيل أخذ الامام القاسم بن فيرة الشاطبي الرعيني الضرير ولي الله، وأحد الأعلام المشتهرين في القراءات في الأقطار الاسلامية. عاش ما بين 538هـ و 590هـ. قرأ ببلدته شاطبة القراءات وأتقنها على أبي عبد الله محمد بن العاص النفزي المتوفى سنة 550هـ (51). انتقل إلى بلينسيا فقرأ على ابن هذيل السابق. كان آية من آيات الله في الذكاء. ألف «حرز الأماني ووجه التهاني» والتي اشتهرت باسم «الشاطبية» في القراءات التي سبقت الاشارة إليها. وخصها العلماء المغاربة بالشرح والتحليل والحفظ والتدريس بما لا يعد ولا يحصى (52). والشاطبية هي المرجع التعليمي الوحيد المتداول بين طلاب القراءات

(48) عبد السلام الكنوني : المدرسة القرآنية بالمغرب ص 80.

(49) ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 /316.

(50) ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 /573.

(51) ابن الجزري : غاية النهاية ج 2 /204.

(52) ابن الجزري : غاية النهاية ج 2 /21.

في المغرب إلى الآن. وبين الداني والشاطبي، عاش المغرب عصر البحث عن الذات، وتثبيت الهوية، وتجذير الاصالة فعصر المرابطين والموحدين، كان عصر فتح القنوات السياسية بين شمال افريقيا والأندلس عبر المغرب الأقصى، والبحث عن الذات في السياسة، والبحث عن الذات في طريقة الاجتهاد وفهم النصوص، والبحث عن الذات في اختيار القراءة والرواية من بين عشر قراءات وعشرين رواية ناهيك عن الطرق المتفرعة عن كل رواية.

فرغم الاتفاق ــ شبه الاجماع ــ على قراءة نافع بالأندلس وافريقيا (تونس) ورغم الاختيار الذي تم على رواية ورش في المغرب والأندلس فإن بعض الملوك المغاربة في ذلك العصر كانوا مازالوا يترددون بين اختيار قراءة هذ االمقريء أو ذاك. فهذا أبو الحسن علي بن محمد المرادي البلنسي الذي دخل مراكش للتدريس والذي نظم في الرسم أرجوزة سماها «المنصف» سنة 556هـ، والذي كان مؤدبا للأولاد يوسف بن عبد المومن، كان هذا المقرىء يصلي التراويح بأبناء السلطان بحرف عاصم بن أبي النجود [53]. وما أن استولى المرينيون على مقاليد الحكم في المغرب، حتى أخذت الجوانب العلمية والثقافية والحضارية تأخذ الطابع المغربي، والصبغة الوطنية حيث بدأت تبرز معالم الشخصية المغربية في العمارة والزخرفة والفنون والثقافة والعلوم.

ففي ما يخص الجانب التأطيري لقراءة نافع، برز إلى عالم الوجود محمد بن محمد بن ابراهيم الشريسي الخراز المغربي المتوفي سنة 718هـ. ألف منظومة في رسم القرآن وضبطه، لخص فيها كتاب المقنع للداني وأرجوزة «عقيلة أتراب القصائد» للشاطبي، وكتاب «التنزيل» لابي داوود بن نجاح [54]. سمى أرجوزته «مورد الظمآن، في رسم حروف القرآن» وبآخرها «ضبط القرآن» وهي المرجع الوحيد المتداول بين أيدي الطلبة والفقهاء في هذا الميدان إلى الوقت الحاضر. فما هو الرسم القرآني ؟ وكيف تطور؟.

مورد الظمآن في رسم القرآن : المنظومة التعلمية الرائدة

لم يأخذ علم الرسم القرآني شكله النهائي في إطار المؤلفات التعليمية إلا

---

(53) سعيد أعراب : الميثاق عدد 118 ــ 17 شتنبر 1970.

(54) الدكتورمحمد بن شقرون : الحياة الفكرية في عهد بني مرين ص 169 بالفرنسية.

على يد الامام الخراز في أرجوزته مورد الظمآن [55]. وهي المنظومة التي اكتسحت الساحة المغربية، ونالت شهرة بين العلماء والمقرئين لا في العصر المريني فحسب، بل إلى يومنا هذا شرحا وتدريسا ونسخا وحفظا وتداولا.

ولا يتسع المقام لاستعراض من شرحها أو علق عليها كلها أو بعضها، ولكننا نتعرض لمحتوياتها على وجه الاستئناس.

الأرجوزة تقع في 454 بيتا وتبتديء بـ :

الحمد لله العظيم المنن ومرسل الرسل باهدى سنن

وتنتهي بـ :

قد انتهى والحمد لله على ما من من أنعامه وأكملا

وتتألف من :

مقدمة : وبين فيها أهمية التقيد بالرسم العثماني، كما بين المصادر التي اعتمد عليها في تأليف مورده، ومنهجيته في هذا التأليف.

الباب الأول : وذكر فيه اتفاق القراء واختلافهم في «حذف» الكلمات القرآنية والقواعد التي اصطلحوا عليها [56]. ويبتديء في البحث عن هذه الكلمات المحذوفة من سورة البقرة إلى آخر سورة الناس.

باب : حذف احدى اللامين

باب تصوير الهمز [57].

ثم تعرض للزوائد في الكلمات القرآنية حسب حروف المد واللين (الألف، الواو، الياء).ثم الحروف التي ينقلب حرف المد فيها إلى واو أوياء (الصلاة — الصلوات :..... الخ).

الحروف التي أصلها واوا، فتكتب ياء.

الحروف المفصولة في القرآن على غير قياس.

الحروف الموصولة على وفاق اللفظ.

(55) ابن الجزري : غاية النهاية ج 2 /237.

(56) المراد بالحذف في اصطلاح القراء : كتابة الالف اللينة فوق السطر غير لاصقة به ككلمة الرحمان تكتب بالرسم العثماني «الرحمٰن».

(57) تصوير الهمز هو البحث عن موقع الهمز من حروف اللين والمد «الواو — الياء — الالف».

هاء التأنيث المرسومة تاء «مسرحة»

وذكر في الختام سنة التأليف والتي هي 710هـ، وعدد الأبيات. ولم يكن «مورد الظمآن» كمنظومة تعليمية في المدرسة القرآنية المغربية، ليكتب لها هذا الحظ من الانتشار والعناية إذا لم يكن صاحبها هو «الامام الخراز» الذي قضى حياته كلها في «المعمرة» يدرس القرآن الكريم للاطفال والطلبة، فذيوع صيته، وانتشار مورده، والاقبال عليه، جاء نتيجة تفرغه للتعليم والتربية ابتغاء وجه الله، وحبا في كتابه الكريم.

وهكذا العظماء من التاريخ الفكري والحضاري الذي احتفظ التاريخ ببصماتهم على سجلاته، نبعوا من أواسط الشعب، ومن الطبقات الضعيفة والمتوسطة [58].

ويعتبر مورد الظمآن في رسم القرآن، في مستوى الكتب الدراسية الأخرى مثل المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، والجرومية في قواعد النحو، وألفية ابن مالك، من حيث اقبال التلاميذ عليها وحفظها في اللوح قبل الشروع في مرحلة التعلم الثانوي.

عبقرية المغاربة في القراءات القرآنية :

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وبعد الشاطبي، والخراز عرفت المدرسة القرآنية المغربية أعلاما حملوا مشعل الحياة الفكرية والأدبية والعلمية بالمغرب وخصوصا ما يتعلق بعلوم القرآن والآلات الموصلة إليه، والمتفرعة عنه. ولست في حاجة هنا إلى استعراض نماذج من هؤلاء الأعلام، فقد استقصاهم أستاذنا سعيد أعراب في مقالات متتابعة لجريدة الميثاق التي تصدر بطنجة عن رابطة علماء المغرب، ابتداء من العدد 118 في 17 /9 /1979. وهو الآن بصدد إبراز هؤلاء الأعلام وغيرهم للقاريء المغربي ليطلع على ما خلف أجداده في هذا الميدان من ثرات أصيل، وغزارة فكرية ثمينة.

إلا أن ما يهم هنا هو أن أشير إلى أنه زيادة على المنظومتين السالفتين «الشاطبية» و «المورد» وكذا «الدرر اللوامع» لابن بري التازي فإن المغاربة لم يقفوا عند هذا الحد في ابتكار طرق أخرى وعلوم أخرى تتصل بعلوم القرآن.

(58) عبد الله كنون : النبوغ المغربي في الأدب العربي : ص 222.

فبعد مرور الزمن أصبحت هذه المنظومات الثلاث تفقد حيويتها والاقبال عليها شيئا فشيئا لما تحتاجه من شرح وتحليل لفك معانيها وسبر أغوارها، مما لا يطلع على ذلك إلا العلماء المتضلعون في العربية ونحوها وآدابها. فالفقيه المعلم «المشارط» على تعليم الأطفال القرآن الكريم يصعب عليه التعامل مع هذه المنظومات لقلة رصيده النحوي واللغوي، بل أغلبهم لا يعرفون قواعد العربية ونحوها، المفتاح العلمي لفهم الملخصات والمنظومات. ومن ثم كان تحول الاتجاه من الاعتماد على «المورد» و «الدرر» و«الشاطبية» إلى ابتكارات أخرى، أمر تقتضيه المصلحة التربوية للمحافظة ــ وبنفس الحماس ــ على القرآن الكريم دستور الأمة الاسلامية، ومحور حركتها ونشاطها ومصدر تشريعها. فما هي الطرق الجديدة التي عوضت المناهج القديمة ؟ انها مدرسة «الأنصاص».

مدرسة الأنصاص :

«الأنصاص» مصطلح متداول بين أرباب القراءات في المغرب للتعبير عن مجموعة من القواعد التي تؤطر الكلمات الخارجة عن القياس في رسمها أو ضبطها أو في كيفية أدائها. كما تؤطر هذه الأنصاص الكلمات المتشابهة في التقديم والتأخير والحذف والاضافة مع التنصيص على أماكن وجودها في القرآن الكريم إما بواسطة السور أو بواسطة الأحزاب والأرباع والأثمان.

و«الأنصاص» كلمة مغربية صرفة، نجدها في كثير من الاستعمالات اليومية على شكل جمع أو مفرد :

«النص في الراس، والخسارة في الكراس»، يقصد به ذلك التلميذ الذي لا يحسن تطبيق ما يحفظه من قواعد عند كتابة اللوح أو أداء القراءة. حافظ «انصاصو»، يقصد به التلميذ أو الطالب السريع البديهة في الاستشهاد بما يحفظه من نصوص وقواعد ومنظومات. «اللي ما يقرأ الأنصاص، يبقى لوحو رصاص» يقصد به لمن يترك اللوح ثقيلا بالأخطاء القرآنية.

والأنصاص جمع نص وهو من جموع القلة على وزن أفعال. وهي عبارة عن قواعد منظومة في أراجيز مختصرة أو مطولة، ينظمها الفقهاء لتلامذتهم بطريقة عفوية وبلغة عامية أحيانا أو على شكل الشعر الملحون من أجل تقريب الكلمات

التي تقع فيها الأخطاء عند كتابتها أو النطق بها من التلاميذ المتعلمين. وحسب التهامي الراجي فإننا لا نعرف بالضبط متى بدأت هذه الأنصاص في المغرب (59).

وحسب الأستاذ سعيد أعراب فإن هذه الأنصاص كانت ببلاد الأندلس في حدود المائة السادسة للهجرة (60) فجاء في «برنامج شيوخ الرعيني» أن أبا الحسن علي بن محمد الرعيني الاشبيلي (592هـ ــ 666هـ) في معرض حديثه عن شيخه المقريء أبي علي محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بـ«الزبار»، أنه أنشده :

حكيم عليم في التلاوة خمسة فلا تسمعــــن من قال سادس
ففي سورة الانعام منها ثلاثــة وفي الحج حرف ثم في النمل خامس

وإذا كانت «الأنصاص» الأندلسية تتميز بالتعامل مع السور القرآنية تمشيا مع منهجية مورد الظمآن، وبطابعها الشعري العربي. فإن الأنصاص ذات الطابع المغربي تتميز بما يلي :

1. استعمالها اللغة العامية أحيانا مثل نطق القاف كافا معقوفا.
2. عدم التزامها بقافية شعرية معينة، وبأسلوب ركيك أحيانا.
3. بالطابع الملحون لبعض هذه الأنصاص والتي تسمى (أنصاص الأعراب)
4. تستعمل الأرباع والأثمان والأحزاب وما اشتهر من الكلمات بدل السور.

وهي من حيث الحجم يمكن تصنيفها إلى :

1. أنصاص عدد أبياتها يفوق المائة مثل الحذفيات والثبتيات...
2. أنصاص عدد أبياتها يفوق العشرين مثل أنصاص السين ــ الصاد
3. أنصاص عدد أبياتها من 10 إلى 20 مثل أنصاص الوصل ــ النقل...
4. أنصاص ما بين بيت واحد وتسعة وهي أغلبية هذا النوع.

ومن حيث الموضوع يمكن تقسيمها إلى ستة أقسام :

1. أنصاص تتناول الرسم القرآني.
2. أنصاص تتناول ضبط الكلمات القرآنية.

---

(59) الدكتور التهامي الراجي : دعوة الحق فبراير 1969 ص 22 وما بعدها.

(60) سعيد أعراب : الميثاق.

3. أنصاص تتناول الوقف والابتداء.
4. أنصاص تتناول كيفية الأداء والتجويد.
5. أنصاص تتناول الكلمات المتشابهة في القرآن (المشاكل).
6. أنصاص تتناول أدبيات القراءة والتعليم والمعاملات التعليمية.

ومنها نوع آخر من الأنصاص صيغت على شكل ألغازونكت ومستملحات، الغرض منها مزدوج : فهي من حيث المظهر تشكل استراحة فكرية للتلميذ والطالب. وهي من حيث العمق تؤطر كلمة خرجت عن مثيلاتها للتنصيص على موضعها وكيفية رسمها حتى لا يقع الطالب أو التلميذ في الخطأ حين كتابتها. وهذا النوع من الأنصاص يأخذ قالبا عاما تصاغ فيه كل الاشكاليات المفصلة على قده وقامته. ففي مقدور أي فقيه أو تلميذ أن يؤطر الكلمة الصعبة التي تشكل عليه حسب هذا النوع من القواعد.

وإذا كانت هذه الأنصاص تشكل مدرسة قائمة الذات في المغرب. وإذا كانت هذه الأنصاص قد عوضت المنظومات الأصولية المعروفة العين والحال. فإن للسائل أن يسأل : ما مصدر هذه الأنصاص ؟ ومن هم المؤطرون لها ؟.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

مصادر الأنصاص :

بالمعايشة المستمرة التي قضيتها مع الأنصاص القرآنية، تبين لي أنها ترجع إلى المصادر التالية :

1. قريحة الفقهاء المتضلعين في القرآن الكريم رسما وضبطا وتجويدا.
2. المنظومات الأصولية الثلاث السالفة الذكر.
3. مؤلفات الفقيه أعجلي البعقيلي السوسي (مخطوطات خاصة).
4. مؤلفات الحاج محمد الذهب أشماخ الحزمري (مخطوطات خاصة).
5. الخذفيات والثبتيات المتعددة الجنسيات.
6. وقفية الامام الهبطي والامام أعجلي.
7. فتاوى العلماء المتصدرين للقراءات بالمغرب.
8. الأخذ المباشر من الفقهاء المزاولين لمهنة التدريس.

أولا : قريحة الفقهاء :

إن قضاء مدة طويلة في الميدان التعليمي والتربوي تكسب صاحبه مهارة تربوية يستطيع بواسطتها التصرف في المادة بكيفية يستطيع معها القدرة على الاستنباط والاستشهاد ومواجهة الطواريء الغير المرتقبة. فالفقيه الذي قضى أربعين سنة في الميدان التعليمي لا شك أنه : اكتسب طرقا بيداغوجية جديدة يستفيد منها للوصول إلى الهدف المنشود بأقرب الطرق كما أن المادة التعليمية أصبح يتحكم فيها بكيفية آلية لا يجد أي صعوبة في الرجوع إليها عند الحاجة والطلب.

فالفقيه الذي «يسلك» ألواح التلاميذ المبتدئين والطلبة «المخنشين» قد يفاجأ بخطإ في لوح هؤلاء أو أولائك فيقوم بإبراز ذلك الخطأ وتصحيحه بقلم غليظ تجعل من الطالب المعني بالأمر يخجل من الخطأ المرتكب. ويقوم المصحح بعد ذلك باستعراض نظائر تلك الكلمة والأماكن التي توجد فيها في نظم بسيط قريب إلى عقلية التلميذ والطالب، وعادة ما يفتتح هذا النظم بالعبارة : «وهاك يا طالبا...» بمعني خذ أيها الطالب الوضع الصحيح للكلمة التي أخطأت فيها مع نظائرها في القرآن الكريم.

وأغلب هذه الأنصاص التي تكون ناقصة الوزن والقافية والتفعيلة الشعرية تدخل في إطار ما سماه سيدي عبد الله كنون بـ : «أدب الفقهاء [61]» الذي يكون الشعر فيه تعليميا يهتم بالمادة العلمية أكثر من اهتمامه بالقافية. بل ربما تكون اللغة العامية الاكثر تداولا هي المستعملة فيه حتى تعلق بذهن المتعلم دون اللجوء إلى المعاجم للبحث عن المصطلحات والتعريفات والاشتقاقات اللغوية.

وتساهلهم في بناء «أنصاصهم» العلمية لا ينقص من قيمتهم ولا من علمهم. فهم في الواقع أثبتوا وجودهم في الساحة الوطنية، بما خلفوه من ذخائر ونفائس علمية تفوق الحصر والعد أعطت للمغرب شخصية واضحة في هذا الميدان ينعدم نظيره في البلاد العربية الأخرى.

الأنصاص المجهولة الهوية :

إن أغلب الأنصاص القرآنية التي جمعتها من أفواه العدد الكبير من الفقهاء

---

(61) عبد الله كنون : أدب الفقهاء ص 232 وما بعدها.

الكبار الذين يمارسون العلمية التعليمية في المدرسة القرآنية بشمال المغرب، غير منسوبة لمؤلفيها. وهذا يرجع في نظري إلى عاملين أساسين :

1. إما لطول المدة بين الناظمين لها، وبين المستوعبين لهذه الأنصاص مما جعلهم يهملون شيئا فشيئا افتتاحياتها التي غالبا ما تكون مصحوبة بأسماء أصحابها.

فكثيرا ما عثرت على منظومتي «الدرر اللوامع» و«مورد الظمآن» دون مقدماتهما. ولما سألت من وجدت عنده احداهما عن هوية هذه المنظومة، كان الجواب : لا أدري. فلقد انخفض حماس النساخ في العصور المتأخرة إلى درجة أنهم أصبحوا ـــ من أجل ربح الوقت ـــ يهملون مقدمات الكتب التي ينسخونها، وهم بذلك يشوهون الكتاب ويفقدونه القيمة العلمية من حيث لا يشعرون.

2. واما لكون الفقهاء الذين كانوا يتصدرون لهذه الأنصاص بالنظم والتأليف، كانوا يتغافلون عن ذكر أسمائهم وأنسابهم ومكان اقامتهم وعملهم تجنبا للرياء والسمعة، وطلبا للزهد وعدم الشهرة.

وهناك أنصاص تحتفظ بأسماء مؤلفيها دون الاشارة إلى مكان اقامته أو عمله وهذه هي مصادر التعب، ذلك أنه من العبث العثور على تراجم أولائك الرواد الناظمين. فقد سألت البحاثة سيدي عبد الله كنون بصفته متخصصا في «رجالات المغرب» عن بعض هؤلاء الأسماء فكان الجواب: لا أعرفهم. والغريب في الأمر أن ظاهرة الأخذ من الكتب المجهولة الهوية بدأت تتسلل إلى المغاربة منذ عصر المرينيين، حتى ضج المغاربة بالشكوى منها. فجاء في المعيار : «لقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها، ونسبوا ظواهرها فيها إلى أمهاتها ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة السند، فصارت الفتوى تنتقل من كتب لا يدرى ما زيد فيها وما نقص منها لعدم تصحيحها» [62].

ثانيا : المنظومات الأصولية :

ومن أشهر هذه المنظومات وأكثرها تداولا هي :

1. «حرز الأماني ووجه التهاني» للامام الشاطبي وخصوصا القسم الأول

(62) عبد الواحد الونشريسي : المعيار ج 2 /479.

منها المتعلق بأصول القراءة والرسم كالادغام، والاظهار، وء الكناية، والنون الساكنة والتنوين مع الباء، والامالة بين اللفظين، والترقيق والتفخيم، والهمزة بين الكلمتين، والهمزتين في الكلمة، والهمز المفرد، والغير ذلك

2. «مورد الظمآن» للخراز : وخصوصا منه القسم لمخصص لتصوير الهمز في الكلمة. فكثير من الفقهاء مازالوا يحفظون هذا القسم من المورد ويشرحونه لتلامذتهم وطلابهم. ولا بديل لذلك.

3. «الدرر اللوامع» لعلي بن بري التازي : وهي كثر استعمالا من المنظومتين السابقتين لسهولة نظمه وتجنبه الخلافات والأقوال المذاهب الموجودة في المورد. وموضوع الدرر هو علم التجويد وطريقة أداء القراءة.

ثالثا : مؤلفات الفقيه أعجلي :

أبو عبد الله محمد بن ابراهيم أعجلي البعقيلي السوسي ولد سنة 1200هـ وتوفي سنة 1271هـ. أخذ القراءات كلها من «جبالة» حيث كان «مخنشا» هناك يطلب التعمق في القرآن بأحواز فاس : بني مصارة بني زروال....

وكان «يشارط» في مدرسة سيدي عبد الواسع من قبيلة نكنافة. وهو من أساتذة المختار السوسي والد محمد المختار السوسي صاحب «المعسول». ومن تلامذته سيدي أحمد بن عبد الله الفهمي صاحب «مدرسة الفهم»، وهي من المدارس التي رفعت راية التجويد من أول هذا القرن [63].

ويعتبر الفقيه أعجلي من مؤسسي المدرسة «الحطية» بالمغرب [64]. ومدرسة الحطي تركت القراءات جانبا، واعتمدت اتجاها آخر هو دراسة القرآن من الجوانب اللفظية، فأحصت ما في القرآن من كلمات وحروف وجمل متكررة أو متشابهة، فوضعت فوقها أرقاما — في المرحلة التعليمية فقط — تدل على عددها مع الاشارة إلى أماكن وجودها، فألفت في هذا الموضوع مؤلفات مهمة نذكر منها. مؤلفات الفقيه أعجلي : الاتصال — الوزن — ميم الجمع — وزن ميم الجمع — هاء الضمير — التنوين — وزن التنوين — الوقفية — الحطية.

---

(63) محمد المختار السوسي : المعسول ج 5 292.

(64) سعيد أعراب : الميثاق.

أ. الاتصــــال :

وهو كتاب يجمع الكلمات المتشابهة ويبين موقعها في القرآن الكريم ينهج فيه نهج ترتيب المصحف. والنسخة الخطية التي بين يدي تقع في 288 لوحة بخط مغربي جميل نسخت سنة 1342 هـ مجهولة الناسخ. تبتدىء : باسم الله، بعلم الله، ... بأنعم الله.

نقتبس، باسم ــ باسم الجسم تسمية. الله اللهم. الرحمٰن الرحمة. الرحيم الجحيم. باسم الله، البسملة، سننظر، اركبوا. باسم ربك : وقعت، بمواقع أوتي، اقرأ. وهكذا إلى آخر المصحف.

ب. الوزن : والمقصود بالوزن هو جمع الكلمات التي لها نفس الايقاع وهو ينهج فيه نهج ترتيب الحروف الهجائية المغربية المتبعة في المدرسة القرآنية. يبتديء المخطوط الذي بين يدي بالبسملة والصلاة على سيدنا محمد ﷺ. هذا تقييد الوزن :

باب الهمزة وفيه فصول. الفصل الأول في الضمة. وفيه : شهداء، أشداء، السراء، الضراء، بيضاء، البغضاء...

الفصل الثاني : الفتحة، وفيه رئاء، وأنبئاء، أعداء، شهداء... هكذا إلى آخر الكتاب.

ج. ميم الجمع : وهو مخطوط نسخته من عند الفقيه الحاج محمد اللغميش، الملازم بزاوية سيدي بن عيسى بالسوق الداخل بطنجة. وفيه بعد البسملة : «امام غربينا المحقق لكتاب الله، إمام الطريقة والحقيقة والسنة شيخنا وشيخ الجماعة، ومرشدنا إلى مولانا وإلى سنة رسولنا، ولي الله القطبي الغوثي الجامعي أبي عبد الله سيدي محمد بن ابراهيم بن عبد الله الوليتي البعقيلي المعروف ب «أعجلي»».

أما بعد : فإني لما رأيت بعض طلبة هذا الزمان الذين يصرفون هممهم في قراءة كتاب الله، وجعلوا حفظه وتجويده وتصحيحه غاية مرادهم، ربما صعبت عليهم أن يميزوا بين ميم الجمع التي في آخر الكلمات وغيرها، تعلق الغرض بمعرفتها... ما دامت قراءة الشيخ ابن كثير المكي وغيره من أحكامها. اعتمدت في هذا التقييد تصورها واخراجها حيث ذكرت في القرآن الكريم وجعلت الهمزة والتاء

والكاف والهاء وكلها ضمائر، ولا تقع بعد غير هذه الحروف. ثم نذكر تحت كل باب فصولا حسب عدد كل حرف متصل بميم الجمع».

باب الهمزة : هاؤم ــ من اوتي...

باب التاء : الفصل الأول : المفردات : سألتم، فادرأتم، قتلتم، استسقى، أحصرتم، الأهلة...

وهكذا إلى آخر الكتاب.

أما وزن ميم الجمع، فيذكر فيه ما تشابه من الكلمات، التي تنتهي بميم الجمع دون تخريجها. ويرتبها حسب الحروف الهجائية، مع الاشارة إلى عددها.

باب الألف : أسأتم، أنشأتم، أخطأتم، فادرأتم....

باب اللام، أضللتم، حللتم، زللتم.... وهكذا إلى آخر الكتاب.

د. هاء الضمير : مخطوط نسخته من عند الفقيه السيد أحمد بن عبد السلام بن عثمان من قرية الوراهنة قبيلة بني يدر (عمالة تطوان). نهج فيه المؤلف نهج ترتيب الحروف الهجائية المتبعة في التعليم القرآني. فقسمه إلى أبواب عدد هذه الحروف، وكل باب تحته فصول حسب عدد الكلمات. فبدأ بالمفردات ثم الثنائيات ثم الثلاثيات... مع ذكر مواضعها في القرآن.

باب الألف. وفيه : الغرائب، اصطفينه : ابتلى. بيناه : الصفا. اصطفيه خرجوا....

وهكذا إلى آخر الكتاب.

هـ. التنوين : مخطوط في ثلاثين ورقة نسخته من السيد أحمد بن محمد المقدم الودراسي (عمالة تطوان) مرتب حسب الحروف الهجائية.

الأول : وأداء، ليس البر، سواء يستبشرون، امرؤا، يشهد، ظمأ، اشترى ثم أحياء : سيقول، تصعدون.... ثم : شفاء : درا، وقال الله، كرمنا، وقيضنا. أما وزن التنوين فمرتب حسب الحركات والحروف الهجائية.

القسم الأول : الضمتان.

باب الهمزة : دفء، جزء، شيء.ثم ملأ، ظمأ، ثم سواء، هواء، ثم امرؤا نبؤا، بلؤا، لؤلؤا.... وهكذا إلى آخر الكتاب.

و. الوقفية : وإذا كان الامام الهبطي أول من وضع الوقف المصطلح عليه في المغرب، فإن وقفية الفقيه أعجلي جاءت لتجمع وقف القرآن وترتبه حسب

الحروف الهجائية على عكس ما نهج إليه الامام الهبطي الذي رتب وقفيته حسب ترتيب المصحف. ووقفية الفقيه أعجلي تتكون من 27 ورقة من القطع المتوسط بخط مغربي مقروء، اسم الناسخ أحمد بن المهدي العسري بدون تاريخ. تبتديء.
با فتاح : حطية جيدة. باب الهمزة الموقوفة بالفتحة.
شركاء، ضرا ـــ الفحشاء، قائل ـــ شفعاء، أظلموا. ثم شاء، الرسل، أجعلتم، شهداء. يحزنك، سارعوا، أفحسبتم (الثاني)... وهكذا إلى آخر الكتاب.

ز. **الحطية** : عندي نسخة مصورة من أصل نسخة في ملك أحمد بن الحسين الوهراني السالف الذكر وتقع في 180 صفحة من القطع المتوسط، مرتبة حسب الحروف الهجائية وحسب الحركات الثلاث.

«قال الشيخ الأستاذ المحقق سيدي محمد بن ابراهيم أعجلي عجل الله لنا خير الدنيا والآخرة.

باب الهمزة. وفيها نوعان : النوع الأول، غير المحمول، وفيه أربعة فصول. الفصل الأول في الضمة : يستهزيء : لا ريب ـــ صفراء : استسقى ـــ البأساء : واذكروا ـــ ضعفاء : قول. ثم البغضاء : ليسوا، نافقوا ـــ أغنياء : بنعمة، السبيل ـــ الضراء : واذكروا، الملك... وهكذا إلى آخر الكتاب.

رابعا : مؤلفات الحاج أشماخ الذهب الحزمري :

من قرية دار النجار قرب دائرة دار ابن قرّيش (عمالة تطوان). كان حيا سنة 1329هـ كما ذكر ذلك بنفسه.

أ. **الاتصال** : الذي ألفه وكتبه بنفسه. وفي ملكي النسخة الأصلية المكتوبة بيد صاحبها. وهو على غرار اتصال الفقيه أعجلي مع بعض الاستدراكات عليه. وتقع النسخة في 62 ورقة من القطع المتوسط. تبتديء بـ :

«هذا تقييد شيء من الاتصال المرتب على مصحف «العثمانية» إن شاء الله، ونطلب من الله الاعانة انه على ما يشاء قدير»، وفي آخرها : «انتهى الاتصال المبارك المرتب على رسم المصحف العثماني على يد كاتبه المذنب الحاج محمد بن الذهب أشماخ الحزمري. وكان الفراغ منه في شعبان يوم الجمعة خلت منه يومان 1329هـ».

ب. **منظومة «الجوهرة»** : للمؤلف المذكور، مخطوطة بيد المؤلف تقع في 16 ورقة من القطع المتوسط تحتوي على 384 بيتا وأكمل نظمها سنة 1309 هـ. وفي نهايتها : «انتهت القصيدة المسمية بالجوهرة بحمد الله وحسن عونه، وكان الفراغ منها يوم الثلاثاء من ربيع النبوي خلت منه 27 يوما عام 1309هـ على يد كاتبها الناظم بنفسه وهو الحاج محمد بن الذهب أشماخ الحزمري لطف الله به» وجاء في بدايتها : «يقول العبد المذنب الراجي عفو ربه الحاج محمد بن الذهب الحزمري ناظم هذه الارجوزة المسماة بالجوهرة لينتفع به الكبار والصغار من أمة محمد ﷺ.

بدأت يا سادتي في نظم جوهرة ... من بعد باسم الله بالفضل كملا
وثـــم الصلاة والسلام مؤبـــدا ... على خير خلق الله محمد أرسلا
وبعد قصدنا بذا النظم جملـة ... قريب المسافة حذفا وثبتا جلا
سلكت طريق الداني عن أبي داود ... وفي مورد الظمآن عن ذاك نقلا
ومن ثبت ابن زيان نأتي لكم بالبيان ... ما اشتهر في الزمان وفي العمل جلا
ومن نظم عبد الله بن الربيع أصلا ... من أرض الربيع السوسي ذلك نقلا

ثم يشرع في ذكر الحذف والثبت من الكلمات القرآنية نهج في ذلك نهج ترتيب الحروف الهجائية مشيرا بالرموز لبعض الكلمات أو أماكن وجودها في القرآن ونظرا لصعوبة الاستفادة منها قام المؤلف بدوره بشرح تلك الالغاز وفك تلك الرموز.

خامسا : الحذفيات والثبتيات المتعددة الجنسيات.

المقصود بالحذفيات المنظومات التي تؤطر الكلمات الممدودة بالفتحة فيكتب الألف الناتج عن تمديد الفتحة فوق السطر غير لاصق به، يتصل بالحرف المفتوح، فتكتب الكلمة «الرحمان» بألف محذوف «الرحمٰن» وتكتب كلمة «الصراط» بالحذف «الصرٰط» ومعلوم أن الكلمات المحذوفة، أطرها كثير من العلماء : منهم : بدر الدين الزركشي في «البرهان» ومنهم السيوطي في «الاتقان» ومنهم الداني في «المقنع» ومنهم الامام الخراز في «المورد». ونظرا لأهمية هذا الموضوع، فقد أشبعها المغاربة تأليفا وتأطيرا، نذكر من أهمها والتي أملكها في مكتبتي :

1. حذفية الفقيه عبد السلام القرمود الرجراجي متضمنة الرسمية التي تسمى «فكرة ساعة».

2. حذفية الفقيه محمد بن أحمد بن زكري المسماة «تحفة الصبيان»
3. حذفية المصباحي من أولاد مصباح ببني مسارة.
4. حذفية مجهولة المؤلف تسمى «عمدة البيان»
5. حذفية الطالب الصحراوي الملقب بـ «ابن طوير الجنة» [65] التي تسمى «السراج الوهاج».
6. ألفية محمد بن الهاشمي العسري الودراسي والتي تسمى «نور القلب».

ونظرا لما تكتسيه «رسمية الرجراجي» من أهمية فسأثبتها في الملاحق دون غيرها من الحذفيات [66].

أما الثبتيات فلم أعثر إلا على ثبتية محمد بن عبد الله زيان والتي اعتمد عليها الفقيه الحاج أشماخ في «جوهرته». وهي عبارة عن جمع غير مركب بالكلمات الثابتة في القرآن الكريم. وكنموذج من هذه الثبتية :

فهـــذه حروف للاثبـــات قد وردت عن جميـــع السادات
تواعدتـــم وتداينتـــم بالثـــبت فعاقبتـــم وبايعتـــم بالنـــعت

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إلى آخر المنظومة :

تمت بحمد الله ذا القصيـدة لمـــن أراد تعليـــم القـــراءة
قد جاؤوا ذا الحروف للصبيان هو عبيـدك ابـن أبـي زيـان

الثابت الغريب : وهي منظومة من 39 بيتا لصاحبها محمد بن العربي يجمع فيها الكلمات الشاذة بالثبت الخارجة عن القياس. وقد أثبتتها كاملة في الملحق [67].

الثبت الأخير : وهي قصيدة تجمع الكلمات التي آخرها ثابت وهي منسوبة للفقيه المازوري مطلعها :

بدأت باسم القاهر على حروف الاخير بالثبت خذ يا ذكير مني صح منقلا
تبـــوءا تراءا ونفـــا معـــارءا احدى عشر جاء إلا النجم ميلا

---

(65) أبي العباس التعارجي المراكشي : الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام ج 3 260، عبد العزيز بن عبد الله : الموسوعة المغربية ج 3 103.

(66)

(67)

الجمع بين الثبت والحذف : وفي إطار الجمع بين الثبت والحذف توجد منظومتان : الأولى «الجوهرة» وقد تكلمنا عنها والثانية «كشف الرمز» للفقيه أحمد بن عبد الله الربيعي السوسي. وهي الأكثر تداولا بين الفقهاء والطلبة، ألفها صاحبها عام : «شرنب» (يساوي 1252هـ) وتقع في 492 بيتا ذكر فيها الكلمات المحذوفة والثابتة طرفا ووسطا مع استدراكات الكلمات المكتوبة بالامالة في الأخير والكلمات المنقلبة عن الياء والواو في الوسط. يستهلها بالبسملة والصلاة على النبي ﷺ وبالتعريف بنفسه وبمنهجيته :

سميتها بكشف الرمز يا سائلا ... فخذ مني نظما سهلا يا طالب العلا
مرتبة علــى الحــروف الهجائيــة ... أبتـث حجـخ إلــى آخـره تلا
كما ضمّنتها بعض الحروف المفصلة ... في الوزن على الثبت ان كنت عاقلا
كل حرف لحرف بالثبت أو بالحذف ... أو منقلب ياء قد بينت مجملا
ثم حشوا أي وسطا بالثبت والحذف ... فخذها مني بعون الله سهلا مفصلا

ويختتم بـ :

وأبياتهــا بظض وعامهـــا شرنب ... من شهر الله شتنبر والتاريخ جلا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

منظومة الامالة (التعويضة) والمقصود بالتعويضة الامالة بين بين أي أن تميل بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء. وعلامة الامالة نقطة متوسطة توضح تحت الحرف الممالي، وقد جمعت الحروف الممالة في قصيدة مجهولة الهوية تقع في 155 بيتا مرتبة حسب الحروف الهجائية، ألفت عام 1322هـ. مطلعها :

بدأت باسم الله في النظم أولا ... وثنيت بالصلا على خير المرسلا
وبعد يا طالبا خذ مني أرجوزة ... في جميع الحروف الهجائية يا سائلا
بالامالــة طرفــا وحشوا منقلبــا ... على الياء بالألف والالحاق عوض جملا
ومن غير يا وسطا وطرفا يا سيدي ... أو بالالف ثبتا وعوض يا من تلا

سادسا : فتاوي العلماء المتصدرين للقراءات بالمغرب والأندلس :

وكثيرا ما ينقل الطلبة المتجولون أسئلة وأجوبة من وإلى العلماء يستفتونهم فيها عن مشكل قرآني وقع الخلاف في رسمه أوضبطه أو تجويده. وعادة ما تكون هذه الأسئلة والأجوبة على شكل «أنصاص» تعبر عن الغرض المطلوب. وكنموذج لهذه الفتاوي نذكر سؤالا يتعلق بحكم سجود التلاوة بالنسبة للمتعلمين حالة التعلم ؛ هل يسجد التلاميذ أثناء وقوفهم على سجود التلاوة أم لا ؟ والسؤال موجه لعبد الرحمان ابن القاضي المتوفى سنة 1082هـ.

نــص :

أيا شيخ أهل الغرب يا نجم عصرهم	فما حكم سجود التلاوة في الذكر ؟
لدى تجويد- الالواح للقاريء والمقري	فهل يسجدون أم لا وقيت من الشر
أبن لنا من قول الايمة كلهم	وساداتنا القراء في السبع والعشر
جوابك قد قال الامام بن قاضيهم	بغير سجود قد جرى الأخذ في العصر
وقد علم خلف الايمة فانظرن	بقية في الايضاح يا صاح واحذر

فكل الانصاص المبتدئة بالعبارات : يا سائلا ـــ يا طالبا ـــ سألتني عن ـــ جوابك ـــ كلها تدل على مدى اهتمام الطلبة القراء والعلماء بميدان الافتاء في القراءات القرآنية.

ومعلوم أن العمل المغربي له وجوده وحضوره في المسائل المستجدة في القراءات القرآنية. وكثيرا ما نجد الجواب عن هذه المسائل في الانصاص حسب العمل الجاري به في المغرب في مسائل مخالفة للمشهور لما كان عليه القراء فأخذوا به كما أخذوا بالعمل في الأحكام وتركوا المشهور والراجح، كما هو الحال في حروف «ينفق» إذا تطرفت. وقد جرى العمل بوقف الامام الهبطي بعد ما كان المغاربة يذهبون في الوقف والابتداء المذهب السني عند رؤوس الآي. ومن جملة العلماء الذين اشتهروا بالافتاء في القراءات القرآنية ـــ وخصوصا قراءة نافع حسب ما عثرت عليه في الانصاص ـــ الامام الداني (ت 444 هـ) ـــ الامام الشاطبي (ت 590هـ) ـــ أبو داوود سليمان بن نجاح (ت 496هـ) ـــ ابن شريح (ت 476هـ) ـــ الامام الخراز ت (718هـ) ـــ علي بن بري التازي (ت 732هـ) ـــ ابن الفخار (ت 723هـ) ـــ ابن ميمون الفاسي (ت 730هـ) ـــ أحمد بن علي المنجور (ت 595هـ) ـــ الحسين بن علي الشوشاوي (ت 899هـ) ـــ أبو جمعة الهبطي (ت 932هـ) ـــ عبد الرحمان بن القاضي (ت 1082هـ) ـــ ادريس المنجرة (ت 1137هـ) ـــ أبو العباس المازوري ـــ محمد المصمودي ـــ ابن العربي الدكالي ـــ الفقيه ابن علي، وغيرهم.

الأنصاص القرآنية تعكس ظاهرة اجتماعية

المجتمع المغربي ـــ من حيث التكوين الحضاري والثقافي ـــ يتكون من عدة شرائح تتكامل وتتمازج وتتعايش فيما بينها لتكون في النهاية هذا المركب الشامخ للمجتمع المغربي المسلم الذي ساهم في بناء الحضارة الانسانية منذ

الفتح الاسلامي إلى الآن. وبنظرة تحليلية لبنية تكوين هذا المجتمع، يلاحظ أنه من بين الخلايا المهنية المتواجدة فيه توجد شريحة المتعلمين والمتخرجين من المدارس القرآنية «المعامر» المتكونة من تلاميذ وطلبة وفقهاء، منهم من تفرغ إلى كسب الرزق عن طريق المهن الحرة كالفلاحة والتجارة والصناعة التقليدية وغيرها ومنهم من لا يزال في مهنة التعليم. وشريحة الطلبة الحافظين لكتاب الله تتميز عن الشرائح الأخرى :

1. باحترام الطبقات الأخرى لهم وطاعة أوامرهم لأنهم في المنظور الديني الطبقة الواعية بأمور الدين المتشبعة بأخلاق الفضلاء والصالحين.

2. بتعايشها داخل سياج محكم منعزل لا يقتحمه أحد مستندة في ذلك إلى الحكمة الجارية «كل جنس إلى جنسه ألف، ومن خرج عن جنسه تلف». ويظهر ذلك جليا في تصرفات الطلبة مع الأميين «اقبابين» (مفرد قبان أي لا يعرف القراءة والكتابة).

3. بالتأهيل والزواج المتأخر. ذلك لأن الطالب قبل أن يتزوج عليه أن يقضي شطرا مهما من حياته في الرحلة («التخنيشة») بعيدا عن قريته وعائلته معتمدا في ذلك على ما يمنحه سكان القرية من طعام باسم «المعروف». فهو لابد أن يتأثر بهذا الجو الخانق الذي يفرض عليه أخلاقيات وسلوكا معينا لا يتعداه شبرا ولا يتخطاه ذراعا.

وإذا كانت أغراض الأنصاص الأساسية هي التعامل مع الكلمات القرآنية وتأطيرها، فإن هذه الأغراض قد تصاحبها أغراض أخرى ملازمة لها ولاصقة بها. من هذه الأغراض الثانوية :

1. التعبير عن واقع الطالب، ومدى ما يشعر به من حاجة إلى ملء فراغه من حب وحنان وعطف وذلك من خلال أنصاص مزجت المادة العلمية بوصف غزلي في قالب رمزي رقيق، وشعر مغربي أصيل، موشى بكلمات عامية أخذت مكانتها في القافية الشعرية، فأعطته نكهة رصينة متميزة.

2. التعبير عما يجيش في نفسية الفقيه من التطلع إلى الزهد وطلب التوبة والغفران، وزيارة النبي العدنان.

3. التعبير عن روح المرح والفكاهة وما يدور في مجالس انسهم، ووقت فراغهم.

هذا باختصار بعض من أغراض الشعر التعليمي المتميز ب «الأنصاص» وسنختار للقاريء على سبيل التمثيل بعض الأنصاص المتعلقة بَرسم التاء في آخر الكلمة القرآنية.

الحروف التي تكتب مبسوطة في آخر الكلمة

الحروف الهجائية العربية من حيث شكل كتابتها آخر الكلمة تنقسم إلى خمس مجموعات :

ــ المجموعة الأولى : الحروف التي تكتب بالعقص أي ترد نحو اليمين. وهي الحروف : ج ــ ح ــ خ ــ ع ــ غ.

ــ المجموعة الثانية : الحروف التي تكتب بالوقص، أي تعرق نحو اليسار وهي الحروف : ل ــ ن ــ ص ــ ض ــ ق ــ س ــ ش.

ــ المجموعة الثالثة : الحروف التي تكتب أحيانا بالعقص وتارة أخرى بالوقص وهما الحرفان : الياء والميم. فالياء الأخيرة الساكنة ترد نحو اليمين (العقص)، والياء الأخيرة المتحرفة ترد نحو اليسار (الوقص). وعلى هذا القراء المغاربة لا يحيدون عنه.

1 ــ 4 ــ 120 نص :

والياء مهما تحركت فوقص — وان هي سكنت فعقص
والوقص تعريق نحو الشمال — والوقص رد بلا إشكال

أما الميم الأخيرة فتكتب ــ حسب العرف المغربي ــ تارة مردودة نحو اليمين في معظم الكلمات وتارة أخرى ترد قليلا نحو اليسار في الكلمات التالية : السموم ــ الحميم ــ الجحيم ــ الزقوم ــ جهنم.

1 ــ 4 ــ 121 نص :

وكل ميم سكنت في الطرف — فإنها بالعقص يا مؤلف
إلا السموم والجحيم والحميم — كذا الزقوم جهنم يافهيم
لان تلك الميم للجنة يرى — يمنى، ويسرى للجحيم سعرا

ـــ المجموعة الرابعة : الحروف التي لاتتجه لا إلى اليمين ولا إلى اليسار وهي : أ ـــ ذ ـــ د ـــ ر ـــ ز ـــ ه ـــ لا ـــ ء.

ـــ المجموعة الخامسة : الحروف المبسوطة في السطر، وهي : ط ـــ ظ ـــ ك ـــ ف ـــ ب ـــ ث ـــ ت. ويجمع هذه الحروف الرمز الموجود في عجز النص التالي.

1 ـــ 4 ـــ 122 نص :

يا سائلا عن الحروف المبْطحة «ثبت فك طض» فخذهم سبعة

وكمثال على ذلك : يلهث [68] ـــ الكتاب [69] ـــ الخبء [70] ـــ أجلت [71] ـــ اختلف [72] ـــ دفء [73] ـــ ربك [74] ـــ تشطط [75] ـــ غليظ [76].

التاء الأخيرة المسرحة :

الكلمات القرآنية المنتهية بالتاء، تارة تكون بتاءمربوطة (هاء) وتارة تكون بتاء مطلوقة (مسرحة)، أو مبطوحة. ولقد أعطى الامام الزركشي بعض التعليلات لهذا الاختلاف : «وذلك أن هذه الأسماء، لما لازمت الفعل، صار لها اعتباران : احداهما من حيث هي أسماء وصفات، وهذا تقبض منه التاء، والثاني من حيث أن يكون مقتضاها فعلا وأثرا ظاهرا في الوجود فهذا تمد فيه التاء» [77]. وهذا المعنى قريب من القول المأثور الذي يردده الطلبة المخنشون في الجوامع عندما يصفون قرية أومسجدا بالكرم ووفرة الزاد، يقولون «هناك نعمت مطلوقة» وأخرى

---

(68) الاعراف 176.

(69) البقرة 1

(70) النمل 25.

(71) المرسلات 12.

(72) البقرة 163.

(73) النحل 5

(74) الفجر 14.

(75) ص 21.

(76) ابراهيم 20.

(77) الزركشي : البرهان ج 1 /410.

بالجفاف والبخل بأن فيها «س علي يمشي على رجله» ويقصدون الجوع وندرة الطعام. يقول الشيخ محمد المكي نصر : ان كل ما في القرآن من هاءات التأنيث في الأسماء المفردة، فهو مرسوم بالهاء مثل دعوة [78] ـــ سكرة [79] ـــ ربوة [80] ـــ رسالة [81] ...

والقاعدة العامة لكتابة التاء الأخيرة مطلوقة هي :

1. التاء الأخيرة الساكنة مثل : جاءت ـــ زاغت ـــ ليست....

2. كل تاء أخيرة مسبوقة بحرف المد تكتب مسرحة إلا تسع كلمات فإنها مربوطة وهي : التورىٰة ـــ تقىٰة ـــ منوٰة ـــ مشكوٰة ـــ الصلوٰة ـــ الزكوٰة ـــ الحيوٰة ـــ الغدوٰة ـــ النجوٰة.

1 ـــ 4 ـــ 123 نص :

وتقبض التاء في التورىٰة	منوٰة مشكوٰة كذا الصلوٰة
تقىٰة الحيوٰة الزكوٰة	الغدوٰة والنجوٰة مربوطات

وقد اعتنى علماء الرسم بجمع الكلمات التي تنتهي بتاء مسرحة فجمعوها في أنصاص مختلفة. منها ما هو طويل مثل نص الفقيه المصمودي الذي يتكون من 29 بيتا. ونظرا لأهميته وطوله فسأثبته في الملحق للاستفادة منه [82].
والكلمات الخارجة عن القياس في هذا الموضوع تنقسم من حيث عددها إلى فئتين : الفئة الأولى مكونة من ستة كلمات، كل واحدة منها تتكرر في المواضع المنصوص عليها وهذه الكلمات هي : رحمت ـــ نعمت ـــ امرأت ـــ سنّت ـــ لعنت ـــ معصيت. والفئة الثانية كلمات مفردة لا تتكرر وهي : قرت ـــ بقيّت ـــ فطرت ـــ شجرت ـــ جنت ـــ ابنت.

1. **رحمة** : تكتب بتاء مربوطة إلا في سبعة مواضع فإنها بتاء مسرحة :
ـــ واذكروا، الحزب الرابع ﴿أولائك يرجون رحمت الله. والله غفور رحيم﴾[83]

---

(78) الرعد 15.

(79) ق 19.

(80) المومنون 51.

(81) الأعراف 78.

(82) انظر الملاحق التي اثبتها الباحث في آخر رسالته.

(83) البقرة 216.

ــ صرفت، نصف الحزب 16 ﴿ان رحمت الله قريب من المحسنين﴾[84].
ــ يصلح، الربع الأخير للحزب 23 ﴿رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾[85]
ــ مريم (الأول) : ﴿ذكر رحمت ربك عبده زكرياء﴾[86].
ــ فأقم، نصف الحزب 41 ﴿فانظر إلى أثر رحمت الله كيف يحيي الأرض﴾[87]
ــ جئتكم (معا) الحزب 50 ﴿ورحمت ربك خير مما يجمعون﴾[88]، ﴿أهم يقسمون رحمت ربك﴾[89]

1 ــ 4 ــ 124 نص :

واذكروا وصرفت ومريم يا سادات	يا صالح فأقم جئتكم معا تلا
فخذ رحمة مطلوقات عدوهم قالوا سبعة	لا غيرهم موجودات في القرآن مجملا

وهناك نص آخر لنفس الكلمة بصيغة الملحون، وضع للطلبة الكبار الذين يعشقون المطولات، والرمزيات. فالناظم في هذا النص يرمز للكلمة المؤطرة «رحمت» بطفلات في مقتبل العمر يصف جمالهن ويبحث عن أماكن وجودهن...

1 ــ 4 ــ 125 نص [90] :

فسبعة طفـلات كأنهـم غزلات	واسمهم رحمات سماهم الخلاق
نحكيهم ش غزلات يهيجوا السادات	واسوالفم مطلوقات واخدودهم تزواق
سكنوا في شعاب وكدات فروا من الممات	خفوا من الصيدات رجال بارود وسلق
وحدا سكنت في بلاد واذكروا للمعاد	والثانية يا لسياد في صرفت تلاق
الثالثة موجودة وساكنه في هدى	قلت أنا بعـد يا صالـح نرزق
الرابعة نرويها في مريم نحكيها	وقـل لقارهـا خذقولـي مستحـق
وبعدها في الروم الدنيا لا تدوم	لمـن فيهـا مغـروم دنـوبك تغـرق
اثنين مثل الكمرات الزخرف أتت	قولوا لي يا سادات إلى الله نسبق
وأمي وأبـي ترحمهـم يا ربـي	بجاه العربـي هو مول البـراق

(84) الأعراف 55.
(85) هود 72.
(86) مريم 2.
(87) الروم 49.
(88) الزخرف 31.
(89)
(90) يلزم التنبيه إلى أن الأنصاص المنظومة باللهجة الدارجة مثل النص الآتي روعي في كتابتها المحافظة على وزنها الأصلي.

2. نعمة : تكتب بتاء مربوطة إلا في 11 موضعا فإنها بتاء مسرحة :

ـــ الخمري، الربع 2 بالحزب 4 ﴿واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم﴾ (91).

ـــ تنالوا، الحزب 7 ﴿واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء﴾(92)

ـــ حرمت، نصف الحزب 11 ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم﴾(93).

ـــ بدلوا (معا) الربع الأخير للحزب 26﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله﴾(94)، ﴿وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها﴾(95)

ـــ فضل، الربع 2 للحزب 28 ﴿يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها﴾(96).

ـــ يوم تاتي، الربع الأخير للحزب 28 ﴿واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون﴾(97).

ـــ يسلم، الحزب 42 ﴿ألم ترأن الفلك تجري في البحر بنعمت الله﴾(98)

ـــ أعظكم، الربع 2 للحزب 44 ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم﴾(99)

ـــ فضل، الربع 2 للحزب 28 ﴿وبنعمت الله هم يكفرون﴾(100)

ـــ غلمان، الربع 2 للحزب 53 ﴿فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون﴾(101).

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

1 ـــ 4 ـــ 26 نص :

نبدأ قولي يا سادات نظيمي على شي بنات ... **يقال لهم «نعمت» مطلوقات ظهروا ليا**

أولهم في الخمر تنالوا على قبري ... في حرمت خذ خبري. نخبركم بالثانية

ومعا في بدلـوا وفضل مثالـــو ... اربط له الأول وسرح ما بقيا

وتاتي ومن يسلم أعظكم راه مقيم ... وغلمان به نختم نقط الالف واليا

---

(91) البقرة 229.

(92) آل عمران 103.

(93) المائدة 11.

(94) ابراهيم 30.

(95) ابراهيم 36.

(96) النحل 72.

(97) النحل 83.

(98) النحل 114.

(99) لقمان 31.

(100) فاطر 3.

(101) الطور 29.

3. امرأة : تكتب بتاء مربوطة إلا في سبعة مواضع التي تكون عندها مضافة ومقرونة بزوجها للدلالة على الصحبة وشدة المعاشرة والائتلاف :

ـــ اصطفى، الربع 2 الحزب 6 ﴿إذ قالت امرأت عمرن رب اني نذرت لك﴾ (102)

ـــ السجن، الربع الأخير للحزب 24 ﴿قالت امرأت العزيز ألن حصحص الحق﴾ (103)

ـــ قائل نصف الحزب 24 ﴿وقالت نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتيها﴾ (104)

ـــ وقع، ربع 2 للحزب 39 ﷺ﴿وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك﴾(105).

ـــ التحريم (ثلاثة) ﴿امرأت نوح وامرأت لوط﴾(106)، ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون﴾(107).

امرأة بتاء مربوطة في أربعة مواضع :

ـــ يوصيكم، نصف الحزب 8 ﴿وإن كان رجل يورث كللة أو إمرأة﴾ (108).

ـــ لا خير نصف الحزب 10 ﴿وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا﴾(109)

ـــ لتلقى، نصف الحزب 38 ﴿وامرأة مومنة ان وهبت نفسها للنبيء﴾(110).

1 ـــ 4 ـــ 127 نص :

الطلبا يا سادتي نحكي لكم قصتي	في رسم امرأت المسرحة في الدنيا
امرأت عمران في اصطفى مبينا	والعزيز رب السجن وقائل بالنيا
فرعون في وقعا والتحريم مجتمعا	ثلاثـة مخبعـا وسبعـة مرويـا
وعكسهم مربوطات أربعة بالاثبات	يوصيكم عند الممات لاخير في هذ الدنيا
لتلقى يا الاخوان نكحتم بالبيان	ونعتهم بالتنوين خذهم منى هديا

(102) آل عمران 35.

(103) يوسف 51.

(104) يوسف 30.

(105) القصص 8.

(106) التحريم 10.

(107) التحريم 11.

(108) النساء 12.

(109) النساء 127.

(110) النمل 23.

4. **سنـة** : تكتب بتاء مربوطة إلا في خمسة مواضع :

ــ شر، الربع الأخير للحزب 18 ﴿وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين﴾ (111).

ــ نهيت، الربع 2 للحزب 48 ﴿سنت الله التي قد خلت في عباده﴾(112)

ــ يمسك، (ثلاثة) الربع الأخير للحزب 44 ﴿فهل ينظرون الا سنت الأولين، فلن تجد لسنت الله تبديلا، ولن تجد لسنت الله تحويلا﴾ (113)

1 ــ 4 ــ 128 نص :

ان شر نهيت ثلاثة يمسك فخذ سنت مطلوقات خمسة يا سائلا

5. **لعنة** : تكتب بتاء مربوطة إلا في أربعة مواضع(113م) :

ــ أحس : نصف الحزب 6 ﴿فنجعل لعنت الله على الكذبين﴾(114)

ــ المحصنات الحزب 9 ﴿ذلك لمن خشي العنت منكم﴾(115)

ــ حرم الربع 2 للحزب 16 ﴿كلما دخلت أخة لعنت أختها﴾(116).

ــ أفحسبتم، الربع الأخير للحزب 35 ﴿والخامسة أن لعنت الله عليه﴾(117).

1 ــ 4 ــ 129 نص :

ولعنت مطلوقات أربعة يا سادات ذكرهم في القراءات لمن تأملا
في أحس واحدة والمحصنت فريدة من حرم موجودا ونسور تهللا

6. **معصية** : تكتب بتاء مطلوقة في موضعين ولا يوجد غيرهما :

ــ قد سمع، الحزب 55 : ﴿ويتنجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول﴾(118)، ﴿فلا تتنجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول﴾(119).

---

(111) الأحزاب 50.

(112) الأنفال 38.

(113) غافر 84.

(113م) فاطر 44 ــ أنظر تعليقا على تأطير هذه الكلمة في الأنصاص في الملاحظات التوضيحية في آخر البحث.

(114) آل عمران 60.

(115) النساء 25.

(116) الأعراف 36.

(117) النور 7.

(118) المجادلة 8.

(119) المجادلة 9.

1 ــ 4 ــ 130 نص :

ومعصيت سرح فخذ حرفان   قد سمع الله مقرونان

أما الكلمات المفردة التي لا تتكرر فهي :

1. **قرت** : من الربع الثاني للحزب 39 : ﴿وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه﴾(120)

أما أختها الواردة في : إلى الظل، الربع 2 للحزب 37 : ﴿قرة أعين﴾(121) فبتاء مربوطة.

2. **بقيت** : في حزب «مدين» الحزب 24 : ﴿بقيت الله خير لكم ان كنتم مومنين﴾(122)

3. **فطرت** : في «فاتح» نصف الحزب 41 : ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾(123) والباقي بتاء مربوطة.

4. **شجرت** : في كم تركوا، نصف الحزب 50 : ﴿إن شجرت الزقوم طعام الأثيم﴾ (124)

5. **جنت** : في «بمواقع» نصف الحزب 54 : ﴿فروح وريحان وجنت نعيم﴾ (125)

6. **ابنت** : في «التحريم» ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها﴾(126) ولا يوجد غيرها.

1 ــ 4 ــ 131 نص :

وقارون فيه قرت، ومدين بقيت   فاتح فيه فطرت ولا تكن غافلا
كم تركوا شجرت بمواقع جنت   التحريم فيه ابنت مطلوقات

(120) القصص 8.
(121) الفرقان 74.
(122) هود 85.
(123) الروم 29.
(124) الدخان 41.
(125) الواقعة 92.
(126) التحريم 12.

وما دمنا في التاء المسرحة الخارجة عن القياس في الكتابة القرآنية فإن التاء المربوطة تبقى من أصل الكتابة. وإذا كانت كلمة «جنت النعيم» الواردة في سورة الواقعة : آية 92 هي الوحيدة التي كتبت بالتاء المسرحة. فإن أخواتها التي كتبت بتاء مربوطة، توجد في خمسة مواضع :

— سارعوا، نصف الحزب 7 : ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموٰت والأرض﴾ [127].

— معروف الربع 2 للحزب 5 : ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل﴾[128].

— لا تجعلوا، الربع الأخير للحزب 36 : ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾[129]، ﴿اذلك خير أم جنة الخلد﴾[130].

— ألم يان الربع الأخير للحزب 54 : ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ [131].

— من أوتي، نصف الحزب 57 : ﴿أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم كلا﴾[132].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

1 — 4 — 132 نص [132م] :

نبدا باسم الرحمان الكريم المنان … والصلاة عل العدنان أفضل الرسل
نطمع في رحمتو يدخلني جنتو … بالقرآن وحرمتو، هو يشفع لي
جنة مربوطات خمس قالوا السادات … تغفر لي في الممات أيا رب العالي
نذكر هذا الحبيب هو لي طبيب … ربي أنت الرقيب «معروف» سومو غالي
«سارعوا» لا ننساه. أهيا راسم امكنا وان … طلباتك أهل الجاه والعربي البوهالي
«لا تجعلوا» غيار، عبد الجليل الطيار … واضرب هذ الكفار واحصد بمنجلي
«الم يان» مذكور، واحد فيه مشهور … وبوعزة الغندوري لا تغن عنه حالي
«من أوتى» مسكين، خلص عنه ذا الدين … في ذي والاخرين والقرآن بإرشالي
ناظم هذ الأبيات حمادي في اللغات … تبحوا يوم المحنات غذا يوم الهول

---

(127) آل عمران 133.

(128) البقرة 265 — 266.

(129) الفرقان 8.

(130) الفرقان 15.

(131) الحديد 21.

(132) المعارج 38.

(132م) انظر تعليقا على هذا النص في الملاحظات التوضيحية في آخر البحث.

وهناك مواضع أخرى لم يذكرها صاحب النص وهي :

ــ كرمنا، الربع الأخير للحزب 29 : ﴿أن تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهر خلالها﴾ [133].

ــ غلمان، الربع الثاني من حزب 53 : ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى﴾ [134].

ــ بيوم، نصف الحزب 58 : ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾ [135].

ــ سبح، الحزب 60 : ﴿وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية﴾ [136].

1 ــ 4 ــ 133 نص :

أيـا طالبـا خذ تاء مطلوقـات خمسة مقيـدات وكـن متأمـلا
في تركوا شجرت[137] ومدين معصيت[138] وانيوا فتحت معا فيه انزلا [139]
قد سمع معصيت[140] اثنين مثل الكمرات يأبت حيثما فخذهم مكمـلا [141]

ملاحظات توضيحية

1. بالنسبة للنص 1 ــ 4 ــ 128 الذي يؤطر كلمة لعنة في الصفحة من هذا البحث نذكر أن الفقهاء المعلمين في المدارس القرآنية (الجوامع) يخاطبون أطفالا صغارا، ليس في منهجهم التعليمي التمييز بين الاسم والفعل والحرف والمصدر، للتّعريف والتنكير بقدر ما يهتم معلمهم بتنمية الحفظ والاستيعاب على الطريقة المغربية. لذا كان تأطير الكلمات القرآنية الخارجة عن القياس في الرسم، يعتمد على الاستقراء والمقارنة والمشابهة، وجمعها في منظومات قصيرة، عادة ما تكون مشوقة ومثيرة للحفظ والاستظهار. ومن ثم جاءت كلمة «لعنت» المبسوطة التاء، والتي

(133) الاسراء 91.

(134) النجم 15.

(135) الانسان 12.

(136) الغاشية 10.

(137) الدخان 41.

(138) هود 85.

(139) الزمر 68 ــ 70.

(140) المجادلة 8 ــ 9.

(141) يوسف 4 ــ 100، الصافات 102، مريم 42 ــ 43 ــ 44.

أدرجت معها كلمة «العنت» المُعَرَّفَة، والمختلفة عن «لعنت» حتى في الدلالة اللفظية، وربما أدرجت في (النص) من أجل المقارنة والمقاربة. فكثيرا ما يستعمل الفقهاء هذا الأسلوب، الذي يسميه علماء الأصول بقياس الشاهد على الغائب، فيأتوا بكلمة معروفة في رسمها، ليقاربوا معها كلمة أخرى مشابهة لها، فترسم مثلها، وذلك في مثل :

«فليتنافس المتنفسون»

الفتحة الطويلة التي قبل النون في الكلمتين، استوجبت ألفا، فكان بالثبت في الأولى وبالحذف في الثانية. ولتقريب هذا التناقض للطفل، يقول له المعلم :

فَلْيَتَنَافَسِ ــ نَافِلَةً ــ نَافَقُوا ــ إِنَّا فَتَحْنَا

فمن المعلوم أن «إنا فتحنا» لابد أن تكون الالف ثابتا بعد النون. ومثلها كذلك، الكلمات الثلاث المكونة للرباعي الثابت. فينزل على كل منها (حطة) هي رقم أربعة (ع). والحطة مصطلح يرمز للعدد الذي ينزل فوق الكلمات المتشابهة. وتبقى كلمة «المتنفسون» بدون مشابهة، فتكون محذوفة. وينضم إليها كلمة : «منفع ــ منفقون»، فينزل على كل منهما (حطة) ثلاثة (س).

وقد ألف الفقهاء في (الحَط) مؤلفات مهمة، أشرت إليها في الرسالة.

2. بالنسبة للنص 1 ــ 4 ــ 132 الذي يؤطر كلمة «جنة» المربوطة التاء في الصفحة من هذا البحث نلاحظ أن كلمة «جنة» جاءت بالتنكير في 12 موضعا في القرآن الكريم.

منها مضافة إلى «نعيم» في موضعين : الواقعة 89 ــ المعارج 38. ومضافة إلى «المأوى» في النازعات 41، وإلى «الخلد» في الفرقان 15.

والمضافة إلى «نعيم» واحدة بتاء مبسوطة، وهي التي توجد في الواقعة.

والباقي كلها بتاء مربوطة.

والفقيه في تأطير هذه الكلمة لا يجد أية صعوبة، لانفراد واحدة منها بتاء مبسوطة. إلا أنه من باب التخصيص، والاحاطة بالأمور، من جهة، والتشوق إلى «الجنة» والطمع في دخولها، جاء هذا الفقيه وأطر بعضها في هذا النص.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

3. أسلوب النظم في الأنصاص التي تشبه قصائد الملحون بالمغرب، يتميز بما يلي :

1. طلائع الاستهلال : حيث تبتدىء بالبسملة، والحمدلة، والصلاة على رسول الله ﷺ.
2. تتضمن مقدمة هذه الأنصاص، إشارة إلى الكلمة المؤطرة ضمن الاستهلال : (نطمع في رحمتو ــ يدخلنا جناتو).
3. ذكر الكلمة المؤطرة، وعددها في القرآن الكريم.
4. عند التطرق لاماكن وجودها بالارباع، يتخلل كل بيت إشارة صوفية أو جهادية، وهي من أغلى أماني الفقهاء الذين كانوا يتسابقون إلى حمل السلاح لمحاربة أعداء الاسلام على الثغور والرباطات المغربية.
5. ناظم الانصاص، كان يفضل أن يبقى مجهولا لا تسلط عليه الأضواء. وهذه إشارة صوفية أخرى، يتمناها الفقيه المعلم، تجنبا للرياء والسمعة. وقد يشير إلى اسمه إشارة خاطفة دون إعطاء معلومات أخرى تفصح عن هويته وقبيلته.
6. إن الفقيه المعلم المشارط في القرية، عادة ما يطلب (التسليم) (الإذن)، قبل الشروع في أي عمل، (من مول البلاد) الذي هو الولي المدفون في القرية أو الدوار، وهو ما فعل صاحب هذا النص مع (بوعزة الغندور).
7. ان أغلب أنصاص الملحون، ينظمها فقهاء، نشأوا وتربوا في القبائل العربية (بلاد الهبط ــ بني حسين ــ قبائل عبدة ــ دكالة ــ الشاوية)، والذين تتميز لهجتهم بخصائص لسنية متميزة، كالنطق بالقاف ݣافا، مع إدراج كلمات عامية في نظمهم (أهيا راسي حݣاواه). وهي تخالف أنصاص قبائل جبالة على مستوى الأسلوب.

كل هذه الأشياء وغيرها، تتطلب دراسة سوسيولوجية مستقلة، لهذه الأنصاص، من خلالها نتعرف على كثير من العادات والتقاليد وأسلوب الحياة في المغرب، وحتى أصول بعض الكلمات العربية. أتمنى أن يتنبه طلاب دار الحديث الحسنية إليها...

مقارنة بين منهج ابن قدامة المقدسي[*] ومنهجي ابن عبد البر وابن حزم في العقيدة والفقه

للدكتور فؤاد عبد اللطيف عثمان

ابن عبد البر والشيخ الموفق

ابن عبد البر : هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري المكنى بأبي عمر [1] والذي عاش في الأندلس ولم يغادرها إلى غيرها من بلاد الاسلام في الفترة الواقعة بين 368 ــ 463 هـ.

نشأ ابن عبر البر في قرطبة مركز الاشعاع الحضاري في بلاد المغرب والأندلس، ومحط أنظار طلبة العلم بسبب ما توافر فيها من العلماء في فنون الحديث والرواية والفقه ومختلف علوم الشريعة بعامة وعلوم العقل بخاصة، فكانت ولادة ابن عبد البر فيها تشكل نوعا من الحظوة التي لم تتهيأ لغيره من العلماء، حيث لم يتحمل مشاق السفر والترحال، للتلقي عن كبار العلماء في الحديث والتفسير والفقه وغيرها من العلوم، حتى أصبح علما من أعلام الشريعة في الأندلس،

(*) هو عبد الله ابن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الملقب بموفق الدين. ولد بجماعيل (ضواحي نابلس بفلسطين) سنة 540 هـ وتوفي بدمشق سنة 620 هـ.
كان ابن قدامة زاهدا حسن الأخلاق مجاهدا ضد الصليبيين، يعتبر من فقهاء الاسلام المجتهدين ومن أئمة المذهب الحنبلي. برع ابن قدامة وألف في كثير من العلوم الاسلامية وغيرها كالأصول والفقه والحديث والتراجم والعقيدة واللغة والفلك، غير أن أشهر كتبه هو «المغني» الذي هو بمثابة موسوعة في الفقه الاسلامي المقارن.

(1) الصلة 2 /677. بغية الملتمس 489. تاريخ الفكر الأندلسي ص : 177 وفيه أن اسم أبيه عبد الرحمن بدلا من عبد الله (وهو خطأ). سير أعلام النبلاء 18 /154.

يؤمه الطلاب من كل صوب وحدب، لما اشتهر به من كثرة العلوم والاتقان كما أشار إلى ذلك أبو عبد الله ابن أبي الفتح حيث يقول : كان أبو عمر أعلم من بالأندلس، في السنن والآثار واختلاف علماء الأمصار [2].

وتشير الروايات إلى أن ابن عبد البر قد كان في أول أمره ظاهريا، ثم تحول مالكيا مع ميل واضح وبين إلى فقه الشافعي في كثير من المسائل [3] وان كان أبو عبد الله ابن أبي الفتح يرى أنه رجع إلى القول بالقياس من غير تقليد أحد إلا أنه كان يميل إلى مذهب الشافعي [4].

وقد ألف ابن عبد البر في علوم الحديث ما جعله أهلا لأن يكون حجة وحافظا فيه، وبخاصة فيما يتعلق بموطأ الامام مالك الذي اختصه بالشرح في كتابه العظيم المسمى «التمهيد لمعرفة ما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، حيث بلغ فيه شأوا في فقه الحديث وعلم الجرح والتعديل، وهو ما حمل ابن حزم على القول في وصف الكتاب : «لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف أحسن منه» [5] وهو كتاب لم يسبق إلى مثله لا من حيث الشرح والتنظيم، ولا من حيث طريقة العرض والمناقشة، ومثله كتاب الاستذكار لمذهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار.

كما ألف في التراجم والأنساب كتابه الاستيعاب الذي ذكر فيه أسماء الصحابة مع التعريف بهم وذكر أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم مرتبين على حروف المعجم وهو الذي يقول فيه الضبي : «ورأيت أهل المشرق يستحسنونه جدا ويقدمونه على ما ألف في بابه» [6].

وقد بلغت مؤلفاته في مختلف الفنون والعلوم اثنين وعشرين مؤلفا كما ذكر كاتب مقدمة الجزء الأول من كتاب التمهيد [7] وكما يقول الامام الذهبي : فقد

---

(2) سير أعلام النبلاء 18 /160.

(3) بغية الملتمس ص : 489. سير أعلام النبلاء 18 /157. تاريخ الفكرالاندلسي ص 397.

(4) سير أعلام النبلاء 18 /160.

(5) سير أعلام النبلاء 18 /158. الصلة 2 /678. بغية الملتمس ص : 490. تاريخ الفكر الأندلسي ص : 397.

(6) بغية الملتمس ص 490: تاريخ التعليم في الأندلس ص : 305.

(7) التمهيد 1 /يه، يو.

كان موفقا في التأليف، معانا عليه، ونفع الله بتواليفه، وكان مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث، له بسطة كبيرة في علم النسب والخبر [8].

وفضلا عن علوم الكتاب والسنة واللغة وآدابها والتاريخ والسير فقد برع في علوم أخرى كان يراها ضرورية لكل من اتصف بالعلم وتسلح به، من ذلك علم الجغرافيا والترجمة، والطب والحساب والهندسة والتنجيم [9] وهذا ما حمل الكثير من العلماء على إطرائه، والشهادة له بالسبق في العلوم دون غيره من العلماء حتى قال فيه ابن بشكوال : «كان امام عصره وواحد دهره» [10]. ووصفه الذهبي بأنه حافظ المغرب في زمانه [11] بينما ذكرت بعض الروايات أن ابن عبد البر كان حافظ المشرق والمغرب في عصره. وتذكر رواية أن رجلا حضر مجلسه وأعجب بحفظه واتقانه، فخاطبه : يا حافظ المغرب، فأجابه أبو عمر : لعلك تريد أن الخطيب البغدادي حافظ المشرق، فسكت. وصادف أن رحل الرجل إلى المشرق وأدى فريضة الحج، وحضر مجلس الخطيب البغدادي (حافظ المشرق) وسمع منه، ثم عاد إلى الأندلس واستمع من ابن عبد البر مرة أخرى، ووجد البون شاسعا، ولما انتهى المجلس قال له : يا حافظ.... و ...... يريد يا حافظ المغرب والمشرق، فحذف كلمة المغرب لأنها وردت في خطابه سابقا، وحذف كلمة المشرق لأنها وردت في كلام الشيخ ابن عبد البر، وكم كان بين الوقتين. وقد وصف أبو عمر بأنه حافظ عصره مطلقا، ونعته بعض العلماء بأنه بخاري المغرب [12].

ومع علو منزلته في العلم والسنن فإنه لم يكن يتورع عن تولي القضاء، وأخذ جوائز السلطان والأمراء، فقد ذكر جماعة أنه ولي قضاء الأشبونة وشنترين في عهد المظفر بن الأفطس [13].

وعلى ما يبدو فإن العلاقة بين ابن عبد البر وبين ابن حزم كانت وثيقة،

(8) سير أعلام النبلاء 18 /158 /تاريخ التعليم في الأندلس. ص : 305.

(9) ابن عبد البر وجهوده في التاريخ ص : 183.

(10) الصلة 2 /677.

(11) سير أعلام النبلاء 18 /159.

(12) التمهيد مقدمة الجزء الأول ص يج.

(13) سير أعلام النبلاء 18 /158. تاريخ الفكر الأندلسي ص : 397.

واستطاعت أن تحجب لسان ابن حزم عن ابن عبد البر، مع أنه أحدث في حياته انقلابا في منهجه ومذهبه حين ترك الظاهرية إلى المالكية، بل وأكثر من هذا، فان ابن حزم يعترف بالفضل لابن عبد البر في امداده اياه بالأحاديث التي طالما استعان بها لاثبات رأيه وتسفيه رأي غيره وبخاصة في كتابه «الاحكام في أصول الأحكام» فمرة يذكره باسمه ومرة أخرى بنسبته [14].

ويحدثنا الذهبي بأن أبا عمر كان ينبسط إلى أبي محمد ابن حزم ويؤانسه، وعنه أخذ ابن حزم فن الحديث [15].

ومن هنا نستنتج بأن ابن حزم وأبا عمر يتفقان في أندلسيتهما، وفي موالاتهما لبني أمية، وفي قبولهما لعطايا الأمراء وجوائز السلاطين والعمل في القضاء أو الوزارة [16] اضافة إلى اعتماد كل منهما على النص الشرعي مع مراعاة الفارق الذي يفصل بين أهل السنة والجماعة وبين أهل الظاهر في مسائل الاعتقاد وأصول المسائل.

وأما نقاط خلافهما فتكاد تنحصر في كون ابن عبد البر لم يكن يرى أو يتبنى العمل بالمنطق، ولم يكن فيه اليبس الذي كان عند ابن حزم عند مخاطبته العلماء ومناظرتهم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وهذا من أبرز أوجه التوافق بين ابن عبد البر وبين الشيخ الموفق، الذي نلمح في كتاباته التقدير والاعجاب بحافظ المغرب وسيد من كتب في فقه الحديث بصورة لانجدها لابن حزم. فتأثر ابن قدامة بابن عبد البر أمر لا يمكن انكاره، ويظهر جليا من خلال المواقف المشتركة والآراء المتفقة في أمور العقيدة والقياس والرأي والتأليف، ومن ثنايا النقول التي يكثر منها الشيخ الموفق في كتبه، ويعتبرها القول الفصل بين الأقوال المروية في الموضوع الواحد، سواء كان ذلك في العقيدة أو الفقه أو علم النسب والخبر، أو غير ذلك مما سنشير إليه في موضعه إن شاء الله.

---

(14) أنظر ج 6 الصفحات 27، 45، 145، 175 /ج8 الصفحات 29، 32، 33.

(15) سير أعلام النبلاء 18 /160.

(16) أنظر فتوى ابن عبد البر في أكل طعام السلطان وقبول جوائزه في كتاب «الكافي في فقه أهل المدينة» 1 /124ـــ126.

ولما كانت العقيدة الأساس الذي يجتمع عليه الناس أو يتفرقون، فإن نظرة سريعة إلى عقيدة ابن عبد البر ورأيه في موضوع الصفات والتأويل وعلم الكلام لتظهر مدى الاتفاق الذي يجمع بين الرجلين في هذه المواقف، مثلما يجمع بينهما في غيرها.

ولدى مراجعة آرائه المدونة في كتبه، فإننا نجده يفرق بين المعاملات التي تدخل فيما تحته عمل، وبين الاعتقادات التي لا يجوز فيها إلا ما جاء منصوصا عليه في كتاب الله، أو صح عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه، يسلم له ولا يناظر فيه. ثم يضيف : «إن هذه الأمور قد رواها السلف وسكتوا عنها، وهم كانوا أعمق الناس علما وأوسعهم فهما، وأقلهم تكلفا، ولم يكن سكوتهم عن عي، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر» [17]. ويروي أبو عمر في ذلك ما نقل عن الامام مالك بن أنس من أن الكلام فيما تحته عمل هو المباح عنده وعند أهل بلده يعني العلماء منهم رضي الله عنهم [18] وهو بهذا يفرق بين الفقه الذي أجمع العلماء على جواز الجدال فيه والمناظرة، لما يحتاجه من رد الفروع على الأصول وبين الاعتقادات التي ليست كذلك، فالله عز وجل لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو أجمعت الأمة عليه، وليس كمثله شيء، فيدرك بقياس أوامعان نظر، وقد نهينا عن التفكر في الله وأمرنا بالتفكر في خلقه الدال عليه [19]. وهذا ما حمل الامام الذهبي على القول في وصف عقيدته : «وكان في أصول الديانة على مذهب السلف، لم يدخل في علم الكلام، بل قفى آثار مشايخه رحمهم الله» [20].

ولما كانت أصول العلم عند ابن عبد البر لا تخرج عن الكتاب والسنة والاجماع والقياس، فإنه لا يوافق ابن حزم في الأخذ بعلم الكلام لمناصرة الدين

---

(17) جامع بيان العلم وفضله 2 /96ـ97. ويذهب أبو عمر إلى القول بأن خبر الآحاد الثقات الأثبات المتصل الاسناد يوجب العمل دون العلم، وهذا عند جماعة علماء الأمة الذين هم الحجة والقدوة، وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والأثر وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعا ودينا في معتقده (انظر التمهيد 1 /8، جامع بيان العلم وفضله 2 /34).

(18) جامع بيان العلم وفضله 2 /95.

(19) جامع بيان العلم وفضله 2 /92. فتاوي ابن تيمية 3 /220، 221.

(20) سير أعلام النبلاء 18 /161.

والذود عن حياضه فحسب، بل يذهب إلى أن أهل الكلام هم أهل بدع وزيغ، وينقل في ذلك إجماع أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار (21) كما ينقل رأي ابن خويز منداد المصري المالكي في كتاب الشهادات في تأويل قول مالك : لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء، أشعريا كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الاسلام أبدا، ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى استتيب منها (22) وليس المتأولون بأفضل حالا من أهل الكلام، فهم يدخلون أيضا تحت أهل البدع والأهواء ومن هذا أولئك الذين يقولون بعدم جواز رؤية الله عز وجلت أويلا لقوله تعالى : ﴿لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ مع كونه رد لما ورد في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذي يقول فيه : «انكم ترون ربكم يوم القيامة» فابن عبد البر يعتبر هذا التأويل باطلا لكونه لا يعرف عند أهل اللسان ولا عند أهل الأثر (23).

فأهل الكلام والمتأولة هم من أهل البدع والأهواء، وما يصدر عنهم من الآراء ليس إلا من قبيل الرأي المذموم، الذي أشار فيه ابن حزم إلى ما كتب به إليه النمري (ابن عبد البر) من قولة عمر بن الخطاب في النهي عن الرأي وذمه حيث قال : «إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يعوها، وتفلتت منهم أن يحفظوها، فقالوا في الدين برأيهم (24)».

ويرى ابن عبد البر أن الرأي المذموم يشتمل على أمور ثلاثة هي :

1. البدع المخالفة للسنن في الاعتقاد.
2. الرأي المبتدع وشبهه من ضروب البدع.
3. القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون.

أما القياس فان أبا عمر يرى أنه والتشبيه والتمثيل من لغة العرب الفصيحة التي نزل بها القرآن (25) ولذلك نراه يقرر أن القياس الذي لا يختلف في أنه قياس هو تشبيه الشيء بغيره إذا اشتبه، والحكم للنظير بحكم نظيره إذ كان في معناه،

(21) جامع بيان العلم وفضله 2 /95.

(22) جامع بيان العلم وفضله، وانظر تاريخ التعليم في الأندلس ص : 309.

(23) جامع بيان العلم وفضله 2 /138 بتصرف.

(24) الاحكام في أصول الأحكام 6 /42 ــ 43.

(25) جامع بيان العلم وفضله 2 /68.

والحكم للفرع بحكم أصله، إذا قامت فيه العلة التي من أجلها وقع الحكم [26]. ومع كون ابن عبد البر لم يضع كتابا مستقلا في علم أصول الفقه إلا أننا نراه يضع الضوابط التي تحكم قبول القياس أو رده، فلا يجيز لأحد أن يقيس إلا إذا كان عالما بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف، واجماع الناس واختلافهم، ولسان العرب، ويكون صحيح العقل حتى يفرق بين المشتبه، ولا يعجل بالقول، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه، لأن في ذلك تنبيها على غفلة ربما كانت منه، أو تنبيها على فضل ما اعتقد من الصواب، وعليه بلوغ غاية جهده، والانصاف من نفسه، حتى يعرف من أين قال ما يقوله [27] ثم ذكر بعد هذا عددا كبيرا من تابعي التابعين من علماء المدينة ومكة واليمن والكوفة البصرة والشام وبغداد ممن حفظ عنه أنه قال وأفتى مجتهدا رأيه وقاس على الأصول فيما لم يجد فيه نصا من التابعين.

وقد جعل القياس في المرتبة الرابعة بعد الكتاب والسنة والاجماع، وحصره فيها، أي أنه رتب القياس فجعله أولا على كتاب الله، فإن لم يكن فعلى سنة رسول الله ﷺ، فإن لم يكن فعلى قول عامة السلف الذين لا يعلم لهم مخالفا، ثم قال بعد ذلك : «ولا يجوز القول في شيء من العلم إلا من هذه الأوجه أو من القياس عليها» [28].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ونظرا لكون ابن عبد البر من ذوي البسطة في الاستدلال على الأحكام وبيان حجيتها، وتمحيص القول الفصل فيها من بين الآراء الكثيرة المروية عن العلماء من أهل المذهب وغيره، فإنه ينطلق في بغضه للتقليد وكراهيته له، من منطلق ضرورة الاستقلال الفكري الذي يوجب على المرء التعلم والبحث، والضبط والفهم والحفظ لعلوم الكتاب والحديث النبوي الشريف، فلا يميل مع قول إلا ببرهان، ولا يرفض قولا إلا بدليل، ولا يظن القاريء أن ابن عبد البر يذهب إلى ما ذهب إليه ابن حزم من وجوب الاجتهاد على جميع المسلمين علماء وعامة، بل ينقل عنه قوله : «ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم المرادون بقول الله عز

(26) جامع بيان العلم وفضله 2 /75.

(27) جامع بيان العلم وفضله 2 /61.

(28) جامع بيان العلم وفضله 2 /61.

وجل ﴿فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾ [29] وأجمعوا على أن الأعمى لابد له من تقليد غيره [30]».

أما التأليف، فان مجرد الاطلاع العابر يوضح لنا صورة حية، لما بين الرجلين من ترابط وتداخل، سواء كان ذلك في نوعية العلوم المؤلف فيها، أو في تسميات المؤلفات والكتب.

فالامام الموفق له مؤلفات في الحديث وعلوم القرآن والفقه والتراجم والسير والأدب والزهد والرقائق والفلك وغير ذلك من العلوم التي نجد لها مثيلا عند ابن عبد البر.

ففي علوم القرآن ألف الموفق رسالته المسماة «البرهان في مسألة القرآن» في حين نجد لابن عبد البر كتابه المسمى «البيان في تلاوة القرآن»، وفي تراجم وسير الصحابة الكرام فان الموفق ألف كتابين أحدهما للأنصار والآخر للمهاجرين على طريقة لم يسبق إليها من قبل ولكنه استفاد في كل ذلك من كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر. ونجد توافقا في ما كتبه الرجلان في باب الرقائق والزهد والأخلاق، بينما تستحكم حلقات الاتفاق في بعض المؤلفات الفقهية لكل منهما، حين نجد كتاب «الكافي» لابن عبد البر وهو في فقه أهل المدينة، وكتاب «الكافي» لابن قدامة وهو في فقه الحنابلة، ولم يكن التوافق مقصورا على التسمية فحسب، بل تعداها إلى كون كل من الكتابين يعتبر مرحلة وسطا في مراحل الدراسة لكل من المذهبين (المالكي والحنبلي).

وإذا كان ابن قدامة قد وضع مؤلفا في علم الهيئة والنجوم، فإننا نجد ابن عبد البر قد تكلم في هذا العلم نظرا لما يراه من أهميته في تحديد أوائل الشهور ومواقيت الحج والصيام وأوقات الصلوات وغير ذلك.

ونجد في كتابة ابن عبد البر ما يرشد إلى سعة اطلاع الرجل في هذا الفن الذي فرق فيه بين آمرين هما :

أ. أن يستفاد منه في جرية الفلك وسير الدراري ومطالع البروج، ومعرفة

(29) سورة الأنبياء آية رقم 8.

(30) جامع بيان العلم وفضله 2/ 115. ترتيب المدارك 1/ 60.

ساعة الليل والنهار، وقوس الليل من قوس النهار، في كل بلد وفي كل يوم، وبعد كل بلد من خط الاستواء ومن المجر الشمالي، والأفق الشرقي والغربي، ومولد الهلال وظهوره، واطلاع الكواكب للأنواء وغيرها، ومشيها واشتقاقها، وأخذها من الطول والعرض، وكسوف الشمس والقمر، ووقته ومقداره في كل بلد، ومعنى سني الشمس والقمر وسني الكواكب، موردا على جواز هذا النوع من العلم قول عمر ابن الخطاب : «تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم أمسكوا» (31).

ب. أن يتخذ وسيلة للتخرص كما هو الشأن بالعيافة والزجر وخطوط الكف والنظر في الكتف، وفي مواضع قرض الفار، وما شاكل ذلك مما لا تقبله العقول ولا يقوم عليه برهان، وهذا النوع ـــ كما يقرر ابن عبد البر ـــ لا يصح منه شيء... حيث لا صحيح على الحقيقة إلا ما جاء في أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد ساق في النهي عن هذا النوع ثلاثة أحاديث منها قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «أخاف على أمتي بعدي ثلاثا : حيف الأئمة، وايمان بالنجوم، وتكذيب بالقدر» (32).

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ومن كل ما سبق، فإننا نستطيع أن نقرر بأن الشيخ الموفق كان معجبا بابن عبد البر ومؤلفاته وعقيدته، مما جعله يقتفي أثره في كثير من الأمور التي أشرنا إلى بعضها فيما سبق، ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا بأن الرجلين ينتسبان إلى مدرسة أهل الأثر والحديث، ويرفضان الرأي والكلام، حتى وان كان بغرض الدفاع عن العقيدة والذود عن حياضها، مما يؤكد بأن الحق الذي يجتمع عليه أهل السنة والجماعة واحد لا يختلف في المشرق ولا في المغرب، ولا يضره بعد الزمان أو المكان.

نقول ابن قدامة عن ابن عبد البر :

أشرنا فيما سبق إلى أن ابن قدامة متأثر بابن عبد البر، وأن كثرة النقول التي أوردها في ثنايا مؤلفاته لتشهد على ذلك، علما بأن هذه النقول لم تقتصر على

(31) جامع بيان العلم وفضله 2 /38.

(32) جامع بيان العلم وفضله 2 /39.

الحديث، الذي يعتبر أساس مادة العلوم عند ابن عبد البر، وإنما تعدتها إلى علوم الاعتقاد والفقه والتراجم والسير، مما يشعر بتعدد جوانب الارتباط بين الرجلين.

ففي باب الاعتقاد فإن نقوله تكاد تكون معدودة وقليلة، حيث تنحصر فيما يذكره الشيخ الموفق على سبيل الاستشهاد أو في مجال سوق الآراء المؤيدة لقوله ورأيه، وقد يعود السبب في هذه القلة إلى كون أمور العقيدة من الأمور المتفق عليها عند أهل الحديث والأثر الذين ينتمي إليهم كل من ابن عبد البر وابن قدامة، فلا مجال للخلاف أو التنازع مادامت العقيدة توفيقية، لا تخضع لرأي أو اجتهاده.

ومن هنا فإننا لم نعثر إلا على بعض النقول التي أوردها ابن قدامة في رسالته «ذم التأويل» خلال بيانه لأحاديث الصفات، كقوله عليه الصلاة والسلام : «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن...» و«أن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق» و«أنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة» ونحو هذه الأحاديث، فقد نقل ابن قدامة قول ابن عبد البر لتأييد رأيه في أن السنة عند العلماء هي امرارها دون تأويل ولا تكييف فقال : قال أبو عمر ابن عبد البر : روينا عن مالك بن أنس وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة والأوزاعي، ومعمر بن راشد في حديث الصفات أنهم كلهم قالوا : أمروها كما جاءت [33] ثم نقل عنه مرة ثانية في نفس الموضوع قوله : ما جاء عن النبي ﷺ من نقل الثقات أو جاء من الصحابة رضي الله عنهم فهو علم يدان به، وما أحدث بعدهم، ولم يكن له أصل فيما جاء منهم سلم له، ولم يناظر فيه [34].

هذا ولم نجد لابن قدامة نقولا عن ابن عبد البر في لمعة الاعتقاد، التي تعتبر أساس العقيدة الصحيحة عند السلف الصالح في المذهب الحنبلي.

أما في باب التراجم والسير ــ التي اشترك الرجلان في التأليف فيها، مع ما بينهما من خلاف في أسلوب المعالجة وطريقة التأليف ــ فإننا نلحظ كثرة النقول، إذا ما قورن بالمنقول في باب الاعتقاد، فنجد لابن قدامة تسعة عشر نقلا عن ابن

(33) الرد الوافر /ذم التأويل ص : 571.
(34) الرد الوافر /ذم التأويل ص : 571.

عبد البر في كتاب الاستبصار في نسب الأنصار، وثمانية نقول في كتاب «التبيين في نسب القرشيين»، مع العلم بأن الموضوعات التي تعالجها لم تكن تدور حول نمط معين أو محور ما، وإنما اشتملت على كثير من الأمور نذكر منها ما يلي :

1. رواية الأحاديث : وذلك من خلال الترجمة الواردة لصاحب الحديث أو صاحبته، فيكون ذلك بمثابة رواية للحديث، واخبار عن دور ذلك الشخص في خدمة السنة النبوية. ومن أمثلة ذلك ما نقله عن ابن عبد البر في ترجمة الربيع بنت النضر حين قال : قال أبو عمر : «الربيع بنت النضر، هي أم حارثة بن سراقة، المستشهد بين يدي رسول الله ﷺ ببدر، ومن حديثها أنها جاءت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله : أخبرني عن حارثة، فإن كان من أهل الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك فسترى ما أصنع، قال : يا أم حارثة، إنها جنان كثيرة، وإن حارثة منها في الفردوس الأعلى (35).

وأورد مثل هذا في ترجمة كل من حرام بن أبي كعب الذي صلى خلف معاذ بن جبل، وأبي الهيثم بن التيهان بن عقيل بن عمرو بن عبد الأعلم الذي أضاف رسول الله ﷺ وصاحبيه، ومحمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي، أحد الذين شاركوا في قتل كعب بن الأشرف والذي كان يختاره عمر رضي الله عنه ويبعثه في الأمور المهمة (36) ومثل ذلك في التبيين ما رواه عن عمر بن الخطاب حين استسقى بالعباس عم الرسول عليه الصلاة والسلام (37).

2. ترجيح رأي على غيره من الآراء الواردة في اسم الرجل أو مكان وفاته ودفنه، أو في أعماله المنسوبة إليه، ومثال ذلك ما رواه الموفق عن ابن عبد البر بشأن كعب بن جماز بن مالك بن مالك بن ثعلبة الجهني حين أورد رأي أهل المغازي في اسم أبيه وأنه بالجيم والزاي، بينما قال ابن الكلبي «حمان» بالحاء والنون، ثم نقل قول أبي عمر الذي يقول فيه : «هو عندي على ما قال اهل المغازي»، ومثل ذلك ما ذكره في اسم أنس بن قتادة زوج خنساء بنت خذام بن خالد (38).

---

(35) الاستبصار في نسب الأنصار ص : 32.

(36) الاستبصار في نسب الأنصار الصفحات 162، 228، 242.

(37) التبيين في نسب القرشيين أنظر الصفحات 128، 270، 364.

(38) الاستبصار انظر الصفحات 100، 294.

وفي كتاب التبيين ذكر مثل هذا في مواضع متعددة وكان يقول : «وهذا أصح ما قيل في ذلك» [39].

3. تفسير لبعض الأخبار التي ذكرها بعض الرواة دون توضيح، كأن يذكروا رجلا ومعه آخر فيبين لنا من هو المقصود بكلمة الآخر، كالذي أورده ابن قدامة في ترجمة عباد بن بشر أن ثابت روى عن أنس قال : كان عباد بن بشر ورجل آخر من الأنصار عند النبي صلى الله عليه وسلم يتحدثان في ليلة ظلماء حندس، فخرجا من عنده، فأضاءت عصا عباد بن بشر حتى انتهى عباد وذهب، وأضاءت عصا الآخر، قال أبو عمر : الآخر هو اسيد بن حضير [40].

4. تصحيح بعض الأخبار الواردة، اما من حيث العدد أو من حيث صحة الخبر المنسوب إلى المترجم له، فنجد ابن قدامة ينقل في ترجمة أبي زيد الأنصاري أن عدد من تسموا بأبي زيد ثلاثة، ثم نقل قول أبي عمر : بل هم ستة كلهم غلبت عليه كنيته وقد ذكرتهم [41].

وذكر في ترجمة مالك بن الدخشم أنه اتهم بالنفاق، وأنه هو الذي أسرّ فيه رجل إلى رسول الله ﷺ في بيت عتبان بن مالك حين جاء ليصلي في بيته... قال أبو عمر : ولا يصح عنه النفاق، وقد ظهر من حسن اسلامه ما يمنع من اتهامه [42].

5. استنتاج وتعليق من خلال بعض الروايات الواردة في أمر من الأمور، كالذي نقله ابن قدامة في ترجمة معاذة بنت عبد الله بن جبر بن الضرير التي ذكر ابن شهاب أنها مولاة عبد الله ابن أبي سلول، قال أبو عمر : قول ابن شهاب هذا يدل على أن الأوس والخزرج كان يسبي بعضهم بعضا في الجاهلية ويتملكونهم [43].

6. انتقاده لابن عبد البر في بعض الأحيان نتيجة خلطه بين أسماء متشابهة أو لتركه ترجمة البعض مدرجا اياه في ترجمته أخ له أو قريب، كما في ترجمة

(39) التبيين راجع الصفحات 100، 329، 458.
(40) الاستبصار ص : 221.
(41) الاستبصار ص : 135، ص 194.
(42) الاستبصار ص : 135، ص 194.
(43) الاستبصار ص : 132.

عمرو وسلمة أبناء ثابت بن وقش حيث يقول ابن قدامة : «وجعل أبو عمر في موضع آخر مكان سلمة بن ثابت عمرو بن ثابت، وذكر أن سلمة شهد بدرا وأحدا، وقتل يوم أحد، قتله أبو سفيان بن حرب (44).

كما أشار ابن قدامة في التبيين إلى أن ابن عبد البر اكتفى بادراج أبي زيد بن عمير في ترجمة أخيه أبي عزيز (45).

وأما ما عدا ذلك، فإنه لا يعدو أن يكون ذكرا لبعض الأخبار المتعلقة بالمترجم له، كالذي أورده في ترجمة حارثة بن النعمان بن نفع بن زيد حيث نقل قول أبي عمر : كان حارثة بن النعمان قد ذهب بصره، فاتخذ خيطا من مصلاه إلى باب حجرته، ووضع عنده مكتلا فيه تمر، كان إذا جاء المسكين يسأل : أخذ من المكتل، ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناوله، وكان أهله يقولون له : نحن نكفيك، فيقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مناولة المساكين تقي ميتة السوء (46).

ولا شك أن ابن قدامة كان ينقل تلك الأخبار بأنواعها السابقة، من باب اقتناعه بها وموافقته على ما فيها، إلا ما ذكرناه في البند السادس، لكونه يعتبر تصحيح ابن عبد البر في أبواب الحديث والروايات التاريخية وبخاصة حياة الصحابة، من القضايا التي تميز بها عن غيره من العلماء، اضافة إلى ما يتمتع به الرجل من سمعة طيبة، وباع طويل في هذه المجالات، يشهد بها القاصي والداني من الثقات من علماء هذه الأمة.

أما نقوله عنه في أبواب الفقه، فإن الدارس لكتاب المغني في فقه الحنابلة، لا يفتأ بين الحين والآخر يقرأ نقولا لابن قدامة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الأربعة والظاهرية والفقهاء والعلماء ممن لهم شأن في باب الاجتهاد والاستنباط، وابن عبد البر أحد أولئك الذين ينقل عنهم الشيخ الموفق مع اشتراكه معه في الأصول المعتمدة على الكتابة والسنة والاجماع دون اللجوء إلى الرأي إلا بالقدر الذي ينعدم فيه النص، وتقتضي المصلحة أن يعمل المجتهد رأيه لاستنباط حكم شرعي.

---

(44) الاستبصار ص : 223.

(45) التبيين ص : 215.

(46) الاستبصار ص : 60 وانظر الصفحات 148، 162، 174.

وليس كتاب التمهيد الا خير شاهد على ذلك، فمع كونه كتاب حديث إلا أنه يتطرق إلى فقه الخلاف أثناء شرح الحديث، ويناقش الآراء والأدلة المعتمدة عند كل رأي مخالف، ليقف في النهاية على صحة الرأي الذي يرجحه ويميل إليه، من غير تعصب لرأي أو تقليد أعمى لمذهب، وهي نفس الطريقة التي ينتهجها ابن قدامة في كتابه المغني.

فلا غرابة بعد هذا إذا قلنا بأن الشيخ الموفق متأثر بابن عبد البر في طريقة معالجته للقضايا الفقهية، كما هو متأثر من قبله بابن حزم الظاهري، ولكن العلاقة مع ابن عبد البر لابد وأن تكون أقوى وأحسن وذلك لاعتبارات كثيرة نذكر منها :

1. تقدير ابن عبد البر لأحمد بن حنبل، وسماعه لمسنده، ونقله عنه في كثير من المواضع ذكرها في كتابه التمهيد، ونقل بعضها عنه الشيخ الموفق (47) مما يشعر بأن ابن عبد البر يعتبر الامام أحمد من فقهاء الحديث لا من المحدثين فقط.

2. اهتمامه بالسنة النبوية الشريفة، وتأليفه كتاب التمهيد في فقه الحديث مع الالتزام بطريقة أهل الحديث في تقرير الأحكام.

3. اهتمامه بسيرة الصحابة الكرام، حيث ألف كتابه المشهور «الاستيعاب في معرفة الأصحاب».

4. سعة أفقه، وبعد نظره في الأحكام الفقهية المستنبطة من الأحاديث النبوية، مما جعله لا يلتزم بالمذهب المالكي باطلاق واغلاق، وإنما يميل مع الحق حيث وجده ورآه، ومن هنا كان كثيرا ما يميل مع المذهب الشافعي كما هو مشهور عنه.

5. اتفاقه معه في الأصول المعتمدة لاستنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية،

6. عقيدته السلفية السليمة، التي لا تخرج عن نهج السلف الصالح من صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم من القرون الثلاثة الأولى.

(47) سير أعلام النبلاء 81/ 154 والمغني 7/ 453، 607، التمهيد ج 1/ 212. 375، ج 4/ 245.ج5/ 87.

وبالنظر إلى هذه العلاقة، فإن نقول ابن قدامة عن ابن عبد البر لم تقتصر على جانب واحد وبخاصة اذا أخذنا في الاعتبار أن كلا من الرجلين قد بلغ رتبة الاجتهاد المطلق، الذي يؤهله للخروج عن رأي مذهبه، مادام يجد الدليل على خلافه، وانما اتخذت ــ هذه النقول ــ أشكالا متعددة، عبرت في غالبيتها عن وطيد العلاقة والتقدير التي يكنها المقدسي للقرطبي المالكي. ولمزيد من البيان نذكر الأمور التالية لتوضيح طبيعة النقول التي ذكرها الشيخ الموفق في ثنايا كتابه المغني :

1. الاستشهاد برأي ابن عبد البر في بيان درجة صحة الحديث، الذي غالبا ما يذكره الموفق في استدلالاته الفقهية وذلك حين يجد الموفق إلى ذلك سبيلا، أي حين يكون رأيه موافقا لما ورد في الأحاديث المروية دون تأويل أو تحريف، ففي مسألة غسل الميت يرى الموفق أن المستحب في ذلك هو تجريده من ثيابه ما عدا ما يستر العورة، وذلك خلافا لكثيرمن الروايات المذكورة في المذهب، محتجا بأن تجريده أمكن لتغسيله، وأبلغ في تطهيره، والحي يتجرد إذا اغتسل، فكذا الميت، ولأنه إذا اغتسل في ثوبه تنجس الثوب بما يخرج، وقد لا يطهر بصب الماء عليه، فيتنجس الميت به. وأما ما وقع للنبي ﷺ من غسله في قميصه، فذاك خاص به، الا ترى أنهم قالوا : نجرده كما نجرد موتانا، كذلك روت عائشة، قال ابن عبد البر روي ذلك عنها من وجه صحيح [48].

مثل هذا ما ذكره في مسألة زكاة الابل إذا زادت عن عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة، ويستدل على رأيه هذا بقوله : ولنا قول النبي ﷺ «فإذا زادت على عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون» والواحد زيادة، وقد جاء مصرحا به في حديث الصدقات، الذي كتبه رسول الله ﷺ وكان عند آل عمر بن الخطاب، رواه أبو داود والترمذي، وقال هو حديث حسن، وقال ابن عبد البر : هو أحسن شيء روي في أحاديث الصدقات [49].

2. الاستشهاد برأيه في بيان معنى الحديث، فقد أورد ابن قدامة في باب اذا أسلم أحد الزوجين وتخلف الآخر حتى انقضت عدة المرأة، انفسخ النكاح في

---

(48) المغني 2 /454.

(49) المغني 2 /583 و انظر 4 /476، 8 /588.

قول عامة الفقهاء، وقد ذهب كل من أحمد بن حنبل والنخعي إلى أن المرأة ترد إلى زوجها مهما طالت المدة، لما روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ رد زينب على زوجها أبي العاص بنكاحها الأول، وقيل كان بين اسلامها وردها إليه ثمان سنوات.

ومن خلال الرد على ما ذهب إليه الرجلان ينقل ابن قدامة رأي ابن عبد البر في قصة أبي العاص مع امرأته فيقول : فأما قصة أبي العاص مع امرأته فقال ابن عبد البر : لا يخلو من أن تكون قبل نزول تحريم المسلمات على الكفار، فتكون منسوخة بما جاء بعدها، أو تكون ردت إليه بنكاح جديد، فقد روى ابن أبي شيبة في سننه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ ردها على أبي العاص بنكاح جديد، ورواه الترمذي وقال : سمعت عبد بن حميد يقول : سمعت يزيد بن هارون يقول : حديث ابن عباس أجود اسنادا والعمل على حديث عمرو بن شعيب [50].

ومثل ذلك ما ذكره الموفق أثناء حديثه عن الخوارج كأهل بغي، وأن جماعة من أصحابه المتأخرين يرون فيهم بغاة، بينما يذهب جمهور الفقهاء وكثير من أهل الحديث ومالك إلى استتابتهم، فإن تابوا وإلا قتلوا على افسادهم لا على كفرهم، وذهبت طائفة أخرى من أهل الحديث إلى أنهم كفار مرتدون، حكمهم حكم المرتدين... لما روى أبو سعيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج قوم يحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئا، وينظر في القدح فلا يرى شيئا، وينظر في الريش فلا يرى شيئا، ويتمارى في الفوق ... وفي أثناء استدلال الموفق على كونهم بغاة لا كفارا قال : قال ابن عبد البر في الحديث الذي رويناه، قوله : «يتمارى في الفوق» يدل على أنه لم يكفرهم لأنهم علقوا من الاسلام بشيء بحيث يشك في خروجهم منه [51].

---

(50) المغني 6 /617. التمهيد 12 /24.
(51) المغني 8 /106.

3. نقل اجماعاته حين يطمئن إليها، وذلك مثلما ذكره في المسائل التالية : ـــ

مسألة التيمم : قال ابن عبد البر : أجمع العلماء على أن طهارة التيمم لا ترفع الحدث، إذا وجد الماء، بل متى وجده أعاد الطهارة جنبا كان أو محدثا.

مسألة أول وقت الظهر : أجمع أهل العلم على أن أول وقت الظهر إذا زالت الشمس قاله ابن المنذر وابن عبد البر.

مسألة صلاة العصر : قال ابن عبد البر : أجمع العلماء على أن من صلى العصر والشمس بيضاء نقية ، فقد صلاها في وقتها.

مسألة التطوع في السفر على الراحلة، قال ابن عبد البر : أجمعوا على أنه جائز لكل من سافر سفرا يقصر فيه الصلاة أن يتطوع على دابته حيثما توجهت، يومىء بالركوع والسجود، ويجعل السجود أخفض من الركوع.

مسألة ستر العورة في الصلاة : قال ابن عبد البر : احتج من قال الستر من فرائض الصلاة بالاجماع على افساد من ترك ثوبه، وهو قادر على الاستتار به، وصلى عريانا، قال : وهذا أجمعوا عليه كلهم.

مسألة تحريم لبس الحرير على الرجال : إلا لعارض أو عذر، قال ابن عبد البر : هذا اجماع.

مسألة كشف المرأة في الصلاة والاحرام، قال ابن عبد البر، وقد أجمعوا على أن على المرأة أن تكشف وجهها في الصلاة والاحرام.

ومسألة الصلاة عند حضور الطعام، قال ابن عبد البر : أجمعوا على أنه لو صلى بحضرة الطعام فأكمل صلاته ان صلاته تجزئه، كذلك إذا صلى حاقنا [52].

مسألة لباس المخيط للمحرم من الرجال، قال ابن عبد البر : لا يجوز لباس شيء من المخيط عند أهل العلم، وأجمعوا على أن المراد بهذا الذكور دون النساء [53].

---

(52) المغني 1 /252، 371، 377، 434، 577، 588، 603، 630.

(53) المغني 3 /300، 317.

مسألة اليمين اللغو، قال ابن عبد البر : أجمع المسلمون على هذا ــ أي أنه لا كفارة فيه [54].

4. نقل ما يؤيد آراءه من كلام ابن عبد البر وفقهه ومن ذلك ما ذكره في المسائل التالية : ــ

مسألة التغليس في صلاة الفجر، حيث يرى الموفق أن التغليس أفضل من الاسفار بها، ويؤيد رأيه هذا بما ينقله عن ابن عبد البر الذي يقول : صح عن رسول الله ﷺ وعن أبي بكروعمروعثمان أنهم كانوا يغلسون ومحال أن يتركوا الأفضل ويأتوا الدون، وهم النهاية في اتيان الفضائل.

مسألة إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة، لأن ما يفوته مع الامام أفضل مما يأتي به، فلم يشتغل به ؟ كما لو خاف فوات الركعة، وأيد هذا بقول ابن عبد البر في هذه المسألة : الحجة عند التنازع السنة، فمن أدلى بها فقد فلح، ومن استعملها فقد نجا، قال : وقد روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج حين أقيمت الصلاة، فرأى ناسا يصلون، فقال : أصلاتان معا، وروى نحو ذلك أنس وعبد الله بن سرجس وابن بحينه وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورواهن كلهن ابن عبد البر في كتاب التمهيد.

ومسألة الثوب المنسوج من الحرير وغيره، فإن الحكم للأغلب منهما، فإن غلب الحرير فهو حرام، وان غلب القطن أو الكتان لا بأس بذلك، قال ابن عبد البر : مذهب ابن عباس وجماعة من أهل العلم، أن المحرم الحرير الصافي الذي لا يخالطه غيره، فإن كان الأقل الحرير فهو مباح، وان كان القطن فهو محرم [55].

ومسألة من أصبح مفطرا يعتقد أنه من شعبان، فقامت البينة بالرؤية، لزمه الامساك والقضاء في قول عامة الفقهاء، إلا ما روي عن عطاء أنه قال : يأكل بقية يومه، قال ابن عبد البر، لا نعلم أحدا قاله غير عطاء.

مسألة لا يلبس المحرم ثوبا مسه ورس ولا زعفران ولا طيب حيث قال : لا نعلم بين أهل العلم خلافا في هذا.... قال ابن عبد البر : لا خلاف في هذا بين

(54) المغني 8 /688.

(55) المغني 1 /394، 456، 590. أنظر التمهيد 4 /340.

العلماء، وقد قال النبي ﷺ : «لا تلبسوا من الثياب شيئا مسه الزعفران ولا الورس» متفق عليه.

مسألة ما إذا دفع الحاج قبل الغروب قال : فحجه صحيح في قول جماعة من الفقهاء إلا مالكا، قال : لا حج له، قال ابن عبد البر : لا نعلم أحدا من فقهاء الأمصار قال بقول مالك.

مسألة طواف الافاضة أو الزيارة الذي يأتي به الحاج بعد الافاضة من منى إلى مكة وهو ركن للحج لا يتم إلا به، لا نعلم فيه خلافا، ولأن الله عز وجل قال : ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ قال ابن عبد البر : هو من فرائض الحج، لا خلاف في ذلك بين العلماء (56).

مسألة عدم جواز بيع الرطب بالتمر، لكونه مما يجري في الربا، قال ابن عبد البر : جمهور علماء المسلمين على أن بيع الرطب بالتمر لا يجوز بحال من الأحوال.

مسألة من اشترى ما يحتاج إلى قبضه لم يجز بيعه حتى يقبضه... إلا ما حكي عن البتي أنه قال : لا بأس ببيع كل شيء قبل قبضه، وقال ابن عبد البر : وهذا قول مردود بالسنة والحجة المجمعة على الطعام (57).

مسألة ما إذا ادعت المرأة أن زوجها عنين، لا يصل إليها، أجل سنة منذ ترافعه... لأن هذا العجز قد يكون لعنة، وقد يكون لمرض، فضربت له سنة، تمر به الفصول الأربعة، فان كان من يبس زال في فصل الرطوبة، وان كان من رطوبة زال في فصل الحرارة، وان كان من انحراف مزاج زال في فصل الاعتدال، فإذا مضت الفصول الأربعة، واختلفت عليه الأهوية، فلم تزل، علم أنه خلقة... قال ابن عبد البر : على هذا جماعة القائلين بتأجيله (58).

مسألة أن من شرط اقامة الحد بالاقرار البقاء عليه إلى تمام الحد، فان رجع عن اقراره أو هرب كف عنه... وذلك أن ما عزا هرب فذكر للنبي ﷺ، فقال : هلا تركتموه يتوب فيتوب الله عليه ؟ قال ابن عبد البر : ثبت في حديث أبي هريرة

---

(56) المغني 3 /133، 317، 414، 440.

(57) المغني 4 /16، 127.

وجابر ونعيم بن هزال ونصر بن داهر وغيرهم، أن ما عزا لما هرب فقال لهم : ردوني إلى رسول الله ﷺ فقال : هلا تركتموه يتوب فيتوب الله عليه!!! (59).

مسألة ما إذا أعتق في مرض موته ثلاثة أعبد أو دبرهم أودبّر أحدهم وأوصى بعتق الآخرين ولم يخرج من ثلثه إلا واحد لتساوي قيمتهم، أقرع بينهم بسهم حرية وسهمي رق... وأنكر أصحاب أبي حنيفة القرعة وقالوا : هي من القمار وحكم الجاهلية، ولعلهم يردون الخبر الوارد في هذه المسألة لمخالفته قياس الأصول... قال ابن عبد البر : في قول الكوفيين ضروب من الخطأ، والاضطراب، مع مخالفة السنة الثابتة وأشار إلى ما ذكرناه (60).

5. نقل ما يحدد به المعنى الاصطلاحي لبعض الكلمات كالذي أورده في بداية كتاب الوليمة حيث قال : الوليمة : اسم للطعام في العرس خاصة، لا يقع هذا الاسم على غيره، كذلك حكاه ابن عبد البر عن ثعلب وغيره من أهل اللغة، وقال بعض الفقهاء من أصحابنا وغيرهم : ان الوليمة تقع على كل طعام لسرور حادث، إلا أن استعمالها في طعام العرس أكثر، وقول أهل اللغة أقوى، لأنهم أهل اللسان، وهم أعرف بموضوعات اللغة وأعلم بلسان العرب، والعذيرة اسم لدعوة الختان، وتسمى الاعذار،والخرس والخرسة عند الولادة، والوكيرة دعوة البناء، يقال : وكر وخرس مشدد، والنقيعة عند قدوم الغائب، يقال : نقع مخفف، والعقيقة : الذبح لأجل الولد (61).

6. نقد ومخالفة لبعض الآراء التي ذهب إليها ابن عبد البر، وذلك في المسائل التالية :

مسألة الكلام يوم الجمعة قبل شروع الخطيب في الخطبة وبعد فراغه منها، قال ابن عبد البر : ان عمر وابن عباس كانا يكرهان الكلام والصلاة بعد خروج الامام، ولا مخالف لهما في الصحابة، فهو يرى كراهة الكلام في هذه الأوقات.

ويرد الموفق على هذا بقوله : ولنا أن النبي ﷺ قال : «إذا قلت لصاحبك

---

(58) المغني 6 /669.

(59) المغني 8 /197، التمهيد 12 /113.

(60) المغني 9 /359 ــ 361.

(61) المغني 7 /1.

والامام يخطب أنصت فقد لغوت»، وقال ثعلبة بن أبي مالك : انهم كانوا في زمن عمر، إذا خرج عمر وجلس على المنبر، وأذن المؤذنون، جلسوا يتحدثون، حتى إذا سكت المؤذنون وقام عمر سكتوا فلم يتكلم أحد، وهذا يدل على شهرة الأمر بينهم، ولأن الكلام انما حرم لأجل الانصات للخطبة فلا وجه لتحريمه مع عدمها، وقولهم : لا مخالف لهما في الصحابة، قد ذكرنا عن عمومهم خلاف هذا القول.

مسألة الصلاة على أهل البدع والخوارج وغيرهم، حيث يذهب ابن عبد البر إلى القول : بأن سائر العلماء يصلون على أهل البدع والخوارج وغيرهم لعموم قوله ﷺ : «صلوا على من قال لا اله إلا الله، محمد رسول الله» في الوقت الذي يذهب فيه الموفق إلى عدم جواز الصلاة عليهم، ويرد على ابن عبد البر بقوله، : ولنا : ان النبي ﷺ ترك الصلاة بأدون من هذا، فأولى أن تترك الصلاة به، وروى ابن عمر أن النبي ﷺ قال : ان لكل أمة مجوسا، وان مجوس أمتي الذين يقولون لا قدر، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وان ماتوا فلا تشهدوهم، رواه الامام أحمد [62].

مسألة حكم صدقة الفطر فقد زعم ابن عبد البر : أن بعض المتأخرين من أصحاب مالك وداود يقولون :هي سنة مؤكدة، بينما سائر العلماء يذهبون إلى وجوبها، ورد ابن قدامة على هذا الزعم بقوله : والصحيح انها فرض، لقول ابن عمر «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر»، ولاجماع العلماء على أنها فرض لأن الفرض ان كان الواجب فهي واجبة، وان كان الواجب المتأكدة، فهي متأكدة مجمع عليها.

مسألة إذا نوى الاعتكاف، فدخل فيه ثم قطعه، يذهب ابن عبد البر إلى أنه يلزم قضاؤه، وقال : لا يختلف في ذلك الفقهاء، ويلزمه القضاء عند جميع العلماء، وقال : وان لم يدخل فيه فالقضاء مستحب، ومن العلماء من أوجبه وان لم يدخل فيه، محتجا لرأيه بحديث عائشة وبكون الاعتكاف عبادة تتعلق بالمسجد فلزمت بالدخول فيها كالحج.

وقد رد ابن قدامة على هذا الرأي بشدة تظهر من قوله : «ولم يصنع ابن عبد البر شيئا، وهذا ليس باجماع، ولا نعرف هذا القول من أحد سواه، وقد قال

(62) المغني 2 /324، 558.

الشافعي : كل عمل لك أن لا تدخل فيه، فإذا دخلت فيه فخرجت منه،فليس عليك أن تقضي إلا الحج والعمرة، ولم يقع اجماع على لزوم نافلة بالشروع فيها سوى الحج والعمرة، وإذا كانت العبادات التي لها أصل في الوجوب لا تلزم بالشروع، فما ليس له أصل في الوجوب أولى، وقد انعقد الاجماع على أن الانسان لو نوى الصدقة بمال مقدر وشرع في الصدقة به، فأخرج بعضه، لم تلزمه الصدقة بباقيه، وهو نظير الاعتكاف، لأنه غير مقدر بالشرع فأشبه الصدقة، وما ذكره حجة عليه، فان النبي ﷺ ترك اعتكافه، ولو كان واجبا لما تركه، وأزواجه تركن الاعتكاف بعد نيته، وضرب أبنيتهن له، ولم يوجد عذر يمنع فعل الواجب، ولا أمره بالقضاء، وقضاء النبي ﷺ له لم يكن واجبا عليه، وإنما فعله تطوعا، لأنه كان إذا عمل عملا أثبته، وكان فعله لقضائه كفعله لأدائه، على سبيل التطوع به لا على سبيل الايجاب [63].

مسألة هل يحكم الحاكم بعلمه ؟ يذهب ابن عبد البر كما هو واضح من رواياته التي ينقلها ابن قدامة إلى أنه يجوز للحاكم أن يحكم بعلمه، وذلك استنادا إلى ما رواه عروة ومجاهد من أن رجلا من بني مخزوم استعدى عمر بن الخطاب على أبي سفيان بن حرب أنه ظلمه حدا في موضع كذا وكذا، قال عمر : إني لأعلم الناس بذلك، وربما لعبت أنا وأنت فيه، ونحن غلمان، فاتني بأبي سفيان، فأتاه به، فقال له عمر : يا أبا سفيان، انهض بنا إلى موضع كذا وكذا، فنهضوا ونظر عمر فقال : يا أبا سفيان خذ هذا الحجر من ههنا فضعه هنا، فقال : والله لا أفعل، فقال : والله لتفعلن، فقال : والله لا أفعل، فعلاه بالدرة وقال : خذه لا أم لك فضعه هنا، فانك ما علمت قديم الظلم، فأخذ أبو سفيان الحجر ووضعه حيث قال عمر، ثم ان عمر استقبل القبلة فقال : اللهم لك الحمد حيث لم تمتني حتى غلبت أبا سفيان على رأيه، وأذللته لي بالاسلام، قال : فاستقبل القبلة أبو سفيان وقال : اللهم لك الحمد، إذ لم تمتني حتى جعلت في قلبي من الاسلام ما أذل به لعمر، قالوا : فحكم لعلمه، لأن الحاكم يحكم بالشاهدين لأنهما يغلبان على الظن، فما تحققه وقطع به كان أولى، ولأنه يحكم بعلمه في تعديل الشهود وجرحهم، فكذلك في ثبوت الحق قياسا عليه.

---

(63) المغني 55/3ـ /184.

وقد رد ابن قدامة على هذا بقوله : وحديث عمر الذي رووه كان انكارا لمنكر رآه لا حكم، بدليل أنه ما وجدت منها دعوى انكار بشروطهما... ثم لو كان حكما، كان معارضا بما رويناه عنه، ويفارق الحكم بالشاهدين أنه لا يفضي إلى تهمة بخلاف مسألتنا، وأما الجرح والتعديل فإنه يحكم فيه بعلمه بغير خلاف، لأنه لو لم يحكم فيه بعلمه لتسلسل، فإن المزكيين يحتاج إلى معرفة عدالتهما وجرحهما، فإذا لم يعمل بعلمه احتاج كل واحد منهما إلى مزكيين... ثم كل واحد منهما يحتاج إلى مزكيين، فيتسلسل، وما نحن فيه بخلافه [64].

هذه بعض النقول التي استطعنا الوقوف عليها، والتي أعطتنا فكرة واضحة عن الصلة التي تربط بين الرجلين في مختلف القضايا والمسائل الاعتقادية والتشريعية، وما يتفرع عنهما من علوم دينية أودنيوية.

والمتتبع لهذه النقول سرعان ما يلحظ فيها أمانة النقل وصدق المعلومات التي ينقلها ابن قدامة عن ابن ابن عبد البر، وهو بهذا يتقدم بل ويفوق غيره من العلماء الذين قاموا بمثل ما قام به ــ كابن رشد في كتابه بداية المجتهد ــ الأمر الذي يكشف ما كان يتحلى به الموفق من الأمانة العلمية التي يعتبرها جزءا لا يتجزء من عقيدته، فهي تأمر بالصدق وأداء الأمانة وتنهى عن الكذب والخيانة، وقد كان لهذه النظرة أثر كبير على حياة الموفق العلمية بما أضفته على كتاب المغني بل وعلى جميع كتبه من التقدير والاحترام عند غالب العلماء، الذين نقلوا عنها ومنها بكل ثقة واطمئنان. كما وتشير هذه النقول إلى أن ابن قدامة كان على اتصال بهذه المراجع التي نقل منها سواء كان ذلك باقتنائها في مكتبته الخاصة أوأنه اطلع عليها في المكتبات العامة أو عند بعض العلماء الذين كان يتردد إليهم في كل من دمشق وبغداد، سواء كانوا من أهل المشرق أو من أهل المغرب، مع قناعتنا بأن وسائل الاتصال العلمي في ذلك العصر كانت على درجة رفيعة المستوى وسهلة المنال وذلك بالنظر إلى ما يجده المتتبع لنوعية الطلبة الذين كانوا يتلقون العلوم في مدارس دمشق وبغداد، حيث يجد أعدادا لا بأس بها من الطلبة المغاربة الموزعين على مراكز الاشعاع العلمي في كل من بغداد ودمشق والقدس والقاهرة، مما يسهل عملية توصيل المؤلفات المغربية أو الأندلسية إلى خزائن

(64) المغني 9 /54ــ55.

الجامعات والمعاهد والمدارس في المشرق، إضافة إلى ما كان يقوم به بعض من علماء المغرب والأندلس من رحلات إلى بلاد المشرق، مما يتيح الفرصة أمام الطرفين للتزود بالعلوم المختلفة، والمؤلفات البعيدة المنال، وتبادل الكتب المؤلفة هنا وهناك.

فاليقين الذي لاشك فيه هو أن ابن قدامة قد اطلع على كتب ابن عبد البر الذي يسبقه بفترة زمنية كافية وكفيلة لأن تصل خلالها مؤلفات ابن عبد البر إلى دمشق باعتبارها مركزا من محطات العلم والعلماء، هذا على افتراض عدم أهميتها وانتشار سمعتها، فما بالك إذا كان الأمر خلاف ذلك ؟ فقد وصلت كتب ابن عبد البر إلى دمشق واطلع عليها بدقة وامعان نظر غالب العلماء ومن ضمنهم الشيخ الموفق، وخلاف ذلك فإن ابن قدامة لم يكن ليستطيع أن ينقل إلينا كلام ابن عبد البر بهذه الصورة الحرفية التي تضمن له دقة النقل وسلامة الحكم في آن واحد.

والناظر في طريقة ابن قدامة أثناء معالجته الفقهية لا يفوته إذا ما اطلع على أسلوب ابن عبد البر وطريقته أن يقرر استفادة ابن قدامة من هذا الأسلوب، وما الخلاف الذي يظهر زيادة أو نقصا أو أسلوبا إلا نتيجة الاختلاف بين طبيعة عمل الفقيه وبين طبيعة عمل المحدث، الذي يعنيه باديء ذي بدء التثبت من صحة الحديث سندا ومتنا، وبيان طرقه وعدالة رواته، ثم بعد ذلك استخراج ما في الحديث من معان فقهية، وهو ما كان يقوم به ابن عبد البر وعلى طريقة علم الخلاف فيما يختص بالأحكام الفقهية التي تستفاد من الحديث.

فإذا ما استثنينا هذه المعلومات المتعلقة بصحة الحديث وعدمه وما يتعلق بالجرح والتعديل، فإننا سنجد نوعا من التوافق والتطابق في طريقة المعالجة ـــ بصورة عامة ـــ بين الرجلين، وللتدليل على ذلك اكتفي بذكر الموضوعات التالية :

1. طهارة سؤر الهر وقياس الكلب عليه :

يذكر ابن عبد البر حديث اسحق عن حميدة، عن أبي قتادة حول طهارة سؤر الهر، ويعرّج على عادته على ما يستفاد من الحديث، وما ورد عن الصحابة والتابعين من أقوال ثم يقول : «ولا نعلم أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ روى

عنه في الهر أنه لا يتوضأ بسؤره إلا أبا هريرة، على اختلاف عنه، وأما التابعون فروينا عن عطاء بن أبي رباح وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين أنهم أمروا باراقة ماء ولغ فيه الهر وغسل الاناء منه... قال أبو عمر : الحجة عند التنازع والاختلاف سنة رسول الله ﷺ، وقد صح عنه من حديث أبي قتادة في هذا الباب ما ذكرنا، وعليه اعتماد الفقهاء في مصر إلا أبا حنيفة ومن قال بقوله، قال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي الذي صار إليه جل أهل الفتوى من علماء الأمصار، من أهل الأثر والرأي جميعا، أنه لا بأس بسؤر السنور اتباعا للحديث الذي روينا يعني عن أبي قتادة عن النبي ﷺ.

قال : وممن ذهب إلى ذلك مالك بن أنس وأهل المدينة والليث بن سعد فيمن وافقه من أهل مصر والمغرب، والأوزاعي في أهل الشام، وسفيان الثوري فيمن وافقه من أهل العراق. قال : وكذلك قول الشافعي وأصحابه وأحمد بن حنبل واسحق وأبي ثور وأبي عبيدة وجماعة أصحاب الحديث، قال : وكان النعمان يكره سؤره وقال : ان كان توضأ به أجزأه، وخالفه أصحابه فقالوا : لا بأس به.... ويروون عن أبي هريرة وابن عمر أنهما كرها الوضوء بسؤر الهر، وهو قول ابن أبي ليلى [65].

وتحت عنوان «الضرب الثالث» : السنور وما دونها في الخلقة كالفأرة وابن عرس، كتب ابن قدامة ما نصه : فهذا ونحوه من حشرات الأرض، سؤره طاهر، يجوز شربه والوضوء به ولا يكره، وهذا قول أهل العلم من الصحابة والتابعين من أهل المدينة والشام، وأهل الكوفة أصحاب الرأي إلا أبا حنيفة، فإنه كره الوضوء بسؤر الهر : يغسل مرة أو مرتين، وبه قال ابن المنذر، وقال الحسن وابن سيرين : يغسل مرة، وقال طاوس : يغسل كالكلب [66].

ففي الوقت الذي يتفق فيه الرجلان في حكم سؤر الهر، سرعان ما يظهر الاختلاف في حكم سؤر الكلب، حيث يذهب ابن عبد البر إلى القياس بينما يتمسك الشيخ الموفق بالحديث ويرد على ابن عبد البر في كل حججه، مع كونه لم يصرح في رده بذلك، ولكن سياق الحديث والمقارنة بين ما ذكره ابن عبد البر

---

(65) التمهيد 1/ 324 ــ 325.

(66) المغني 1/ 50.

في التمهيد وبين ما أشار إليه الموفق في المغني أثناء الرد يشعر بصحة ما نذهب إليه.

يقول ابن عبد البر : وطهارة الهر تدل على طهارة الكلب، وأن ليس في حي نجاسة سوى الخنزير والله أعلم، لأن الكلب من الطوافين علينا، ومما أبيح لنا اتخاذه في مواضيع الأمور، وإذا كان حكمه كذلك في تلك المواضيع، فمعلوم أن سؤره في غيرها كذلك لأن عينه لا تنتقل، ودل ما ذكرناه على أن ما جاء في الكلب من غسل الاناء من ولوغه سبعا، أنه تعبد واستحباب، لأن قوله ﷺ في الهر انها ليست بنجس، أنها من الطوافين عليكم، بيان أن الطوافين علينا ليسوا بنجس في طباعهم وخلقتهم، وقد أبيح لنا اتخاذ الكلب للصيد والغنم والزرع أيضا، فصار من الطوافين علينا، والاعتبار أيضا يقتضي بالجمع بينهما لعلة أن كل واحد منهما سبع يفترس ويأكل الميتة، فإذا جاء نص في أحدهما كان حكم نظيره حكمه، ولما فارق غسل الاناء من ولوغ الكلب سائر غسل النجاسات كلها علمنا أن ذلك ليس لنجاسة، ولو كان لنجاسة سلك به سبيل النجاسات في الانقاء من غير تحديد. ثم يضيف بعد ذلك بقليل قوله : وأما حديث ولوغ الكلب في الاناء وحديث النهي عن ادخال اليد في الاناء قبل غسلها لمن انتبه من نومه، وحديث النهي عن البول في الماء الدائم الراكد، فقد عارضها ما هو أقوى منها، والأصل في الماء الطهارة، فالواجب أن لا يقضي بنجاسة إلا بدليل لا تنازع فيه، ولا مدفع له [67].

بينما يقرر ابن قدامة نجاسة الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما، ونجاسة عينهما وسؤرهما، وآراء العلماء في ذلك، وينقل رأي مالك فيقول : قال مالك : ويغسل الاناء الذي ولغ فيه الكلب تعبدا، واحتج بعضهم على طهارته، بأن الله تعالى قال ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ [68] ولم يأمر بغسل ما أصابه فمه... ولنا ما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبعا» متفق عليه. ولمسلم : «فليرقه ثم ليغسله سبع مرات، ولو كان سؤره طاهرا لم تجز اراقته ولا وجب غسله». فإن قيل : انما

---

(67) التمهيد 320/1 ــ 321، 329 ــ 330.

(68) سورة المائدة آية رقم 4.

وجب غسله تعبدا كما تغسل أعضاء الوضوء وتغسل اليد من نوم الليل.قلنا : الأصل.وجوب الغسل من النجاسة، بدليل سائر الغسل، ثم لو كان تعبدا لما أمر باراقة الماء، ولما اختص الغسل بموضع الولوغ لعموم اللفظ في الاناء كله، وأما غسل اليد من النوم، فإنما أمر به للاحتياط، لاحتمال أن تكون يده قد أصابتها نجاسة، فيتنجس الماء، ثم تنجس أعضاؤه به، وغسل أعضاء الوضوء شرع للوضاءة والنظافة، ليكون العبد في حال قيامه بين يدي الله تعالى على أحسن حال وأكملها، ثم ان سلمنا ذلك، فإنما عهدنا التعبد في غسل اليدين أما الآنية والثياب فإنما يجب غسلها من النجاسات، وقد روي في لفظ : طهور اناء أحدكم إذا ولغ الكلب فيه أن يغسله سبعا، أخرجه أبو داود (بل ومسلم) ولا يكون الطهر إلا في محل الطهارة. وقولهم : ان الله تعالى أمر بأكل ما أمسكه الكلب قبل غسله.

قلنا : ان الله تعالى أمر بأكله والنبي ﷺ أمر بغسله، فيعمل بأمرهما، وأن سلمنا أنه لا يجب غسله فلأنه يشق، فعفي عنه [68م].

2. الربا وأنواعه وعلل التحريم فيه عند العلماء.

يقول ابن عبد البر بعد ذكر الحديث الوارد في هذا الباب، وتوضيح ما يحتاج إليه وفق ما انتهجه في كتابه التمهيد، : «ولا يوجد عن النبي ﷺ شيء ذكر فيه الربا غير هذه الستة الأشياء المذكورة في حديث عبادة...، فجعلها جماعة علماء المسلمين القائلين بالقياس أصول الربا وقاسوا عليها ما أشبهها وما كان في معناها... فلا ربا عند العلماء في غير هذه الأنواع الستة (وهي التي ذكرت في الحديث النبوي الشريف) وما كان في معناها في عللهم وأصولهم، فلا يشترى الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل، ولا الفضة بالفضة إلا مثلا بمثل، ولا الحنطة بالحنطة إلا مثلا بمثل، ولا الشعير بالشعير إلا مثلا بمثل ولا التمر بالتمر إلا مثلا بمثل، ولا الملح بالملح إلا مثلا بمثل.

وأما من نفي القياس من العلماء فإنهم لا يرون الربا في غير الستة الأشياء المذكورة، في حديث عبادة بن الصامت، وما عداها عندهم فحلال جائز بعموم

(68م) المغني 1 /42 ــ 48. وانظر الحديث في تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول 3 /60.

قوله تعالى : ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾. وممن روي عنه هذا القول قتادة، وما حفظته لغيره، وهو مذهب داود بن علي [69].

ولو نظرنا كلام ابن قدامة لوجدناه كثير الشبه بما ذكره ابن عبد البر، فبعد أن يسوق حديث عبادة بن الصامت يقول : واختلف أهل العلم في سواها، فحكي عن طاوس وقتادة أنهما قصرا الربا عليها، وقالا : لا تجري في غيرها، وبه قال داود ونفاة القياس، وقالوا : ما عداها على أصل الاباحة لقول الله عز وجل : ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾.

واتفق القائلون بالقياس على أن ثبوت الربا فيها بعلة، وأنه يثبت في كل ما وجدت فيه علتها لأن القياس دليل شرعي، فيجب استخراج علة هذا الحكم، وإثباته في كل موضع وجدت علته فيه، وقول الله تعالى : «وحرم الربا» يقتضي تحريم كل زيادة، إذ الربا في اللغة الزيادة، إلا ما أجمعنا على تخصيصه، وهذا يعارض ما ذكروه [70].

ويبين ابن عبد البر أنواع الربا فيقول : والربا عند جماعة العلماء في الصنف الواحد يدخله من جهتين وهما : النساء، والتفاضل، فلا يجوز شيء من الأنواع الستة بمثله إلا يدا بيد، مثلا بمثل على ما نص عليه الرسول ﷺ، فإذا اختلف الجنس جاز فيه التفاضل، ولم يجز فيه النساء لقول رسول الله ﷺ «بيعوا الذهب بالورق كيف شئتم، يدا بيد، وبيعوا البر بالشعير كيف شئتم يدا بيد» إلا أن مالكا جعل البر والشعير جنسا واحدا، فلم يجز فيه التفاضل لشيء رواه عن سعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمٰن بن الأسود بن عبد يغوث، وسليمان بن يسار، وخالفه في ذلك جماعة فقهاء الأمصار [71].

وقد ذكر ابن قدامة هذه المعاني دون أن يشير إلى أن مالكا قد خالف جماعة فقهاء الأمصار، فيما نقله عنه ابن عبد البر، في حين نسب ذلك إلى سعيد بن جبير وقال : والربا على ضربين : ربا الفضل وربا النسيئة، وأجمع أهل العلم على تحريمهما، وقد كان في ربا الفضل اختلاف بين الصحابة.... ثم اتفق أهل العلم

---

(69) التمهيد 4 /88 ــ 92 بتصرف وانظر التمهيد 2 /246.

(70) المغني 4 /5.

(71) التمهيد 4 /89.

على أن ربا الفضل لا يجري إلا في الجنس الواحد، إلا سعيد بن جبير، فإنه قال : كل شيئين يتقارب الانتفاع بهما، لا يجوز بيع أحدهما بالآخر متفاضلا، كالحنطة بالشعير والتمر بالزبيب، والذرة بالدخن، لأنهما يتقارب نفعهما، فجريا مجرى نوعي جنس واحد [72].

أما علل الربا فيوجزها ابن عبد البر بقوله : فذهب العراقيون إلى أن العلة فيها الكيل والوزن، لأن كل ما ذكر من الأنواع الستة، لم تخل من كيل أو وزن، وكذلك جاء به الحديث نصا، قال في الذهب وفي الورق : وزنا بوزن، وقال في غير ذلك مدا بمد ونحو ذلك.

وسئل الشافعي فقال : العلة في ذلك الأكل لا غير، إلا في الذهب والورق، فلم يقس عليهما غيرهما، لأنهما أثمان المبيعات، وقيم المتلفات.

وكذلك قول أصحاب مالك في الذهب والورق، وعللوا الأربعة بأنها أقوات مدّخرة، فأجازوا التفاضل فيما لا يدخر إذا كان يدا بيد، ولا بأس عندهم برمانة برمانتين، وتفاحة بتفاحتين، أو ماكان مثل ذلك، يدا بيد، وذلك غير جائز عند الشافعي، لأن علته في ذلك الأكل، وسواء عنده ما يدّخر وما لا يدّخر [73].

بينما يتطرق ابن قدامة إلى هذه العلل بشيء من التوسع وذكر للروايات، ناسبا كل واحدة منها إلى القائلين بها من الصحابة أو التابعين أو الأئمة، مبتدئا بما يروى عن الامام أحمد في ذلك فيقول : روي عن أحمد في ذلك ثلاث روايات، أشهرهن : أن علة الربا في الذهب والفضة كونه موزون جنس، وعلة الأعيان الأربعة مكيل جنس.... وهو قول النخعي والزهري والثوري واسحق وأصحاب الرأي، فعلى هذه الرواية يجري الربا في كل مكيل أو موزون بجنسه، مطعوما كان أو غير مطعوم..... الخ.

والرواية الثانية : أن العلة في الأثمان الثمينة، وفيما عداها كونه مطعوم جنس مختص بالمعلومات، ويخرج منه ما عداها، قال أبو بكر : روى ذلك عن أحمد جماعة ونحو هذا قال الشافعي، فإنه قال : العلة الطعم والجنس شرط، والعلة في الذهب والفضة جوهرية الثمنية غالبا، فيختص بالذهب والفضة... الخ.

---

(72) المغني 4 /3، 5.

(73) التمهيد 4 /88 ــ 89.

والرواية الثالثة : العلة فيما عدا الذهب والفضة كونه مطعوم جنس مكيلا أو موزونا فلا يجري الربا في مطعوم لا يكال ولا يوزن، كالتفاح والرمان والخوخ والبطيخ والكمثرى، والأترج والسفرجل والاجاص والخيار والجوز والبيض، ولا فيما ليس بمطعوم كالزعفران والاشنان والحديد والرصاص وغيره، ويروى ذلك عن سعيد بن المسيب، وهو قديم قول الشافعي....

وقال مالك : العلة القوت أو ما يصلح به القوت من جنس واحد من المدخرات... (74).

3. ضمان العاري :

يشير ابن عبد البر إلى اختلاف العلماء في ضمان العارية، فذهب مالك وأصحابه إلى أن العارية أمانة غير مضمونة، إذا كانت حيوانا أو ما لا يغاب عليه، إذا لم يتعد المستعير فيه ولا ضيع.... ثم ينقل بعد أن يفيض في بيان مذهب مالك قول الليث بن سعد : لا ضمان في العارية... وقال أبو حنيفة وأصحاب الثوري والأوزاعي : العارية غير مضمونة، ولا يضمن شيئا منها إلا بالتعدي، وهو قول ابن شبرمة.

ثم يأخذ أبو عمر ببيان أدلة كل فريق فيقول : احتج من قال بأن العارية مضمونة، بما حدثنا سعيد بن نصر... سمعت أبا أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : العارية مؤداة والمنحة مردودة، والدين مقضي، والزعيم غارم.

ومن قال أن العارية لا تضمن قال في قوله ﷺ «العارية مؤداة» دليل على أنها أمانة، لأن الله عز وجل يقول : ﴿ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ فجعل الأمانة مؤداة. كما احتج من قال بأن العارية مضمونة بحديث أمية بن صفوان بن أمية عن أبيه أن النبي ﷺ استعار منه دروعا يوم خيبر فقال : أغصبا يا محمد، فقال : بل عارية مضمونة فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعا.

واحتجوا كذلك بحديث سمرة عن النبي ﷺ الذي يقول فيه : على اليد ما أخذت حتى تؤديه، ثم قال أبو عمر : وأما الصحابة فروي عن عمر وعلي أن لا ضمان في العارية، وروى عن ابن عباس وأبي هريرة أنها مضمونة (75).

---

(74) المغني 4 /5 ـــ 7 بتصرف.

(75) التمهيد 12 /38 ـــ 44 بتصرف.

والناظر في كلام ابن قدامة في هذا الموضوع يلحظ ذكرا لجميع هذه المعاني، وان اختلف الترتيب كما هو الشأن بين الفقهاء المحدثين : يقول الشيخ الموفق : ويجب رد العارية ان كانت باقية بغير خلاف ويجب ضمانها إذا كانت تالفة، تعدى فيها المستعير أو لم يتعد، روى ذلك ابن عباس وأبو هريرة وإليه ذهب عطاء الشافعي واسحق.

وقال الحسن والنخعي والشعبي وعمر بن عبد العزيز والثوري وأبو حنيفة، ومالك والأوزاعي وابن شبرمة : هي أمانة لا يجب ضمانها إلا بالتعدي، لما روى عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال : «ليس على المستعير غير المغل ضمان»، ولأنه قبضها بإذن مالكها، فكانت أمانة كالوديعة قالوا : وقول النبي ﷺ : «العارية مؤداة» يدل على أنها أمانة لقول الله تعالى : ﴿ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾.

ولنا قول النبي ﷺ في حديث صفوان : «بل عارية مضمونة» وروى الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ أنه قال : «على اليد ما أخذت حتى تؤديه» رواه أبو داود والترمذي، وقال : حديث حسن غريب، ولأنه أخذ ملك غيره لنفع نفسه، منفردا بنفعه من غير استحقاق، ولا إذن في الاتلاف، فكان مضمونا كالغاصب، والمأخوذ على وجه العموم [76].

وهناك كثير من الأمثلة المشابهة لما ذكرنا، والتي بدورها جميعا تؤكد لنا حقيقة واحدة، هي : أن هذا التلاقي الفكري والحضاري والثقافي لا يمكن أن يكون محض صدفة، بقدر ما هو دليل على الربط الحضاري الذي يؤكد الصلة بين علماء المغرب وبين علماء المشرق، بغض النظر عن الزمان والمكان مما كان له أكبر الأثر في صمود هذه الرسالة في وجه جميع التيارات المنافسة والمعاكسة، التي حاولت وما زالت تحاول تفتيت عضد هذه الأمة من خلال بث بذور الفرقة والخلاف بين أبناء المغرب وبين أبناء المشرق، فهي في نظر الأعداء ـــ وقد تكون حقا ـــ الكلمة الفصل في حياة هذه الأمة.

---

(76) المغني 221/5.

الموفق وابن حزم

ابن حزم الأندلسي هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبو محمد أصله من الفرس، وجده الأقصى في الاسلام اسمه يزيد مولى ليزيد بن أبي سفيان [77].

وقد اختلف المؤرخون في نسب ابن حزم [78] فذهب البعض إلى كونه فارسي الأصل في حين ذهب آخرون إلى كونه من أصل أندلسي نصراني، وقد رجح العلماء أصله الفارسي بأدلة اعتمدوها. قال صاعد : كتب إلي أبو محمد بن حزم يقول بخطه : ولدت بقرطبة في الجانب الشرقي في ربض «منية المغيرة» قبل طلوع الشمس، وبعد سلام الامام من صلاة الصبح، آخر ليلة الأربعاء، آخر يوم من شهر رمضان المعظم، وهو اليوم السابع من نوفمبر سنة أربع وثمانين وثلاثمائة [79]. ونقلت من خط ابنه أبي رافع أن أباه توفي رحمه الله عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان، سنة ست وخمسين وأربعمائة، فكان عمره رحمه الله احدى وسبعين سنة وعشرة أشهر وتسعة وعشرين يوما [80].

كان والده أبو عمرو أحمد بن سعيد بن حزم أحد العلماء من زوراء المنصور محمد بن أبي عامر، ووزراء ابنه المظفر بعده، بينما كان أبو محمد وزيرا لعبد الرحمن المستظهر بالله، ثم نبذ السياسة وأقبل على دراسة العلوم وتقييد الآثار والسنن، وقد كان رحمه الله كما قال القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد : «أجمع أهل الأندلس قاطبة، لعلوم الاسلام، وأوسعهم معرفة مع توسع في علم اللسان» [81].

ولم يقتصر ابن حزم في دراسته على علوم الشريعة، بل تعداها إلى غيرها، لتجعل منه جميعا موسوعة علمية ثقافية، تنبع أصلا من الكتاب والسنة، مع عدم الاعتماد على أي بشر آخر مهما كانت مكانته العلمية أو الدنيوية، فدرس المنطق

(77) بغية الملتمس ص : 415. الصلة 2 /415. حجج الأدباء 12 /235.

(78) راجع تفصيل ذلك في ابن حزم وموقفه من الالهيات ص : 18—31.

(79) سير أعلام النبلاء 18 /185، وذكر في معجم الأدباء أنه ولد سنة 383 هـ.

(80) الصلة 2 /417. معجم الأدباء 12 /237.

(81) سير أعلام النبلاء 18 /187. الصلة 2 /416.

والفلسفة وعلم الكلام والأخلاق وعلم النفس والملل والنحل وألف فيها حتى وصفه بعض الغربيين بأنه «مؤسس علم الأديان المقارن» (82).

كما وضع المؤلفات في الأدب العاطفي والشعر، والرد على أهل القياس والتقليد والعلل، وغيرها من العلوم التي ألف فيها، وأثبت العلماء نسبتها إليه، وقد امتلأت بالعبارات النابية، والأساليب العنيفة، في نقد أقاويل خصومه، ودحض حجج معارضيه، ولعل هذا ما حدا بعض المؤرخين إلى القول بأن لسان ابن حزم وسيف الحجاج كانا شقيقين (83).

ولم يكن المذهب الظاهري في حياة ابن حزم عقيدة ملازمة له منذ طفولته، فقد ابتدأ دراسته للفقه بعد أن بلغ السادسة والعشرين من عمره، وكان لا يدري كيف يجبر صلاة من الصلوات (84). وفي يوم من الأيام شهد جنازة لرجل كبير من اخوان أبيه، فدخل المسجد قبل صلاة العصر والخلق فيه، فجلس ولم يركع، فقال له أستاذه ــ يعني الذي رباه ــ بإشارة : أن قم فصل تحية المسجد، فلم يفهم، فقال له بعض المجاورين له : أبلغت هذا السن ولا تعلم أن تحية المسجد واجبة ؟ قال : فقمت وركعت وفهمت إذا اشارة الأستاذ إلى بذلك، قال : فلما انصرفنا من الصلاة على الجنازة إلى المسجد مشاركة للأحباء من أقرباء الميت دخلت المسجد فبادرت الركوع، فقيل لي : اجلس اجلس، ليس هذا وقت صلاة، فانصرفت عن الميت وقد خزيت، ولحقني ما هانت علي به نفسي، وقلت للاستاذ : دلّني على دار الشيخ الفقيه المشاور أبي عبد الله بن دحون، فدلني فقصدته من

---

(82) ابن حزم / زكريا ابراهيم ص : 118.

(83) سير أعلام النبلاء 18 /199. وفيات الأعيان 3 /328. ابن حزم / زكريا ابراهيم ص : 41.

(84) سير أعلام النبلاء 199/18. معجم الأدباء 241/12ــ242. تاريخ الفكر الأندلسي ص : 215. هذا ويشكك بعض الكتاب أمثال أبي زهرة في صحة هذه الرواية فيقول : (ان الخبر في ذاته يحمل بطلان أن يكون ابن حزم في هذا السن وذلك لأنه ذكر أن مربيه وأستاذه قد صحبه وقد أشار إليه بذلك، ومن كان في السادسة والعشرين، وبلغ مرتبة الوزراء لا يذكر الناس من يشير إليه على أنه مربيه. ومن المعقول أو القريب من المعقول أن يكون ذلك هو سن السادسة عشرة من عمره، وأن يكون في الكلام تصحيف من النساخ، وقد كتبوا بدل العشر عشرين، وهذا رأي معقول، والقلب إليه يميل، لحداثة سنه، وبداية خروجه من حجورالنساء اللواتي نشأ بينهن طيلة فترة طفولته إلى سن البلوغ) انظر ابن حزم / لأبي زهرة ص 33ــ34 وابن حزم وموقفه من الالهيات ص : 49.

ذلك المشهد، وأعلمته بما جرى فيه، وسألت الابتداء بقراءة كتاب واسترشدته فدلني على كتاب الموطأ لمالك بن أنس رضي الله عنه، فبدأت به عليه قراءة من اليوم التالي لذلك اليوم، ثم تابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام، وبدأت بالمناظرة (85).

وجاء في تذكرة الحفاظ، أن بعض معاصريه قال: بينما نحن ببلنسية ندرس المذهب ــ أي المالكي ــ إذ بأبي محمد بن حزم يسمعنا ويتعجب، ثم سأل الحاضرين عن شيء من الفقه أجيب عنه، فاعترض فيه، فقال له بعض الحاضرين: هذا ليس من منتحلاتك، فقام وقعد، ودخل منزله وعكف ووكف منه وابل فما كف، وما كان بعد أشهر حتى قصدنا إلى ذلك الموضع، فناظر أحسن مناظرة،وقال فيها: أنا أتبع الحق وأجتهد، ولا أتقيد بمذهب (86).

ويحتمل أن يكون قد حصل هذا بعد انقطاع ابن حزم الأول، ودراسته مدة ثلاث سنوات لأنه لا يتصور في شخص ــ مهما كان ذكاؤه ــ أن يناظر ويجتهد، ويدافع وينافح عن وجهة نظره بطريق شرعي، لا غبار عليه في مدة وجيزة تعد بالأشهر، والاحتمال قوي في أن دراسته الأولى لمذهب الامام مالك من خلال موطئه، ساقته إلى دراسة بعض ما كتبه الامام الشافعي حول آراء مالك في الأصول والفروع، ويظهر أنه اقتنع بوجهة نظر الشافعي، الأمر الذي حمله على التحول من المذهب المالكي إلى المذهب الشافعي ــ مع كون الشافعيين في الأندلس قلة... ــ لما في هذا المذهب من كثرة الاعتماد على النصوص وربط الأحكام بها، اضافة إلى موقف الشافعي المتشدد في موضوع الاستحسان والمصالح المرسلة وغيرها من الأدلة المختلف فيها، والتي يرى فيها الشافعي فتحا لباب الهوى، وتشريعا من غير نص ولا دليل، وليس ببعيد أن يكون ابن حزم استفاد من رأي الشافعي في ابطال الاستحسان، واستعمله في ابطال القياس والتدليل والتأويل والتقليد والرأي، وهو الأساس الذي بنى عليه ابن حزم مذهبه الظاهري، ونافح عنه بكل قوة وبلاغة وعلم ومنطق، حتى ان أتباع هذا المذهب عرفوا فيما بعد باسم «الحزمية» نسبة إلى ابن حزم.

---

(85) المراجع السابقة أعلاه.

(86) تاريخ المذاهب الاسلامية 2 /366. سير أعلام النبلاء 18 /191.

وقد ساهم أساتذة ابن حزم في اذكاء روح النزعة الظاهرية عنده، حيث كان أستاذه أبو الخيار ومسعود بن سليمان بن صفلت المتوفى سنة 426 هـ، حر الفكر، لا يتقيد بمذهب، ولا يختلف منهجه عن منهج داود الظاهري، وهذا قد يفسر لنا ماذكره أبو مروان ابن حيان من كون ابن حزم يحمل علمه هذا ويجادل من خالفه فيه على استرسال في طباعه وبذل بأسراره، واستنادا على العهد الذي أخذه الله على العلماء من عباده، ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾[87] فلم يك يلطف صدعه، بما عنده بتعريض، ولا يرقه بتدريج، بل يصك به معارضه صك الجندل، وينشقه متعلقه انشاق الخردل، فنفر عنه القلوب، وتوقع به الندوب، حتى استهدف إلى فقهاء وقته، فتمالؤوا على بغضه، ورد أقواله فأجمعوا على تضليله وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه، والأخذ عنه، وطفق الملوك يقصونه عن قربهم، ويسيرونه عن بلادهم إلى أن نتهوا به منقطع أثره، بتربة بلدة من بادية لبلة [88].

بينما يرى الدكتور عبد الكريم خليفة في كتابه عن ابن حزم أن أسلوبه يتلون بالطابع العلمي في كتبه التي دونها، ويتلون بالطابع الأدبي أحيانا، فنجد طابع النثر الفني واضحا في رسالة «طوق الحمامة» وفي رسائل أخرى كتبها، يتجلى حديث النفس للنفس لا تكلف فيه ولا تصنع، ودائما تجد في كتاباته دقة الفهم، وجودة الاستنباط، وبراعة التحليل، في اطار الحوار المضبوط والمناقشة الدقيقة [89].

وقد كان لدراسة المنطق أثر ملحوظ في قوة الخصومة عند ابن حزم ضد معارضيه وبرهانا ولا ينضب معينه، يستمد منه الحجج والبراهين، وإذا ما علمنا بأن ابن حزم استطاع ان يوفق بين نزعته الفلسفية ــ من خلال دراساته وتآليفه ــ وبين النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وأن يسخر المنطق لخدمة الفقه والعلوم الدينية بصورة عامة، فإننا نستطيع أن نقف على أسباب جديدة لقوة هذا الرجل الجدلية، التي كان لسانه فيها كسيف الحجاج على رقاب مخالفيه، وأن لا نستهين بمؤلفاته التي شهد له في بعضها سلطان العلماء العز بن عبد السلام المتوفى سنة 660هـ، كما شهد للموفق في كتابه المغني.

---

(87) آل عمران آية رقم 187.

(88) معجم الأدباء 12 /248.

(89) ابن حزم / خليفة ص : 142.

وإذا كان ابن حزم رائد طريقة جديدة، تقوم على أساس محاولة الاستفادة من المنطق في خدمة علوم الشريعة، فإنه أصبح فيما بعد نموذجا يحتذيه العلماء من بعده، وليس ما قام به الامام الغزالي في كتابه المستصفى من الاستدلال على الامثلة المنطقية بمسائل فقهية إلا خير دليل وشاهد على ذلك.

يقول الدكتور زكريا ابراهيم «من المؤكد أن اشتغال ابن حزم بالمنطق قد صدر في جانب كبير منه، عن رغبته الدفينة في خدمة الكلام والدراسات الدينية — كما لاحظ المستشرق المجري جولد تسهر — فلم يكن من الغرابة في شيء أن يستمد معظم أمثلته المنطقية من الفقه : كما سيفعل من بعد الامام الغزالي في كتابه المستصفى» (90).

ويظهر أن هذا الأسلوب الذي ابتكره ابن حزم، وقلد فيه الغزالي كان مثار اعجاب الشيخ الموفق الذي قدم لكتابه الروضة في الأصول بمقدمة منطقية، تأسيا بما فعله الامام الغزالي كما ونجد ابن قدامة ينقل بعضا من أشعار ابن حزم مما يتعلق بمكارم الأخلاق، يقول الذهبي : أنشدنا أبو الفهم بن أحمد السلمي، أنشدنا ابن قدامة، أنشدنا ابن البطي، أنشدنا أبو عبد الله الحميدي أنشدنا أبو محمد علي بن أحمد لنفسه :

لا تشمتن حاسدي ان نكبة عرضت ... فالدهر ليس على حال بمترك
ذو الفضل كالتبر طورا تحت صيفعة ... وتارة في ذرى تاج على ملك (91)

ولعلنا نكون بهذا قد اهتدينا على أول حلقات الوصل، التي تربط بين ابن قدامة المشرقي وبين ابن حزم الأندلسي، والتي يحتل فيها الامام الغزالي حلقة الوصل بين فترتين زمنيتين متباعدتين. وإذا أضفنا إلى ذلك ما يكنه الشيخ الموفق من الاحترام والتقدير لكل من يلتزم بالنصوص الشرعية في الاستدلال، وما ورد من احترام ابن حزم وتقديره لمسند أحمد بن حنبل، واعتماده كمصدر من مصادره المعتمدة

---

(90) ابن حزم / زكريا ابراهيم ص 112. ويذكر الدكتور عبد الرحمن خليفة أن غرض ابن حزم من استشهاده على المنطق بأمثلة فقهية هو القضاء على الرموز التي استعملها المنطقيون السابقون، وصعب على معظم الناس وعامتهم فهمها، فكانت هذه الأمثلة في مستوى يفهمه الجميع، العام والخاص، والجاهل والعالم) أنظر ابن حزم /خليفة ص 139 بتصرف.

(91) سير أعلام النبلاء ج 18 /208. معجم الأدباء 12 /245.

لديه، فإننا ندرك مدى التقارب الذي يجمع بين الرجلين، ويجعل منهما امامين في فن الخلاف، الذي توجاه بكتابي «المحلى» و «المغني».

ومع كون كل واحد منهما اماما في القرآن وتفسيره، وفي الحديث وعلومه، والانساب وتراجم الرجال واللغة والآداب، إلا أن هناك مفارقات كثيرة تفصل بينهما، من الناحية الشخصية ومن الناحية المذهبية، وهذه المفارقات هي التي أوجدت حدا فاصلا بين المذهبين الحنبلي والظاهري من حيث الجملة.

أما من حيث التفصيل فإننا سنشير إلى مواقف الرجلين في أهم القضايا التي تحمل تباينا في وجهات النظر، سواء كان ذلك في قضايا العقيدة أو المنطق أو طرائق الاستدلال، أو ما يجوز به الاستدلال وما لا يجوز.

وبعد هذا فإنه ليس بوسعنا إلا أن نقر بالعلاقة التي تربط بين ابن حزم الظاهري وبين ابن قدامة الحنبلي، بل وتوضح مدى احترام الشيخ الموفق للمذهب الظاهري الذي يمثله ابن حزم أيما تمثيل، فنجد الشيخ الموفق غاضا الطرف عن المقولة الداعية إلى عدم النظر في فقه الظاهرية (92) فنراه يسوق آراءهم في المسائل ويناقشها مثلما يفعل مع المذاهب الأخرى. ودون تمييز أو تفريق، مما يشعرك بأن الشيخ الموفق يعتبر ابن حزم ممثلا لمذهب من المذاهب الاسلامية، على قدم المساواة مع المذاهب المعمول بها أو تلك التي ماتت بموت صاحبها. وفي هذا ما فيه، من النظرة الشمولية التي جرى عليها العمل عند الشيخ الموفق، وفاق فيها غيره من العلماء ومن ضمنهم ابن حزم الذي لم يخف نقمته على مجتمعه من جراء مالاقاه من حرق لكتبه وسعاية عن الحكام ضده، ودعوة للناس لمنابذته وهجران مؤلفاته.

(92) يقول الذهبي : (وقد حط أبو بكر بن العربي على أبي محمد في كتاب «القواصم والعواصم»، وعلى الظاهرية فقال : هي سخيفة، تسورت على مرتبة ليست لها، وتكلمت بكلام لم نفهمه، تلقوه من اخوانهم الخوارج حين حكم علي رضي الله عنه يوم صفين، فقال : لا حكم إلا لله، وكان أول بدعة لقيت في رحلتي القول بالباطن، فلما عدت وجدت القول بالظاهر، قد ملأ به المغرب سخيف من بادية اشبيلية، يعرف بابن حزم.... خرج عن طريق المشبهة في ذات الله وصفاته، فجاء فيه بطوام..... فيجب أن يتحققوا أنهم ليس لهم دليل، وإنما هي سخافة في تهويل، فأوصيكم بوصيتين : أن لا تستدلوا عليهم، ولا تطالبوهم بدليل) وقد رد عليه الذهبي واعتبر هذا تحاملا على شيخ أبيه مع أنه لم يصل إلى درجته، وجاء بكلام في غاية الجودة والصواب، راجع سير أعلام النبلاء 11 /188 ــ 190.

ومع أن كلا منهما استطاع أن يشق طريقه بين العلماء، وأن يثبت وجوده العلمي، وتفوقه الخلافي، من خلال ما اتصف به من جودة التأليف، واعتماد الرواية، وقوة الحجة والبرهان، إلا أن هذا لم يكن حدا يحول دون اختلافهما في مسائل ذات بال، وذلك بسبب ما تعرض له كل منهما من مؤثرات علمية واجتماعية وسياسية، أعطت لكل منهما الصبغة النهائية لمذهبه الاعتقادي، ورأيه الفقهي، ومرتكزاته في الفتيا واصدار الأحكام الشرعية، واليك بعض هذه المفارقات.

1. باب العقيدة :

يتفق ابن حزم مع أهل السنة والجماعة في أن الله عز وجل ليس في مكان ولا زمان محدودين لقوله تعالى : ﴿ألا انه بكل شيء محيط﴾ [93] فهذا يوجب ضرورة أنه تعالى لا في مكان، إذ لو كان في المكان، لكان المكان محيطا به من جهة ما، أو من جهات، وهذا منتف عن الباري تعالى بنص الآية المذكورة [94] وتعرض ابن حزم للزمان والمكان والجسمية والعرضية والحركة والسكون ونفاها جميعا عن الله عز وجل، مع اثباته الماهية والأنية له سبحانه. ومن حقنا أن نسأل ابن حزم عن هذه المصطلحات، وهو يزعم بأنه لا يأخذ إلا بالنصوص، ولا يعمل إلا بظاهرها، فأين هي النصوص القرآنية أو الحديثية التي وردت في الكتاب أو السنة. وتشير إلى هذه المفاهيم التي أثبتها لله عز وجل ؟ وكان من الأليق بابن حزم أن لا ينفي عنه تعالى ما لم ينفه عن نفسه، ولم ينفه عنه رسوله ﷺ ولا صحابته، لأن التوحيد بهذا النفي لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة ولو التزم مذهبه لما نفى عن الله عز وجل ما لم ينفه عن نفسه» [95].

---

(93) فصلت آية رقم (54).

(94) الفصل في الملل والأهواء والنحل 2 /125. المحلى 1 /29. وقد عرف ابن حزم الزمان بأنه «مدة وجود الجرم ساكنا أو متحركا» وقسمه إلى ثلاثة أقسام أحدها : مقيم وهو الذي يسميه النحويون فعل الحال ثم ماض ثم آت وهو الذي يسميه النحويون الفعل المستقبل. كما عرف المكان فقال : المكان لا يكون إلا جرما، لا يجوز غير ذلك، وإنما تركب المكان من جرم أضيف إلى جرم، بمعنى أنه لاقى أحد سطوح المكان أحد سطوح المتمكن أو بعضها أو جمعها، على حسب تمكن المتمكن من المكان. ولذلك كان الخلاء باطلا حيث هو مكان لا متمكن فيه، إذ المكان والمتمكن من باب الاضافة فلا يكون متمكن إلا في مكان، ولا مكان إلا لمتمكن» راجع التقريب ص : 61 ــ 64.

(95) ابن حزم وموقفه من الالهيات ص : 175.

كما يتفق معهم في القول بأن القرآن غير مخلوق قولا قاطعا جازما، وان كان في ذلك يخالف مؤسس المذهب الظاهري داود بن علي بن خلف (96) وبالجملة فهو يتفق مع أهل السنة في كون الله عز وجل مغايرا لجميع خلقه ومخلوقاته، يقول في التقريب : «أما الباري عز وجل فخلاف لخلقه كله، من كل وجه، لا تماثل بينه تعالى وبين جميع خلقه، ولا بينه تعالى وبين شيء من خلقه، بوجه من الوجوه البتة» (97).

بينما لا يتفق مع أهل السنة فيما يتعلق بموضوع الصفات، حيث يرى أن لفظ الصفات محال ولا يجوز اطلاقه على الله عز وجل لأن الله لم ينص في كلامه المنزل على لفظة الصفات، ولا على لفظ الصفة، ولا حفظ عن النبي ﷺ بأن لله تعالى صفة أوصفات، ولا جاء ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولا عن أحد من خيار التابعين، ولا عن أحد من خيار تابعي التابعين، ومن كان هكذا فلا يحل لأحد أن ينطق به، ولو قلنا أن الاجماع قد يتفق على ترك هذه اللفظية لصدقنا، فلا يجوز القول بلفظ الصفات ولا اعتقاده، بل هي بدعة منكرة، قال تعالى : ﴿ان هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ (98). ويعتمد ابن حزم في رأيه هذا على ثلاثة أمور هي :

أ. اللغة : فهو يرى بأن الصفة في اللغة واقعة على عرض في جوهر، لا على غير ذلك أصلا. ولذلك نراه يقول بأنه لا تعقل الصفة والصفات في اللغة التي بها نزل القرآن، وفي سائر اللغات، وفي وجود العقل، وفي ضرورة الحس إلا أعراضا محمولة في الموصوفين (99) وهو بهذا ينكر أن تكون أسماء الله مشتقة من صفات ذاته.

ب. أن أول من اخترع أو ابتدع هذا اللفظ هم المعتزلة، ولا تجوز متابعتهم عليه في ذلك.

---

(96) ابن حزم : خليفة ص : 115 وسير أعلام النبلاء 13 /101. ابن حزم وموقفه من الالهيات ص 203. المحلى 1 /32.

(97) التقريب ص : 70.

(98) سورة النجم آية رقم 23 انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل 2 /120—121. ابن حزم وموقفه من الالهيات ص : 189.

(99) الفصل في الملل والأهواء والنحل 2 /173.

ج. أنه لا يجوز أن نضع محل كلمة الصفة لفظ السمة أو النعت للدلالة على نفس المعنى، مع كون اللغة لا تفرق بين هذه الألفاظ.

وإذا قلنا بالمرتكزين الثاني والثالث، فإننا نخالف ابن حزم مرتكزه الأول، لأن ما ذكره خاص بالأعراض والجواهر الحادثة، ولا علاقة له بذات الله عز وجل، فالأعراض لها ما يناسبها، كما أن الذات العلية لها ما يليق بها من غير كيف ولا تشبيه ولا تعطيل، ومع كون ابن حزم يطبق مذهبه الظاهري في أمور الاعتقاد، إلا أن هذا أوقعه — في نظر المحدثين — فيما وقع فيه من اعترض عليهم من المعتزلة، فنفى الصفات كما نفوها، وذهب إلى أن ذات الله تعالى ليست غيره، وأن وجهه ليس غيره، وأن نفسه ليست غيره، وأن هذه الأسماء لا يعبر عنها إلا عنه تعالى، لا عن شيء غيره البتة، ولا يجوز أن يقال انه تعالى ذات ولا أنه وجه ولا أنه نفس، ولا أنه علم، ولا أنه قدرة، ولا أنه قوة (100).

ومع أن النتيجة واحدة عند ابن حزم والمعتزلة، إلا أن النظرة التي انطلق منها كل منهما — وان كانت تعتمد على الظاهر — فانها تختلف عن الأخرى، لكون ابن حزم لم يكن دافعه إلى هذا التنزيه إلا ما ذهب إليه من الظاهرية التي توجب عليه الوقوف عند حرفية النصوص، مع ايمانه بقصور العقل، واحترامه لقدسية الشريعة ومعانيها وألفاظها، وتقريره بأن الحقيقة الالهية، والنصوص الشرعية ظاهرة لاخفاء فيها، وقد خاطبنا الله بها، ونحن قادرون على فهمها وفق الظاهر منها، بينما المعتزلة قالوا بنفي الصفات من العلم والقدرة والارادة والحياة، لأن واصل بن عطاء كان يشرع فيها على قول ظاهر، وهو الاتفاق على استحالة وجود إلٰهين، قديمين أزليين، قال : ومن أثبت معنى وصفة فقد أثبت إلٰهين (101)، وكان مقصده من ذلك الوقوف في وجه الفرق التي تقول بالتعددية بصورة عامة، سواء كانت تنتسب إلى الاسلام أو إلى غيره. ومن المؤكد أن فكرة الصفات لم تكن ناضجة عند عطاء بن واصل، وذلك لما نراه من انتهاء نظرة بعض المعتزلة إلى مخالفة عطاء والقول : بأن جميع الصفات تندرج ضمن كونه تعالى «عالما قادرا»، ثم الحكم بأنهما صفتان ذاتيتان، هما اعتباران للذات القديمة كما قاله الجبائي (102). في حين أن المعلوم

(100) الفصل 2 /139، الأسماء والصفات 1 /67. نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام 1 /420.
(101) الملل والنحل 1 /57، نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام 1 /388.
(102) الملل والنحل 9 /58. نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام 1 /427.

عند أهل العلم أن المعتزلة متفقون على نفي صفات الله تعالى من العلم والقدرة، وعلى أن القرآن محدث ومخلوق وأن الله تعالى ليس خالقا لأفعال العباد (103).

وهم ينطلقون في نظرتهم هذه من منطلق الفلاسفة الذين يقولون : إن ذات الله واحدة، لا كثرة فيها ولا تعدد، ويرون في القول بأن الصفات تحمل معنى زائدا على الذات تعددا وازدواجا، يتنافى مع وحدانية الله عز وجل.

وعلى ما يبدو فإن عدم النضج في الفكرة لم يكن عند المعتزلة فحسب بل شاركهم فيه الامام ابن حزم، ويتضح لنا ذلك من خلال عدم ثباته على القول بنفي الصفات، فقد أثبتها في كتابه «الأصول والفروع» عند رده على الجهمية القائلة بخلق القرآن، فقال : «وكلام الله تعالى صفة قديمة من صفاته، ولا توجد صفاته إلا به، ولا تبين منه، وكلام الله لا ينفذ، ولا تنقطع ولا تفارق ذاته، والله عز وجل لم يزل متكلما ليس لكلامه أول ولا آخر، كما ليس لذاته أول ولا آخر، وجميع صفاته مثل ذاته، وقدرته وعلمه وكلامه ونفسه ووجهه مما يصف به نفسه في كتابه العزيز، كل هذه الصفات، غير مباينة منه تعالى، ولا متجزئة ولا نافذة، ولا منقطعة (104).»

ولعل هذا رأي ابن حزم ابتداء، قبل أن يطبق منهجه الظاهري ويؤلف كتابه الجامع «الفصل في الملل والأهواء والنحل» الذي يذكر فيه رأيه النافي للصفات بكل صراحة ووضوح.

وفي هذا يقف الامام ابن حزم على طرفي نقيض مع الشيخ الموفق الذي يرى أن الله عز وجل موصوف بصفات ذكرها في كتابه العزيز، أو أشار إليها الرسول عليه السلام في حديثه بما يقره العقل السليم، ويؤيده الشرع الحكيم، حيث أن الأسماء لا يمكن أن تكون مجردة من معانيها، فكانت أسماؤه تعالى مشتقة من أوصافه وأفعاله التي دلت عليها النصوص الشرعية، فبعد أن يسوق لنا الشيخ الموفق بعض آيات الصفات الواردة في كتاب الله، يحدد منهجه ويذكر رأيه في هذه الصفات قائلا : «فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت رواته، نؤمن به ولا نرده، ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا سمات المحدثين، ونعلم أن الله

(103) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص : 38.

(104) نقلا عن كتاب ابن حزم وموقفه من الالهيات ص : 202—203.

سبحانه لا شبيه له ولا نظير له، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وكلما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فالله بخلافه [105]». فالله عز وجل موصوف بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسانه نبيه عليه السلام، فكل ما جاء في القرآن أوصح في السنة من صفات الرحمن وجب الايمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل. وما أشكل من ذلك، وجب اثباته لفظا، وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله، اتباعا لطريق الراسخين، الذين أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم في كتابه المبين [106].

ونهج الموفق في هذا نهج السلف الصالح، من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم ممن لا يزيدون في هذه الصفات ولا ينقصون، ولا يتجاوزونها بتفسير أو تأويل بما يخالف ظاهرها، مع عدم تشبيهها بصفات المخلوقين، أو سمات المحدثين، بل يمروها كما جاءت، ويردوا علمها إلى قائلها، ومعناها إلى المتكلم بها، فما ورد عن النبي عليه السلام ولا عن أحد من سلفنا الصالح تفسيرها، وإنما سكتوا عن ذلك، فيجب أن يسعنا ما وسعهم، خاصة وأن الأمر يتعلق بالاعتقاد، فلا يجوز لنا أن نقول فيها شيئا إلا بأمر توقيفي، فإن لم يوجد ذلك كان عدم الكلام فيها أفضل وأولى، لأن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، فإذا قلنا لله تعالى يد وسمع وبصر، فإنما هو اثبات صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، ولا نقول إن معنى اليد القدرة، ولا أن معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول انها جوارح ولا نشبهها بالأيدي والاسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات فعل [107].

وقد نقل ابن تيمية عن أبي عمر بن عبد البر «امام المغرب والأندلس» دعوى اجماع أهل السنة على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والايمان بها، وحملها على الحقيقة لا المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة [108].

---

(105) الرد الوافر /عقيدة ابن قدامة ص : 554.

(106) الرد الوافر / عقيدة ابن قدامة ص : 552. اجتماع الجيوش الاسلامية ص : 116.

(107) الرد الوافر /ذم التأويل لابن قدامة ص : 569. اجتماع الجيوش الاسلامية ص : 101 والمنتقى من منهاج الاعتدال ص : 84، 109.

(108) مجموع الرسائل الكبرى 1 /452، 453. ابن حزم وموقفه من الالهيات ص : 302.

ويقسم أهل السنة صفات الله عز وجل إلى صفات اختيارية وصفات فعلية. أما الاختيارية فهي التي يتصف بها الله عز وجل وتقوم بذاته بمشيئته وقدرته مثل كلامه وسمعه وبصره وارادته ومحبته ورضاه، ورحمته وغضبه وسخطه، وخلقه واحسانه وعدله، واستوائه ومجيئه ونزوله.

أما الفعلية فكالخالق والرازق والباعث والوارث، والمحيي والمميت، وقد أشار إلى مثل هذا أئمة السنة كأبي عبد الله ابن منده، وأبو بكر عبد العزيز، وعبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل، والامام البخاري، وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم من الأئمة (109).

ويفرق الأحناف بين الحلف بصفات الذات وبين الحلف بصفات الفعل كما يشير إلى ذلك النشار (110).

وذكر ابن الوزير: أن من الأسماء التي ادعى صحتها ابن حزم، السيد، السبوح، الحق، الوتر، الدهر، المسعر، المحسن، المحسان، الجميل، الرفيق، الشافي، المعطي، ولم ينسبها إلى حديث أبي هريرة لكن تتبعها من أحاديث متفرقة (111) كما صحح ابن ماجة منها السيد والسبوح، الجميل، المحسان، المسعر، القابض، الباسط، الشافي، المعطي، الدهر، ثم قال بعد سردها : وكثير منها صحيح المعنى بالاجماع، فلا بأس بالحاق المجمع عليه منها بما في القرآن، لما تقدم من حديث ابن مسعود من قوله ﷺ. أو علمته أحدا من خلقك (112).

وميزان أهل السنة في الأسماء ينطلق من قوله تعالى : ﴿ولله المثل الأعلى﴾ (113) ويقولون : ان معنى ذلك كما يشير إليه أهل اللغة والتفسير، هو الوصف الأعلى، ولا يتعارض هذا مع قوله تعالى ﴿سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ (114) لأنه لم ينزه ذاته عن الوصف مطلقا، حتى يعم الوصف الحسن، وإنما ينزه عن وصفهم له بالباطل والقبح (115).

(109) الأسماء والصفات 1 /122، 165. اجتماع الجيوش الاسلامية ص : 76. ابن حزم وموقفه من الالهيات ص : 219 (بتصرف).

(110) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام 1 /232.

(111)، (112) ايثار الحق على الخلق ص : 162 ـــ 163. وذكر ابن حزم أنه تقصى تلك الأسماء بالأسانيد الصحاح في كتابه (الايصال).

(113) سورة النحل رقم الآية 60.

(114) سورة الأنعام آية رقم 100.

(115) ايثار الحق على الخلق ص : 175.

ولاشك أن أسماء المدح التي تطلق على العباد على وجه يستلزم النقص فإنها تطلق على الله عز وجل على وجه يستلزم الكمال، مجردة عن نقائص المخلوقين، وذلك كصفات العلم والقدرة والرحمة والحياة وغيرها.

ويقول الامام البخاري : «سمعت نعيم بن حماد الخزامي (شيخه) يقول : من شبه الله تعالى بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله تعالى به نفسه ولا رسوله عليه السلام تشبيها» (116).

واستنبط السلف من هذه الآية نفي التشبيه بتعظيم الأسماء الحسنى واثباتها، ولا بنفيها كما قالت القرامطة.

ومن هنا، فان مذهب أهل الحديث جاء وسطا بين الافراط والتفريط، فلا ينفون الصفات بحيث يكونون كالمعطلة، ولا يجعلون الصفات غير الذات كما تفعل المشبهة والمجسمة، فجاء رأيهم خيرا بين شرين، وسلامة بين خطرين، مع أن مقصد النفاة والمثبتين هو تنزيه الله عز وجل عن الشريك أو الشبه بالمخلوقات، ويوضح الشهرستاني السبب الذي ألجأ المحدثين إلى البحث في هذا الموضوع فيقول : «ان السلف من أصحاب الحديث، لما رأوا توغل المعتزلة في علم الله ومخالفة السنة، التي عهدوها من الأئمة الراشدين، ونصرهم جماعة من بني أمية على قولهم بالقدر، وجماعة من بني العباس على قولهم بنفي الصفات وخلق القرآن، تحيروا في مذهب أهل السنة والجماعة في متشابهات آيات الكتاب وأخبار النبي ﷺ. فأما أحمد بن حنبل وداود ابن علي الأصفهاني وجماعة من أئمة السلف، فجروا على منهج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث، مثل مالك بن أنس، ومقاتل بن سليمان، وسلكوا طرق السلامة، فقالوا : نؤمن بما ورد في الكتاب والسنة، ولا نتعرض للتأويل، بعد أن نعلم قطعا أن الله عز وجل لا يشبه شيئا من المخلوقات (117).

ويذكر البغدادي أن فرقة «الصفاتية» من أهل السنة والجماعة، تشارك الفقهاء من أهل الرأي والحديث في رفض التشبيه والتعطيل، ورفض بدع الرافضة والخوارج والجهمية، وسائر أهل الأهواء الضالة (118).

---

(116) اجتماع الجيوش الاسلامية ص : 137.

(117) الملل والنحل 1 /137.

(118) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام 1 /259.

ومع ملاحظتنا الاتفاق في وجهة النظر بين أحمد بن حنبل وداود الأصفهاني مؤسس المذهب الظاهري إلا أن ابن حزم لم يلتزم بما وضعه داود الظاهري، وقال بنفي الصفات كما ذكرنا من قبل، مما يضفي على هذه المسألة المهمة، ذات العلاقة بالعقيدة، شبح الاختلاف بين ابن حزم وبين الشيخ الموفق.

وللاطلاع على وجهة نظر كل من الفريقين، فإننا سنختار مسألة الاستواء للحديث عنها كمثال على ذلك.

فأما ابن حزم، فإنه بعد أن يأتي بالأدلة على فساد رأي المجسمة والمعطلة والمعتزلة والمؤولة، التي تقول بأن الاستواء بمعنى الاستيلاء، وفساد رأي القائلين بأن الاستواء ينفي عن الله عز وجل الاعوجاج الذي هو عكس الاستواء، يقرر أن معنى الاستواء المذكور في الآيات الكريمة، إنما يقصد به الانتهاء، أو انتهاء الخلق إليه، بمعنى أن العرش هو آخر مخلوقات الله، وليس وراءه خلق، وهو نهاية جرم المخلوقات، فليس خلقه خلاء ولا ملاء، ثم يستدل على رأيه هذا بما يلي :

أ. حديث الرسول عليه الصلاة والسلام حين ذكر الجنات وقال : فاسألوا الله الفردوس الأعلى، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوق ذلك عرش الرحمن»، فصح أنه ليس وراء العرش خلق.

ب. اللغة تؤيد وقوع معنى الانتهاء على الاستواء بدليل قوله تعالى : ﴿فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما﴾، (119) أي فلما انتهى إلى القوة والخير، ثم يقول بعد ذلك. «وهذا هو الحق، وبه نقول، لصحة البرهان به، وبطلان ما عداه» (120).

وأما ابن قدامة، فإنه يقف من هذه المسألة موقف من سبقه من السلف الصالح. فلا يؤول، ولا يفسر، لا باللغة ولا بالرأي، وإنما يقول بما قال به القرآن، دون تشبيه أو تكييف، وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال، فالله بخلافه، فهذا ونحوه، مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا إلى رده وتأويله، ولا تشبيهه ولا تمثيله. ثم أشار إلى ما نقل عن محمد بن الحسن من قوله :

---

(119) سورة يوسف آية رقم 22.

(120) الفصل في الملل والأهواء والنحل 2 /125 بتصرف. ابن حزم وموقفه من الالهيات ص : 336.

مركز تحقيقات کامپیوتری علوم اسلامی

اتفق الفقهاء كلهم، من الشرق إلى الغرب، على الايمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفات الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه [121].

ويتضح مما سبق أن منهج ابن قدامة في تعامله مع الأسماء والصفات أقوم وأضبط وأكثر التزاما من مذهب ابن حزم، الذي يمكن أن يشتم منه التحديث حين يقول بأن آخر مخلوقات الله هو العرش وليس بعده خلاء ولا ملاء وهذا في حقيقته اجتهاد وليس نص، كما أنه استعمل المعنى اللغوي المذكور للعبد وطبقه على الذات الالهٰية. وهو مع أخذه بالظاهر في الأحكام والاعتقاد، إلا أنه في هذه الألفاظ المتشابهة، يرى بذوقه وعلمه بأساليب العرب، أنه لا يراد بالوجه غير الذات، كذلك يفسر اليد في قوله تعالى : ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ [122] بقوله : الله فوق أيديهم، وفي قوله : ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ [123] الله ينفق كيف يشاء وهكذا [124].

ويصور لنا انخل بلنثيا مذهب ابن حزم في الالهٰيات أجمل تصوير فيما ينقله عن أستاذه آسين بلاثيوس، فيقول : «اجتهد أن يطبق على الالهٰيات أصول المذهب الظاهري الذي اعتقده، متبعا في ذلك قواعد عامة، أوجزها الأستاذ آسين بلاثيوس فيما يلي : الأخذ بالمعنى الحرفي «الظاهر» للفظ القرآن و «الاجتهاد» في تفسير الآية تفسيرا عقليا طبيعيا، اجتهادا يقوم على ما ورد في معاجم اللغة من معاني الألفاظ، وما قرره اللغويون من قواعد العربية وأصولها، والتزم ما أجمعت عليه الأحاديث الموثوق فيها، مما سنده عن الصحابة أو ما قرره «اجماع» المسلمين، وذلك دون «تقليد» لرأي أي مذهب معين [125]».

ويرفض ابن قدامة هذا الأسلوب في التعامل مع صفات الله عز وجل، لكونه يرى بأن صفات الله لا يمكن أن تدرك بالعقل ــ الذي لا يتصور إلا ما يرى ــ

---

(121) الرد الوافر / عقيدة ابن قدامة ص : 554، 568.

(122) سورة الفتح آية رقم 10.

(123) سورة المائدة آية رقم 64.

(124) تاريخ المذاهب الاسلامية 2 /393. ابن حزم وموقفه من الالهٰيات ص : 307. ويشير إلى أن ابن حزم يفسر اليد بمعنى النعمة أيضا.

(125) تاريخ الفكر الأندلسي ص : 219 ــ 220.

والله عز وجل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، ولا نظير له ولا شبيه، كما يرى أن حمل اللفظ على أحد معانيه من غير تعين يحتمل الخطأ، فيحمل على غير مراد الله عز وجل ويوصف الله بغير ما وصف به نفسه، ويسلب عنه صفة وصف بها قدسه، ورضيها لنفسه، فيجمع بين الخطأ من هذين الوجهين، وبين كونه قال على الله ما لم يعلم، وتكلف ما لا حاجة إليه، ورغب عن طريق رسول الله ﷺ وصحابته، وسلفه الصالح، وركوبه طريق جهم وأصحابه من الزنادقة (126).

2. التأويل :

يقوم مذهب ابن حزم كما هو شأن سلفه في المشرق على رفض تأويل النصوص، سواء في مجال الفقه أو في مجال العقيدة، يقول الدكتور زكريا ابراهيم : «فقد رأيناه يحكم المبادىء الظاهرية في مناقشته الجدلية لعقائد اليهود والنصارى، وغيرهم من فرق المسلمين، خصوصا في رفضه لمبدأ تأويل النصوص، اقتناعا بأن كلام الله تعالى، واجب أن يحمل على ظاهره، ولا يحال عن ظاهره البتة، اللهم إلا أن يأتي نص أو اجماع أو ضرورة حس، على أن شيئا منه ليس على ظاهره، وأنه قد نقل عن ظاهره إلى معنى آخر، فالانقياد عندئذ واجب لما يوحيه ذلك النص والاجماع والضرورة (127)».

ويقول الدكتور ممدوح حقي في مقدمة كتاب «حجة الوداع» لابن حزم في وصف طريقته في معالجة المواضيع بوضوح وصراحة : انه لا يؤول كالباطنية، ولا يقيس كالحنفية، ولا يكني ولا يوري ولا يغمغم، بل يمشي قدما واضحا صريحا، لا يحمل اللفظ أكثر مما يطيق من معنى ولا يدعي دعوى إلا أرفقها بشاهدها وأيدها بمروي متسلسل الاسناد... (128).

فإن ابن حزم إذن لا يقول بالتأويل انطلاقا من مذهبه القائل بوجوب العمل بظاهر المعاني والنصوص، وذلك لما في ذلك من احترام وتقدير للنص، ما لم توجد قرينة من نص أو اجماع أو ضرورة تنقل المعنى الظاهر إلى معنى آخر، كما ويرفض

---

(126) الرد الوافر / ذم التأويل ص : 579.

(127) دلالة الكتاب والسنة 2 /615. ابن حزم الأندلسي / زكريا ص : 182.

(128) نقلا عن ابن حزم الأندلسي / زكريا ابراهيم ص : 145.

ابن حزم التأويل انطلاقا من اعتقاده بأن الحقيقة الالهٰية بادية للعيان، وليست بحاجة إلى تأويل، فالله عز وجل لم يخاطبنا إلا على قدر عقولنا، ومن أوّل فقد تعدى على حدود الله، وأضاف إلى دين الله ما ليس منه ــ بعد أن كمل نزوله على رسولنا عليه الصلاة والسلام ـــ، وافترى على الله ورسوله، لا يفعله إلا من ظلم نفسه، وقال بالقياس والتعليل والتقليد والاستحسان والرأي، وهي أمور قد صب ابن حزم جام غضبه على من قال بها، دفاعا عن الشريعة، وانتصارا لمذهبه الذي تبناه.

وفي الوقت الذي نجد فيه ابن قدامة يتفق مع ابن حزم في حرمة التأويل، فإننا نلاحظ اختلاف الأدلة التي من خلالها يتوصل إلى ذلك، فلا يعيد ذلك إلى الظواهر أو أن الحقيقة الالهية بادية لاخفاء فيها، بل يعتمد على نصوص من الكتاب والسنة والاجماع والمعنى.

فمن الكتاب قوله تعالى ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله﴾ (129). ويستدل ابن قدامة من هذه الآية على حرمة التأويل لكون الله عز وجل قدم مبتغي تأويل المتشابه، وقرنه بمبتغي الفتنة في الذم، ونفى أن يكون الراسخون يعلمون تأويله لوجوه.

أحدها : أن الله ذم مبتغي التأويل، ولو كان معلوما للراسخين لكان مبتغيه ممدوحا غير مذموما.

الثاني : أن النبي ﷺ قال : إذا رأيتم الذين يبتغون ما تشابه منه، فهم الذين عنى الله فاحذروهم، يعني من اتبع التشابه، فهو من الذين في قلوبهم زيغ، فلو علمه الراسخون لكانوا باتباعه مذمومين زائغين، والآية تدل على مدحهم، والفرق بينهم وبين الذين في قلوبهم زيغ وهذا تناقض.

الثالث : أن الآية تدل على أن الناس قسمان، لأنه قال : «فأما الذين في قلوبهم» وأما لتفصيل الجمل، فهي دالة تفصيل فصلين : (أحدهما) الزائغون المتبعون للمتشابه، و(الثاني) الراسخون في العلم، ويجب أن يكون كل قسم مخالفا للآخر فيما وصف به...

---

(129) سورة آل عمران، آية رقم 7.

الرابع : أنه لو أراد العطف لقال : ويقولون بالواو، لأن التقدير والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون.

الخامس : ان قولهم آمنا به، كل من عند ربنا، يشعر بالتفويض والتسليم لما لم يعلموه، لعلمهم بأنه من عند ربهم، كما أن المحكم المعلوم معناه من عنده.

السادس : ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا رأوا من يتبع المتشابه ويسأل عنه، استدلوا على أنه من أهل الزيغ، ولذلك عد عمر صبيغا من الزائغين، حتى استحل ضربه وحبسه وأمر الناس بمجانبته... ومن السنة : أن رسول الله ﷺ تلا هذه الايات وأبلغها لأصحابه، وأمرهم بتبليغها ولم يفسر ولم يؤول، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة بالاجماع، حيث لو كان لهما تأويل للزمه بيانه، ولم يجز له تأخيره، وأجمع الصحابة على ترك التأويل من بعده عليه الصلاة والسلام، فيجب اتباعه ويحرم خلافه.

ومن المعنى : فإن صفات الله تعالى وأسماءه لا تدرك بالعقل، لأن العقل إنما يعلم صفة من رآه أو رأى نظيره، والله لا تدركه الأبصار، ولا نظير له ولا شبيه، فلا تعلم صفاته وأسماؤه إلا بالتوقيف، كما أن المتأول، يكون مخاطرا خطرا عظيما من غير حاجة إلى ذلك، لاحتمال أن يقول على الله غير الحق، وأن يصفه بصفة لم يصف بها نفسه. ثم يخلص ابن قدامة إلى القول بتحريم التأويل [130].

ويرد ابن قدامة على من يتهمم بالتأويل في بعض الأخبار والآيات، كما في قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم﴾ [131] أي بالعلم، ونحو هذه الآيات فيقول : نحن لم نتأول شيئا، وحمل هذه اللفظات على هذه المعاني، ليس بتأويل، لأن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره. وهذه المعاني هي الظاهر من هذه الألفاظ، بدليل أنه المتبادر إلى الأفهام منها، وظاهر اللفظ هو ما يسبق إلى الفهم منه حقيقة كان أو مجازا، ولذلك كان ظاهر الأسماء العرفية المجاز دون الحقيقة، كاسم الراوية والظعينة، وغيرهما من الأسماء العرفية، فإن ظاهر هذا المجاز دون الحقيقة،

---

(130) الرد الوافر / ذم التأويل ص : 576 — 579 بتصرف. ويتفق ابن حزم مع ابن قدامة في أن قوله تعالى : ﴿والراسخون في العلم﴾ ليس معطوفا على الله، وانما هو ابتداء كلام. وقضية جديدة، وعطف جملة على جملة لبرهان ضروري (التقريب ص : 175).

(131) سورة الحديد آية رقم 4.

وصرفها إلى الحقيقة يكون تأويلا يحتاج إلى دليل... وإذا تقرر هذا فالمتبادر إلى الفهم من قولهم «الله معك» أي بالحفظ والكلاءة، فإن ابن عباس ومالكا وسفيان وكثيرا من العلماء قالوا في قوله. وهو معكم أي علمه [132].

3. المنطق :

يعتبر ابن حزم من رواد علم الكلام والمنطق، بل ومن المهتمين والعاملين به، لاعتباره اياه، الوسيلة الأفضل لتمحيص الأخبار والمذاهب والديانات المنتشرة في هذا العالم الفسيح، ولذلك نجده يربط بين علم التاريخ الذي يسميه (بعلم الخبر) وبين المنطق ربطا قويا، ويجعله من الحكم الفصل في كل علم من العلوم التي يتداولها البشر بما فيها الطب والهندسة والنجوم، مع تأكيده في أكثر من موضع بأن مجال الشريعة مختلف عن مجال العقل الخالص.

ويدافع ابن حزم عن موقفه هذا، وعن اشتغاله بالمنطق والفلسفة، ضد أولئك الذين يحتجون عليه بأن السلف الصالح لم يعملوا بذلك فيقول : «ان هذا العلم مستقر في نفس كل ذي لب، فالذهن الذكي، واصل بما مكنه الله فيه من سعة الفهم، إلى فوائد هذا العلم والجاهل منكسع كالأعمى حتى ينبه إليه، وهكذا سائر العلوم، فما تكلم أحد من السلف الصالح رضوان الله عليهم في مسائل النحو، لكن لما فشا جهل الناس باختلاف الحركات التي باختلافها اختلفت المعاني في اللغة العربية، وضع العلماء كتب النحو، فرفعوا اشكالا عظيما، وكان ذلك معينا على الفهم لكلام الله عز وجل، وكلام نبيه ﷺ، وكان من جهل ذلك ناقص الفهم عن ربه تعالى، فكان هذا من فعل العلماء حسنا، وموجبا لهم أجرا وكذلك القول في تواليف كتب العلماء في اللغة والفقه، فان السلف الصالح غنوا عن ذلك كله. بما آتاهم الله به من الفضل ومشاهدة النبوة، وكان من بعدهم فقراء إلى ذلك كله، يرى ذلك حسا، ويعلم نقص من لم يطالع هذه العلوم، ولم يقرأ هذه الكتب، وأنه قريب النسبة إلى البهائم [133]».

---

(132) الرد الوافر / ذم التأويل ص : 580 ـــ 581. مجموع فتاوي ابن تيمية 5 /103.

(133) التقريب ص 3. ابن حزم الأندلسي / خليفة ص : 145ـــ146. وقد ضاعت جميع مؤلفات ابن حزم الفلسفية والمنطقية، باستثناء كتاب (الأخلاق والسير في مداواة النفوس) وهو كتاب أشبه بسجل يوميات دون فيه ابن حزم ملاحظات أو اعترافات تتصل بسيرة حياته. ومن أقواله في=

وهذا يشعر برغبة ابن حزم في دراسة وتدريس، وتعلم وتعليم، ونشر المنطق بحماس لا يقل عن حماس الشيخ الموفق في محاربة هذا العلم والتحذير منه، والدعوة إلى عدم جواز الاستدلال به حتى ولو كان ذلك في سبيل الرد على المخالفين. وقد ذهب البعض إلى اعتبار ابن حزم من أشهر رجال الفكر الفلسفي في الأندلس، حيث جعله في عداد ابن طفيل وابن رشد [134].

ونظرا لما كان يتصف به المجتمع الأندلسي من ثقافة عامة، علماء وعامة، فقد قام ابن حزم باستبدال الرموز المنطقية بالأمثلة الفقهية، لتسهيل علم المنطق وتقريبه إلى الأفهام، ليتسنى لكل مواطن أن يشارك في مجالس الأدب والمناظرة، التي كانت تعقد في أماكن كثيرة ويحضرها مختلف المستويات.

ولا يخفي ابن حزم افتخاره واعتزازه بكونه سباقا إلى تسهيل العلم الذي وعرته الأوائل، وعبرت عنه بحروف الهجاء، فاستطاع أن يوصله إلى مختلف المستويات وأن يجعل مقياسا وضابطا لكل ما اختلف فيه الناس فيقول في باب البرهان من كتاب التقريب لحد المنطق : «واعلم أن الكلام الذي تتأهب لإيراده دأبا، وننبهك على الاصاخة إليه، هو الغرض المقصود من هذا الديوان، وهو الذي به نقيس جميع ما اختلف فيه، من أي علم كان فتذوقه ذوقا لا يخونك، وتدبره منعما، وتحفظ جدا، فهو الذي وعرته الأوائل، وعبرت عنه بحروف الهجاء، ضمانة به، واحتسبنا الأجر في ابدائه وتسهيله، وتقريبه على كل من نظر فيه للاسباب التي ذكرنا في أول ديواننا هذا... فقربنا من ذلك بعيدا، وبينا مشكلا، وأوضحنا عويصا، وسهلنا وعرا، وذللنا صعبا، ما نعلم أحدا سمح بذلك، ولا أتعب ذهنه فيه قبلنا، ولله الحمد أولا وآخرا [135]».

وهذا خلاف ما يذهب إليه الموفق، الذي يرى بأن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما يستنبط منهما من المعقول والمعنى، كفيل بقطع حجج المعارضين،

= هذا الكتاب : «من أساء إلى أهله وجيرانه فهو أسقطهم، ومن كافأ من أساء إليه منهم فهو مثله، ومن لم يكافئهم فهو سيدهم وأفضلهم والعرض أعز على الكريم من ماله، ينبغي للكريم أن يصون جسمه بماله، ويصون نفسه بجسمه، ويصون عرضه بنفسه، ويصون دينه بعرضه، ولا يصون بدينه شيئا أصلا» انظر تاريخ الفكر الأندلسي ص : 217ــ218، ويظهر أن المؤلف لم يطلع على كتاب التقريب لحد المنطق.

(134) انظر تاريخ التعليم في الأندلس ص : 337.

(135) التقريب لحد المنطق ص : 116.

مهما كانت آراؤهم وبراهينهم، فألف كتابه الذي لم نقف عليه في «تحريم النظر في علم الكلام»، كما عرفنا موقف الحنابلة من أبي الوفاء ابن عقيل حين علموا بأنه يتلقى علم المنطق والفلسفة على يد بعض المعتزلة في وقته، وهذا يوضح التباين الكبير بين وجهتي نظر ابن حزم وابن قدامة حيث يرى الأول أنه مأجور على تأليفه في المنطق وتسهيله على الناس باستعمال الأمثلة الفقهية في حين يرى الثاني أن مجرد النظر في علم الكلام يعتبر حراما.

ولو أخذنا في الاعتبار المعنى العام للمنطق الذي لا يخرج عن كونه ترتيبا لقضايا معينة بطريقة مخصوصة لتصل من خلالها إلى نتيجة ما، فإننا لا نستطيع أن ننفي هذا المنطق عن الامام الموفق، ولا عن غيره من العلماء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، فليس ما يطلقون عليه «بالمعقول» أو «بالمعنى» إلا جانبا استنباطيا بطريق العقل، يتولد من ترتيب المعاني بعضها على بعض ترتيبا منطقيا يوصل إلى تلك النتيجة (136).

وهذا يوصلنا إلى أن الجانب الذي يحرمه ابن قدامة من المنطق وهو الاستدلال على القضايا الشرعية والاعتقادية بالطريقة المنطقية المعهودة عند الفلاسفة والمناطقة التي تعتمد على العرض والجوهر، والتصور والتصديق، والكلي والجزئي، والمقدمات الصغرى والكبرى، وغيرها من القضايا المنطقية، والمصطلحات الفلسفية في التعبير عن ذات الله عز وجل أو أسمائه وصفاته. ويؤيد ما ذهبنا إليه ما قام به الشيخ الموفق من وضع مقدمة منطقية لكتابه الروضة في الأصول، ولا يمكن أن يكون مثل هذا الأمر محرما ــ كما هو في نظر المؤلف ــ ثم يقدم عليه، مخالفا الحكم الشرعي المقرر لديه، والمنهج المذهبي الذي قبله لنفسه، ونسب إليه، ولا أعتقد أن عدول الموفق عن تلك المقدمة المنطقية كان عن نظرة تحريمية وإنما كان مراعاة لمشاعر الحنابلة الذين ينتسب إليهم، فهو أقرب إلى العاطفة منه إلى الحكم الشرعي.

4. المناظرة والجدل :

اشتهر ابن حزم بالمناظرة والجدل، وذاع صيته فيه، حتى وصف بأنه رجل

(136) انظر على سبيل المثال استدلال ابن قدامة عن طريق «المعنى» على صحة مذهب السلف في موضوع الصفات. (الرد الوافر /ذم التأويل ص : 579).

جدلي. ونظرا لاعتنائه بالمنطق والفلسفة، فإنه يبني جدله ومناظراته على أسس عقلية منطقية، وقد حرص على بيان الأركان والشروط للجدل الصحيح والمناظرة الفاضلة، وذكر في المقابل وجهان للجدل المذموم هما :

1. أن يجادل بغير علم،

2. أن يجادل ناصرا للباطل، وفي هاتين يكون المتناظران غالطين أو مغالطين، أو أحدهما جاهلا والآخر غالطا أو مغالطا [137]، ويدخل ابن حزم ضمن هذه الفئة. أولئك الذين يتبجحون بقدرتهم على الجدل، الذي يحمل بعضهم على الادعاء بأنه قادر على أن يجعل الحق باطلا والباطل حقا، ويحذرنا منهم فيقول : فلا تصدق مثل هؤلاء الكذابين فانهم سلفة أرذال، أهل كذب وشر ومخرقة [138]، والكذب عنده هو أصل كل فاحشة، وجامع كل سوء وجالب لمقت الله، ولا شك أن منه تقولك على صاحبك ما لم يقل، أو أن يتكلم صاحبك في مسألة فتنتقل عنها إلى مسألة أخرى، وكأنك لم تسمع كلامه في الأولى.

أما المناظرة الفاضلة ـــ عند ابن حزم ـــ فهي التي يكون فيها المتناظران طالبي حقيقة، لا مجرد متصارعين، يريد كل منهما أن يكون هو الغالب لا المغلوب، كما تكون عاقبتها حميدة تنحل عن خير مضمون، لما يقوم به المناظر المنصف من تأمل في مقدماته ومقدمات خصمه، ونتائجه ونتائج خصمه، دون أن يرضى لنفسه من خصمه إلا بالحق الواضح، فكل من المتناظرين مخلصان في طلب الحق، بحيث يكون أحدهما موقنا والثاني لم يقف على الحقيقة فهو يطلبها ولا يقبل لنفسه أن يتعداها.

كما أشار ابن حزم في كتابه «أخلاق النفس والسيرة الفاضلة» إلى الصفات الأخلاقية التي يجب أن تتوافر في أهل الجدل والمناظرة نذكر منها ما يلي :

أ. التحذير من التقول على الخصم ومن التباهي بالرأي، أو تسفيه حجج الآخرين بغير وجه حق، وكأن ابن حزم يرى أن ما كان يقوم به من شدة خصومه، وعدم صفح أو نسيان الثأر، وسخرية من آراء العلماء المعاصرين أو المناضرين له، هو

(137) التقريب لحد المنطق ص : 186 بتصرف. ابن حزم / زكريا ابراهيم ص 133 بتصرف.
(138) التقريب لحد المنطق ص : 195.

وجه حق يجعل مثل هذا الشرط بعيدا عن تصرفاته عامة، مع أنه يأخذ عليه العلماء في مناظراته ومجادلاته، أنه كان يحرف كلم النصوص، أو يفسرها تفسيرا ملتويا، مقصودا، أو بترنصوص من يجادلهم من أصحاب المذاهب أو الأديان الأخرى بترا مشوها مفسدا وما إلى ذلك (139).

ب. أن يطلب الحق لنفسه لا لكسب مديح الناس أو التفاخر بأية موهبة عقلية، يقول في التقريب : «وإياك والامتداح بما تحسن، واترك ذلك فهو من غيرك فيك أحسن، ولا تحقر أحدا حتى تعرف ما عنده، فربما فجأك منه ما لم تحتسب» (140).

ج. عدم معارضة الخطأ بالخطأ، لأن هذا لا يجوز في المناظرة المنصفة الفاضلة، التي يقصد منها الحق وحده لا شيء غيره.

د. أن يوضح المتناظر أسئلته، ويحدد موضوعه تحديدا دقيقا، ولا يتعمد استعمال المغلق الذي لا يفهمه السامعون، أو يكون محمولا على أكثر من معنى لتعمية الموضوع على الخصم.

ثم يوضح ابن حزم بعد ذلك العلوم التي يجب أن يطلع عليها طالب الحقيقة، الجالس على كرسي المناظرة، فيقول : ولابد لطالب الحقائق من الاطلاع على القرآن ومعانيه ورواية ألفاظه، وأحكامه، وحديث النبي ﷺ وسيره الجامعة لجميع الفضائل المحمودة في الدنيا، الموصلة إلى الآخرة، ولابد مع ذلك من مطالعة الأخبار القديمة والحديثة، والاشراف على قسم البلاد، ومعرفة الهيئة، والوقوف على اللغة التي تقرأ الكتب المترجمة بها، والتحري في وجوه المستعمل منها، ولابد له من مطالعة النحو، ويكفيه منه ما يصل به إلى اختلاف المعاني، بما يقف عليه من اختلاف الحركات في الألفاظ، ومواضع الإعراب منها (141).

ولاشك أن ابن حزم ومن بعده الموفق، كانا على درجة من الاطلاع تؤهلهما لخوض غمار المناظرة، والاحتمال كبير في أن يكون الامام الموفق قد استفاد من

(139) تاريخ الفكر الأندلسي ص : 215.
(140) التقريب لحد المنطق ص : 196.
(141) التقريب لحد المنطق ص : 198 — 199.

طريقة ابن حزم في تفنيد ادعاءات الخصم التي لا يبدأ فيها بمهاجمة خصمه، أو تسفيه رأيه، أو الطعن في شخصه، بل هو يحاول على قدر المستطاع سرد حجج خصمه واحدة بعد الأخرى، موردا في كثير من الأحيان، أقاويل الخصم بحذافيرها، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يكشف لنا عما تنطوي عليه من بطلان (142)، وهذه هي نفس الطريقة التي اتبعها الموفق في مناظراته وقد أشرنا إلى بعض ذلك في مناظرته مع الفخر ابن تيمية والناصح الحنبلي.

ومع أن كل واحد منهما يعتمد على الأدلة الشرعية في مناظراته، إلا أن ابن حزم يعتمد على المنطق الذي يقوم على أساس المباديء العقلية المقررة في أوائل الحس وبداءة العقل.

ويتصف ابن قدامة في محاضراته ومناظراته بالحلم وسعة الصدر، وعدم تخطي حدود الأدب في الحديث، فلا يسمح لنفسه بأن يصدر الشتائم والنعوت السيئة بالطريقة التي يستعملها ابن حزم حتى أصبحت علامة عليه، وقد نقل الذهبي أن ابن قدامة كان يقابل خصمه بتبسمه في الوقت الذي كان يصيح فيه الخصم ويحترق.

وبالنظر والتدقيق في طريقة الشيخ الموفق في المناظرة، نلحظ اهتمامه أولا وقبل كل شيء بتحرير موضع النزاع، حيث هي البداية الصحيحة في نظره، لوضع النقاط على الحروف، والانطلاق بوضوح لا غموض فيه، وهذا ما قرره في بداية رده على الفخر ابن تيمية في مسألة تخليد أهل البدع المحكوم بكفرهم في النار، حيث يقول : «انني لم أنه عن القول بالتخليد نافيا له، ولا عبت القول به منتصرا لضده، وإنما نهيت عن الكلام فيها من الجانبين، اثباتا ونفيا، كفا للفتنة في الخصام فيها، واتباعا للسنة في السكوت عنها، إذ كانت هذه المسألة من جملة المحدثات» (143).

---

(142) ابن حزم / زكريا ابراهيم / ص : 132. وقد يسلك ابن حزم في أحيان كثيرة غير ما سبق. فينثر أدلة الخصوم نثرا، ولا يجمعها ويرد عليها، بل يأتي بالدليل ثم يفنده، وبالدليل ثم يفنده وهكذا، ثم يثبت بعد ذلك حجته، كما فعل في مناقشته أقوال من قالوا بوجوب تحريم ما هو مشتبه سدا للذرائع (أنظر الاحكام ج 6 ص : 2، 16. ابن حزم لأبي زهرة ص : 193).

(143) ذيل طبقات، الحنابلة 2 /154. ويعتبر البعض المناظرة والحوار طريقة من طرق التعلم والتعليم، التي تعتمد على قيام الطالب بطرح سؤال على المعلم الذي يقوم بدوره بالاجابة مع بيان جميع جوانبه وخفاياه، وقد يلجأ المعلم (الأستاذ) إلى طرح ذلك السؤال. (انظر تاريخ التعليم في الأندلس ص : 349).

والالتزام بهذا المبدأ في المناظرة، يحفظ المتناظر من الوقوع في الخلط والغلط، ولا يتكلم في شيء ونظيره يقصد شيئا آخر، فتنتهي المناظرة بالخصومة وعدم الوفاق، بدلا من الحق والاتفاق.

وقد عمل ابن حزم بهذا المبدأ في مناقشته للفقهاء والمحدثين، أكثر من عمله به في المناظرات الاخرى حيث يبقى جانب العقل محدودا في العبادات والأحكام التشريعية والاعتقادية، ومع كل هذا نجد ابن حزم ينهمر بالأدلة على خصمه انهمار المطر في الشتاء، فلا يترك آية ولا حديثا إلا ويدعم به موقفه، ويحاول أن يتعرض لجميع الثغرات حتى لا تكون منفذا لخصمه، فنجد كلامه بخطى ثابتة، وثقة كبيرة، لا يشاركه فيها أحد إلا من كان متثبتا من الحق مثله.

وفي اعتقادي أن هذا الأسلوب الجدلي في المناظرة كان ذا أثر ايجابي على المؤلفات الفقهية التي دونها كل من ابن حزم وابن قدامة، فكان كتاب المحلى في شرح المجلّى، وكتاب المغني في شرح مختصرالخرقي من أشهر الكتب الفقهية الاسلامية في علم الخلاف.

فطريقة التفريعات من أمهات المسائل، والرد على المخالفين، وتحرير موضع النزاع، وتقرير الحكم الشرعي في المسألة، ترتبط ارتباطا وثيقا بالمناظرة الفاضلة، وبالجدل المنصف الذي يقصد منه الوصول إلى الحق، وبصورة عامة فإن طريقة الجدل التي يعتمد فيها ابن حزم على النصوص والمنطق، أفادته في الدفاع عن عقيدة الاسلام، وفي تفنيد آراء الملل والنحل الفاسدة، التي ادعت بدعاوي ما أنزل الله بها من سلطان، في حين انحصرت مناظرات ابن قدامة ــ في أغلب الظن ــ في أمور العقيدة الاسلامية ومع المسلمين فقط فلم يكن له لقاءات ومحاورات مع الزنادقة واليهود والنصارى وغيرهم مثلما كان لابن حزم، الذي ألف في الرد على ابن النغزيلة اليهودي، وبين الأباطيل التي يدعيها اليهود في توراتهم، مثلما فعل في كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» الذي يعتبر خير شاهد على مقدرة ابن حزم الجدلية في مختلف الجوانب، وهذه ميزة لابن حزم لا نجدها عند الشيخ الموفق ولا عند كثير من العلماء غيره.

ونظرا لكون المناظرات التي كان يجريها الشيخ الموفق في الجامع الأموي بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع، لم تجمع ولم تدون ــ كما هو الشأن في

مناظرات ابن حزم ـ، ولم يصل إلينا منها إلا النزر اليسير، فإن ذلك أفقدنا كثيرا من الجوانب التي يمكننا من خلالها تسليط الأضواء على منهجه وأسلوبه والموضوعات التي ناقشها مع غيره من العلماء، مع عدم شكنا في أن الموفق استفاد من طريقة ابن حزم وأسلوبه في الرد على المخالفين، والدفاع عن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، مما جعل منه صنوا لابن حزم، من حيث جودة التأليف، والشهرة بين العلماء.

ولو أخذنا على سبيل المثال مسألة من «المحلى» وقارناها بما ورد في «المغني» في نفس الموضوع لرأينا مدى الاتفاق الذي أشرنا إليه آنفا.

يقول ابن حزم في المسألة رقم (1262) عن الغصب : «ومن غصب أرضا فزرعها أو لم يزرعها، فعليه ردها، وما نقص منها ومزارعته مثلها، لما ذكرنا من أنه حال بين صاحبها وبين منفعة أرضه، ولا منفعة للأرض إلا الزارع والمزارعة، على ما نذكر في المزارعة ان شاء الله تعالى، وقال الحنفيون : الأرض لا تغصب، وهذا كذب منهم، لأن الغصب هو أخذ الشيء بغير حقه ظلما، وقد روينا من طريق البخاري : نا مسلم بن ابراهيم نا عبد الله بن المبارك نا موسى ابن عقبة عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «من أخذ من الأرض شبرا بغير حقه، خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين» فصح أن الأرض تؤخذ بغير حق، فصح أنها تغصب [144]».

ويناقش ابن قدامة هذه المسألة بعد أن يذكر نص الخرقي فيقول : والكلام في هذه المسألة في فصول : أحدها : أنه يتصور غصب العقار من الأراضي والدور ويجب ضمانها على غاصبها، هذا ظاهر مذهب أحمد، وهو المنصوص عن أصحابه، وبه قال مالك والشافعي ومحمد بن الحسن، وروى أبو المنصور عن أحمد فيمن غصب أرضا فزرعها ثم أصابها غرق من الغاصب، غرم قيمة الأرض، وان كان شيئا من السماء لم يكن عليه شيء، وظاهر هذا أنها لا تضمن بالغصب، وقال أبو حنيفة وأبو يوسف، لا يتصور غصبها ولا تضمن بالغصب، وان أتلفها ضمنها بالاتلاف، لأنه لا يوجد فيها النقل والتحريم، فلم يضمنها، كما لو حال بينه وبين متاعه فتلف المتاع لأن الغصب اثبات اليد على المال عدوانا على وجه

(144) المحلى 5 /144.

تزول به يد المالك، ولا يمكن ذلك في العقار. ولنا قول النبي ﷺ : «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين» رواه البخاري عن عائشة وفي لفظ «من غصب شبرا من الأرض» فأخبر النبي ﷺ أنه يغصب ويظلم فيه [145].

فانظر إلى هذا التوافق في الرأي مع الاختلاف في أسلوب العرض، فهما يتفقان في القول بوقوع الغصب على الأرض والدور كوقوعه على المتاع أو المال، وكل منهما يعرف الغصب من خلال مناقشته للآراء، وكل منهما يتعرض لرأي أبي حنيفة وأبي يوسف، ويرد عليهما بما ورد في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذي يرويه الامام البخاري عن عائشة أم المؤمنين، ويقول ابن حزم في وصف رأيهما : «هذا كذب» بينما يقول الموفق «ولنا».

5. التصوف :

عرفنا عن ابن حزم تقديره للنص، واحترامه لظاهره، في نفس الوقت الذي لا يخفي فيه احترامه للعقل والمنطق، ومن هذا المنطلق فإنه يحارب الخرفات ويهاجمها بشدة، لما فيها من مخالفة لقواعد المنطق السليم، وبداهة العقل، نرى ذلك بوضوح في كتابه الفصل حين يتكلم عن النجوم وتأثيرها في النفوس [146] وفيما ذكره في الرد على ادعاءات اليهود في التوراة من أن النيل وجيحون ودجلة والفرات تنبع من الجنة، حيث تهكم على قائلها [147]. كما أن كتابات ابن حزم في الرد على ابن النغريلة وعلى غيره من أصحاب الفرق الضالة ومعتقداتها لأصدق برهان على عقلانية ابن حزم، التي تفرق بين صورة الحق وصورة الباطل، وتحمله على رفض شطحات الصوفية، والتنديد بمزاعم القائلين بالكرامات وخوارق الأفعال، وبكل الروايات الدينية التي تحفل بالخرافات والأباطيل والأساطير، وبخاصة في الكتب المتداولة بين اليهود والنصارى [148].

ويظهر أن ما وصل إلى علم ابن حزم عن بعض المتصوفة في الأندلس أو غيرها دون أن يشاهده أو يتذوق وجدانياته، كان له أكبر الأثر في نفسيته، ورسم صورة للصوفية والمتصوفة، الذين يعتمدون في تصوفهم على الباطن الذي يرفضه

---

(145) المغني 5 /241.

(146) الفصل في الملل والأهواء والنحل.

(147) ابن حزم / خليفة ص : 117 بتصرف.

(148) ابن حزم / زكريا ابراهيم ص : 231 بتصرف.

ابن حزم رفضا قاطعا، فما بالك إذا انبنى عليه التواجد والهيام في الذات الالهٰية، أو الاتحاد والحلول ؟

فظاهرية ابن حزم لا يمكن بحال من الأحوال أن تقبل أو تتلاقى مع باطنية المتصوفة، الذين ذكرهم تحت اسم يشعر بأنه لا يعرفهم ولا يعدهم من فرق المسلمين أصلا، حيث قال : «ذكر شنع لقوم لا تعرف فرقهم» أضاف بعده : ادعت طائفة من الصوفية، أن في أولياء الله تعالى، من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل، وقالوا : من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها، من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك، وحلت له المحرمات كلها، من الزنا والخمر وغير ذلك، واستباحوا بهذا نساء غيرهم، وقالوا أننا نرى الله ونكلمه، وادعى البعض بأنه يجالس الله، وقال غيره : بأن ربه يمشي في الأزقة، حتى أنه يمشي في صورة مجنون، يتبعه الصبيان بالحجارة حتى يدموا عقبيه (149).

ويحق لابن حزم وغيره أن يقف من القائلين بما ذكرنا مثل هذا الموقف، وأن يصف أفعالهم بالشناعة والبشاعة، فلا يمكن لأي عالم يتقي الله عز وجل أن يوافق على تلك الأقوال أو يقول بها، ولكننا لا ندري ماذا يقول ابن حزم في المعتدلة من الصوفية، التي لم يخرج أصحابها عن أحكام الشرع ولو يحلوا حراما ولم يحرموا حلالا ؟ ومع أننا نعتقد جازمين بأن ابن حزم لا يمكن أن يمدح الصوفية أو يهادنها على الأقل، لاعتمادها على الباطن، وقيام أفرادها بما لم يرد عن الله ورسوله في نص واضح وصريح، فإننا لا نملك إلا أن نعترف بالمفارقة بين ابن حزم وبين الشيخ الموفق في هذه المسألة. ونحن نعلم بأن الشيخ عبد القادر الجيلي هو شيخ الموفق وأن أبا عمر ــ أخ الموفق ــ قد قطب لمدة ست سنوات في آخر حياته كما أشرنا إليه من قبل.

ومع كون الموفق قد نشأ في بيت صلاح وتقوى وتصوف، فانه لم يبق من الصوفية ما يقومون به من الرقص والتواجد والتمايل وغير ذلك من البدع التي دفعت به إلى تأليف رسالته في ذم ما عليه مدعو التصوف، ومهما كان احترام الشيخ الموفق وتقديره للتصوف والمتصوفة فإن ذلك لا يمكن أن يحمله على غض الطرف عن المخالفات الشرعية، والبدع التي من أجلها ألف رسالته السالفة الذكر.

---

(149) الفصل في الملل والأهواء والنحل 4 /226 ــ 227.

6. الأدلة المعتبرة :

تعتبر المدرسة الظاهرية التي يحتل فيها الامام ابن حزم مركز الصدارة مدرسة نوعية فريدة، وتجربة لم يسبق المذهب الظاهري إليها من قبل، ولم يحتذ حذوه أحد من بعد، وذلك لكون المدرسة الظاهرية اعتمدت في تقرير أحكامها على ثلاثة مصادر لا رابع لها، وهي الكتاب والسنة والاجماع.

أما ما دونها من الأدلة، فإن ابن حزم ألف الكتب والرسائل في الرد على القائلين بالرأي والقياس والتعليل، والتقليد والاستحسان.

ولا نستبعد أن يكون ابن حزم قد تأثر في بعض هذا السلوك بما كتبه الامام الشافعي حول نقض الاستحسان، ولكنه توسع في هذا المنهج ليعممه على جميع الأدلة عدا الكتاب والسنة والاجماع في نطاقه الضيق، وأرسى مذهبه على قاعدة قررها لنفسه بقوله : لا يجوز الحكم البتة في شيء من الأشياء كلها، إلا بنص كلام الله تعالى أو نص كلام النبي عليه الصلاة والسلام، أو بما صح عنه عليه الصلاة والسلام من فعل أو اقرار، أو اجماع من جميع علماء الأمة كلها.. وهذا هو قولنا الذي ندين الله به ونسأله عز وجل أن يثبتنا فيه، ويميتنا عليه (150).

ويذكر ابن حزم أن أول بدعة ظهرت في الأدلة هي القول بالرأي، حيث كان أول حدوثه في قرن الصحابة، مع أن كل من روي عنه في ذلك شيء من الصحابة، فهو متبريء منه، غير قاطع به، لأن الرأي هو الحكم في الدين بغير نص، بل بما يراه المفتي أحوط وأعدل في التحريم أو التحليل (151) مؤيدا رأيه هذا بما رواه من أقوال عن مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل في الندم على الافتاء بالرأي أو في ذم الرأي، كالذي يرويه عن القعنبي أنه قال : ما يبكيك ؟ قال يا ابن قعنب، ومالي لا أبكي، ومن أحق بالبكاء مني، والله لوددت أني ضربت بكل مسألة أفتيت فيها برأيي بسوط سوط، وقد كانت لي السعة فيما سبقت إليه، وليتني لم أفت بالرأي، أو كما قال (152).

---

(150) الاحكام في أصول الأحكام 7 /56.

(151) ملخص ابطال القياس ص : 4.

(152) ملخص ابطال القياس ص : 67، 68.

وفي القرن الثاني الهجري ظهر القول بالقياس، فعمل به البعض وأنكره آخرون وتبرؤوا منه، وقد نقل لنا ابن حزم تعريفه كما قال به المثبتون له، وقال : هو الحكم فيما لا نص فيه، بمثل الحكم فيما فيه نص أو اجماع، فقال حذاقهم : «لاتفاقهما في علة الحكم»، وقال بعضهم : «لاتفاقهما في وجه من الشبه» (153).

ويشن ابن حزم حملته على القياس والقائلين به مفندا أدلتهم من الكتاب والسنة، مستفيدا منها في غالب الأحيان لصالحه، ومعتمدا في ذلك على عدة أمور منها :

1. أن قولهم «لا نص فيه» هو من قبيل المعدوم، لأن الدين كله منصوص عليه.

2. انه حتى لو وجد ما لا نص فيه، فإنه لا يجوز أن يحكم بذلك لكونه دعوى بلا برهان.

3. ان قولهم «لاتفاقهما في علة الحكم» مرفوض، حيث لا علة لشيء من أحكام الله تعالى ودعوى العلة لا دليل عليها ولا برهان، وهو بهذا ينفي العلة، أصلا، ويرى أن انكار ذلك لا يعتبر انكارا لما نص الله ورسوله، وإنما هو انكار لما استنبطه المجتهدون بعقولهم وادعوه بلا نص ولا دليل، فهم بذلك يخبرون عن الله بما لم يخبر، ويقولون على الرسول ﷺ بما لم يقل، مع العلم بأن أول ذنب عصي الله به هو التعليل لأوامر الله بلا نص، وترك اتباع ظاهرها، وذلك قول ابليس ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين﴾ (154) حيث استنبط علة النهي لهما عن أكلة الشجرة، كما أنه لم يصح التعليل عن صحابي ولا قال به أحد منهم قط (155) ولم يعمل به صحابي بوجه من الوجوه، ولا تابعي، ولا أحد من تابعي التابعين، وإنما هو أمر محدث، ظهر في القرن الرابع الهجري عند أصحاب الشافعي، وتابعهم عليهم أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب مالك، مع أنه لم تأت

---

(153) ملخص ابطال القياس ص : 5 وعرف ابن حزم القياس في كتاب التقريب بقوله : هو أن تتبع لفكرك أشياء موجودات يجمعها نوع واحد وجنس واحد، ويحكم فيها بحكم واحد» التقريب ص : 163.

(154) سورةالأعراف آية رقم 20.

(155) ملخص إبطال القياس ص : 49.

رواية ــ ضعيفة ولا سقيمة ــ أن أحدا من تلك الأعصار علل حكما بعلة مستخرجة يجعلها علامة للحكم، ثم يقيس عليها ما وجد تلك العلة فيه مما لم يأت في حكمه نص [156].

وبالجملة ــ كما يقول ابن حزم ــ فليس في الشرائع علة أصلا بوجه من الوجوه، ولا شيء يوجبها إلا الأوامر الواردة من الله عز وجل، إذ ليس في العقل ما يوجب تحريم شيء مما في العالم وتحليله، ولا ايجاب عمل وترك ايجاب آخر [157].

4. ان أهل القياس يلزمهم لزوما ضروريا ــ ان حكموا للمشتبهين بحكم واحد ــ أن يحكموا فيمن ترك أحكام القرآن منا، بما نحكم به من اليهود والنصارى من القتل والسبي للذراري والنساء وأخذ الجزية إن سالموا، فإن تمادوا على قياسهم لحقوا بالصفرية والأزارقة [158]، وعاد هذا الحكم عليهم في تركهم لأحكام القرآن، والعمل بالقياس، وان احجموا عن ذلك تناقضوا وتركوا القياس [159].

5. ان الذين استدلوا على مشروعيته بقوله تعالى: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾، قالوا: ان معنى «اعتبروا» هو «قيسوا» وليس لهم في ذلك دليل، لأن الاعتبار في لغة العرب لا يقع إلا على التعجب والتفكر، قال تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة﴾ أي عجب، وقال: ﴿وان لكم في الأنعام لعبرة﴾ أي لعجبا لا قياسا، كما أن الآية جاءت عقب قوله تعالى، ﴿يخربون بيوتهم﴾، فلو كان معناه «قيسوا» لكان أمرا لنا بأن نخرب بيوتنا كما أخربوا بيوتهم، ومن هنا وقف ابن حزم بعد ذلك ليقول بأعلى صوته «ما نعلم في الأرض ــ بعد السوفسطائية ــ أشد ابطالا لأحكام العقول من أصحاب القياس، فإنهم يدعون على العقل ما لا يعرفه العقل، من أن الشيء إذا حرم في الشريعة وجب أن يحرم من أجله شيء آخر ليس من نوعه [160]».

(156) الاحكام في أصول الأحكام 7 /117. ملخص أبطال القياس ص : 5، 10.

(157) التقريب لحد المنطق ص : 169.

(158) الصفرية : فرقة من الخوارج من أتباع زياد بن الأصفر، خالفوا الأزارقة والنجدات والأباضية في عدة أمور (انظر الملل والنحل ج1 ص : 184).

(159) الاحكام في أصول الأحكام 7 /115.

(160) الاحكام في أصول الأحكام 7 /194.

ثم حدث بعد ذلك ـــ أي في القرن الثالث الهجري ـــ القول بالاستحسان أو فتوى المفتي بما يراه حسنا فقط، وذلك باطل لكونه اتباعا للهوى، وقولا بلا برهان، والأهواء تختلف في الاستحسان، فأكثر الناس أخذا به هم أتباع أبي حنيفة، وقد وقع لمالك في النادر، وأما الشافعي والطحاوي من الحنفية فإنهم ينكرونه جملة [161] ويدلل ابن حزم على ابطال الاستحسان اضافة إلى ماذكر من كونه اتباعا للهوى، وقولا بلا برهان بما يلي :

1. أنه ليس استحسان فقيه أولى بالاتباع من استحسان غيره، لأنه لو صار الدين إلى هذا، لكان لكل واحد أن يشرع بالاستحسان ما شاء [162].

2. انه من المحال أن يكون الحق فيما استحسنا دون برهان، لأنه لو كان ذلك لكان الله تعالى يكلفنا ما لا نطيق، ولبطلت الحقائق،، ولتضادت الدلائل وتعارضت البراهين، ولكان تعالى يأمرنا بالاختلاف الذي نهانا عنه، وهذا محال... والحق حق وإن استقبحه الناس، والباطل باطل وإن استحسنه الناس، فصح أن الاستحسان شهوة واتباع للهوى وضلال [163].

أما التقليد الذي يعتبره ابن حزم حراما في جميع الشرائع أولها عن آخرها سواء كان ذلك في التوحيد أو النبوة أو القدر أو الايمان، أو الوعيد والامامة والمفاضلة، وكذلك جميع العبادات والأحكام فقد ظهر في القرن الرابع.

وقد عاب على أهل بلاده من المالكية كثرة تقليدهم، وعدم طلبهم للدليل، واستغرب هذا الفعل، لكونهم يقررون بأن المقلد عاص لله عز وجل، وانه ليس هناك بعد رسول الله ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك، ومع ذلك لا يتركون قول صاحبهم بوجه من الوجوه، فهم يقرون على أنفسهم بالباطل، ويعترفون بأنهم يدينون به، ويلتزمونه، وهذا في حد ذاته عجب ما بعده عجب.

وعلى هذا فإن ابن حزم يوجب على العامي إذا نزلت به نازلة أن يجتهد في طلب حكم الله ورسوله عليه الصلاة والسلام في كل ما يخص المرء من أمور

---

(161) ملخص ابطال القياس ص : 5،9،51.

(162) ملخص ابطال القياس ص : 50.

(163) الاحكام في أصول الأحكام 6 /17.

دينه، لأن خطاب الله المتعلق بالنهي عن التقليد، موجه إلى كل واحد منا، عالما أو جاهلا بلا فرق، وإنما الاختلاف يكون في كيفية الاجتهاد، وفي المقدار الذي يستطيعه كل منهم (164).

ولسنا نستغرب مواقف ابن حزم في هذا لعلمنا بمنهجه الظاهري الذي لا يغادر الكتاب والسنة، ولا يتعداهما إلى غيرهما، فيكون من الطبيعي أن يختم كتابه «ملخص ابطال القياس» بقوله : «من المحال الباطل أن يكون الله يأمرنا بالقياس أوبالتعليل أو بالرأي أو التقليد، ثم لا يبين لنا، ما القياس وما التعليل، وما الرأي، وكيف يكون كل ذلك، وعلى أي شيء نقيس، وبأي شيء نعلل، وبرأي من نقبل، ومن نقلد، لأن هذا تكليف ما ليس في الوسع (165)».

وهكذا يقف ابن حزم في وجه الأدلة المختلف فيها ويبطلها، ويتصدى للقائلين بها بكل حزم وقوة، فهل كان موقف الشيخ الموفق متماشيا مع ابن حزم ؟ أم أن له رأيا آخر ؟

ان كتاب «روضة الناظر وجنة المناظر» في أصول الفقه للشيخ الموفق، يعطينا الصورة الواضحة لمواقف الرجل، مع استدلالاته وبراهينه، ويظهر لنا من خلاله الاتفاق بين الرجلين في القول بنفي العمل بالاستحسان، لكونه لم يعرف من ضرورة العقل ونظره، ولم يرد به سمع متواتر ولا خبر آحاد، ومهما انتفى الدليل وجب النفي، ولاشك أن الاستحسان من غير نظر حكم بالهوى المجرد، وقبولنا له على هذه الصورة، لا يفرق بين استحسان الصبي والعامي وبين استحسان العاقل والعالم حيث لا دليل لكلام الطرفين، فهما في الحكم سواء (166).

أما القياس، فإن الموفق يعقد له في روضته فصلا تحت عنوان : «اثبات القياس على منكريه» مما يشعرنا بأنه يقول بضرورة العمل به وذلك للاعتبارات التالية :

---

(164) الاحكام في أصول الأحكام 6 /150 — 151 بتصرف. وانظر ترتيب المدارك ج 1 ص : 60—63.

(165) ملخص ابطال القياس ص : 73.

(166) انظر روضة الناظر ص : 85—86.

1. أن تعميم الحكم واجب، ولو لم يستعمل القياس لأفضى إلى خلو كثير من الحوادث عن الأحكام لقلة النصوص، وكون الصور لا نهاية لها، فيجب ردهم إلى الاجتهاد ضرورة.

2. ان العقل يدل على العلل الشرعية ويدركها، إذ مناسبة الحكم عقلية مصلحية، يتقاضى تحصيلها ورود الشرع بها كالعلل العقلية.

3. ان القياس يفيد ظنا غالبا في إثبات الحكم، والعمل بالظن الراجح متعين وواجب (167).

وحين يقف المعارضون ـــ ومن بينهم الظاهرية ـــ ويتهمون القائلين بالقياس بالعمل بالرأي في الدين، وهو أمر مجمع على عدم جواز العمل به، فإن الامام الموفق بعد أن يورد ما ورد عن الصحابة الكرام من أقوال تتفق في النهي عن العمل بالرأي، فإنه يذكر حوادث كثيرة كالحكم بامامة أبي بكر بدون نص، وكقياس العهد على العقد في عهد أبي بكر لعمر، وقتال مانعي الزكاة، وقولهم في الكلالة والجد مع الاخوة، ليدلل من خلالها على أن الرأي المذموم انما ينصرف إلى من استعمل الرأي والقياس في غير موضعه، أو بدون شرطه، وهذا الأمر مستفاد من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها»، أو ينصرف الذم إلى ترك الترتيب لا إلى أصل القول بالرأي، كما لو قدم انسان القول بالسنة على ما هو أقوى منها، أوينصرف إلى الرأي الصادر عن الجاهل الذي ليس أهلا للاجتهاد (168).

ثم يتساءل الموفق ـــ بعد أن يسوق أدلة المثبتين للقياس ـــ ويقول : أين في الكتاب مسألة الجد والإخوة والعول...... ثم قد حرمتم القياس وليس في القرآن تحريمه (169).

ويؤخذ من هذا أن الموفق يقول بالتعليل الذي هو عماد عملية القياس، كما ويذكر للعلة المعتبرة شروطا منها : التعدية والاطراد، ويقسم القياس إلى قياس شبه

---

(167) انظر روضة الناظر ص : 147ـــ148. انظر المنخول ص : 327.

(168) انظر روضة الناظر ص : 148ـــ149.

(169) انظر روضة الناظر ص : 152.

وقياس دلالة، ويوقعه على الكفارات والحدود وغيرها من الأحكام الشرعية التي شرعت لمصلحة العباد، ويجري فيها القياس.

كما ويخالف ابن قدامة ابن حزم في موضوع التقليد، حيث ينقل لنا دعوى الاجماع على جواز التقليد في الفروع، ويرى أن التقليد للعامي واجب، لأن تكليفه رتبة الاجتهاد يؤدي إلى انقطاع الحرث والنسل، وتعطيل الحرف والصنائع، وخراب الدنيا (170).

ويعرف ابن قدامة التقليد بأنه قبول قول الغير من غير حجة، ويشير إلى أن الأخذ بما ورد في كتاب الله عز وجل أو على لسان رسوله ﷺ لا يسمى تقليدا.

ويتساءل مرة أخرى، ماذا يفعل العامي إذا وقعت به نازلة جديدة ؟ هل ينتظر حتى يصل إلى رتبة الاجتهاد ؟ أم يسأل العلماء، امتثالا لأمره تعالى : ﴿فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾.... ويكتفي بحكمهم ؟ لأن في ذلك عدم ضياع الأحكام، وعدم تعطل الأعمال ومسايرة من الشريعة لكل زمان ومكان فلا يمكن أن يكون جميع الناس مجتهدين.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

---

(170) انظر روضة الناظر ص : 205—206. المنخول ص : 472—473.

القواعد الأصولية عند الإمام الشاطبي من خلال كتابه الموافقات (2)

للأستاذ الجيلالي المريني

المبحث الثاني : قواعد في المصلحة والمفسدة

المصالح المجتلبة شرعا والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية أو درء مفاسدها العادية. ح **37/2**.

المصلحة التي عملت الشريعة على جلبها، والمفسدة التي عملت على دفعها هي التي تتمحور حول الحياة الأخرى، أما الدنيا فهي وسيلة أو مقصد خادم للأخرى.

ومفاد هذه القاعدة : أن الله سبحانه وتعالى ربط بين الحياتين بوشيجة متينة، هي رابطة السبب والمسبَّب، حيث جعل المصالح الدنيا وسيلة للمصالح الأخرى، وذلك بإلزامهم بشريعة كاملة يتبعونها. فالنظر إلى المصالح والمفاسد يكون وفق ما قرره الشارع، لا من حيث ما تمليه أهواء البشر، وعليه فالمصلحة والمفسدة في الشريعة الاسلامية تتسم بالشمول ــ الحياتين الدنيا والآخرة ــ ولا تقتصر على الدنيا فقط كما هو الشأن بالنسبة للقوانين الوضعية.

فالمصالح والمفاسد المعتبرة شرعا هي ما كان بها قيام الحياة الدنيا وسيلة للغاية التي هي المصالح الأخروية، وعليه فالمصالح الدنيوية التي لا ترمي للمصالح الأخروية غير معتبرة في نظر الشارع، وعليه فإن مصالح الأهواء الدنيوية العادية لا عبرة بها شرعا، وهو نفس الحكم بالنسبة لدرء المفاسد العادية الدنيوية.

والدليل على ذلك :

1. ما مر في القاعدة الشرعية التي هي : أن المقصد الشرعي من وضع الشريعة اخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبد الله اختيارا، كما هو عبد الله اضطرارا، الشيء الذي لا يمكن معه أن يكون وضع الشريعة على وفق أهواء النفوس، قال تعالى ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموٰات والأرض ومن فيهن﴾ [1] والحق هو ما جاء به النبي ﷺ، وجعل الاتباع حقيقيا والاسناد مجازيا... وجوز أن يكون المعنى لو وافق الحق مطلقا أهواءهم لحرجت السموات والأرض عن الاصلاح والانتظام بالكلية [2].

2. اتفاق العقلاء جملة على أن المعتبر هو المصلحة التي هي عمود الدنيا والدين لا من حيث أهواء النفوس، ولذلك لم يسايروا لما سبق، وجاء الشرع حاملا المكلفين عليه طوعا أوكرها ليقيموا دنياهم لآخرتهم.

3. أن المنافع والمضار في الغالب الأعم إضافية لا حقيقية، أي أنها منافع أو مضار في حال دون حال، وفي مكان دون مكان، وبالنسبة لشخص دون شخص، أو وقت دون وقت، ومن جماعة إلى جماعة، فالنكاح المشروع مثلا منفعته للانسان ظاهرة، ولكن عند وجود داعية لذلك وكون المرأة مرغوبا فيها، ولا يولد هذا النكاح ضررا عاجلا ولا آجلا... فكثير من المنافع تكون ضررا على قوم لا منافع وإلا فقد يكون بالنسبة للبعض ضررا وعلى هذا كان النكاح تعتريه الأحكام الخمسة.

كل هذا يبين أن المصالح والمفاسد مشروعة أو ممنوعة لقيام هذه الحياة لا لنيل الشهوات لما يحصل معها الضرر، مما يؤدي إلى أن المصالح والمفاسد لا تتبع الأهواء.

4. اختلاف الأغراض في الأمر الواحد، فما يراه شخص أنه منفعة، فينفده يراه الآخر ضررا يخالف غرضه، وعلى أي حال فحصول الاختلاف في الأغراض في الأغلب الأعم هو الذي يمنع وضع الشريعة وفق هذه الأغراض.

---

(1) المومنون : 71.

(2) روح المعاني للالوسي : 18/ 52.

وشبيه بهذه القاعدة يقول العز بن عبد السلام : « الانسان مكلف بعبادة الديان باكتساب في القلوب والحواس والأركان مادامت حياته، ولم تتم حياته إلا بدفع ضروراته وحاجاته من المأكل والمشرب والملابس والمناكح وغير ذلك من المنافع، ولم يتأت ذلك إلا بإباحته» (3).

الضروريات والحاجيات والتحسينات، إذا كانت قد شرعت للمصالح الخاصة بها فلا يرفعها تخلف آحاد الجزئيات ج52/2.

يرى الامام أبو اسحاق أن تخلف آحاد الجزئيات من أية كلية من الكليات الثلاث لا يؤثر فيها ولا يرفعها، وهذا راجع :

1. إلى أن هذه الجزئيات رغم أنها داخلة في الكلي إلا أنها آخذة حكما آخر، ومثاله : مالك الجواهر النفسية، فحكمة وجوب الزكاة الغنى، وهي موجودة في مالك الجواهر النفيسة كالماس مثلا. ومع ذلك أخذ حكما آخر، هو عدم وجوب الزكاة.

2. أو أنها آخذة حكمه إلا أن المصلحة المعتبرة في الكلي غير متحققة فيها، ومثاله : العقوبات مشروعة للازدجار، مع أنا نجد من يعاقب فلا يزدجر عما عوقب عليه، هذا بالنسبة للضروريات.

أما بالنسبة للحاجيات فكالقصر في السفر، مشروع للتخفيف وللحوق المشقة، والملك المترفه لا مشقة له، والقصد في حقه مشروع. وأما في التحسينات، فإن الطهارة شرعت للنظافة على الجملة مع أن بعضها على خلاف النظافة، كالتيمم (4).

وقد استدل على هذه القاعدة بما يلي :

1. أن الغالب الأكثري بمرتبة العام القطعي شرعا، أما المختلفات الجزئية فليست بهذه المرتبة، بل لا ينتهض منها كلي يعارض هذا الكلي الثابت. ومعارضة الغالب العام القطعي لا تكون إلا بمثله أو أقوى منه، وهذا غير متحقق في التخلف الجزئي.

---

(3) قواعد الأحكام في مصالح الأنام : للعز بن عبد السلام : 2 /80.

(4) الموافقات : 2 /52 ـ 53.

2. الجزئيات المتخلفة قد يكون تخلفها لحكم خارجة عن مقتضى الكلي فلا تكون داخلة تحته أصلا، وعليه فلا يصلح الاعتراض بها أصلا. لأن الذي يمكن الاعتراض به هنا هو ما كان داخلا تحت أحكام الكلي.

ولابأس من إعادة وجهي خروج الجزئيات عن الكليات.

أ. إذا كانت آخذة حكما آخر.

ب. أو أنها آخذة حكمه إلا أن المصلحة المعتبرة في الكلي غير متحققة منها.

الجزئيات المختلفة عن الكليات	الكليات
	الضروريات / الحاجيات / التحسينيات

إلى أن قال الإمام الشاطبي : «فعلى كل تقدير لا اعتبار بمعارضة الجزئيات في صحة وضع الكليات للمصالح [5] لأن العبرة بالغالب الأعم».

الأمر في المصالح مطرد مطلقا في كليات الشريعة وجزئياتها. ج 2/54

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الشريعة الاسلامية عامة لا تختص بجهة دون أخرى، أو دولة دون دولة. وإنما جاءت للناس كافة من عرب، وعجم، شرقيين وغربيين على اختلاف مشاربهم، وتباين عاداتهم، وتقاليدهم وتاريخهم، فهي شريعة كل امرأة وشريعة كل قبيلة وشريعة كل جماعة.

ولم تأت لوقت دون وقت، أو لعصر دون عصر، وإنما هي شريعة كل وقت، وشريعةالزمن كله حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ولم يقتصر خطابها على محل دون محل، ولا بمحل وفاق دون محل خلاف، وبما أن تكاليف هذه الشريعة لها مقاصد وأهداف، استلزم أن تكون هذه المقاصد عامة ومطلقة، غير مقيدة بمحل دون محل، أو قصرها على باب دون باب أو بمحل وفاق دون محل خلاف.

---

(5) الموافقات : 2 /54.

والدليل على ذلك :

1. إذا ثبت أن الشريعة عامة ومطلقة، استلزم أن تكون مقاصدها عامة ومطلقة، ولو اختصت لم تكن موضوعة للمصالح على الاطلاق. إلا أن البرهان والدليل قام على ذلك، فثبت أن المصالح فيها غير مختصة، ولعل الدافع لتقرير الأمام الشاطبي لذه القاعدة هو الرد على القرافي وشيخه ابن عبد السلام، وبيان ما هو الواقع فيما ادعياه فيما يلي :

فالقرافي قال بأن المصالح تستمر على القول بأن المصيب في مسائل الاجتهاد واحد باعتبار الرجحان، أما المفتي المرجوح فيتعين أن يكون مخطئا، فتتناقض قاعدة المصالح مع القول بالقياس وأن الشرائع تابعة للمصالح. حيث قال : «لنا أن الله تعالى شرع لتحصيل المصالح الخالصة أو الراجحة أو درء الماسد الخالصة أو الراجحة ويستحيل وجودها في النقيض فيتحد الحكم» (6).

ونقل عن شيخ ابن عبد السلام في الجواب : أنه يتعين على هؤلاء أن يقولوا أن هذه القاعدة لا تكون إلا في الأحكام الجماعية، أما في مواطن الخلاف فلم يكن الصادر عن الله تعالى أن الحكم تابع للراجح في نفس الأمر، بل فيما في الظنون فقط كان راجحا في نفس الأمر أو مرجوحا، وسلم أن قاعدة التصويب تأبى قاعدة مراعاة المصالح لتعيين الراجح، وكان يقول يتعين على القائل بالتصويب أن يصرف الخطأ في حديث الحاكم إلى الأسباب، للاتفاق على أن الخطأ يقع فيها، وحمل كلام الشارع على المتفق عليه أولى (7).

فانبرى الشاطبي ليرد عليهما (8) فقعّد هذه القاعدة، حيث بين أن التناقض يحصل إذا عد الراجح مرجوحا من نظر واحد، أما وأنه حاصل من نظرين ظن كل واحد منهما بحسب ما تراءى له من كون العلة موجودة في المحل وفي ظنه لا في محل نفسه.

فالمخطئة حكمت بناء على أن ذلك الحكم هو ما في نفس الأمر عنده وفي ظنه. والمصوبة : حكمت بناء على أن ذلك الحكم هو ما في نفس الأمر

---

(6) تنقيح الفصول للقرافي : 439.

(7) الموافقات : 2/ 55 ـ 56.

(8) انظر الموافقات : 2/ 56 وما بعدها.

عنده وفي ظنه وكلاهما بأن في نظره ظن علة الحكم، مما يوضح بجلاء أن هذا التناقض ليس على ما هو في نفسه، مما ينتفي معه التناقض. وتطرد قاعدة : أن الأحكام مبنية على المصالح عند المصوبة والمخطئة معا.

الجزئيات مقصودة معتبرة في إقامة الكلي أن لا يتخلف الكلي فتتخلف مصلحته المقصودة بالتشريع. ج 61/2

يقرر أبو اسحاق في هذه القاعدة، الالتفات إلى الجزئيات والمحافظة عليها، لأن في الحفاظ عليها حفاظا على الكليات، فقد يعتقد معتقد أن الكليات الثلاث لهاما لها من أهمية واعتبار في الشرع، فيتطرق إلى ذهنه الاهمال وعدم الاعتبار للجزئيات، فجيء بهذه القاعدة لتبرز أهمية الجزئي والدور الذي يلعبه بالنسبة للكلي، ومن ثم وجب الحفاظ عليه : «لأنه إذا ثبتت قاعدة كلية في الضروريات أو الحاجيات أو التحسينيات فلا يرفعها آحاد الجزئيات، فكذلك إذا ثبت في الشريعة قاعدة كلية في هذه الثلاث أو في احداها فلا بد من المحافظة عليهابالنسبة إلى ما يقوم به الكلي وذلك الجزئيات» [9].

واستدل على هذه القاعدة بما يلي :

1. ترتب العتب واللوم على الترك في الجملة من غير عذر مقبول، كترك الصلاة، أو الصوم، أو الجماعة، أو الزكاة، أو الجمعة، ومعلوم أن الصلاة والزكاة والصوم جزئيات للقاعدة الكلية الضرورية وهي الدين وما أشبه ذلك.

2. وإذا تأملنا التكاليف من هذا الباب لأنها دائرة على القواعد الثلاثة والأمر والنهي جاء فيها حتما، وترتب الوعيد على فعل المنهي أو ترك المأمور به، إلا أن يكون في مواضع الأعذار، وعلى هذا الحال تبين أن الجزئيات داخلة مدخل الكليات في الطلب والمحافظة عليها.

3. أن الأمر بالكلي لا يحصل إلا بحصول الجزئيات فقصد الشارع متوجه إلى الجزئيات وليس بعضها أولى من البعض، ولذا وجب القصد إلى الجميع، وهو المطلوب.

---

(9) الموافقات : 2/ 61.

بالاضافة إلى أن اهمال القصد في الجزئيات يعود إلى اهمال القصد في الكلي، وبالتالي لا يجري كليا بالقصد، و«المقصود بالكلي هنا أن يجري أمور الخلق على ترتيب ونظام واحد لا تفاوت فيه ولا اختلاف» (10).

وحتى تطرد لامام أبي اسحاق هذه القاعدة يثير اعتراضا كالتالي : «فإن قيل هذا يعارض القاعدة المتقدمة، أن الكليات لا يقدح فيها تخلف آحاد الجزئيات» ليجيب عليه بقوله : ما نحن فيه معتبر من حيث سلامته من المعارض، وأما ما تقدم معتبر من حيث ورود العارض على الكلي، فأخرجه من هذا الكلي وأدخله في كلي آخر، أو يكون عارضه اعتبار جزئي آخر لهذا الكلي ورجح عليه، وتخلف الجزئي هنالك حفاظ على الجزئي في كلية من جهة أخرى، ومثاله اهمال الجزئي من قاعدة حفظ الأنفس لاعتبار جزئي آخر في كليه أيضا وهو النفس المجني عليها، فصار عين اعتبار الجزئي في كليه هو عين اهمال الجزئي في مقابل المحافظة على كليه.

وعليه فتخلف آحاد الجزئيات عن كليه لغير عارض لا يصح شرعا، لأنه قادح فيها أما تخلفه لعارض فذلك يكون راجعا إلى المحافظة على ذلك الكلي من جهة أخرى، أو على كلي آخر، كقتل المرتد لم يحافظ على هذا الجزئي من كلي حفظ النفس، رعاية لكلي آخر أقوى منه في الرعاية، وهو حفظ الدين.

الطاعة أو المعصية تعظم بحسب عظم المصلحة أو المفسدة الناشئة عنها. ج 2/298 ـ 299

مفهوم هذه القاعدة أنه بقدر ما تعظم المصلحة أوالمفسدة بقدر ما تعظم الطاعة أو المعصية الناشئة عنها، لأن أعظم المصالح ما تعلق بالأمور الضرورية الخمسة المعتبرة في كل ملة، وان أعظم المفاسد ما أخل بهذه الضروريات الخمس.

وقد استدل الشاطبي على هذا بكون الوعيد مرتبطا بالاخلال بها : كما في الكفر، وقتل النفس، وما يرجع إليه، والزنى، والسرقة، وشرب الخمر، وما يرجع إلى ذلك مما وضع له حد أو وعيد.

---

(10) الموافقات : 2 /62.

أما ما كان راجعا إلى حاجي أو تكميلي، فإنه لم يوضع له حد أو وعيد في نفسه، وإن كان راجعا إلى أمر ضروري، وهذا ثابت بالاستقراء.

ثم يقول : «ليست الكبيرة في نفسها مع كل ما يعد كبيرة على وزان واحد ولا كل ركن مع ما يعد ركنا على وزان واحد أيضا، كما أن الجزئيات في الطاعة والمخالفة ليست على وزان واحد، بل لكل منهما مرتبة تليق به »(11)، لأن المصالح والمفاسد قسمان :

1. ما به صلاح العالم أو فساده، كإحياء النفس في المصالح، وقتلها في المفاسد، وهذا على مراتب.

ففي رتبة ضروري الدين مراتب، فأعلاه إيمان بالله، بدليل قوله ﷺ، حين سئل عن أفضل الأعمال ؟ فقال : إيمان بالله، قيل ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله، قيل ثم أي ؟ قال : حج مبرور» (12).

فجعل الايمان أفضل الأعمال لجلبه لأحسن المصالح، ودرئه لاقبح المفاسد فمصالحه اجراء أحكام الاسلام في الدنيا، وصيانة النفوس، والأموال، والأطفال، وفي الآخرة الفوز بالخلود في الجنة، ورضاء الرحمن. وجعل بعد الايمان الجهاد لأنه به يعز الدين ويمحق الكافرين، وفي الآخرة الأجر العظيم...

وجعل الحج في الرتبة الثالثة، لدنو مصالحه عن مصالح الجهاد فمصالحه الجزاء بالجنة، ودرؤه للمفاسد الذي هو مغفرة الذنوب. وهكذا على سبيل المثال تبين لنا، أن مراتب الضروريات، بل داخل الضروريات نفسها تفاوت، وتفاضل، ومراتب.

أما فيما يخص ضروري الدين مع غيره من الضروريات. فالدين أعظم المصالح، ولذلك يهمل في جانبه النفس، والعقل، والنسل، والمال. والنفس يهمل في جانبها العقل والنسل والمال، وهكذا سائرها.

2. ما به كمال ذلك الصلاح أو ذلك الفساد، وهو على مراتب أيضا فمثلا

---

(11) الموافقات : 2 /300.

(12) أي العمل أفضل ...»أخرجه البخاري في كتاب الايمان والجهاد والتوحيد، ومسلم في كتاب الايمان والنسائي في كتاب الصيام، والدرامي في كتاب الصلاة وفضائل القرآن، وأحمد بن حنبل.

مفسدة بيع الجنين في البطن كبيع الغائب على الصفة وهو ممكن الرؤية من غير مشقة.

إلا أن البعض قال: بأن المشقة هي مناط الأجر في تطبيق الأحكام [13] بأدلة منها، قوله ﷺ لعائشة: «أجرك على قدر نصبك [14]» مما ينتهض اعتراضا على القاعدة.

إلا أنني أرى أن الحديث يمكن فهمه على أن الأجر يحصل بمقدار حرص واهتمام ومشقة المكلف في ايقاع مقاصد الشرع.

أما الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي فقد حرر محل النزاع بتقسيمه إلى قسمين ما هو متفق عليه، وما هو مختلف فيه [15].

والإمام الشاطبي نفسه يسعفنا بقوله التالي: «وهو أن المشقة ليس للمكلف أن يقصدها في التكليف نظرا إلى عظم أجرها، وله أن يقصد العمل الذي يعظم أجره لعظم مشقته من حيث هو عمل.

أما هذا الثاني فلانه شأن التكليف في العمل كله، لأنه إنما يقصد نفس العمل المترتب عليه الأجر، وذلك هو قصد الشارع بوضع التكليف به، وما جاء على موافقة قصد الشارع هو المطلوب [16].

كل من كلف بمصالح نفسه فليس على غيره القيام بمصالحه مع الاختيار. ج 364/2

في إطار المصالح الدنيوية يقرر أبو اسحاق هذه القاعدة، اعتمادا على التكليف، والتقابل. حيث قرر أن الملكف الذي عين وكلف بمصالح نفسه الدنيوية، فليس على غيره القيام بمصالحه مع الاختيار، بدليل قوله تعالى: ﴿وأن ليس للانسان إلا ما سعى﴾[17] وقوله أيضا: ﴿ولاتزر وازرة وزر أخرى﴾ [18] وقوله:

(13) ضوابط المصلحة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: 102.

(14) «ولكنها قدر [نفقتك] أو نصبك» اخرجه البخاري في كتاب العمرة، ومسلم في كتاب الحج، وأحمد بن حنبل.

(15) ضوابط المصلحة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: 102.

(16) الموافقات: 2 /128.

(17) النجم: 39.

(18) الأنعام: 164.

﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ [19] وقوله : ﴿ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه﴾ [20] وغيرها من الآيات الدالة على أن هذه المسائل ومثلها لا يقوم فيها أحد عن أحد، وذلك :

«1. لأنه مهما كلف بها، وتعينت عليه، يكون في مقابل هذا أنها سقطت على غيره مادام قد تعينت عليه.

2. لو كان الغير مكلفا بها أيضا، لكانت متعينة على هذا المكلف، وذلك لأنه المقصود حصول المصلحة، أودرء المفسدة، وقد قام به الغير بحكم التكليف، والتعيين، فلزم ألا يكون هو مكلفا بها، ومع العلم أنا فرضناه مكلفا بها على التعيين، وهذا خلف لا يصلح.

3. وتكليف الغير بها إما على التعيين، وإما على الكفاية وعلى كل تقدير فغير صحيح.

ـــ فاما كونه على التعيين.

ـــ واما على الكفاية، فالفرض أنه على المكلف عينا لا كفاية، فيلزم أن يكون واجبا عليه عينا، غير واجب عليه عينا في حالة واحدة، وهو محال» [21].

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

المبحث الثالث : قواعد في تعليل الأحكام الشرعية

الأصل في العبادات التعبد، وفي العادات التعقل. ج 300/2

في هذه القاعدة يبين الأمام أبو اسحاق الشاطبي المجال الذي يمكن أن يبحث فيه عن المعاني والعلل، وبالتالي استخدام القياس، فقرر أن ذلك محله العادات، وهو الأصل فيها.

أما العبادات فالأصل فيها التعبد، وعدم التعليل، لأن الشارع الحكيم لم يضعها على محض عقولنا : وقد دلل الشاطبي ـــ على هذا بأمور، منها :[22].

(19) فاطر : 18.

(20) فاطر : 18.

(21) الموافقات : 365.364/2.

(22) الموافقات : 2 /300 وما بعدها.

1. **الاستقراء** : بدليل أن الشارع فرض الغسل من المني وابطل الصوم بإنزاله عمدا وهو طاهر دون البول والمذي وهو نجس، فطهارة الحدث تتعدى محل موجبها بخلاف طهارة البدن والثوب والمكان من الاخباث فإنها لا تتعدى.

وأوجب الشارع قضاء الصوم على الحائض والنفساء دون الصلاة، وسائر أركان العبادات المفروضة من أركان الاسلام، أي أن الموجبات متحدة مع اختلاف الموجبات، والدعاء يطلب في السجود لا في الركوع، والنوافل تطلب في أوقات، وتمنع في أوقات أخرى، وجمع ــ الشارع ــ بين الماء والتيمم في التطهير مع أن التيمم ليس فيه نظافة حسية [23]. وهكذا سائر العبادات كالصوم والحج وغيرهما، على اعتبار أن الحكمة العامة الانقياد لأوامر الله تعالى، والحصول على مرضاته، وهذا لا يتأتى معه علل خاصة يفهم منها حكم خاص، ولو كان أمر على هذه الشاكلة لما حد لنا أمر مخصوص، ولما حصل لوم من خالف هذه الأوامر. فتبين أن ما حد هو المقصود الشرعي الأول للتعبد به، وأن غيره غير مقصودة شرعا.

2. إن عدم وضع الشارع الأدلة على التوسع في العبادات كما هو الشأن في العادات يفيد التقيد بالعبادات، دون الالتفات إلى معانيها فضلا على أن المناسب في العبادات عده الأصوليون وغيرهم مما لا نظير له، ومثاله رخصة المسافر وإفطاره وقصر الصلاة، والجمع بين الصلاتين، وما أشبه ذلك، دون المقيم المجهود مما يوضح أن علل العبادات غير مفهومة الخصوص.

3. انطلاقا من قوله تعالى : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [24] وقوله : ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [25].

يرى الامام ــ الشاطبي ــ أن الشريعة هي التي بينت ما يجب التعبد به، ورفعت تكليف ما لا يطاق مبينا أن أزمنة الفترات لم يهتد العقلاء فيها إلى وجوه التعبدات، واهتداءهم لوجوه معاني العادات، ومن ثم كان الواقف مع مجرد الاتباع فيه أولى بالصواب، وأجرى على طريقة السلف الصالح، وهو رأي مالك رحمه الله.

---

(23) هذه الأمور ومثلها جعلها ابن قيم الجوزية معللة، انظر القياس في الشرع الاسلامي ابن تيمية، ابن قيم الجوزية من 67 إلى 191.

(24) الاسراء، الآية : 15.

(25) النساء، الآية : 165.

ـــ حيث لم يلتفت في تحقيق رفع الاحداث إلا مع وجود النية والماء المطلق، وان حصلت النظافة [26].

ـــ وامتنع من إقامة غير التكبير مقامة والتسليم كذلك [27] كما أن غير الفاتحة لا يقوم مقامها في الصلاة عند الشافعية لاحتمال التعبد بالإعجاز اللفظي والمعنوي، وعند أبي حنيفة يقوم مقامها تعويلا على المعنى [28].

ـــ واقتصر ـــ الامام مالك ـــ على مجرد العدد في الكفارات.

ـــ ومنع من إخراج القيم في الزكاة [29].

كما أن الصلاة معللة بنصوص : قال تعالى : ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ [30]. وقوله : ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [31].

والإمام الشاطبي نفسه يقر بهذا حيث يقول : «إن أصل مشروعيتها ـــ الصلاة ـــ الخضوع لله سبحانه باخلاص التوجه إليه، والانتصاب على قدم الذلة، والصغار بين يديه، وتذكير النفس بالذكر له... ثم إن لها مقاصد تابعة كالنهي عن الفحشاء والمنكر، والاستراحة إليها من أنكاد الدنيا في الخبر «ارحنا بها يا بلال [32]... وطلب الرزق بها... وانجاح الحاجات،... وطلب الفوز بالجنة والنجاة من النار،... وكون المصلي في خفارة الله.... ونيل أشرف المنازل...» [33].

---

(26) انظر الكافي في فقه المدينة المالكي لابن عبد البر، ص : 19 ـ 20.

(27) انظر الكافي في فقه المدينة المالكي لابن عبد البر، ص : 39، بالنسبة للدخول في الصلاة.

(28) انظر تخريج الفروع على الأصول للزنجاني : 44.

(29) مسألة إخراج القيم في الزكاة اختلف فيها فقهاء المذهب، فوافق بعضهم الامام فيما ذهب إليه، وخالفه البعض الآخر، قال ابن رشد الجد : «وجه تفرقة ابن القاسم بين أن يخرج عن العين حبا، أو عن الحب عينا، هو أن العين أعم نفعا لأنه يقدر أن يشتري به ما شاء من جميع الأشياء، والحب قد يتعذر عليه أن يشتري به شيئا آخر حتى يبيعه بعين فيعني من ذلك ولعله يبخس فيه، وقال ابن حبيب إنه لا يجزيه في الوجهين ـ جميعا ـ إلا أن يجب عليه عين فيخرج حبا ـ إرادة الرفق بالمساكين عند حاجة الناس إلى الطعام ـ إذا كان عزيزا غير موجود.
وقال ابن أبي حازم، وأبي دينار، وابن وهب، واصبغ : لأحب له أن يفعل ذلك أبدا، فإن فعل وكان فيه وفاء لما كان وجب ـ أي ذلك كان ـ اجزأه، وهذا القول اظهر الاقوال» البيان والتحصيل لابن رشد الجد : 2 /512.

(30) سورة طه، الآية :14.

(31) سورة العنكبوت، الآية : 45.

(32) خرجه أحمد بن حنبل.

(33) الموافقات : 2 /339 ـ 340.

وفي الصيام قال تعالى : ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (34) ويعلل الامام الشاطبي الصيام «بسد مسالك الشيطان والدخول من باب الريان، والاستعانة على التحصين في العزبة...» (35).

وفي الزكاة قال تعالى : ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ (36). وفي الحديث : «تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم» (37). وفي الحج قال تعالى : ﴿وأذن في الناس بالحج ... ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله أيام معلومات﴾ (38).

ونفس الشيء بالنسبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، قال تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ (39).

والشاطبي نفسه لاينكر تعليل العبادات جملة، وإن كان يرى أن التفاصيل الأصل فيها عدم التعليل، حيث قال : «وقد علم أن العبادات وضعت لمصالح العباد في الدنيا أو في الاخرة على الجملة، وإن لم يعلم ذلك على التفصيل» (40).

ويقول الزنجاني في إطار هذه القاعدة عن الامام الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما «إنه رأى التعبد في الأحكام هو الأصل غَلَّب احتمال التعبد وبني مسائله في الفروع عليه. وأبو حنيفة رضي الله عنه حيث رأى التعليل هو الأصل بنى مسائله في الفروع عليه (41).

ويقول العز بن عبد السلام : «المشروعات ضربان : أحدهما : ما ظهر لنا أنه جالب لمصلحة أو داريء لمفسدة، أو جالب داريء لمصلحة، ويعبر عنه بأنه معقول المعنى.

---

(34) سورة البقرة الآية : 183.

(35) الموافقات : 2/ 400.

(36) التوبة، الآية : 103.

(37) اخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والدرامي، كل منهما في كتاب الزكاة واخرجه البخاري أيضا في كتاب المغازي، وأخرجه أحمد بن حنبل.

(38) سورة الحج، الآية : 28.27.

(39) البقرة الآية : 193.

(40) الموافقات : 1/ 201.

(41) تخريج الفروع على الأصول للزنجاني : 41.

الضرب الثاني : ما لم يظهر لنا جلبه لمصلحة أو درؤه لمفسدة ويعبر عنه بالتعبد، وفي التعبد من الطواعية والاذعان مما لم تعرف حكمته ولاتعرف علته ما ليس مما ظهرت علته وفهمت حكمته، فإن ملابسه قد يفعله لأجل تحصيل حكمته، وفائدته، والمتعبد لا يفعل ما تعبد به إلا إجلالا للرب وانقيادا إلى طاعته ويجوز أن تجرد التعبدات عن جلب المصالح ودرء المفاسد، ثم يقع الثواب عليها بناء على الطاعة والاذعان من غير جلب مصلحة غير مصلحة الثواب، ودرء مفسدة غير مفسدة العصيان، فيحصل من هذا أن الثواب قد يكون على مجرد الطواعية من غير أن تحصل تلك الطواعية جلب مصلحة أو درء مفسدة، سوى مصلحة أجر الطواعية» (42).

ويتفرع عن العمل بهذه القاعدة، أو عدم العمل بها مسائل، اذكر البعض مما ذكره الزنجاني :

ــ إن الماء يتعين لازالة النجاسة عند العاملين بهذه القاعدة كمالك والشافعي ولا يلحقه غيره به تغليبا للتعبد، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه ــ والذي يرى أن التعليل هو الأصل ــ يلحق به كل مائع طاهر مزيل للعين والأثر تغليبا للتعليل.

ــ ومنها، إن الماء المتغير بالطهارات كالزعفران والاشنان، إذا تفاحش تغيره لم يجز التوضؤ به (عند الشافعي)، بناء على الأصل المذكور فإنه تعبد استعمال الماء بالاتفاق، والميع اسم الماء، وهذا يندرج تحت اسم المطلق.

ومنها أن جلد الكلب لا يطهر بالدباغ (عند الشافعي رضي الله عنه) تغليبا للتعبد بترجيح الاجتناب على الاقتراب. وعند الحنفية يطهر تشوفا إلى التعليل.

ومنها أن ذكاة ما لا يؤكل لحمه لا تفيد طهارة الجلد عند الذين أخذوا بهذه القاعدة مراعاة للتعبد، كما في ذكاة المجوس، ونجاسة اللحم من هذا الذبيح.

وعندهم ــ الحنفية ــ يطهر تشوفا إلى تعليل الطهارة بسفح الدم والرطوبات المتعفنة.

---

(42) قواعد الأحكام في مصالح الأنام : للعز بن عبد السلام : 1 /22.

ومنها، أن تخليل الخمر حرام، والخل الحاصل منه نجس عند الآخذين بهذه القاعدة تغليظا للأمر فيها.

وعندهم ـــ الحنفية ـــ جائز، والخل الحاصل منه طاهر تعليلا بزوال علة النجاسة كما في الدباغ» (43).

كل ما ثبت فيه اعتبار التعبد فلا تفريع فيه، وكل ماثبت فيه اعتبار المعاني دون التعبد، فلا بد فيه من اعتبار التعبد. ج 310/2

ينفي الامام الشاطبي استخدام القياس في الأمور التي ثبت فيها اعتبار التعبد، لأن هاته الأمور لا مجال فيها لادراك العقل، وما لا يدرك بالعقل لا تدرك علته، ومالا تدرك علته لا يجوز فيه القياس، كالركوع والسجود في الصلاة.

وبعد هذا ينتقل ـــ أبو اسحاق ـــ إلى تقرير قاعدة، قد يتوهم القارىء في أول لحظة، أن هناك تعارضا، في قوله : «كل ما ثبت فيه اعتبار المعاني دون التعبد، فلابد فيه من اعتبار التعبد» (44)، لأنه هنا، ليس المراد بالتعبد بالمعنى الخاص الذي يجب ألا يدخله القياس والتفريع، بل المراد به أن يكون لله فيه حق، وإذا قصده المكلف بالفعل أثيب، وتكون مخالفته قبيحة يستحق العقاب عليها، وينضم إليه معنى آخر وهو أنه لابد لنا في كل مصلحة عرفناها من وقفة عندها : هل تعينت هذه العلة للمصلحة بحيث لا يكون للحكم علة ومصلحة إلا هذه ؟ فهذا التوقف نوع من التعبد : بمعنى عدم معقولية المعنى تعقلا كاملا، فالتعبد هنا بمعنى عام لا ينافي القياس والتفريع إذا وجدت شروطه (45).

وقد استدل عن هذه القاعدة بعدة أمور :

1. أن معنى الاقتضاء أو التخيير لازم للمكلف من حيث هو مكلف، عرف المعنى الذي لأجله شرع الحكم أو لم يعرفه، وما عليه إلا الامتثال والانقياد، بخلاف اعتبار المصالح فإنه غير لازم، فإنه عبد مكلف، فإذا أمره سيده لزمه امتثال أمره باتفاق العقلاء.

---

(43) انظر تخريج الفروع على الأصول للزنجاني من 41 إلى 46.

(44) الموافقات : 2 /310.

(45) نفس المصدر : 2 /310 تعليق الشيخ دراز.

بخلاف المصلحة فإن اعتبارها غير لازم له من حيث هو عبد مكلف على رأي المحققين، وإذا كان كذلك فالتعبد لازم لاخيرة فيه، واعتبار المصلحة فيه الخيرة، وما فيه الخيرة يصح تخلفه عقلا، وإذا وقع الأمر والنهي شرعا لم يصح تخلفهما عقلا، فإنه محال، فالتعبد بالاقتضاء أوالتخير لازم باطلاق ـــ أي سواء فيما ثبت فيه اعتبار التعبد وما ثبت فيه اعتبار المعاني ـــ واعتبار المصالح غير لازم باطلاق ـــ لا فيما ثبت فيه اعتبار التعبد، وهو ظاهر، ولا فيما ثبت فيه اعتبار المعاني ـــ خلافا لمن ألزم اللطف والأصلح.

وأيضا فإنه لازم على رأي من ألزم الأصلح، وقال بالحسن والقبح العقليين، فإن السيد إذا أمر عبده لأجل مصلحة هي علة لأمر بالعقل، يلزم الامتثال من حيث مجرد الأمر، لأن مخالفته قبيحة، ومن جهة اعتبار المصلحة أيضا، فإن تحصيلها واجب عقلا بالفرض، فالأمران على مذهبهم لازمان، ولا يقول أحد منهم أن مخالفة العبد أمر سيده مع قطع النظر عن المصلحة غير قبيح، بل هو قبيح على رأيهم وهو معنى لزوم التعبد.

2. إنا إذا فهمنا بالاقتضاء أو التخيير حكمة مستقلة في شرع الحكم، فلا يلزم من ذلك أن لا يكون ثم حكمة أخرى ومصلحة ثانية وثالثة وأكثر من ذلك... وهذا لا ينافي جواز التعبد، لأن القياس قد صح كونه دليلا شرعيا، ولا يكون شرعيا إلا على وجه نقدر على الوفاء به عادة، وذلك إذا ظهر لنا علة تصلح للإستقلال بشرعية الحكم، ولم نكلف أن ننفي ما عداها، فإن الأصوليين مما يجوزون كون العلة خلاف ما ظهر لهم، أو كون ذلك الظاهر جزء علة لا علة كاملة، لكن غلبة الظن بأن ما ظهر مستقل بالعلية، أو صالح لكونه علة، كان في تعدي الحكم به، وأيضا فقد أجاز الجمهور تعليل الحكم الواحد بأكثر من علة، وكل منهما مستقل، وجميعها معلوم، فتعلل بإحداها مع الاعراض عن الأخرى، وبالعكس، ولا يمنع ذلك القياس وإن أمكن أن تكون الأخرى في الفرع أو لا تكون فيه وإذا لم يمنع ذلك فيما ظهر، فأولى أن لا يمنع فيما لم يظهر، فإذا ثبت هذا لم يبق للسؤال مورد، فالظاهر هو المبني عليه حتى يتبين خلافه، ولا علينا.

3. إن المصالح في التكليف ظهر لنا من الشارع أنها على ضربين :

1. ما يمكن الوصول إلى معرفته بمسالكه المعروفة، كالاجماع، والنص،

والاشارة، والسبر [46]، والمناسبة [47]، وغيرها. وهذا القسم هو الظاهر الذي نعلل به، ونقول إن شرعية الأحكام لأجله.

2. ما لا يمكن الوصول إلى معرفته بتلك المسالك المعهودة، ولا يطلع عليه إلا بالوحي، كالأحكام التي أخبر الشارع فيها أنها أسباب الخصب والسعة وقيام أبهة الاسلام، وكذلك التي أخبر في مخالفتها أنها أسباب العقوبات وتسليط العدو، وقذف الرعب، والقحط، وسائر أنواع العذاب الدنيوي والأخروي.

فمثلا ورد ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين﴾ [48]. هل يجعل الاستغفار علة أيضا في قوة الابدان وسعة العلم وغير ذلك، فيقاس على الامداد بالأموال والبنين.

إذا كان معلوما من الشريعة في مواطن كثيرة أن ثم مصالح أخر غير ما يدركه المكلف، لا يقدر على استنباطها، ولا على التعدية بها في محل آخر، إذ لا يعرف كون المحل الآخر وهو الفرع وجدت فيه تلك العلة البتة، لم يكن إلى اعتبارها في القياس سبيل، فبقيت موقوفة على التعبد المحض، لأنه لم يظهر للأصل المعلل بها شبيه إلا ما دخل تحت الاطلاق أو العموم المعلل، وإذذاك يكون أخذ الحكم المعلل بها متعبدا به، ومعنى التعبد به الوقوف عند ماحد الشارع فيه من غير زيادة ولا نقصان.

4. إن السائل إذا قال للحاكم :لم لا تحكم بين الناس وأنت غضبان ؟ فأجاب بأني نهيت عن ذلك، كان مصيبا، كما أنه إذا قال لأن الغضب يشوش عقلي وهو مظنة عدم التثبت في الحكم، كان مصيبا أيضا.

والأول جواب التعبد المحض، والثاني جواب الالتفات إلى المعنى، وإذا جاز اجتماعهما وعدم تنافيهما جاز القصد إلى التعبد، وإذا جاز القصد إلى التعبد دل على أن هنالك تعبدا. وإلا لم يصح توجه القصد إلى ما لا يصح القصد له من

(46) السبر هو اختبار الوصف في صلاحيته وعدمها للتعليل به : (مباحث العلة في القياس عند الأصوليين : عبد الحكيم عبد الرحمن السعدي، المفتي العراقي : 444.

(47) مما عرفت به المناسبة : «الوصف الظاهر المنضبط الذي يحصل عقلا من ترتب الحكم عليه ما يصلح أن يكون مقصودا من حصول مصلحة أو دفع مفسدة» ويتميز هذا التعريف بضبط وتحديد المعرف. ويعده عن الأمور العقلية. انظر : نفس المصدر السابق، ص : 398 ـ 399.

(48) سورة نوح، الآية : 10 ـ 11 ـ 12.

معدوم أو ممكن أن يوجد أو لا يوجد، فلما صح القصد مطلقا صح المقصود له مطلقا، وذلك جهة التعبد وهو المطلوب.

5. إن كون المصلحة مصلحة تقصد بالحكم، والمفسدة كذلك، مما يختص بالشارع، لا مجال للعقل فيه بناء على قاعدة نفي التحسين والتقبيح... فإذا كون المصلحة مصلحة هو من قبيل الشارع بحيث يصدقه العقل وتطمئن إليه النفس، فالمصالح من حيث هي مصالح قد آل النظر فيها إلى أنها تعبديات، وما انبنى على التعبدي لا يكون إلا تعبديا.

ومن ثم يقول العلماء أن من التكاليف «ما هو حق لله خاصة» وهو راجع إلى التعبد.

وما هو حق للعبد : ويقولون في هذا الثاني أن فيه حقا لله، كما في قاتل العمد إذا عُفي عنه ضُرب مائة وسجن عاما.... وما أشبه ذلك من المسائل الدالة على اعتبار التعبد وأن عقل المعنى الذي لأجله شرع الحكم، فقد صار إذا كل تكليف حقا لله، فإن ما هو لله فهو لله، وما كان للعبد فراجع لله. من جهة حق الله فيه، ومن جهة كون حق العبد من حقوق الله، إذ كان لله أن لا يجعل للعبد حقا أصلا.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ومن هذا الموضع يقول كثير من العلماء إن «النهي يقتضي الفساد باطلاق» علمت مفسدة النهي أم لا.

6. إن النية شرط في كون العمل عبادة، والنية المرادة هنا نية الامتثال لأمر الله ونهيه وإذا كان هذا جاريا في كل فعل وترك، ثبت أن في الأعمال المكلف بها طلبا تعبديا على الجملة [49]. ومما ينبني على هذه القاعدة [50].

إن كل حكم شرعي ليس بخال عن حق الله تعالى، كما أن كل حكم شرعي ففيه حق للعباد إما عاجلا وإما آجلا.

فأما الأول : فحق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وعبادته امتثال أوامره واجتناب نواهيه باطلاق، فإن جاء ما ظاهره إنه حق للعبد مجردا فليس

(49) الموافقات : 2/ 310 إلى 317.

(50) انظر نفس المصدر من ص 317 إلى 320.

كذلك باطلاق، بل جاء على تغليب حق العبد في الأحكام الدنيوية.

كما أن كل حكم شرعي ففيه حق للعباد إما عاجلا وإما آجلا : بناء على أن الشريعة إنما وضعت لمصالح العباد.

حق العبد : ما كان راجعا إلى مصالحة في الدنيا، فإن كان من المصالح الأخروية فهو من جملة ما يطلق عليه أنه حق لله. ومعنى التعبد عندهم أنه ما لا يعقل معناه على الخصوص، وأصل العبادات راجعة إلى حق الله، وأصل العادات راجعة إلى حقوق العباد.

ومن هنا تتبين الفائدة الثانية : وهي : أن الأفعال بالنسبة إلى حق الله أو حق الآدمي ثلاثة أقسام :

1. ما هو حق لله خالصا، كالعبادات، وأصله التعبد، فإذا طابق الفعل الأمر صح، وإلا فلا.

2. ما هو مشتمل على حق الله وحق العبد، والمغلب فيه حق الله، وحكمه راجع إلى الأول.

3. ما اشترك فيه الحقان وحق العبد هو المغلب، وأصله معقولية المعنى، فإذا طابق مقتضى الأمر والنهي فلا إشكال في الصحة لحصول مصلحة العبد بذلك عاجلا أو آجلا حسبما يتهيأ له.

ــ وإن وقعت المخالفة فهنا نظر : أصله المحافظة على تحصيل مصلحة العبد.

فإما أن يحصل مع ذلك حق العبد ولو بعد الوقوع، على حد ما كان يحصل عند المطابقة أو أبلغ أو لا.

فإن فرض غير حاصل فالعمل باطل، لأن مقصودا لشارع لم يحصل. وإن حصل ــ ولا يكون حصوله إلا مسببا عن سبب آخر غير السبب المخالف ــ صح وارتفع مقتضي النهي بالنسبة إلى حق العبد.

ــ شمول العبادة للدين كله :

لقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن قول الله عز وجل : ﴿يا أيها الناس

اعبدوا ربكم﴾ (51) ما العبادة ؟ وما فروعها ؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا ؟ فأجاب وقد بدأها بقوله : «العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والمملوك من الآدمين، والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة».

«وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والانابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله» (52).

وعلى هذا فالعبادة ــ كما شرحها ابن تيمية ــ دائرة واسعة، فهي تشمل أركان الاسلام الخمسة. كما تشمل التعبد التطوعي من تلاوة ودعاء وذكر، وتسبيح وتهليل وتكبير وتحميد، وتشمل حسن المعاملة، والاخلاق، والفضائل الانسانية، والأخلاق الربانية وغير ذلك مما لم أذكره.

بل إن ابن تيمية رحمه الله يرى : «ان الدين كله داخل في العبادة.... إذ الدين يتضمن معنى الخضوع والذل يقال : دنته فدان، أي أذللته فذل، ويقال يدين الله ويدين لله، أي يعبد الله ويطيعه ويخضع له فدين الله : عبادته وطاعته والخضوع له والعبادة أصل معناها الذل أيضا» (53).

ــ العبادة تسع الحياة كلها :

وعن هذه المسألة يقول الدكتور يوسف القرضاوي : «إن الدين قد جاء يرسم للانسان منهج حياته، الظاهرة والباطنة، ويحدد سلوكه وعلاقاته، وفقا لما يهدي إليه هذا المنهج الالهي.... إن عبادة الله تسع الحياة كلها، وتنتظم أمورها قاطبة : من أدب الأكل والشرب، وقضاء الحاجة، إلى بناء الدولة، وسياسة الحكم،

---

(51) سورة البقرة الاية : 21.

(52) العبودية : لابن تيمية : 3 ــ 4.

(53) العبودية لابن تيمية : 5 ــ 6.

وسياسة المال، وشؤون المال، وشؤون المعاملات والعقوبات وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب» (54).

ـــ شمول العبادة لكيان الانسان كله :

فالمسلم يعبد الله بالحواس، بالفكر، وبالقلب، وباللسان، وبالسمع والبصر، كما يعبده ببدنه، وماله، ونفسه، وهجرة أهله، ووطنه (55).

وعلى هذا يفهم قوله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ (56).

ـــ كما أن هذه القاعدة تخدم قاعدة المقصد الأول من المقاصد الضرورية وهو حفظ الدين الذي يتصدر الضروريات الخمس.

لا نيابة في العبادات : ج 227/2

في هذه القاعدة يميز أبو اسحاق بين المطلوب الشرعي الذي هو من العادات، وبين الذي هو من العبادات، من حيث النيابة فيهما، موضحا مجال النيابة في العاديات الجارية بقوله : «إن حكمة العاديات إن اختصت بالمكلف فلا نيابة، وإلا صحت النيابة (57) وعليه فالنيابة في العاديات الجارية صحيحة، فيما ليس له اختصاص بالمكلف، فيجوز للانسان أن ينوب منابه في استجلاب المصالح ودرء المفاسد عنه، بالاعانة والوكالة، وغيرهما، لأن الحكمة المطلوبة يصح الاتيان بها من المكلف أو من غيره، كالبيع والشراء والأخذ وما أشبه ذلك، اللهم إلا إذا كانت هذه العاديات الجارية مشروعة لحكمة لا تتعدى المكلف عادة أو شرعا.

ومثال الأول : كالأكل والشرب واللباس، والسكنى، وغير ذلك مما جرت به العادة.

---

(54) العبادة في الاسلام : د. يوسف القرضاوي : 51.

(55) للمزيد من التفصيل انظر مدارج السالكين لابن القيم. شرح منازل السائرين إلى مقامات «إياك نعبد وإياك نستعين».

(56) الذاريات : 56 ـ 57 ـ 58.

(57) الموافقات : 2 /228.

ومثال الثاني : كالنكاح وأحكامه التابعة له من وجوه الاستمتاع التي لا تصح النيابة فيه شرعا».

فأما ما كان راجعا إلى المال فقط فإن النيابة فيه تصح باتفاق. وإما إن كانت دائرة بين الأمر المالي وغيره، فهو مجال اجتهاد واختلاف كالحج والكفارات. بالنسبة للحج، فهناك من غلب الجانب التعبدي وهناك من غلب الجانب المالي.

أما الكفارات : فهل وضعت للزجر أو الجبر، فمن قال بالأول منع النيابة فيهما، ومن قال بالثاني، أجازها.

أما التعبدات الشرعية : فيقول الامام الشاطبي : «لا يقوم فيها أحد عن أحد، ولا يغني فيها عن المكلف غيره، وعمل العامل لا يجتزىء به غيره. ولا ينتقل بالقصد إليه، ولا يثبت إن وهب، ولا يحمل إن تحمل، وذلك بحسب النظر الشرعي القطعي نقلا وتعليلا» (58) مستدلا على صحة هذا بما يلي :

1. **النصوص الدالة على ذلك** : منها قوله تعالى : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (59) وقوله : ﴿وأن ليس للانسان إلا ما سعى﴾ (60) وقوله : ﴿ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه﴾(61) وقوله : ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا﴾ (62).

وفي الحديث حين أنذر عليه الصلاة والسلام عشيرته الأقربين : « يا بني فلان إني لا أملك لكم من الله شيئا» (63) وهذه الآيات القرآنية كلها عمومات لا تحتمل التخصيص والنسخ لأنها محكمات نزلت بمكة احتجاجا على الكفار لذا وجب اتخاذها عمدة في الكليات الشرعية.

2. **المعنى** : فمقصود العبادات هو الخضوع لله، والوقوف بين يديه وتطبيق أحكامه ومراقبته، والسعي في- مرضاته بذات نفسه والنيابة تنافي هذا

---

(58) نفس المصدر : 2 /228.

(59) فاطر الآية : 18.

(60) النجم، الآية : 39.

(61) فاطر الآية : 18.

(62) الانفطار الآية : 19.

(63) أخرجه أحمد بن حنبل.

المقصود، لأن افراد الخالق بالخضوع والتذلل والوقوف بين يديه، يتنافى، وان يتصف بالعبودية النائب، فيصبح المنوب بمنزلة النائب، لأن مهمة العبادات أن تغرس في ضمير مؤديها روح التقوى لله تعالى، وإن تمنحه شحنة روحية كلما نسي، وتقوي عزمه، وتذوي ايمانه.

3. إنه لو صحت النيابة في الأعمال البدنية لصحت في الأعمال القلبية كالايمان وغيره، والرضى، والتوكل والرجاء، وما أشبه ذلك، ولنجم عن ذلك أن أصبحت التكاليف غير عينية، لجواز النيابة، ولصح هذا في المصالح المختصة بالأعيان من العاديات، كالأكل والشرب وغيرهما. وكل هذا باطل.

وقد يعترض على هذه القاعدة بما يمس جانب اطرادها، لذلك فإن الشاطبي لم يغفل عن ذلك بل أجاب عنه بما يلي : [64]

ـــ أما قاعدة الصدقة على الغير فليست من هذا الباب، لأنها من باب التصرفات المالية، وكلامنا في نيابة في عبادة من حيث هي تقرب إلى الله تعالى.

ـــ وأما قاعدة الدعاء فهو من باب الشفاعة للغير.

ـــ «وأما قاعدة النيابة في الأعمال البدنية والمالية فإنها مصالح معقولة المعنى، لا يشترط فيها ـــ من حيث هي كذلك ـــ نية، بل المنوب عنه إن نوى القربة فيما له سبب فيه فله أجر ذلك، فإن العبادة منه صدرت لامن النائب، والنيابة على مجرد التفرقة أمر خارج عن نفس التقرب باخراج المال، والجهاد وإن كان من الأعمال المعدودة في العبادات، فهي في الحقيقة معقولة المعنى، كسائر فروض الكفايات التي هي مصالح للدنيا، لكن لا يحصل لصاحبها الأجر الأخروي إلا إذا قصد وجه الله تعالى وأعلاء كلمة الله، فإن قصد الدنيا فذلك حظه مع أن المصلحة الجهادية قائمة، كقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد شعبة منها.

على أن من أهل العلم من كره النيابة في الجهاد بالجعل، لما فيه من تعريض النفس للهلكة في عرض من أعراض الدنيا، ولو فرض هنا قصد التقرب بالعمل لم يصح فيه من تلك الجهة نيابة أصلا، فهذا الأصل لا اعتراض به أيضا».

---

(64) الموافقات : 2 /236.

ـــ وأما قاعدة المصائب فمن باب الغرامات، والمعاوضات.

ـــ ومسألة الغرس والزرع من باب المصائب في المال والاحسان به، إن كان بارادة المالك.

ـــ ومسألة العاجز عن الأعمال راجعة إلى الجزاء على الأعمال المختصة بلا نيابة فنية العاجز عن عبادة واجبة المتمثلة في القيام بها لو قدر عليها جعلته كمن عمل، تفضلا من الله سبحانه.

وأما حديث تعذيب الميت ببكاء الحي، فقد حمله على عادة العرب في تحريض المريض أهله على البكاء عليه، حين يظن الموت. وأما حديث : من سن سنة حسنة...، وحديث : ابن آدم الأول... وحديث : انقطاع العمل إلا من ثلاث ....، ومأشبه ذلك، فقد حمله الامام الشاطبي على أن الجزاء فيها يعود إلى عمل المأجور أو الموزور.

ثم يتقدم خطوة أخرى نحو هذه الأحاديث من حيث معارضتها كنصوص لهذه القاعدة ـــ لا نيابة في العبادات ـــ حيث أجاب بأمور :

1. الأحاديث فيها مضطربة، مما يضعف الاحتجاج بها فأحرى أن تعارض الأصول القطعية.

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

2. اختلاف الناس في العمل بهذه الأحاديث.

فمنهم من قبل ما صح منها باطلاق كأحمد بن حنبل. ومنهم من قال ببعضها فأجاز ذلك في الحج، دون الصيام، وهو مذهب الشافعي. ومنهم من منع بإطلاق، كمالك بن أنس. وهذا مما يضعف الأخذ به في النظر.

3. من العلماء من تأول الأحاديث : بكون الأنبياء صلوات الله عليهم أرادوا أن لا يمنعوا أحدا عن فعل الخير.

4. وقال بعض العلماء : يحتمل أن تكون هذه الأحاديث خاصة بمن كان به تسبب في تلك الأعمال.

5. وأما قوله ﷺ : «صام عنه وليه» (65) فمحمول على ما تصح فيه

---

(65) أخرجه البخاري وأبو داود في كتاب الصوم، ومسلم في كتاب الصيام، وابن ماجة في الكفارات، وأحمد بن حنبل.

النيابة وهو الصدقة، مجازا، على اعتبار أن القضاء إما أن يكون بمثل المقضي أو بما يقوم مقامه عند تعذره، وقضاء الصيام الاطعام، والحج والنفقة عمن يحج عنه، أو ما أشبه ذلك.

6. هذه الأحاديث لم تبلغ مبلغ التواتر المعنوي أواللفظي، حتى تعارض أصلا قطعيا، بناء على قاعدة، الظنيات لا تعارض القطعيات (66).

إلا أن رد الامام الشاطبي لهذه الأحاديث، وبهذه الكيفية لم يسلم هو من الرد، حيث وقفت على مقال يضم بين طياته ردا، يحسن بي أن أنقله : يقول الدكتور حمد عقله الابراهيم مجيبا : «متى ثبتت صحة الحديث عملوا به، وليس العكس، وهذا الإمام الشافعي وغيره طرح رأيه إزاء الحديث الصحيح.

وأما اضطرابها ــ الأحاديث ــ فالاضطراب غير معتبر متى ثبتت صحة الحديث، لأن محله جنس السائل، ونوع العبادة المسؤول عنها، وهذا ربما نشأ عن تعدد الحوادث والسائلين وصنوف العبادة التي سألوا عنها، وليس من شأن هذه الاختلافات الهامشية أن تمس صلب أحاديث ضمتها كتب الصحاح، أو تقدح في حجيتها (67)».

وحتى تكون النظرة شمولية نوعا ما، ويمكن على أثرها الترجيح فإني سأتناول :

النيابة في الصلاة عن الميت.
والنيابة في الزكاة عن الميت.
والنيابة في الصيام عن الميت.
والنيابة في الحج عن الحي والميت.

1. النيابة في الصلاة :

لقد اتفق الفقهاء على عدم صحة النيابة في الصلاة على الحي، صحيحا كان أم مريضا، لأن المقصود بالعادات الخضوع لله تعالى، والتدلل له ومناجاته

(66) الموافقات : 238/2 إلى 240.

(67) مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية، تحت مقال عنوانه : النيابة في العادات للدكتور حمد عقله، ص : 115. السنة الثانية، العدد الرابع.

والامتثال للمطلوب... وهذا يتنافي والنيابة فيه، اما إذا مات المسلم، وذمته مشغولة بصلاة أو صلوات فالمسألة خلافية :

1. ذهب جمهور العلماء من السلف والخلف إلى عدم جواز نيابة أحد عن أحد في قضاء ما على الميت من صلاة فرضا كانت أو نافلة (68).

2. إذا مات وعليه نذر صلاة، أو صلاة كان قد تركها لعذر من نوم أو نسيان فلوليه أن يؤديها عنه، فإن امتنع استؤجر من رأس ماله من يؤدي دين الله مثله، وهو قول ابن حزم (69) وهو رواية عن الحنابلة في الصلاة المنذورة (70).

2. النيابة في الزكاة :

وها يجب التمييز بين النيابة بمعنى التوكيل والنيابة بمعنى اخراجها من مال الزكاة لا بمعنى التوكيل.

فأما بالمعنى الأول : فقد اتفق العلماء على أن الذي وجبت عليه الزكاة، له أن يؤديها بنفسه، كما له أن يوكل غيره في توزيعها على مستحقيها بل إن المالكية اعتبروا هده النيابة أمرا مستحبا بعدا عن الرياء، وخوفا عليه من أنه إذا تولى تفرقتها بنفسه يقصد حمد الناس وثناءهم عليه.

وقد تجب هذه النيابة إن علم من نفسه ذلك، ولم يكن مجرد خوف، كذلك إذا جهل من يستحق الزكاة، فعليه أن يوكل من يضعها موضعها ويعطيها أهلها (71).

والدليل على جواز التوكيل، هو أن النبي ﷺ بعث عماله وقد وكل إليهم جمع الزكاة فيمن تجب عليهم، وهذا معاذ بن جبل يقول له ﷺ حين أرسله إلى اليمن : «أعلمهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم» (72). أما بالمعنى الثاني : فالنيابة عن الحي في الزكاة لا تجوز، لأن

(68) الميزان الكبرى : 1 /141.

(69) انظر المحلى لابن حزم : 8/27 ـ 28.

(70) كشف القناع : 2 /336.

(71) الشرح الكبير وحاشيته الدسوقي عليه : 1 /498.

(72) رواه الشيخان.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الأصل أن الزكاة واجبة في مال الشخص، فيبقى هذا الأصل مستصحبا إلى أن يرد الدليل، والدليل لم يرد.

3. النيابة في الصيام :

اتفق العلماء على أن النيابة في الصيام عن الحي لا تصح بحال، لا بالنفس ولا بالمال، اما في حال الموت : فهناك حالتان : الأولى : إما أن يكون المسلم قد أفطر بعذر من مرض أو سفر أو حيض أورضاع، ولم يصم واستمر به العذر حتى الموت، فلا إثم في الآخرة، ولا شيء على الورثة في الدنيا، ولا يلزم في تركته صيام ولا إطعام في قول أكثر أهل العلم ووجه هذا القول : أن الصيام فرض وجب بالشرع ولم يتمكن من فعله حتى الموت فيسقط عنه بالعذر إلى غير بدل كالحج [73].

«وقال قتادة وطاوس يجب الاطعام عنه، لأن الصوم واجب سقط عنه بالعجز، فيصير إلى الاطعام قياسا على الشيخ الهرم، إذا عجز عن الصيام لزمه الاطعام» [74].

الثانية : ان يفطر من وجب عليه الصيام سواء افطر بعذر أو بغير عذر ويتمكن من قضائها ثم يموت دون أن يقضيها : فقد اختلف الفقهاء في حكم النيابة عنه في الصيام أو ما يقوم مقامه من الاطعام ولهم في ذلك مذاهب.

1. ذهب الحنفية [75] والمالكية [76] إلى أن الصيام يسقط عنه بالموت، ولا يجب على الورثة الصيام أو الاطعام عنه إلا إذا أوصى بذلك قبل موته، فإذا أوصى جاز الاطعام عنه دون الصيام عند الحنفية وجاز الصيام والأطعمة عند المالكية.

2. ذهب سائر الفقهاء إلى جواز الصيام أو الإطعام ولكنهم اختلفوا في ذلك :

---

(73) انظر المغني : 3 /84.

(74) المغني : 3 /84.

(75) بدائع الصنائع : 2 /103.

(76) بداية المجتهد : 1 /219.

أ. فالظاهرية قالوا بوجوب الصوم عنه [77].

ب. وقال الشافعي في مذهبه القديم : يخير الولي بين الصيام والاطعام فأيهما فعل جاز، وهذا القول هو المختار عند الشافعية [78].

ج. قال الشافعي في الجديد من مذهبه : يجب في تركته كل يوم مد من طعام ولا يصح صيام وليه عنه [79]، وهو قول أكثر أهل العلم وروي ذلك عن عائشة وابن عباس وبه قال مالك والليث والأوزاعي والثوري والخزرجي وأبو عبيدة في الصحيح عنهم [80].

د. أما الحنابلة، فقالوا : إن كان الصيام عن رمضان أطعم عنه ولم يجز الصيام، وإن كان عن نذر يصام عنه [81].

4. النيابة في الحج :

وهي إما أن تكون عن الحي أو عن الميت. فإن كانت عن الحي : فإما أن يؤديها النائب والمنوّب قادر مستطيع بنفسه في حج الفرض، فلا تصح النيابة اجماعا، ولم تجزىء عن الفرض إلا في الوضع الذي وردت فيه الرخص [82]. واما إن كانت النيابة في حج النفل مع استطاعة المنوب بدنيا وماليا.

أ. فقد ذهب الحنفية إلى جواز الاستنابة [83].

ب. وقال الشافعية، لا تجوز النيابة [84].

وإذا كان عاجزا عن الحج بنفسه وهو ما يسمى عند الفقهاء بالمعضوب أو المعصوب [85] ففي المسألة خلاف بين المذاهب.

---

(77) انظر المحلى : 7 /2.

(78) انظر المجموع : 6 /369.

(79) المجموع : 6 /368.

(80) المغني : 3 /84.

(81) انظر المغني : 84/3 ـ 85.

(82) انظر المجموع : 7 /112 والمغني : 3 /185.

(83) المغني : 3 /185.

(84) انظر المجموع : 7 /116 والمغني : 3 /185.

(85) المعضوب بالعين المهملة والضاد المعجمة وهو من العضب بفتح العين وإسكان الضاد وهو القطع، لأن الزمانة ونحوها قطعت حركته، وهو العاجز عن الحج بنفسه لزمانة، أو كسر أو مرض لا يرجى زواله... وقال الرافعي هو المعصوب بالصاد المهملة كأنه ضرب على عصه فقطعت اعضاؤه. تهذيب الأسماء واللغات : 4 /25. (تحقيق)

1. فمذهب الشافعية والحنابلة والحنفية [86] في رواية الحسن عن أبي حنيفة [87] والظاهرية [88]، أن من توفرت فيه شروط وجوب الحج وكان غير قادر على الحج بنفسه فهو ملزم بفريضة الحج بانابة غيره عنه، فإن لم يفعل استقر الحج في ذمته.

2. وهو مذهب المالكية [89] وقول الحنفية في رواية أخرى [90]، أنه لا يلزم العاجز عن الحج بنفسه عن الحج أن يؤدي الحج مطلقا. أما الذي وجب عليه الحج أثناء الحياة وتمكن من أدائه فمات ولم يحج :

1. فقد ذهب الشافعية والحنابلة والظاهرية إلى أن الوجوب يستقر في ذمته مما يلزم ورثته الاحجاج عنه من رأس مال تركته [91].

2. وقال الحنفية والمالكية يسقط الحج بالموت، ولا يحج عنه إلا إذا أوصى، فإذا أوصى حج عنه من ثلث ما له ــ تركته ــ ويكون تطوعا [92].

ومما سبق يتبين :

1. أن العبادات البدنية من صلاة وصيام لا تقبل النيابة عن الحي، أما عن الميت ففيه خلاف بين الفقهاء.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

2. أما العبادات المالية من زكاة وصدقات وهدي فتقبل النيابة، والنيابة هنا بمعنى التوكيل لا بمعنى الاخراج.

3. أما النيابة في الحج على الحي مع القدرة فلا تصح، أما إذا كان غير قادر، ففيه خلاف، أما عن الميت، ففيه خلاف كما سبق وبعبارة أخرى، فالحي لا يجوز له أن ينيب عن صلاته وصيامه، وكذا الحج في حالة عجزه.

أما العبادات المالية فيجوز أن يوكل من يخرج له الزكاة، وينيب من يحج عليه ان لم يقو على الحج بنفسه.

---

(86) انظر المغني : 3 /181.
(87) المبسوط للسرخسي : 4 /153.
(88) انظر المحلى لابن حزم : 7 /53 وما بعدها.
(89) بداية المجتهد : 1 /233 وشرح الزرقاني على الموطأ : 2 /292.
(90) انظر المبسوط : 4 /153 وما بعدها.
(91) انظر المحلى : 7 /62 والمغني : 3 /189 والمجموع : 7 /112.
(92) انظر بدائع الصنائع : 2 /221 والمجموع : 7 /112.

أما النيابة عن الميت في العبادات، فأمر مختلف فيه بين الفقهاء بين الجواز وعدم الجواز كما سبق.

مما يتضح معه : أن الأصل والغالب في العبادات عدم النيابة عن الحي أما عن الميت ففيه خلاف.

وأرى أن حالة النيابة عن الميت هي حالات استدراكية واستثنائية كما أنها قليلة إذا ما قيست مع حالة النيابة عن الحي، الشيء الذي يمكن أن يقال معه : بأن الأصل عدم النيابة في العبادات كما قرر ذلك الامام الشاطبي.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ملحق

جرد للقواعد الأصولية المهمة التي تضمنها كتاب الموافقات.

أولا : قواعد أصولية شرعية :

أ. قواعد أصولية شرعية في الأدلة.

قواعد أصولية شرعية في طبيعة الدليل الشرعي.

1. كل دليل شرعي قطعي فلا إشكال في اعتباره.
2. كل دليل شرعي ظني راجع إلى أصل قطعي فهو معتبر.
3. الظني المعارض لأصل قطعي، ولا يشهد له أصل قطعي مردود بلا إشكال.
4. الظني الذي لا يشهد له أصل قطعي، ولا يعارض أصلا قطعيا، فهو في محل النظر، وحكمه حكم المناسب الغريب.
5. كل دليل شرعي يمكن أخذه كليا.
6. العقل تابع للشرع.
7. العقل ليس بشارع.
8. كل أصل شرعي لم يشهد له نص معين، وكان ملائما لتصرفات الشارع ومأخوذا من أدلته فهو صحيح ينى عليه ويرجع إليه إذا كان ذلك الأصل قد صار بمجموع أدلته مقطوعا به.
9. معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن.
10. ان القرآن نزل بلسان العرب على الجملة.
11. المدني مبني على المكي.
12. كل ما لم يرده القرآن من الحكايات فهو حق.

قواعد أصولية شرعية في دليل السنة.

13. فعله ﷺ دليل على مطلق الاذن فيه ما لم يدل دليل على غيره.
14. تركه ﷺ دال على مرجوحية الفعل.
15. لا حرج في الفعل الذي رآه عليه السلام، أو سمع به فأقره.
16. الاقرار المقابل بالترك يفيد المعارضة.
17. بيان الصحابة حجة فيما اجمعوا عليه.

قواعد أصولية شرعية في الاجتهاد.

18. محال الاجتهاد المعتبر هي ما ترددت بين طرفين وضح في كل واحد منهما قصد الشارع في الاثبات في أحدهما والنفي في الاخر فلم تنصرف البتة إلى طرف النفي ولا إلى طرف الاثبات.
19. الاجتهاد إن تعلق بالاستنباط من النصوص فإنه لابد من اشتراط العلم بالعربية، وإن تعلق بالمعاني من المصالح والمفاسد مجردا من اقتضاء النصوص لها أو مسلمة من صاحب الاجتهاد فلا يلزم في ذلك العلم بالعربية وإنما يلزم العلم بمقاصد الشريعة.
20. فتاوي المجتهدين بالنسبة إلى العوام كالأدلة الشرعية بالنسبة إلى المجتهدين.
21. من الخلاف ما لا يعتد به في الخلاف.
22. الشريعة بحسب المكلفين كلية عامة.
23. الشريعة كلها ترجع إلى قول واحد في فروعها، وان كثر الخلاف كما أنها في أصولها كذلك.

ب. قواعد أصولية شرعية في الأحكام.

قواعد أصولية شرعية في الأحكام التكليفية.

قواعد أصولية شرعية في المباح.

24. المباح من حيث هو مباح لا يكون مطلوب الفعل ولا مطلوب الترك.
25. الاباحة بحسب الكلية والجزئية يتجاذبها الأحكام البواقي.

26. المباح إنما يوصف بكونه مباحا إذا اعتبر فيه حظ المكلف فقط.
27. يصح أن يقع بين الحلال والحرام مرتبة العفو.
28. ما أصله الاباحة للحاجة أو الضرورة إلا أنه يتجاذبه الأحكام العوارض المضادة لاصل الاباحة وقوعا أوتوقعا هل يكر على أصل الاباحة بالنقض ؟.
29. الاباحة المنسوبة إلى الرخصة معناها رفع الحرج لا التخيير.

قواعد أصولية شرعية في الواجب

30. الواجب واجب بالكل والجزء.
31. العبرة في المطلوب الشرعي المؤقت ايقاعه في وقته.
32. طلب الكفاية متوجه على الجميع من جهة كلي الطلب، أما من جهة جزئية ففيه تفصيل.

قواعد أصولية شرعية في المندوب والمكروه

33. إذا كان الفعل مندوبا بالجزء كان واجبا بالكل.
34. المندوب خادم للواجب.
35. إذا كان الفعل مكروها بالجزء كان ممنوعا بالكل.

قواعد أصولية شرعية في الأحكام الوضعية.

قواعد أصولية شرعية في الأسباب.

36. مشروعية الأسباب لاتستلزم مشروعية المسببات وأن صح التلازم بينهما.
37. ايقاع السبب بمنزلة ايقاع المسبب.
38. وضع الأسباب يستلزم قصد الواضع إلى المسببات.
39. الدخول في الأسباب لا يخلو أن يكون منهيا عنه أولا، فإن كان منهيا عنه فلا اشكال في طلب رفع التسبب، وإن كان غير منهي عنه، فلا يطلب رفع التسبب.

40. لا يعتبر من الأسباب شرعا إلا ما كان له حكمة معلومة الوقوع أو مظنونته.
41. أسباب الرخص ليست بمقصودة التحصيل للشارع، ولا مقصودة للرفع.
42. الأصل أن السبب المتوقف التأثير على شرط فلا يصح أن يقع المسبب دونه.

قواعد أصولية شرعية في الشروط.

43. الشرط مع المشروط كالصفة مع الموصوف.
44. كل شرط لا يلائم مقصود مشروطه ولا يكمل حكمته فهو باطل.
45. الشرط في خطاب التكليف مقصود، وفي خطاب الوضع غير مقصود.

قواعد أصولية شرعية في الموانع.

46. فعل المانع أو تركه من حيث هو داخل تحت خطاب التكليف مأمورا به أو منهيا عنه، أو مخيرا فيه، تنبنى الأحكام على مقتضى حصوله.
47. فعل المانع بقصد إسقاط حكم السبب غير صحيح.
48. من الموانع ما لا يتأتى فيه اجتماعه مع الطلب، ومنه ما يتأتى فيه ذلك.
49. الموانع ليست مقصودة للشارع.

قواعد أصولية شرعية في العزيمة والرخصة.

50. العزائم مطردة مع العادات الجارية، والرخص جارية عند انخراق تلك العوائد.
51. الرخص فيما لا يصبر عليه من المشاق مطلوبة، وفي المقدور عليه عزيمة أو مباح.
52. الرخص اضافية لا أصلية.
53. طلب التخفيف بوجه غير شرعي باطل.
54. المشقة غير مقصودة للشارع.
55. المشقة الأخروية غير مقصودة.

56. المشقة الخارجة عن معتاد المشقات في الأعمال العادية، فمقصود الشارع فيها الرفع على الجملة، وإما إذا لم تكن خارجة عن المعتاد، فالشارع وإن لم يقصد وقوعها فليس بقاصد لرفعها.
57. الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل.

ج. قواعد أصولية شرعية في مقاصد الشريعة ومتعلقاتها.

58. تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق.
59. المقاصد الضرورية في الشريعة أصل للحاجية والتحسينية.
60. الحاجيات والتحسينيات تابعة للضرويات.
61. الأحكام الخمسة إنما تتعلق بالأفعال والتروك بالمقاصد.
62. المقاصد معتبرة في التصرفات.
63. المقصد الشرعي من وضع الشريعة اخراج المكلف عن داعية هواه.
64. قصد الشارع من المكلف أن يكون قصده في العمل موافقا لقصده في التشريع.
65. من مقصود الشارع في الأعمال دوام المكلف عليها.
66. موافقة العمل لمقتضى المقاصد الأصلية يستلزم صحته وسلامته مطلقا.
67. من ابتغى في التكاليف ما لم تشرع له فعمله باطل.
68. لا عبرة بالحيل في الدين.
69. إذا كان الأمر في ظاهره وباطنه على أصل المشروع فلا اشكال، وإذا كان الظاهر موافقا والمصلحة مخالفة فالفعل غير صحيح ولا مشروع.
70. المصالح المجتلبة شرعا والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية أو درء مفاسدها العادية.
71. الضروريات والحاجيات والتحسينيات، إذا كانت قد شرعت للمصالح الخاصة بها فلا يرفعها تخلف آحاد الجزئيات.
72. الأمر في المصالح مطرد مطلقا في كليات الشريعة وجزئياتها.
73. الجزئيات مقصودة معتبرة في إقامة الكلي أن لا يتخلف الكلي فتتخلف مصلحته المقصودة بالتشريع.

74. الطاعة والمعصية تعظم بحسب عظم المصلحة أو المفسدة الناشئة عنها.
75. كل من كلف بمصالح نفسه فليس على غيره القيام بمصالحه مع الاختيار.

قواعد أصولية شرعية في تعليل الأحكام الشرعية

76. الأصل في العبادات التعبد، وفي العادات التعقل.
77. كل ما ثبت فيه اعتبار التعبد فلا تفريع فيه، وكل ما ثبت فيه اعتبار المعاني دون التعبد، فلابد فيه من اعتبار التعبد.
78. لا نيابة في العبادات.

د. قواعد أصولية شرعية مختلفة :

79. اقتضاء الأدلة للأحكام بالنسبة إلى محالها على وجهين : أصلي وتبعي.
80. لانسخ في الكليات.
81. من الخطأ اعتبار جزئيات الشريعة دون كلياتها أو العكس.
82. كل ما كان من حقوق الله فلا خيرة فيه للمكلف على حال، وأما ما كان من حق العبد في نفسه فله فيه الخيرة.
83. الحقوق الواجبة المحددة لازمة لذمة المكلف مترتبة عليه دينا والحقوق الواجبة غير المحددة، لازمة له، وهو مطلوب بها غير أنها لا تترتب في ذمته.
84. إن مجاري العادات في الوجود أمر معلوم لا مظنون.
85. ما لا يختلف في العوائد يقضى به على ما تقدم وما يختلف فلا.

ثانيا : قواعد أصولية لغوية.

أ. قواعد أصولية لغوية في الأمر والنهي.

86. الأمر بالمطلقات يستلزم قصد الشارع إلى ايقاعها، كما أن النهي يستلزم قصده لترك ايقاعها.
87. الأمر بالمطلق لا يستلزم الأمر بالمقيد.

88. الأمر المخير يستلزم قصد الشارع إلى أفراده المطلقة المخير فيها.
89. كل خصلة أمر بها أو نهى عنها مطلقا من غير تحديد ولا تقدير فليس الأمر والنهي فيها على وزن واحد في كل فرد من أفرادها.
90. الأمر والنهي إذا تواردا على متلازمين فكان أحدهما مأمورا به، والاخر منهيا عنه عند فرض الانفراد، وكان أحدهما في حكم التبع للاخر وجودا أو عدما فإن المعتبر من الاقتضائين ما انصرف إلى جهة المتبوع، واما ما انصرف إلى جهة التابع فملغي وساقط الاعتبار شرعا.
91. الأمر والنهي إذا تواردا على شيء واحد، واحدهما راجع إلى بعض أوصافه أو جزئياته أو نحو ذلك، فالمعتبر هو جواز اجتماعهما.
92. الأمر والنهي يتواردان على الفعل واحدهما راجع إلى جهة الأصل والآخر راجع إلى جهة التعاون، هل يعتبر الأصل أم جهة التعاون ؟
93. الأمران يتواردان على الشيء الواحد باعتبارين، إذا كان أحدهما راجعا إلى الجملة، والآخر راجع إلى بعض تفاصيلها، أو إلى بعض أوصافها، أو إلى بعض جزئياتها، فاجتماعهما جائز حسبما ثبت في الأصول.
94. المطلوب الفعل بالكل هو المطلوب بالقصد الأول، وقد يصير مطلوب الترك بالقصد الثاني كما أن المطلوب الترك بالكل هو المطلوب الترك بالقصد الأول، وقد يصير مطلوب الفعل بالقصد الثاني، وكل واحد منهما لا يخرج عن أصله من القصد الأول.

ب ـ قواعد أصولية لغوية في العموم والخصوص

95. العمومات جارية على العموم الاستعمالي الشرعي.
96. العموم ثابت بالصيغ والاستقراء.
97. العمومات إذا اتحد معناها وانتشرت في أبواب الشريعة أو تكررت في مواطن بحسب الحاجة من غير تخصيص، فهي مجراة على عمومها.
98. إذا ثبتت قاعدة عامة أو مطلقة، فلا تؤثر فيها معارضة قضايا الأعيان، ولا حكايات الأحوال.

ج ــ قواعد أصولية لغوية مختلفة

99. كل ما كان من المعاني العربية التي لا ينبغي فهم القرآن إلا عليها فهو داخل تحت الظاهر.
100. الاعتراض على الظواهر غير مسموع.
101. الاجمال اما متعلق بما لا ينبغي عليه تكليف، وإما غير واقع في الشريعة.
102. التشابه لا يقع في القواعد الكلية، وإنما يقع في الفروع الجزئية.
103. التشابه واقع في الشرعيات إلا أنه قليل.





بتطوان من الحماية إلى الاستقلال (1331-1376هـ/1912-1956م)(2)

للدكتور ادريس خليفة

الصحافة

كانت تطوان خلال هذه الفترة رائدة في المجال الصحفي، إذ توفرت لها عوامل أدت إلى النهضة في الميدان الفكري وبروز مثقفين وأدباء وعلماء شعروا بضرورة الكتابة والتعبير بواسطة الصحافة، وعلى الرغم من أن الامكانات المادية المتاحة للصحافة كانت ضئيلة، فإن القناعة الفكرية والوطنية بضرورة العمل الثقافي ذللت هذه الصعوبة، فأصبحنا أمام صحافة متنوعة في اتجاهاتها وميولها تستقطب اهتمام كتاب أسهموا في نشاطها بأفكار نيرة وأسلوب جيد طليق من القيود الشكلية، على نمط الأسلوب الذي كان مستعملا في الصحافة الراقية بالشرق العربي، بعيد عن التعقيد، سلس، منجذب للمواضيع التي لها أهمية اجتماعية ووطنية وإسلامية، ولهذا فإن صحافة هذه الفترة هي مما يشرف هذه المدينة التي كان لها أكثر من عطاء في ميادين الفكر والوطنية والتعليم والمحافظة على الأصالة.

ونجد في اللائحة التي أصدرتها وزارة الاعلام بتطوان، بمناسبة معرضها الصحفي الأول بالمدينة بتاريخ 5 مارس 1978م والتي أوردت فيها أسماء الصحف التي كانت تصدر بها مرتبة على حروف المعجم مع ذكر المؤسس أو المدير وطبيعة المجلة أو الجريدة بيانا مفيدا عن هذه الحركة وأهميتها، وذلك حسب ما يأتي :

العنــوان	المؤسس أو المدير	الاتجــاه
1. الاتحاد	ادارة الحماية	مجلة علمية أدبية فنية
2. الأخبار	محمد بن أحمد داود	أسبوعية وطنية حرة
3. الأخبار	عبد السلام العسري	جريدة اخبارية ثقافية
4. الاصلاح	المجلس العلمي بتطوان	مجلة علمية أدبية
5. الاصلاح	ادارة الحماية	جريدة أسبوعية اخبارية
6. الارشاد الديني	محمد الطنجي	مجلة اسلامية ثقافية
7. الأمانة	محمد بلهاشمي	مجلة دينية ثقافية
8. الأمة	محمد الخطيب	صوت حزب الاصلاح الوطني
9. الأنوار	محمد مدينة	مجلة ثقافية
10. الأنيس	محمد المراكشي ومحمد الحجرة	مجلة ثقافية فنية
11. بريد الصباح	محمد بن عبد الله الوزاني	جريدة يومية اخبارية
12. تطوان	نيابة التربية الوطنية بالشمال	مجلة الأبحاث
13. تطوان	علي الريسوني	جريدة اخبارية مستقلة
14. تمودة	معهد الأبحاث	جريدة الأبحاث المغربية
15. الجذوة	حسن الطريبق	مجلة فكرية ثقافية
16. الجريدة الرسمية	ادارة الحماية	الحياة الادارية بالمنطقة
17. الجريدة الرسمية للأوقاف	وزارة الأوقاف بالمنطقة الخليفية	تعنى بشؤون الأوقاف
18. جريدة افريقيا	ملحق لاكسيطادي افريكا	جريدة اخبارية
19. الحرية	أحمد غيلان	صوت حزب الاصلاح الوطني
20. الحديقة	محمد أبو خبزة	مجلة ثقافية
21. الحياة	عبد الخالق الطريس	جريدة اخبارية سياسية
22. الدستور	ابراهيم الوزاني	يومية سياسية اخبارية
23. الرابطة الرياضية	بركة الريسوني	مجلة رياضية
24. الريف	التهامي بن عبد الله الوزاني	جريدة سياسية ثقافية

25. زهرة تطوان	ثانوية خديجة أم المؤمنين	مجلة طلابية
26. الســـلام	محمد أحمد داود	مجلة شهرية ثقافية
27. الشــراع	عبد الكريم الطبال	مجلة أدبية ثقافية
28. الشهــاب	محمد العربي الشويخ	جريدة أسبوعية اخبارية
29. صيحة البادية	محمد المبارك	اجتماعية سياسية
30. كتامــة	خسينطو لويس خرخي	ملحق أدبي لمجلة تمودة
31. لسان الدين	محمد تقي الدين الهلالي	مجلة ثقافية جامعة
32.المجتمع	محمد العربي الشاوش	صحيفة ثقافية اجتماعية
33. مجلة الغرفة التجارية	الغرفة التجارية والصناعية	مجلة اقتصادية
34. مجلة الغرفة الفلاحية	الغرفة الفلاحية	مجلة تعنى بالفلاحة
35. مجلة القوانين المغربية	موسى عبود	مجلة تعنى بالقانون
36. المسرح الأدبي	فرقة المسرح الأدبي	مجلة فنية أدبية
37. المصباح	محمد النجار	مجلة ثقافية علمية
38. المعتمد	طورينا مركدير	مجلة ادبية ثقافية
39. المعرفة	حسن المصمودي	مجلة ثقافية شعرية
40. المعرفة	حسن المصمودي	صحيفة أسبوعية اخبارية
41. المغرب الحر	عبد السلام الطود	صوت حزب المغرب الحر
42. المغرب الجديد	محمد العربي بنجلون	مجلة علمية ثقافية
43. الموقف الأسبوعي	خ مشبال وط. الشويخ	جريدة أسبوعية اخبارية
44. الموقف	خ مشبال وط. الشويخ	مجلة ثقافية
45. الميثاق	عبد الله كنون	صوت رابطة علماء المغرب
46. النبراس	أحمد بلقات	مجلة ثقافية أدبية
47. النصــر	مانويل ل أرطيكا	مجلة العالم الاسلامي
48. النصــر	محمد المنتصر الريسوني	مجلة أدبية ثقافية
49. النهــار	محمد أبو العيش بيصة	جريدة يومية اخبارية

50. النهضـــة	عبد الواحد الشـاط	لسان حال النادي الثقافي
51. النـــور	اسماعيل الخطيب	جريدة اسلامية
52. نور الهداية	عمر مفتي زادة	أسلامية حرة
53. الهدى	محمد العربي الشويخ	صحيفة دينية ثقافية
54. الوحدة المغربية	محمد المكي الناصري	جريدة اخبارية
55. الوعي القومي	جمعية الوعي القومي	مجلة ثقافية اجتماعية

فهذه اللائحة التي أصدرتها نيابة وزارة الأنباء بالاقليم ــ كما رأينا ــ ترتب أسماء الصحف والمجلات التطوانية على حروف المعجم، وتشتمل على صحف ومجلات أصدرت قبل الاستقلال، وصحف ومجلات أصدرت بعده، ويهمنا نحن الكلام على ما صدر من الصحف ومجلات قبل الاستقلال فمنها صحف ومجلات قامت بدور رائد وطالت مدة اصدارها، وصحف ومجلات عابرة، بعضها لم يعمر إلا فترة قصيرة، تحسب بالأشهر والسنة والسنتين، ومنها صحف ومجلات ذات اتجاهات سياسية، وصحف ومجلات ذات اتجاهات أدبية وفنية وتاريخية، وصحف ومجلات ذات اتجاهات دينية اصلاحية، وإن كان من الملاحظ أن هذه الاتجاهات كلها تظهر بصفة عامة في مختلف المجلات والصحف، حيث نرى الصحيفة والمجلة التي يغلب عليها اتجاه معين، تظهر على صفحاتها اتجاهات أخرى أدبية وسياسية وعلمية وفنية وتاريخية.

والملاحظ أن لائحة وزارة الأعلام أدرجت اسم مجلة كانت تصدر بالاسبانية بتطوان وهي مجلة (تمودة) مع أن اللائحة مخصصة ــ فيما يبدو ــ للصحف والمجلات العربية، كما أدرجت اسم مجلة (الوعي القومي) مع أن هذه المجلة كانت تصدر بطنجة، وليس بتطوان كما قد يتوهم.

وقد كانت مدينة تطوان من الناحية التاريخية ثانية مدينة مغربية صدرت بها صحيفة سيارة، وكانت الصحيفة الأولى التي صدرت بها اسبانية اللغة وتحمل اسم (طنين تطوان) El eco de Tetuan وذلك عام ألف وثمانمائة وستين ميلادية إبان الاحتلال الأول لهذه المدينة، ولم يصدر منها في تلك الفترة إلا عدد واحد مؤرخ بفاتح

مارس وكانت تطبع في مطبعة حربية اسبانية بأمر من رودريكو Carlos Rodrigo [1] وكان مقر هذه المطبعة بساحة الفدان (ساحة الحسن الثاني) وهي أول مطبعة عرفها المغرب، عملت خارج المراكز الشاطئية الشمالية التي تحتلها الدولة الإسبانية، وأعني بهذا سبتة ومليلية والجزر الشاطئية، ومن المرجح أن تكون هذه المطبعة قد حملت بعد ذلك إلى سبتة بعد انسحاب الاسبان عن تطوان قريبا من التاريخ المذكور، وذلك لأن جريدة (مخبر تطوان) El Noticiario de Tetuan التي طبعت بها بعد ذلك خلال ستة أشهر من الاحتلال المذكور كانت أنماط حروفها مختلفة عن أنماط الحروف التي استعملت في الجريدة الأولى [2]، وعليه تكون جرية (مخبر تطوان) التي صدر عددها الأول بتاريخ 16 غشت من سنة 1860م وتوقفت عن الصدور في 13 فبراير 1861م هي ثاني جريدة عرفتها تطوان في تلك الفترة وكانت تصدر عن مطبعة كنطيو Cantillo التي كان مقرها بشارع المشور (شارع ايبيريا كما سماه الاسبان آنذاك)، وكانت أول مطبعة اسبانية بالمغرب استعملت حروفا عربية.

والجريدتان المذكورتان (طنين تطوان) و (مخبر تطوان) كانتا لسان حال الجالية الاسبانية المقيمة بالمغرب، وتعنيان بالعلاقات المغربية الاسبانية وتخدمان المصالح الاستعمارية في افريقيا.

وقد عادت الجريدة الأولى (طنين تطوان) للصدور بها قبيل الاحتلال الاسباني الثاني للمدينة بثلاث سنوات، وذلك ابتداء من عام 1910م واستمرت في العمل الصحفي إلى عام 1929م.

وبعد فترة من الاحتلال الاسباني الثاني للمدينة، بدأت تظهر صحف ناطقة بالعربية، تعبر عن آراء الجهات الرسمية، واستمر الوضع على هذا النحو إلى أوائل العقد الرابع من هذا القرن، حيث بدأت الصحافة ذات الاتجاه الوطني المغربي تعمل وتظهر في الميدان وترسخ في النفوس العقائد الاسلامية والوطنية والعربية وتدعو إلى توحيد الصفوف ووضع حد لنظام الحماية [3]. ولذلك يمكن تقسيم العمل الصحفي

---

(1) Historia de la accion cultural : 745

— Apuntes para la historia de la imprenta en el norte de Marruecos : 10

(2) Historia de la accion cultural : 745

(3) أكثر المعلومات التي تضمنتها هذه الدراسة عن الصحافة العربية بتطوان استفدتها من مطالعة الجرائد والمجلات التي صدرت خلال هذه الفترة.

في هذه الفترة ابتداء من الحماية إلى الاستقلال إلى مرحلتين :

1. المرحلة التي جاءت بعد الاحتلال مباشرة إلى أوائل العقد الرابع من القرن الميلادي.

2. المرحلة من أوائل العقد الرابع إلى حصول المغرب على الاستقلال عام 1956م.

وإذا تكلمنا عن ازدهار الصحافة بتطوان فإنما نعني المرحلة الثانية التي واكبت العمل الوطني السياسي الجاد في شمال المرب بعد توقف حركة الجهاد المسلح في الجبال، وقد أدركت الحركة الوطنية المغربية التي انبثقت في هذه الفترة أنه لا يمكنها أن تنتصر على المعمرين إلا ببث وعي جماهيري جديد داخل ربوع الوطن واتحاد الكلمة ونشر التعليم ومواجهة الاستعمار سياسيا وعقائديا وعلى صعيد الدعوة والدعاية، وعلمت أن من أقوى الأسباب المحققة لهذه الغاية العمل الصحفي والأدبي الهيمنة الاستعمارية، وفي طليعتها الشعوب العربية بالمشرق العربي.

ومن الممكن القول بأن الأسباب التي أدت إلى ازدهار الصحافة في تطوان ترجع إلى ما يلي :

1. أن تطوان كانت من المراكز النشيطة للحركة الوطنية بالمغرب منذ الثلاثينات الميلادية، خاصة أنواع النشاط التي كانت محظورة في الجنوب بعد المصادمات العنيفة مع الادارة الفرنسية [4].

2. أن العلاقة بين الاسبان والفرنسيين برغم هدوئها الظاهري كانت متسمة بالشك من طرف الاسبان والغيرة مما نالت فرنسا من مغانم في الجنوب لخصوبة الأرض هناك ونجاح الفرنسيين في عملية التهدئة بأسرع مما تحقق للاسبان في هذا المجال، ولهذا كان الاسبان يحبون أن ينتقد الوطنيون سياسة الحماية الفرنسية ويوغلوا في ذمها واظهار شرورها.

3. أنه لما قامت الحرب الاسبانية عام 1936م شعر فرانكو زعيم الحركة الوطنية الاسبانية أن السبيل لكسب عطف المغاربة ومؤازرتهم وضمان اخلاص الجند

(4) Political change in Morocco : 47-48

المغربي في صفوف قواته أن يتظاهر بحب المغاربة والرغبة في مساعدتهم وتحقيق الحرية لبلادهم، فكان من أوجب الواجبات اطلاق الحرية للوطنيين المغاربة لاصدار الصحف وممارسة أنواع الحريات الأخرى وعدم الاعتراض على ذلك، وبلغ الأمر في هذا المجال ـــ كما يقول آشفورد ـــ أن الصحف الوطنية في الشمال المغربي تمتعت بحرية تعبير لم تكن اسبانيا نفسها تعرفها [5].

وقد ظلت السلطة الاسبانية ملتزمة باطلاق الحريات التعبيرية على التحو المذكور بصفة عامة إلى عام 1948م حينما ساءت العلاقة بين حزب الاصلاح وزعيمه الطريس الذي كان وقتها يهاجم السياسة الاسبانية ويحاربها من القاهرةوطنجة وبين السلطة الاسبانية في المنطقة، فمنعته السلطة من دخول تطوان، وأغلقت مكاتب الحزب، إلى أن سمح بعودة الحزب ليعمل من جدي بصورة أكثر حرية عام 1952م، عندما تحسنت تلك العلاقات تحسنا ملموسا.

4. أن اسبانيا شعرت في أواخر العقد الخامس من القرن العشرين حوالي عام 1946م بضرورة خروجها من العزلة السياسية التي فرضتها عليها الدول الأوربية بسبب ماضيها في خدمة الفاشية، فاتجهت إلى العالم العربي تبحث عن الصداقة والتعاون، فاشترط عليها العرب نهج سياسة جديدة بالشمال المغربي قائمة على أساس الاعتراف بالحريات المشروعة، ووضع حد للسياسة الاستعمارية والاتجاه بمنطقة الحماية نحو الاعتراف بالاستقلال، وعلى هذا الأساس كانت الاتصالات التي وقعت بين الدولة الحامية والجامعة العربية عام 1946م [6].

5. أن الشمال المغربي كان ملجأ الوطنيين بالجنوب، وكان من بين اللاجئين طائفة صالحة من العلماء المثقفين والسياسيين الذين كانوا لا يكلون عن العمل في مجال الدعاية للقضية المغربية والدفاع عن حقوق الوطن وفضح السياسة الاستعمارية الفرنسية والاسهام مع ذلك في مجال الثقافة شعرا ونثرا، وعلى أن هناك مثقفين آخرين من الجنوب كانوا يكتبون إلى المجلات والجرائد بالشمال التي كانت ترحب بانتاجهم وتنشر لهم، ويبدو أنهم كانوا لا يجدون في الجنوب صحافة تقوم بالمهمة فكانت

---

(5) Morocco old land new nation : 87

(6) Morcoccan drama : 170

صحافة تطوان مجالا لعرض آرائهم وأفكارهم وألوان ابداعهم، ومن أبرز الشخصيات العلمية من الجنوب الذين كانت تنشر لهم الصحافة الوطنية بالشمال الأساتذة علال الفاسي ومحمد بليمني الناصري ومحمد بن الحسن الوزاني وسعيد حجي وعبد الوهاب بنمنصور.

6. وجود حركة ثقافية مهمة لم تزل تنمو منذ الاصلاحات التي أدخلت على حقول الثقافة والتعليم والتي أدت إلى ايفاد بعثات علمية إلى الشرق وفتح بيت المغرب بالقاهرة واحداث جوائز أدبية للابحاث الاسلامية والعربية الأندلسية كجائزة معهد مولاي الحسن للأبحاث وجائزة معهد الجنرال فرانكو وجائزة المغرب « مرويكوس» للأدب، والجوائز التي كانت تمنح لطلبة المدارس عند خفلات انتهاء السنة الدراسية واحداث عادات الاحتفالات الأدبية بعيد العرش وعيد الجلوس الخليفي إذكان الكتاب والشعراء يتبارون في القول والاجادة، وكذلك في أعياد الكتاب المغربي الاسباني التي كانت مناسبة للاشادة بالعلم وفضله وإقامة معارض الكتب والصحف واثارة ذكرى كبار الشخصيات الأدبية والثقافية بالعالم العربي والاسلامي والأندلس.

7. وجود نصوص قانونية تنظم شؤون حرية التعبير والاجتماع والنشر وحرية تأسيس الأحزاب وأعني بذلك ظهير 24 دجنبر 1931م والمرسوم الوزاري الصادر بتاريخ 11 مارس 1934م والمرسوم الوزاري الصادر بتاريخ 8 مارس 1952م وظهير المطبوعات الصادر بتاريخ 11 يناير 1936م.

8. وجود مطابع كانت تيسر مهمة العمل الصحفي وفي مقدمتها المطبعة المهدية، وبها كانت تطبع الجرائد والمجلات الآتية : المعرفة والأخبار، والارشاد الديني، والأمة، والأنوار، والأنيس، والجريدة الرسمية لوزارة الأوقاف، والحرية، والحياة، والريف، والسلام، ولسان الدين ثم مطبعة المخزن التي كانت تطبع الجريدة الرسية، والمطبعة الحسنية وبها كانت تطبع الرابطة الرياضية والأسبوعية وكذلك جريدة المغرب الحر، ومطبعة الوحدة المغربية، وكانت تطبع جريدة الوحدة المغربية، ومطبعة Tropas coloniales التيكانت تطبع كلا من مجلة الاصلاح وجريدة الاتحاد، وكان مقرها في سبتة، ومطبعة بريد الصباح، وكانت تطبع الجريدة المعروفة بنفس الاسم.

9. تمكنت الصحافة من الحصول على مساعدة مادية حكومية، ابتداء من عام 1936م في اطار السياسة التي كانت تنهجها اسبانيا بالمغرب والقاضية باطلاق

حريات التعبير على الرأي للمغاربة، وتشجيعهم على القيام بنشاط صحفي مناسب، ومنذ ذلك التاريخ أخذت مختلف الصحف تتلقى المساعدة المذكورة عدا صحيفة (الحياة) التي لم تقبل أن تتسلمها على الرغم من أنها عرضت عليها [7]، وقد عرفت المرحلة الأولى من المراحل الزمنية للصحافة بتطوان في القرن العشرين، وهي المرحلة السابقة على العقد الرابع الذي بدأ فيه ازدهار الصحافة بالمدينة، ظهور عدد من الصحف العربية الرسمية وشبه الرسمية، أولها صحيفة (الاصلاح) التي أسسها بتطوان عام 1915م الصحفي الاسباني فرنانديث Fernandez وأدارها بمساعدة الصحفيين اللبنانيين نعمت الله الدحداح وحبيب أبو سليمان وبعض المغاربة، وفي عام 1918م ظهرت الجريدة الرسمية للمنطقة، وكانت تصدر مرة كل نصف شهر إلى عام 1944م حيث بدأت تصدر أسبوعيا، وفي نفس العام أخذت جريدة El norte de Africa تصدر في صفحة محررة بالعربية، وكان يشرف على تحريرها الفقيه محمد بن العربي الخطيب، وفي عام 1925م أسس الاسباني مانويل أرطيغا Manuel ortega مجلة (النصر) بمساعدة الصحفيين اللبنانيين المذكورين، وظهرت عام 1927م جريدة (الاتحاد) التي كان يديرها الاسباني Fernandez[8] وكانت جريدة اخبارية أدبية جيدة، ولكنها كانت تطبع في سبتة.

وفي المرحلة الثانية التي هي مرحلة ازدهار الصحافة بتطوان ظهرت عدة جرائد ومجلات عربية، سأتحدث عن أهمها فيما يأتي :

أ. الجرائـــد :

1. الحيـــاة : وهي جريدة وطنية أسبوعية، صدرت العدد الأول منها يوم الخميس 1 ذي القعدة 1352 هـ فاتح مارس 1934م وكان يتولى تحريرها الأستاذ عبد الخالق الطريس ثم قام برئاسة التحرير الأستاذ التهامي الوزاني ابتداء من العدد 32 من السنة الأولى 1353هـ /1934م عندما أسندت للاستاذ الطريس وظيفة مديرية أحباس المنطقة.

---

(7) المقاومة المسلحة والحركة الوطنية بشمال المغرب : 144
ـــ جريدة الأمة، العدد 904 بتاريخ : 7 غشت 1957.

(8) Historia de la accion cultural : 756

2. **جريدة الأخبار** : وهي جريدة وطنية جامعة، تصدر مرتين في الأسبوع مؤقتا كما قال شعارها، وقد أصدرها الأستاذ المؤرخ محمد داود وصدر العدد الأول منها بتاريخ 21 ذي الحجة 1354هـ /15 مارس 1936م.

3. **الريـــف** : وهي جريدة وطنية حرة سياسية ثقافية، تولى تحريرها الأستاذ التهامي الوزاني، وصدر العدد الأول منها بتاريخ الخميس 9 جمادى الثانية 1355هـ /27 غشت 1936م.

4. **جريدة الوحدة المغربية** : لسان حال حزب الوحدة المغربي، وقد صدر العدد الأول منها بتاريخ الأربعاء 21 ذي القعدة 1355 هـ ــ 3 فبراير 1937م وقد أصدرها الأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري.

5. **الحرية** : وكانت لسان حال حزب الاصلاح الوطني، صدر عددها الأول يوم فاتح محرم 1356 هـ، وتولى ادارتها الأستاذ أحمد غيلان.

6. **جريدة الأخبار** : التي تولى ادارتها الفقيه عبد السلام بن الحاج علي العسري، وكانت جريدة رسمية أو شبه رسمية، هدفها اظهار نشاط الدوائر الحكومية وابراز وجهة نظر القائمة وسياستها والسياسة التي ترضى عنها، وقد صدر عددها الأول بتاريخ 29 ربيع الأول 1362 هـ ــ 5 أبريل 1943م.

7. **جريدة النهار** : وكانت لسان حال المنطقة الخليفية، كما يقول شعارها وكان نصفها بالعربية والنصف الثاني منها بالاسبانية، ولذلك كانت تلتقي على صفحاتها وجهات النظر الاسبانية الرسمية بالدرجة الأولى ووجهات النظر المغربية بالدرجة الثانية، كما كانت أداة وصل بين الثقافتين العربية والاسبانية، وقد صدر عددها الأول بتاريخ 8 دجنبر 1947م وكان يصدرها الأستاذ أبولعيش بايصة.

8. **جريدة الدستور** : صدر عددها الأول مبينا أنها ستصدر مرتين في الأسبوع، بدون تاريخ، وصدر عددها الثاني بتاريخ الثلاثاء 21 ربيع الأول 1367 هـ، 3 فبراير 1948م وقد تكلف بادارتها ورئاسة تحريرها الأستاذ ابراهيم الوزاني، ويبدو أنها كانت تعبر عن وجهة نظر حزب الشورى وزعيمه الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني وأطر هذا الحزب.

9. **جريدة الأمـة** : وكانت لسان حزب الاصلاح الوطني، تولى رئاسة تحريرها

الأستاذ محمد بن محمد الخطيب، وصدر عددها الأول يوم الخميس 6 شعبان 1371هـ، 1 ماي 1952م، وكانت تصدر بصفة مؤقتة ثلاث مرات في الأسبوع، ثم صارت تصدر يوميا، وكانت هي الجريدة الأولى بالمنطقة بعد نفي الملك محمد الخامس — طيب الله ثراه — ودخول المغرب مرحلة الكفاح المسلح من أجل عودة المشروعية والمطالبة بالاستقلال، وكانت معنية بالأخبار والوطنية المغربية والدعاية القومية والاتجاهات الاسلامية.

10. **المغرب الحر** : وهي جريدة سياسية، سارت في الاتجاه المعاكس لحزب الاصلاح على سبيل منافسته ومعارضته، وكانت لسان حال حزب المغرب الحر، وتولى ادارتها وتوجيهها الأستاذ عبد السلام الطود، وبدأت في الصدور عام 1952م ثم توقفت حينا، وعادت بعد ذلك للصدور عام 1955م وتوقفت عام 1957م بعدما صدر منها نحو 69 عددا.

وهناك جرائد أخرى صدرت بتطوان خلال المرحلة الثانية التي أطلقنا عليها وصف مرحلة الازدهار، وأشير إليها فيما يأتي مكتفيا بذكر معلومات قليلة عنها وخاصة سنة التأسيس وذلك حسب الترتيب الزمني :

1. **جريدة افريقيا** : وكانت صفحة محررة بالعربية من جريدة La gaceta de Africa الاسبانية وقد أصدرت صفحتها العربية عام 1354 هـ — 1935م.

2. **الجريدة الرسمية لوزارة الأوقاف** بالمنطقة : وقد أسست سنة 1356 هـ — 1937م.

3. **بريد الصباح** : كانت تصدر في صفحة واحدة، واستمرت تصدر نحوا من 18 سنة، أسست سنة 1365 هـ — 1945م وكان يحررها الأستاذ محمد الوزاني، أخ الأستاذ التهامي الوزاني.

4. **جريدة الشهاب** : وكانت جريدة أسبوعية مغربية جامعة، كما يقول شعارها، أسست سنة 1365 هـ — 1946م، وكان يحررها ويديرها الأستاذ محمد العربي الشويخ، واستمرت تصدر إلى أوائل عهد الاستقلال.

5. **الرابطة الرياضية** : أسست سنة 1951م وهي جريدة رياضية، وكان يصدرها الأستاذ بركة الريسوني.

ب. المجـــلات :

وقد ظهرت في مرحلة ازدهار الصحافة بتطوان، أي في المرحلة الثانية من مراحل العمل الصحفي بها، عدة مجلات مهتمة بنواح متعددة. تاريخية وأدبية وفنية واجتماعية، وذلك حسبما ياتي :

1. **مجلة السلام** : صاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ المؤرخ محمد داود، صدر الجزء الأول منها بتاريخ جمادى الأخيرة 1352 هـ ــ اكتوبر 1933م، يصفها شعارها بأنها مجلة شهرية مصورة جامعة، وهي مجلة وطنية اصلاحية تاريخية أدبية، وعنيت بنشر الصور التاريخية التذكارية، صور المآثر العمرانية والشخصيات العلمية والسياسية للعصر.

2. **مجلة المغرب الجديد**: وهي مجلة أدبية ثقافية اجتماعية، أشرف عليها وحررها الأستاذ الشيخ محمد مكي الناصري، وتولى ادارتها الأستاذ محمد العربي جلون، وقد صدر العدد الأول منها بتاريخ ربيع الأول 1354 هـ [9] ــ يونيو 1935م، وعاشت هذه المجلة تحت الرقابة السلطوية مثل غيرها من مجلات وجرائد العهد، وبالغ الرقيب السلطوي في اعلان رقابته عليها حتى طبع على غلاف عددها الخامس عشر الصادر بتاريخ فاتح جمادى الأولى عام 1355 هـ وعددها السادس عشر الصادر بتاريخ 15 جمادى الأولى 1355 هـ ــ 4 غشت 1936م عبارة : «أشرت عليها الرقابة» بهذه الكلمات الاسبانية : Visado por la censura.

3. **مجلة الارشاد الديني** : وهي مجلة ثقافية اسلامية، أسسا وأدارها الأستاذ العلامة محمد الطنجي التطواني لبث الوعي الديني في النفوس ومحاربة البدع، وارشاد الناس للاسلام ومبادئه بناء على عقيدة السلف، وقد صدر أول عدد منها بتاريخ ذي القعدة 1357 هـ ــ يناير 1939م.

4. **مجلة الأنيس** : أسست عام 1365 هـ ــ 1946م، مديرها المسؤول محمد المراكشي، الذي استمر يديرها حتى وافته منيته شابا في شهر رجب 1367 هـ

(9) هذا هو الصواب في التاريخ الهجري لصدورها على خلاف ما هو مكتوب على الصفحة الأولى من أول أعدادها والذي أرخ للصدور بعام 1345 هـ، إذ هو خطأ، بدليل التاريخ الميلادي المذكور على نفس الصفحة، وهو يونيو 1935م وبدليل ما هو مذكور على أول صفحة من عددها الثاني الصادر حسب المجلة بتاريخ ربيع الثاني 1354 هـ ــ يوليو 1935م أي بعد شهر من صدور العدد الأول.

ـ 1948م، وقام بعد ذلك بإدارتها محمد الجحرة من رفقائه وكتاب المجلة، وكانت مجلة أدبية جامعة، وقفت منها على ستة وسبعين عددا، آخرها عدد مايو 1953م.

5. **مجلة لسان الدين** : وهي مجلة دينية أدبية جامعة، أسسها العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي عام 1365 هـ ـ 1946م، ثم أسند رئاستها لما غادر المغرب إلى الشرق للعلامة السيد عبد الله كنون، وقام بإدارتها الأستاذ محمد بن محمد بن فريحة، وكانت المجلة ذات اتجاه سني سلفي وطني.

6. **مجلة الأنوار** : وهي مجلة ثقافية أدبية متنوعة، تولى رئاسة تحريرها الأستاذ أحمد مدينة، وكان مديرها الفني عبد الكريم داود، وقد صدر العدد الأول منها في يناير 1946م، ويظهر أن الهدف الأول منها كان العناية بالفنون كالسينما والمسرح والأدب، ثم صارت تتسع للدراسات والأبحاث الأدبية والعلمية والتاريخية ومختلف الموضوعات عدا السياسة.

7. **مجلة المعرفة** : وهي مجلة نصف شهرية للعلوم والاداب والفنون، تولى رئاسة تحريرها الأستاذ حسن أحمد المصمودي، وكانت تعنى بالشؤون المغربية في السياسة والاجتماع وشؤون البلاد العربية، وكثيرا ما كانت تورد تصريحات الزعيم محمد ابن الحسن الوزاني، وقد أسست سنة 1366هـ ـ 1946م.

وقد استمرت هذه المجلة تصدر إلى عام 1956م، وآخر عدد اطلعت عليه منها يحمل تاريخ 1 فبراير من نفس السنة.

8. **مجلة المعتمد** : وكانت تهدف إلى أن تكون همزة وصل بين الشرق والغرب عن طريق ترجمة الروائع العربية والاسبانية، كما يقول شعارها، وتشتمل على قسمين : قسم باللغة العربية، وكان يشرف على تحريره الأستاذ محمد الصباغ، وقسم باللغة الاسبانية، وكان يشرف على تحريره بيوكوميث نيسا، وقد شرع اصدارها عام 1948م، وتبعا لشعارها نجد في هذه المجلة مقتطفات من الأدب الاسباني مترجمة إلى العربية ومقتطفات من الأدب العربي مترجمة للاسبانية، وقد صدرت إلى غاية عام 1955م.

9. **مجلة كتامة** : وهي ملحق أدبي بالعربية والاسبانية لمجلة «تمودة» التي كانت تصدر بتطوان باللغة الاسبانية، وقد صدر العدد الأول من مجلة كتامة بتاريخ

يونيو 1953م. وتولى ادارتها الاسباني خاسنطو خرخي، وكانت تقدم مقتطفات من الأدبين العربي والاسباني، وقد ساهم في تحرير القسم العربي والترجمة عدد من الأساتذة المغاربة، منهم محمد الصباغ وعبد اللطيف الخطيب ومحمد العربي الخطابي، وكانت من وسائل الاتصال بين الأدبين العربي والاسباني، وقد صدر منها ثلاثة عشر عددا، آخرها عدد ديسمبر 1959م.

10. مجلة القوانين المغربية، وهي مجلة للدراسات القانونية والقضائية، كانت تعنى بنشر الظهائر والقوانين والتعليق عليها ونشر الأحكام المهمة الصادرة عن المحاكم، ونشر الأخبار المتعلقة بالعدالة وسيرها وغير ذلك من المسائل المتعلقة بالقوانين والمحاكم، وقد أنشأ هذه المجلة وأدارها الأستاذ المحامي القانوني اللبناني موسى عبود، وصدر عددها الأول بتاريخ يناير 1954م.

وقفت من هذه المجلة على ستة أعداد، آخرها عدد يونيه 1955م وهو العدد السادس.

11. مجلة الحديقة : وهي مجلة ثقافية أدبية أخلاقية، شرع في اصدارها عام 1374هـ ـــ 1955م وتولى إدارتها الأستاذ الأديب المطلع محمد بوخبزة وجماعة من أصحابه، وكانت هؤلاء يومئذ طلاب علم بالمدارس، وكان الأستاذ محمد بوخبزة يصدر مقدمتها برسائل إلى قرائه في مواضيع دينية وأدبية وخلقية.

وقد صدر منها خمسة أعداد، آخرها العدد الخامس المؤرخ بشهر رمضان 1374هـ ـــ أبريل 1955م.

البحث

لقد نما البحث في هذه الفترة، وخاصة بعد الأربعينات، عندما أخذت مؤسسات البحث الرسمية كمعهد مولاي الحسن ومعهد الجنرال فرانكو للأبحاث تبذل المجهود في مجال الأبحاث المتعلقة بالمغرب والأندلس والحضارة العربية الاسلامية في المشرق والمغرب، ولقد كان يطبع جو البحث والدراسات نوع من التنافس بين الباحثين والدارسين للابداع والاجادة، وكان غرض الباحثين المغاربة المشاركين في هذا

الميدان تأكيد الهوية الوطنية وأصالة الثقافة العربية الإسلامية والتأكيد على وجود نهضة قومية فكرية تدل على النضج والوعي وحق المغاربة في استرجاع حريتهم وكرامتهم، وكان غرض الاسبان المشاركين في الأبحاث والمؤطرين لبعض نواحيها إظهار ما بين تاريخهم والتاريخ المغربي والاسلامي من صلات أدبية وثقافية، وتكريس ذلك للتقارب مع العالم العربي والاستفادة من صداقته ودعمه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، واظهار معالم الصداقة المغربية الاسبانية في مجال التعاون الفكري والأدبي، واظهار كفاءة الباحث الاسباني، وقدرته على العمل في المكتبات وتنظيمها والمحافظة على ذخائرها وتنميتها.

وكانت النتيجة استفادة الأدب المغربي في مجال الابحاث والدراسات للكتب التي ألفت والأبحاث التي أنجزت والمكتبات التي نظمت.

وقد كان أول معهد أسس للقيام بالدراسات المغربية والأندلسية، هو معهد مولاي الحسن للأبحاث، وذلك بمقتضى ظهير خليفي صدر بتاريخ 27 ذي القعدة 1355هـ ـــ 8 فبراير 1937م، ونص في انشائه على أن المعهد سيكون مركزا لتنمية الأبحاث والدراسات في مجال الثقافة الاسلامية، وعلى أن يكون صلة وصل بين الثقافتين العربية والاسبانية، وعلى أن لغة المعهد هي العربية، وقد أسندت ادارته للأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري الذي بذل جهودا كبيرة في سبيل نجاح هذا المعهد وقيامه بالدور المنوط به وقطف ثمار هذه المؤسسة في أسرع وقت ممكن، وقد ذهب الشيخ في مهمة إلى مصر لجلب الأساتذة المصريين الذين عززوا نشاط المعهد بأبحاثهم ودروسهم ودراساتهم، وكانت مهمة المعهد مزدوجة، إذ كان في أول الأمر، وإلى غاية عام 1940م يقوم بمهمة التعليم كمؤسسة للتعليم الثانوي، كما كان يقوم بأعمال البحث والدراسات، وفي عام 1940م عندما أسس معهد مولاي المهدي للتعليم الثانوي، صار معهد مولاي الحسن متخصصا في مجال البحث والدراسات فقط، ونهض معهد مولاي المهدي بمهمة التعليم، وقد وصلت بعثة التعليم المصرية إلى تطوان يوم 24 يناير عام 1939م، وكانت تتألف من هؤلاء الأساتذة : حسين أحمد الابياري ويونس مهران، ومحمد اسحاق وهبي، وحافظ متولي، وعبد الجليل خليفة، وحسين أمين ابراهيم (10). وقد استفاد المعهد كثيرا من علم هؤلاء الأساتذة وأدبهم، كل في مجال تخصصه.

---

(10) Historia de la accion cultural : 799

وقد نص ظهير 16 أبريل 1943م المتعلق بالمعهد على مقتضيات جديدة وتوضيحية، تبين بتفصيل مجال الأبحاث التي سيضطلع بها والمؤسسات الادارية والتربوية التي يرتبط بها وطبيعة الادارة التي تشرف على شؤونه، فقد نص الفصل الثاني من الظهير على أن المعهد سيعمل تحت اشراف منلوبية التعليم والثقافة والمجلس الأعلى للتعليم الاسلامي، ونص الفصل الثالث منه على أنه سيكون إلى جانب المدير المغربي مساعد اسباني يقوم بمهمة ربط العلاقات بمؤسسات البحث الاسبانية بالاضافة إلى أمانة أو كتابة خاصة (سكريتارية)، ونص الفصل الرابع على أن موضوعات البحث ستنحصر في هذه المواضيع :

1. اللغة والأدب العربيان.
2. تاريخ المغرب.
3. جغرافية المغرب ووصف الأجناس البشرية.
4. الفقه الاسلامي والخطط الاسلامية.
5. علم الاجتماع و(الفلكلور) المغربي.
6. القانون العام للحماية والتشريع مقارنا بالقانون والتشريع في منطقة الحماية الفرنسية ودول شمال افريقيا.
7. حركات النهضة في العالم الاسلامي.
8. جغرافية وتاريخ الدول العربية.
9. الحفريات وتاريخ المغرب قبل الاسلام.
10. الفن المغربي.
11. الفلسفة الاسلامية المقارنة بالفلسفة القديمة والمعاصرة.
12. الحضارة العربية الاسبانية.
13. الترجمة والنشر.
14. التبادل الثقافي والاتصال بمراكز البحث والدراسات العربية والاسبانية والدول الأخرى.
15. الدعاية والبعثات العلمية الجماعية والفردية.
16. يمكن للمعهد أن يخلق جوائز خاصة بطريق اجراء مسابقات حول مواضيع ثقافية يعلن عنها وعن شروطها.
17. لغة المعهد الرسمية هي العربية.

وتطبيقا لمقتضيات الظهير السابق عين الباحث الاسباني المعروف مريانو بلاو Mariano Palau عام 1944م مديرا مساعدا، وكان يحمل اجازة في الفلسفة والآداب (شعبة فقه اللغة السامية) وفي عام 1950م عين الأستاذ محمد بن تاويت في منصب (سكرتير). وفي عام 1948م عين الأستاذ عبد الله كنون مديرا للمعهد خلفا للشيخ المكي الناصري.

وقد ذهب بلديراما Valderrama إلى أن العمل الحقيقي للمعهد في مجال البحث إنما وقع الشروع فيه عام 1943م عندما أخذ يقوم باتصالات مع الدوائر العلمية في الشرق والغرب لتحقيق غاياته في مجالات التبادل الثقافي (11).

وقد زود المعهد بمكتبة غنية هي مكتبة معهد مولاي الحسن التي سنتحدث عنها بين مكتبات تطوان لهذه الفترة.

وقد ساهم معهد مولاي الحسن للابحاث في مجال اثراء الحركة العلمية والأدبية بالمغرب بنشر عدد من المؤلفات العلمية والأدبية لعلماء وأدباء مغاربة ومشارقة واسبان، واستعمل لهذه الغاية مطابع شرقية ومغربية، وبفضل ذلك ظهرت الدراسات الآتية في عالم النشر، وهي :

1. ابن خلدون للاستاذ عبد الله عنان (ط القاهرة 1938م).
2. رحلة ابن جبير وابن بطوطة، للدكتور محمد مصطفى زياد (ط. القاهرة 1939م).
3. أزهار الرياض في أخبار عياض لاحمد المقري التلمساني، تحقيق : مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ الشلبي (ط. القاهرة 1358هـ ـــ 1939م).
4. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، لآدم متز، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة (ط. القاهرة 1359هـ ـــ 1940م).
5. تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ليوسف أشباخ. ترجمة محمد عبد الله عنان (ط. القاهرة 1359هـ ـــ 1340م).
6. فهرس الكتب الأجنبية والعربية الموجودة بخزانة معهد مولاي الحسن، من عمل الأستاذ محمد وهبي (ط. تطوان 1942م).

(11) Historia de la accion cultural : 803

7. أمام الذكرى المائوية السابعة لوفاة ابن البيطار، لمؤلفه خوليو كولاألبريش، ترجمة نجيب أبوملهم (ط. تطوان 1948م).
8. واحة الفكر الأستاذ عبد الله كنون (ط. تطوان 1948م).
9. الأجناس البشرية في افريقيا الشمالية، لخوليو ألبريش، ترجمة نجيب أبوملهم (ط. تطوان 1948م).
10. بنو عباد باشبيلية، لعبد السلام أحمد الطود (ط. تطوان 1949م).
11. العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، للأستاذ محمد المنوني (ط تطوان 1950م).
12. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، للاستاذ عبد السلام ابن سودة (ط. تطوان 1950م).
13. ضون أنخيل كونزاليث بلينثيا بالعربية والاسبانية (ط. تطوان 1950م).
14. حيات وكرامات الصوفي التطواني عبد السلام ابن ريسون، للاستاذ عبد الرحيم جبور العدوي، نص بالعربية والاسبانية (ط. تطوان 1951م).
15. فداء قائد البحر الجزائري بيبي، الأسير بميورقة، للدكتور خوان خنيس، بالعربية والاسبانية (ط. تطوان 1952م).
16. لباب المحصل في أصول الدّين، لعبد الرحمن ابن خلدون، ترجمة وتعليق لوسيانو روبيو، النص العربي (ط. تطوان 1952م).
17. فهرس المؤلفين (القسم الأجنبي) لخزانة معهد مولاي الحسن، من عمل ماريانو اريباس بلاو (ط. تطوان 1953م).
18. كناش الحائك التطواني، لفرناندو بالديراما مرتنيث، النص العربي (ط تطوان 1953م).
19. الطبيعيون الاسبان بالمغرب، لطوماس فغيراس، ترجمه إلى العربية نجيب أبوملهم (ط. تطوان 1953م).
20. جوائز (مرويكوس) والمغرب للآداب (ط. تطوان 1953م).
21. الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب (جائزة معهد مولاي الحسن 1948م) للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله (ط. تطوان 1953م).
22. تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى (جائزة معهد مولاي الحسن 1952م لعبد الرحيم غنيمة (ط. تطوان 1953م).

23. ركب الحاج إلى مكة، للأستاذ محمد المنوني (ط. تطوان 1953م).
24. رسائل سعدية، للاستاذ عبد الله كنون (ط. تطوان 1954م).
25. ابن الأبار، حياته ومؤلفاته (جائزة المعهد 1951م) لعبد العزيز عبد المجيد (ط. تطوان 1954م).
26. جوائز (مرويكوس) والمغرب للآداب 1954م. نصوص بالعربية والاسبانية (ط تطوان 1955م).
27. البحرية العربية في البحر الأبيط المتوسط على عهد معاوية لولهم هوبرباخ، النص العربي (ط. تطوان 1955م).
28. الريف بعد الفتح الاسلامي، لمحمد البوعياشي (ط. تطوان 1955م).
29. كتاب الفلاحة لابن بصال، النص العربي مع ترجمته بالاسبانية للاستاذين ماريا فيكروسا، ومحمد عزيمان (ط. تطوان 1955م).
30. سلسلة مشاهير رجال المغرب للاستاذ عبد الله كنون، واشتملت على التراجم الآتية :

- أبو فارس عبد العزيز الفشتالي
- أبو القاسم الزياني
- أبو عبد الله محمد ابن ادريس العمراوي
- أبو عبد الله محمد أكنسوس المراكشي
- أبو جعفر أحمد بن عطية
- أبو العباس الجراوي
- ميمون الخطابي
- أبو الحكم مالك بن المرحل السبتي
- أبو فارس عبد العزيز الملزوزي
- الأمير أبو الربيع سليمان الموحدي
- أبو عمر عثمان السلالجي
- أبو عبد الله محمد ابن غازي العثماني المكناسي
- أبو عبد الله محمد بن زاكور الفاسي
- أبو عبد الله محمد بن الطيب العلمي
- أبو العباس ابن الونان

ــ محمد ابن عبدون المكناسي

ــ أبو بكر محمد بن شبرين السبتي

ــ أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد السبتي

ــ أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي

ــ أبو عبد الله محمد ابن آجروم الفاسي وأبو زيد عبد الرحمن المكودي.

ــ أبو قاسم محمد الشريف الغرناطي

ــ أبو عبد الله محمد بن الحاج الفاسي

ــ أبو العباس أحمد البرنوصي (زروق) الفاسي

ــ الشريف الادريسي

ــ ابن بطوطة

31. كتاب بسيط الأرض في الطول والعرض، لابن سعيد المغربي، تحقيق د. خوان خنيس (ط. تطوان 1958م).

32. البيان المغرب لابن عذاري، تحقيق أمبروسي ميراندة بمشاركة محمد بن تاويت ومحمد بن ابراهيم الكتاني (ط. تطوان. دار كريماديس 1960م).

33. مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا، تحقيق الأستاذ عبد الله كنون (ط. تطوان 1384هـ ــ 1964م).

وكان المعهد الثاني الذي أسس للقيام بالأبحاث والدراسات هو معهد الجنرال فرانكو للدراسات والأبحاث الاسبانية العربية، الذي خصصت له ميزانية خاصة كمؤسسة رسمية ابتداء من عام 1941م، وكان مديرها هذا المعهد ومؤسسه هو الكتاب الاسباني طوماس فغيراس الذي كان يعمل في الادارة الاسبانية بالمغرب [12].

وكان الغرض من انشاء المعهد تشجيع البحث في ميدان معرفة التراث العربي والاسلامي بالمغرب والأندلس، وانجاز أبحاث ثقافية مشتركة عن التايخ المغربي والأندلسي مما يكتب باللغة الاسبانية، فكانت لغة المعهد الأولى على هذا هي الاسبانية، كما أن الجوائز التي كان يعطيها المعهد كانت تخصص للابحاث والدراسات التي تكتب بالاسبانية، وقد قام هذا المعهد بطبع عدد من الدراسات العلمية والأدبية عن المغرب والأندلس، يزيد عددها على مائة دراسة، وكانت أول مرحلة من المراحل

(12) Historia de la accion cultural : 816

التي قطعها هذا المعهد تتمثل في تكوين لجنة بحث مكلفة بفهرسة مخطوطات المنطقة، وصدر ظهير بذلك مؤرخ بفاتح فبراير 1938م، وقد عمل الأستاذ ألفريد البستاني في نطاق هذه المهمة فشرع في البحث عن المؤلفات والوثائق العربية والاسلامية، وسافر لهذه الغاية إلى مدن وقرى بالمغرب والأندلس، وعثر أثناء تجواله على كتاب الكليات لابي الوليد ابن رشد في نواحي غرناطة [13]وفي سنة 1942م تم تحديث الشروط التي يقوم بمقتضاها المعهد بنشر المؤلفات العلمية والأدبية التي تحظى بالقبول، كما تم تكوين لجنة استشارية دائمة من خمسة أعضاء، وهم :

ـــ كارلوس كيروس، مدير معهد الدراسات المغربية.
ـــ كيرمو كوسيفانو، رئيس المكتبة العامة للحماية.
ـــ فرنسيسكو أرباكا، قنصل اسبانيا بتطوان.
ـــ أحمد الرهوني، رئيس المجلس الأعلى للتعليم الاسلامي.
ـــ محمد عزيمان، مفتش التعليم الثانوي.

وفي يناير من عام 1949م أسندت ادارة هذا المعهد إلى انريكي فرنانديث، ومهمة السكريتارية إلى فلنتين كنطيرو، واستمر ألفريد البستاني في عمله المذكور كمترجم. وفي عام 1950م انضم إلى هيئة الادارة الأستاذ محمد بن تاويت كباحث [14].

وقد نشر المعهد مؤلفات بالعربية والاسبانية زاد عددها على مائة كتاب، كما تقدم، ومن بينها كتاب الكليات لابي الوليد ابن رشد، وكتاب تحفة القادم لابن الابار، ومختارات من شعر ابن زاكور، ورحلة الوزير في افتكاك الأسير للوزير الغساني، وكتاب الرحلة المكية للفقيه أحمد الرهوني، وكتاب الأبحاث السامية في المحاكم الاسلامية للفقيه محمد المرير التطواني، وكتاب المدن والمؤسسات الحضرية في الغرب الاسلامي خلال القرون الوسطى، تأليف ليفي بروفنسال، وكتاب أصيلا في فترة الاحتلال البرتغالي (1471 ــ 1549م) تأليف أضلفو غيفاراؤ وكتاب الموسيقى الاسلامية العربية بالمغرب، تأليف الأب بطروثينو بريوسو، وكتاب الحلل الموشية، وكتاب سفارة الغزال،

---

(13) Ybid : 816
(14) Ybid : 816-819

لطوماس فغيراس وكتاب فهرسة المؤلفين بمكتبة الحماية بتطوان، وكتاب العادات والأعراف القديمة بتطوان، لعبد الرحيم جبور العدي [15].

وإلى جانب المؤسستين المذكورتين : معهد مولاي الحسن ومعهد الجنرال فرانكو اللتين عملتا في مجال البحث والدراسات، ظهرت مؤسسات أخرى تعليمية وإدارية، شاركت في مجال البحث، وأكثر الأعمال التي صدرت عنها كانت باللغة الاسبانية، وهي مركز الدراسات المغربية El centro de Estudios Marroquies ومفتشية الحرفيات Inspaccion de Excavaciones ، ومكتب الترجمة وكانت المؤسسة الأولى منها تفرعت عن الجهود التي بذلت ولغايات استعمارية أول الأمر لتعليم العربية والبربرية للاسبان، وخاصة الذين يتولون في المنطقة مهام عسكرية وادارية، حيث تأسست في هذا النطاق أكاديمية العربية الدارجة بمليلية عام 1904م، وأكاديمية اللغة العربية بسبتة ومليلية عام 1906م، وأكاديمية العربية بالعرائش عام 1913م وأكاديمية أخرى بتطوان عام 1924م، وقد قامت هذه الأكاديمية بتعليم العربية، وخاصة العربية الدارجة، والبربرية الريفية (الشلحة) وكان أكثر المتعلمين من العسكريين الاسبان، وقد عمل في أكاديمية تطوان الاستاذان اللبنانيان موسى عبود وألفريد البستاني المسيحيان المارونيان [16] ابتداء من عام 1937م، وقد تطور العمل في هذا المجال إلى فكرة خلق مركز للدراسات المغربية التي نص عليه ظهير فاتح حمادي الثانية 1366هـ ـــ 22 أبريل 1947م، وكان الغرض من إنشائه كما يقول الفصل الأول منه تكوين الموظفين الذين سيقدمون للحماية خدمات في ثقافة هي مغربية بالأساس، مع نشر هذه الثقافة في المنطقة والتبادل الثقافي مع المنظمات بالخارج، وتنمية الابحاث والدراسات العلمية حول القضايا المغربية، وكانت الشهادات التي يعطيها المركز هي الشهادات في الدراسة وشهادة الدراسات المتوسطة في الترجمة، ونص الفصل 38 من الظهير على تنظيم محاضرات وحلقات دراسية حول مواضيع اسبانية مغربية، والقيام بربط اتصالات ثقافية مع مراكز الاستعراب والدراسات الافريقية بالخارج، وتسهيل مهمة البحث العلمي في المغرب في جميع المجالات.

---

(15) عبد الرحيم جبور كاتب أديب اشتغل بالتعليم وصار ترجمانا، وألقى عددا من المحاضرات، طبع بعضها، وأكثرها عن تطوان ورجالها، ومنها كتابه عن العادات التطوانية وعن السيد عبد السلام بن ريسون وعن العائلات التطوانية الأندلسية الأصل، توفي بتطوان في أوائل السبعينات.

(16) Historia de la accion cultural : 499-511

وقد نظم المركز بالفعل محاضرات في مواضيع متعددة، أذكر منها على سبيل المثال :

ـــ محاضرة عن المغرب قبل الاسلام.
ـــ الهجرات الاسلامية الكبرى : العربية والمرابطية والموحدية والمرينية
ـــ أصول الجنسية الاسبانية
ـــ الحسبة في الاسلام لعبد الرحيم جبور
ـــ الميثولوجية الاغريقية في المعلقات الجاهلية لافريد البستاني
ـــ السلط في الاسلام
ـــ نظرة على تطوان وعائلاتها الأندلسية المنحدرة من الأندلس لعبد الرحيم جبور.
ـــ الشيخ محمد عبده لموسى عبود
ـــ اسبانيون في افريقيا في القرن 16 لطوماس فغراس.
ـــ انحراف الأحداث
ـــ المرأة في اسبانيا المسلمة
ـــ منهجية تعليم اللغات
ـــ لماذا لم يوجد مسرح في الأدب العربي، لنجيب أبو ملهم، الأستاذ بالمركز.

وهناك محاضرات أخرى كثيرة أشرف المركز على تنظيمها في مختلف فروع المعرفة ومجالات الاتصال الثقافي بين العالمين العربي والمغربي والأندلسي (17).

وقام المركز المذكور بنشر عدد من هذه الأبحاث والدراسات، ويبلغ عدد ما نشر منها تسع عشرة دراسة (18) حول الاسلام والحضارة الاسلامية والمغربية والعلاقات المغربية الاسبانية.

وقامت مصلحة مفتشية الحفريات بنشر عدد من الدراسات في المجال الذي يهمها، ومنها ملخص مذكرة لها حول الأعمال المنجزة في أطلال مركوري وطيرناي (الناحية الغربية من شمال المغرب) لمؤلفها منطلبان Montalban وترجمها للعربية ألفريد

(17) Ybid : 512-526

(18) Ybid : 834-835

البستاني ومنها سلسلة حفريات ثمودة للكاتب آطوري Atauri وترجمتها للمترجم المذكور، ومنها تاريخ خرائب غساسة للكاتب برديرا Perdera إلى غيرها من الأبحاث القيمة والفريدة [19].

واضطلع مكتب الترجمة التابع لنيابة الأمور الوطنية بعمل مماثل في مجال الترجمة والتأليف، وكان يتكون من الأستاذين موسى عبود ونجيب أبو ملهم، وكان انشاء المكتب عام 1945م، ودارت أعمال الترجمة والتأليف حول الأدب الاسباني والأدباء الاسبان [20].

المكتبـــات

توجد بتطوان مكتبات عامة ومكتبات خاصة وسأتحدث أولا عن المكتبات العامة ثم عن المكتبات الخاصة، وأتحدث بعد هذا عن المخطوطات والوثائق لمدينة تطوان.

أ. المكتبات العامة :

المكتبات العامة التي توجد بهذه المدينة والتي اعتمدها الباحثون والدارسون خلال هذه الفترة ثلاثة، وهي مكتبة المسجد الأعظم والمكتبة العامة والمحفوظات، ومكتبة معهد مولاي الحسن للأبحاث.

أولا : مكتبة المسجد الأعظم :

وتعرف بمكتبة المعهد الديني العالي، وذلك لأنها نقلت إلى مقر هذا المعهد بدار ابن عبود بالملاح البالي، وقد كان المسجد الأعظم بتطوان من بين المساجد بالمغرب التي تتوفر على مكتبة قيمة مما يوقفه المحبسون على الطلبة والفقهاء ابتغاء رضوان الله، ويرجع تاريخ هذه المكتبة إلى أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي أرسل كتبا حبسها على المساجد إلى عدد من المدن، وكانت تطوان من بينها،

---

(19) Ybid : 832-834

(20) Ybid : 835-836

ونمت هذه المكتبة منذ عهد هذا السلطان، وكان مقرها أولا في مقصورة الجامع الكبير، وعندما وقع الفراغ من بناء مدرسة لوقش (1165 ــ 1171هـ 1751 ــ 1757م) نقلت إلى مقر هذه المدرسة حيث وضعت في غرفة بالطابق الأعلى منها، وظلت هناك عددا من السنين، قبل نقلها من جديد إلى المسجد الكبير (الجامع الكبير) بسبب رغبة القائمين على المدرسة في تخصيص الغرفة المذكورة لسكنى الطلبة، وعندما نقل المعهد الديني العالي بتطوان إلى مقره بدار ابن عبود عام 1367هـ ــ 1947م خصصت لمكتبة المسجد به قاعة واسعة بالطبقة الأولى، مجهزة تجهيزا حسنا ذات مقاعد ومناضد وخزانات، وأسندت مهمة الاشراف على المكتبة إلى قيم وكانت تفتح أبوابها في الساعة الحادية عشرة إلى الواحدة بعد الزوال، ومن الساعة الرابعة مساء إلى السادسة، وكانت الكتب التي تتوفر عليها عند نقلها إلى مقرها الجديد يصل عددها إلى ألف وخمسمائة كتاب، يوجد من بينها واحد وتسعون كتابا مما كانت تتوفر عليه الخزانة القديمة للجامع الكبير [21] ويتألف حجم هذه المكتبة من :

1. الكتب التي حبسها السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وعدد ما كان يوجد بها منها ثمانية عشر كتابا، منها عشرة كانت لا تزال في أواخر الخمسينات من القرن العشرين في حالة جيدة، وهذه أسماء الكتب المذكورة :

ــ شرح المواق على المختصر
ــ شرح فتح الفتاح للحسن بن رحّال على المختصر
ــ مسند الامام أحمد
ــ شرح الكرماني على البخاري
ــ التوضيح لابن الحاجب
ــ كتاب النوادر لابن أبي زيد القيرواني
ــ شرح الخرشي على المختصر
ــ التوشيح في مشاكل الجامع الصحيح لجلال الدين السيوطي
ــ شرح الشهاب على الشفا للقاضي عياض
ــ كتاب المنح المكية في شرح الهمزية لابن حجر

(21) «El instituto religioso de Tetuan» p. 594

ـ مقدمات ابن رشد

ـ تفسير ابن عطية

ـ كتاب مساند الايمة للسلطان سيدي محمد بن عبد الله

ـ شرح أسماء الله الحسنى للسنوسي

ـ شرح بهرام على المختصر

ـ كتاب الجامع الصغير للسيوطي

ـ شرح ابن حجر على البخاري

ـ تعليق السيوطي على أرجوزة عقود الجمان في علم المعاني

2. أحباس وهبات لملوك آخرين، من بينهم السلطان مولاي رشيد بن الشريف والسلطان أحمد الذهبي السعدي من الكتب التي كانت توجد بمساجد أخرى، ونقلت بعد ذلك إلى مكتبة الجامع الكبير.

3. أوقاف لعدد من الخواص.

4. مشتريات من ميزانية المخزن مما اشتري من الشرق عام 1936م بواسطة مفتش التعليم الاسلامي آنذاك الأستاذ محمد داود، ومما اشتري عام 1946م من الشرق كذلك بواسطة مفتش التعليم الاسلامي الأستاذ محمد بن عبد السلام بن عبود.

5. مشتريات مباشرة للمعهد.

ومن الكتب التي أوقفها الخواص على مكتبة المسجد يوجد مصحف خطي مؤرخ بعام 559 هـ (1163م) وهو في 165 صفحة وعليه توقيع محمد بن حزب الله البلنسي، وهو المصحف الذي ذكر المقري أن العلامة ابن مرزوق الجد (توفي 781 هـ ـ 1379م) قرأ به تجاه الكعبة المشرفة اثنتي عشرة ألف ختمة ـ قال المقري : «ومع ذلك فقد نسي في المصحف المذكور لفظة (اليك) من قوله تعالى : ﴿ينقلب إليك البصر﴾ حتى كتبه بخطه فوق السطر حفيده العلامة سيدي أبو عبد الله محمد بن مرزوق [22]» وكان أول من تنبه لهذا المخطوط وأهميته العلامة الشاعر الوزير محمد بن موسى، وعن طريقه ذاع خبر وجوده، ويعتبر بحق (جوهرة هذه المكتبة)

(22) نفح الطيب 3 : 213.

ويوجد بالمكتبة كذلك تفسير حبس عام 1107 هـ — 1695م من قبل السيدة رقية بنت محمد الردنلو، وهي من أصل أندلسي، وقد انقرضت هذه العائلة بتطوان [23].

ثانيا : المكتبة العامة بتطوان :

وهي أكبر مكتبة توجد بتطوان، وقد مر تكوينها بمراحل حتى تم تأسيسها عندما خصصت لها ميزانية في عام 1941م، وكانت الدولة الاسبانية أرسلت عام 1914م نحو مائتي كتاب إلى الاقامة العامة الاسبانية بالمغرب في تطوان، كما أرسلت إليها كتب من باريس بقيمة ألف بسيطة، وأهديت إليها كتب من شخصيات اسبانية ومغربية، ومن بينهم محمد بنيعيش، والاسبانيون سرديرا Cardera وسانس اطبو Yatabu ومن المجمع العلمي والأدبي بتطوان.

وعندما وقع الظن بأن هذه المجموعة من الكتب صارت تكون مكتبة نظمت في شكل مكتبة تشرف عليها الكتابة العامة للاقامة، وشرع في تصنيفها وفهرستها، غير أنه لما كانت طبيعة هذه المؤسسة ادارية، فإن العمل المنجز لم يؤد إلى أكثر من حفظ تلك المؤلفات وعدم ضياعها.

وعندما أنشئت الأكاديمية العربية والبربرية عام 1929م، أخذت فكرة جعل المكتبة المذكورة تابعة لهذه المؤسسة تراود الخواطر، حتى تكون المكتبة في خدمة هذا الجهاز للاطلاع على المغرب وأحواله ومعرفة سكانه وتقديم خدمات للادارة في هذا المجال، ويستفيد أساتذة المؤسسة وطلابها من مؤلفاتها، وفي عام 1939م أسندت مهمة ادارة المكتبة إلى موظف مختص في شؤون المكتبات والمحفوظات، وهو الاسباني كالنت Gallent الذي قدم من اسبانيا لهذا الغرض [24].

وكان مقر المكتبة الأول في هذه المرحلة بالطابق السفلي من مركز الدراسات المغربية (الأكاديمية العربية والبربرية سابقا) الكائن بساحة الفدان، وفي عام 1940م دشن القسم العمومي للمكتبة العامة، وكان عدد المؤلفات التي تحتوي عليها تصل

---

(23) Historia de la acción cultural : 595

(24) Historia de la accion cultural : 695-696

إلى 4141 كتابا، وذلك بمقرها الجديد في الشارع الرئيسي للمدينة (شارع الجنرال فرانكو) الذي كان مقرا لادارة التعليم المغربي، وفي هذه المرحلة وقع اعداد فهارس لها.

وعندما نصت ميزانية عام 1941م على ايجاد هذه المكتبة العامة تضاعف حجم الكتب التي تحتويها بما كانت تشتريه من الميزانية المخصصة لها، وكذلك من الهبات ـــ وان كان هذا بشكل أقل أهمية ـــ التي كانت تتلقاها من الأشخاص والمبادلات.

وقد استطاعت المكتبة في هذه المرحلة أن تنشيء قسما خاصا للأطفال من الكتب التي وصلتها من اسبانيا والتي زادت على مائة كتاب، وجعل هذا القسم ضمن قسم المكتبة العامة إلى غاية عام 1944م، عندما حول القسم العام إلى بناية بساحة الفدان بينما ظلت المكتبة بجميع فروعها الأخرى في مقرها المذكور بشارع الجنرال فرانكو (25).

وفي عام 1943م صدر مرسوم بإنشاء إدارة للمحفوظات والمكتبات.

وفي عام 1944م أنشيء قسم لاعارة الكتب بقسم المكتبة العام.

وفي عام 1945م وقع الشروع في تكوين موظفين مختصين في شؤون المكتبات والمحفوظات، ونظمت حلقة دراسية لهذا الغرض، شارك فيها عدد من الاستاذة الاسبان، ومن بينهم مدير المكتبة كالنت.

ونقلت المكتبة آخر الأمر قبل الاستقلال إلى مقرها ببناية نيابة المعارف والثقافة، بتاريخ شتمبر 1945م، وكانت القاعة المخصصة للكتب تتسع لنحو خمسة وأربعين ألف مجلد.

وعندما ننظر إلى حجم هذه المكتبة وطريقة نموها، نرى أن عدد مؤلفاتها أول مرة كان يصل إلى 4500 كتاب، ثم تضاعف ذلك بفضل الميزانيات المخصصة لها، وهبات الأشخاص وكميات من الكتب كانت ترسلها إليها وزارة التعليم عبر المصلحة الوطنية للقراءة وكذلك من جهات ادارية مختلفة (26).

---

(25) Ybid : 696-697

(26) Ybid : 699

ولقد عمد المسؤولون عن الثقافة والمكتبة إلى شراء مكتبات كاملة من الخواص لتضم إلى المكتبة العامة والمحفوظات.

ففي عام 1944م اشتريت مكتبة العالم المحدث أحمد بن الصديق الغماري الدرقاوي، وكانت كتبها تبلغ 3433 كتابا مطبوع و 500 كتاب مخطوط، وتم الاتفاق على شراء هذه المخطوطات أواخر عام 1945م.

وفي عام 1944م كذلك، اشتريت مكتبة الاسباني لدرون غفارا Ladron de guevara من العرائش، وكانت تضم مخطوطات عربية.

وفي عام 1945م اشتريت مكتبة مهمة من طنجة، هي مكتبة أرساطي Orsati وأكثرها مرتبط بالدراسات الافريقية، ومعها أسطرلاب مغربي من القرن الثامن عشر ومربع شمسي ومخطوط عربي يضم مؤلفات في علم الفلك.

وفي عام 1947م اشتريت مجموعة أخرى من الكتب والمؤلفات والكراسات والمجلات من أرملة أرساطي المذكور.

وفي العام نفسه اشتري للمكتبة نحو مائة كراسة اسبانية، من مالكها بمدريد الاسباني صالا Sala ويرجع تاريخها للقرنين السابع عشر والثامن عشر.

وفي عام 1371 هـ ـــ 1952م اشتريت مكتبة الفقيه العلامة شيخ الجماعة بتطوان أحمد الزواقي الحسني في سنة وفاته وكانت تضم كتبا في الفقه والتفسير والحديث والأصول وغيرها.

والمطبوع منها موزع على هذا النحو :

بالعربية 6116

بالقسم الأجنبي 17850

بقسم النوادر 661

الكراسات 3148

المخطوط منها بالعربية .... 950 [27]

وقد تحدث الأستاذ عبد الله كنون عن هذه المكتبة وأهميتها فقال : «المكتبة

(27) Ybid : 699-700

العامة التي هي ثاني مكتبة عمومية بتطوان تحتوي على مخطوطات عربية، فنجد أن هذه المكتبة، وقد أنشئت من أمد قريب بها زهاء 900 مخطوط مما اشتري لها بالجملة والتفصيل، وفي الحقيقة أنها كلفت الحكومة مبالغ طائلة، لأنها كثيرا ما كانت تشتري المكتبة التي تحتوي على قليل من المخطوطات وكثير من المطبوعات، يعرضها للبيع صاحبها أو ورثته بعد موته، بثمن فاحش، فلا تماكسه في ذلك إلا قليلا، وحينما تم الصفقة تضم المخطوطات إلى القسم الخاص بها على حين أن المطبوعات التي توجد لها نظائر في المكتبة تأخذ طريقها إلى مكتبات المعاهد الدراسية وبعض المكتبات العمومية في غير تطوان من مدن المنطقة» (28).

والمكتبة العامة تشتمل على أقسام فهناك قسم للمخطوطات والوثائق وهناك قسم للصحافة، وهناك قسم للوثائق العامة، وهناك قسم للصور وهناك قسم للدعاية والنشر.

وقسم المخطوطات والوثائق هو القسم الذي يشرف على المخطوطات العربية والوثائق ويقوم بفهرستها ويسهر على تقديمها للقراء والباحثين والمحافظة عليها، ولاشك أن ما قدمته من معلومات عن عدد مخطوطات هذا القسم يعطي فكرة عن أهميتها وفائدة العمل الذي يقوم به المشرفون عليه، وأما الوثائق فهي ذات أهمية كبرى في معرفة تاريخ المغرب وأسرار المواقف الاجتماعية والحركات السياسية.

وقسم الصحافة من أغنى أقسام هذه المكتبة، وكانت السلطة الاسبانية شرعت في تنظيم هذه المصلحة منذ عام 1920م، حيث كان هناك قسم صحفي تابع للاقامة العامة، وكان عام 1940م ذا أهمية كبرى في تاريخ هذا القسم حين اشترت الحكومة مجموعة صحف ارساطي التي كان قسم كبيرمنها يتعلق بالمغرب ما بين عامي 1900 و 1940 م وتتكون من 165 مجلد كل مجلد يتألف من ثلاثمائة صفحة، وتتضمن قصاصات الصحافة الاسبانية والدولية.

ومنذ عام 1946م صار قسم الصحافة تابعا لادارة المحفوظات والمكتبات وجعل مقره في البناية المخصصة للمكتبة العامة.

وقد ظفر هذا القسم بمجموعة أخرى من صحف سبتة تتكون من 733

(28) خل وبفل : 127 ــ 128.

نموذجا وهبها للمكتبة الاسباني كنثاليث Gonzalez عام 1947م

وهناك صحف ومجلات أخرى يحتويها هذا القسم، وإلى غاية عام 1956م كان عدد عناوين الصحف التي يضمها هذا القسم من الصحافة الأوربية يصل إلى 1863.

وكانت الصحف والمجلات العربية التي يضمها هذا القسم كذلك، تبلغ عناوينها 536 عنوانا [29] منها مجلات وصحف شرقية ومغربية، ومنها الصحف والمجلات التي كانت تصدر بتطوان والتي تحدثت عنها فيما سبق وقد اضطلع هذا القسم بوضع قصاصات جديدة للصحف، وفهرسة المواد الصحفية التي تصل إلى المكتبة.

وقسم المحفوظات بالمكتبة يشتمل على ملفات الموظفين المتقاعدين العسكريين المغاربة والاسبان الذين عملوا في شمال المغرب والصحراء، وكانت هذه الملفات توجد في ادارة الدولة كمراجع وثائقية، ثم أحيلت إلى المكتبة العامة، حيث صار يضمها قسم المحفوظات ابتداء من عام 1945م، وهي من المراجع التاريخية المهمة في معرفة تاريخ المغرب الحديث وعلاقته بالدولة الاسبانية [30].

وقسم الصور من أهم أقسام المكتبة، وترجع المواد التي يتكون منها إلى عام 1920، وهو نفس تاريخ بداية أو نشأة قسم الصحافة، ثم صار من أقسام المكتبة العامة بصفة رسمية منذ عام 1941، وهو يضم أشياء كثيرة من الصور والخرائط والمسكوكات والأفلام السينمائية وآلات العرض السينمائي والتصوير والفهارس، وصار هذا القسم يضم إلى قريب من عام 1956م نحو 36500 صورة، وتتعلق معظم الصور بالمغرب وشمال افريقيا والعالم العربي [31].

وقد حصلت من هذا القسم على لائحة تضم محتوياته من الأجهزة وغيرها وسأكتفي هنا من ذلك بذكر ما له علاقة بهذا البحث وذلك كما يأتي :

---

(29) Ybid : 712-713

(30) Ybid : 715

(31) Ybid : 717-718

أشرطة سينمائية

العدد 59

المسكوكات

1. القطع الذهبية .... 33 قطعة
2. القطع الفضية الموحدة .... 1099 قعطة
3. القطع المختلفة .... 768 قطعة
4. القطع المختلفة الغير مفهومة .... 21 قطعة
5. القطع المختلفة المكررة .... 62 قطعة
6. القطع المختلفة الألوان والأحجام .... 40 قطعة
7. (ملاحظة) : 48 منها تعرض في المتحف الأثري بتطوان

الصـــــور

1. صور تاريخية سياسية ثقافية 35504
2. صور قديمة 150
3. الخرائط القديمة 431
4. الخرائط الحديثة 177

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الأطلـــس

1. الأطلس بلغات أجنبية 32
2. الأطلس بالعربية 29
3. مجلدات عن تاريخ مصر 11
4. كتب بالصور 10
5. جرائد قديمة 363

وكان قسم التوزيع والمبادلة والنشر أنشيء عام 1953م، وكان يوجه المطبوعات إلى عدد من الدول الأوروبية والعربية والافريقية والأسيوية والأمريكية، ويتلقى منها كذلك كتبا وصحفا ومجلات.

وكانت المكتبة تحتوي على مطبعة داخلية، طبعت عددا من فهارسها وأعمالها ونشراتها الثقافية، كما كانت تقوم بأعمال التجليد وصيانة الكتب المخطوطة والمطبوعة واصلاحها.

ثالثا : مكتبة معهد مولاي الحسن للأبحاث

هذه المكتبة من أهم مكتبات تطوان التي كان لها دور في هذه الفترة في اثراء البحث العلمي وتمكين الباحثين من وسائل النهوض بمهمتهم واعداد دراساتهم، وقد سعى المسؤولون عن الثقافة لهذه الفترة إلى اقتناء كتب في مجالات الدراسات الاسلامية والعربية، ابتداء من عام 1938م عندما جلبت لهذا الغرض من مصر المجموعة الأولى من الكتب المخصصة لها، وصارت المكتبة في بداية الستينات تتوفر على 3500 كتاب بالعربية و 1400 بلغات أوروبية، وقد وضع لها فهرس لأول مرة عام 1942، وقد تولى هذه المهمة الأستاذ المصري محمد وهبي الملحق بالمعهد، ثم وضع لها المدير المساعد بلاو فهرسا جديدا عام 1953م على الطرق العلمية الجاري بها العمل في فهرسة الكتب [32].

ولقد سعى القائمون بشؤون هذا المعهد إلى تزويد المكتبة بمخطوطات تمكن الباحثين من القيام بمهامهم، وتم في هذا النطاق الاتصال بالمكتبة الوطنية بمدريد ومكتبة الاسكريال لمساعدة المكتبة للتحصول على نسخ مصورة من مخطوطاتها، وسأذكر أسماء تلك المخطوطات لدى حديثي عن المخطوطات التي توجد بتطوان.

وتتوفر المكتبة بالاضافة إلى ذلك على مكروفيلم لنحو 100 رسالة عربية توجد أصولها في (أرشيف) مكتبة مدريد الوطنية [33].

ب. المكتبات الخاصة :

كانت بتطوان مكتبات خاصة، يملكها أصحابها، ويستفيدون منها، وقد يشركون معهم طلبتهم وأصدقاءهم في الفائدة بإعارتها أو اطلاعهم على بعض دخائرها، ومن أهم مكتبات تطوان الخاصة لهذه الفترة مكتبة اليزيد بن صالح الذي

---

(32) Ybid : 803-804

(33) Ybid : 805

تولى منصب باشوية تطوان، وكانت تضم نحو 1000 مخطوط وسأتحدث عنها عند الكلام على المخطوطات بتطوان، ومنها مكتبة الحاج عبد السلام بنونة، ومكتبة العلامة أحمد الزواق، ومكتبة العلامة أحمد الرهوني، وقد ضمتا للمكتبة العامة بتطوان. ومكتبة الأستاذ المؤرخ محمد داود، وقد أوقفها على طلبة العلم، ويوجد مقرها في منزله بباب العقلة، ويوجد بها نحو مائة مخطوط، وكتب مطبوعة وجرائد ومجلات وصور وخطوط للعلماء وغيرهم ورسائل وغير ذلك، ومكتبة العلامة محمد بن الصادق الريسوني، وقد حبسها على الطلبة كذلك، ومكتبة الأستاذ الطريس، والتي صارت مكتبة عمومية، ويوجد مقرها قرب البناية الحالية للمكتبة العامة، ومكتبة الفقيه محمد الطنجي، وكان الاسبان صادروا هذه المكتبة ابان حوادث 1948م، ثم أرجعوا إليه بعضها، وقد تنازل عنها منذ سنوات للمكتبة العامة بتطوان، ومكتبة الفقيه محمد العربي اللوه الذي كان أستاذا بكلية أصول الدين، وقد وهبها لمكتبة هذه الكلية قبل وفاته، وهناك مكتبات أخرى لعدد كبير من الأساتذة ممن لازال على قيد الحياة، متعهم الله بالصحة وأدام النفع بهم، ووفقنا وإياهم لصالح الأعمال.

المخطوطات بتطوان

كانت تطوان منذ قرون مدينة من مدن العلم والثقافة، ومن المدن التي كانت توجد بها مخطوطات كثيرة، ولكن أكثرها ضاع خلال الحرب المغربية الاسبانية عام 1276 هـ ــ 1860م لكون الاسبان حرصوا على جمعها ونقلها إلى بلادهم عند احتلالهم للمدينة، وقد ذكر هذه الحقيقة الاستاذ عبد الله كنون مستدلا على ذلك بكونه أثناء زياراته المختلفة لمدريد العاصمة الاسبانية كان يتردد على المكتبة الأهلية ويتصفح مخطوطاتها واتضح له أن أكثريتها من أصل تطواني، مما نسخ بتطوان أو كان مالكه من تطوان، وأضاف إلى هذا أن من أسباب عدم وجود مخطوطات ومكتبات كثيرة بها بعد السبب المذكور الهزة العنيفة التي أحدثها اعلان الحماية بالمغرب عام 1912م والتي بسببها تشتت كثير من المكتبات العامة وانتقلت محتوياتها إلى الأيدي الأجنبية بطريق الشراء وغيره، ولابد أن تكون تطوان أصابها شيء من ذلك غير قليل، قال [34] «وهذه الملاحظة تظهرها على شيء آخر، وهو أن غالب ما تشتمل عليه

(34) خل وبقل : 121 ـــ 122.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

دور الكتب باسبانيا من المخطوطات العربية أصله من المغرب، فهذه المكتبة الأهلية قد علمنا أمرها، وكذلك مكتبة الاسكوريال التي تضم بين جدرانها عددا من المخطوطات العربية المهمة، فإنها إنما حصلت على هذه الثروة الفكرية الطائلة من المغرب السيء الحظ، حيث أن مركبا بحريا كان يحمل ذخائر للسلطان زيدان بن المنصور الذهبي، ومن جملتها 3000 مجلد من كتب التاريخ والأدب والفلسفة، واستولى عليها القراصنة الاسبان في نهاية القرن السادس عشر، وأضيفت تلك الكتب إلى خزانة الاسكوريال، فكونت قسم المخطوطات العربية الذي تزهى به تلك الخزانة... فليس الأصل اذن فيما يوجد باسبانيا من مخطوطات أن الأندلس كانت مهد الحضارة العربية مدة ثمانية قرون، وأن اسبانيا احتفظت بما استولت عليه من ذلك التراث عند طرد العرب — كما يظن كثير من الناس — وإنما الأصل هو ما ذكرنا، أما في تلك الأيام السود فإن الملوك الكاثوليكيين المتعصبين كانوا يحرقون الكتب العربية ويتلفونها استجابة لنصائح القسوس والرهبان... ولم يتفطن القوم إلى ما ضيعوه من ذلك الكنز الثمين الا بعد فوات الفوات، وحينئذ صاروا يتخطفونه حتى من عرض البحار».

وما من شك في أن هذا الذي يذكره الأستاذ كنون يظهر الماضي الأصيل لهذه المدينة وما كان لها من تراث يحق لها أن تفتخر به وأن تطمح بذلك إلى حاضر يضاهي الماضي أصالة وحفاظا على التراث والمكرمات، كأنما ما أراد الله تعالى أن يعوضها عن بعض ما فقدت، فأخذت ثروتها من المخطوطات تنمو منذ انشاء المكتبة العامة ومكتبة معهد مولاي الحسن، وكذلك بالجهود الفردية الخاصة التي جعلت كثيرا من الافراد يحصلون على مخطوطات توجد في مكتباتهم أو نقلوها معهم إلى تطوان عندما استقروا بها.

سأتحدث أولا عن مخطوطات مكتبة الجامع الأعظم التي صارت مكتبة المعهد الديني العالي، ثم عن مخطوطات المكتبة العامة بتطوان، ثم عن مخطوطات معهد مولاي الحسن للابحاث، ثم عن المكتبة الخاصة لباشا تطوان اليزيد بن صالح.

أولا : مخطوطات مكتبة المعهد الديني العالي

فأما مكتبة المعهد الديني العالي، فهي أقدم المكتبات العمومية بتطوان — كما تقدم — وكان يوجد بها نحو مائة مخطوط، وهي في الأصل مما حبسه السلاطين

والخواص على طلبة العلم، وأكثر هذه الكتب المخطوطة متعلق بالعلوم التي كانت تدرس آنذاك من تفسير وحديث وفقه وأصول وغيرها، ومن شأن ارتباطها بها أن لا تكون هذه المكتبة منفردة بنسخها، بل توجد نسخ منها في مكتبات أخرى بالمغرب، غير أنه مع ذلك توجد مخطوطات بها لها أهمية نوعية لندرتها أو قدم النسخة الموجودة بها أو انفرادها بالمخطوط في بعض الأحيان، أو جودة خطها وحسن تحقيقها، وقد ذكرت من قبل أسماء المخطوطات التي حبسها السلطان سيدي محمد بن عبد الله عليها، وأضيف إلى ما سبق ذكر مخطوطات أخرى، يبدو أن لها أهمية في عالم التراث، وهي :

1. كتاب التوضيح لابن الحاجب (3 مجلدات).
2. البدور السافرة في أمور الآخرة للسيوطي
3. منظومة ليحيى القرطبي في العبادات
4. نظم نظائر الرسالة لابن غازي
5. الدر النظيم في منافع القرآن العظيم للوادآشي
6. مطرفة النجوم لابي بكر حطاب بن يوسف في الفلك.
7. سنن المهتدين للمواق.
8. الفتوح القيومية في شرح الاجرومية لاحمد بن محمد التمبكتي.
9. الفتح الرباني فيما اقتطف من مسانيد الأيمة والامام الحطاب وابن أبي زيد القيرواني، للسلطان المولى محمد بن عبد الله.
10. اضاءة الدجنة في التوحيد لاحمد المقري.
11. طبق الارطاب فيما اقتطف من مسانيد الايمة والامام الحطاب للسلطان المولى محمد بن عبد الله.
12. تعليق على أرجوزة عقود الجمان في البلاغة للسيوطي.
13. فتح المتعال في مدح النعال للمقري.
14. المجالس السنية في الكلام على الأربعين النووية لاحمد الفيشي.
15. تفسير القرآن المسمى بالجواهر الحسان للثعالبي.
16. البيان والتحصيل لابن رشد.
17. شرح أسماء الله الحسنى لمحمد السنوسي
18. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع لابي قاسم الأنصاري السجلماسي.

19. العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة للثعالبي (مجلدان).
20. أجوبة ابن عباد.
21. شرح زروق على الوغليسية.
22. شرح على الأربعين النووية لعبد السلام الفزكاري.
23. الشيخ بهرام على المختصر.
24. ذخيرة المحتاج على صاحب اللواء والتاج
25. التوشيح في مشكلات الجامع الصحيح
26. مختصر ابن عرفة.
27. شرح ابن حجر على صحيح البخاري، نسخة حبسها السلطان المولى الرشيد العلوي.

ثانيا : مخطوطات المكتبة العامة والمحفوظات :

والمكتبة العامة والمحفوظات، هي أكبر مكتبة بتطوان، وقسم المخطوطات والوثائق من أهم أقسام هذه المكتبة، ولهذا يكثر زواره وطلاب البحث الذين يُهْرَعُونَ إليه لاعداد أبحاثهم ودراساتهم، وقد نمت أقسامها وما كانت تشتمل عليه من مخطوطات بفضل العناية التي وجهت إلى هذه الناحية، والتي كان من جملتها شراء مكتبات بكاملها، وكانت تكلف الحكومة آنذاك مبالغ طائلة، وكان من جملة ذلك أيضا صدور ظهير 1357 هـ ـ 1938م الذي أمر بالعناية بالكتب الخطية وفهرستها والاتصال بالخواص عن طريق لجنة علمية للاطلاع على المخطوطات التي بأيديهم مع عدم خروج تلك الكتب من ملك مشتريها، أو وارثيها من أسلافهم، وكذلك ظهير 1372 هـ ـ 1953م الخاص باعادة تنظيم مجلس رعاية الأبحاث والثقافة العليا بالمغرب، والذي نصت الفقرة د من مادته الأولى على ضرورة «تكنيش المخطوطات العربية الموجودة في المغرب والسعي لجمع أو شراء ما أمكن منها ومنع خروجها للخارج إلا بإذن خاص، وكذلك جمع ودرس كل ماأمكن من الوثائق التاريخية المتعلقة بالمغرب».

وبسبب هذه العناية الموجهة لاقتناء المخطوطات والوثائق والمحافظة عليها والرغبة في فهرستها وتنظيمها والاستفادة منها صارت المكتبة العامة ومكتبة معهد مولاي الحسن تقتني مخطوطات عربية أصلية أو مصورة في مختلف مجالات المعرفة الاسلامية

والعربية والمغربية، وصار بإمكان بعض الباحثين الاطلاع على مكتبة عدد من الخواص وفي مقدمها مكتبة الباشا ابن صالح.

وهكذا أخذت المكتبة العامة تقتني المخطوطات ويكفي للدلالة على هذا شراؤها 500 مخطوط مما كانت تضمه مكتبة الشيخ أحمد بن الصديق الغماري، وأن عدد المخطوطات التي صارت في حوزتها بلغت 950 مخطوطا، وأن الوثائق التي تتوفر عليها تعد بالآلاف ـــ كما سبق ذكره ـــ وقد اطلع الأستاذ عبد الله كنون على مخطوطات المكتبة، واسترعت انتباهه منها الكتب الآتية :[35]

1. كتاب قصص الأنبياء، لابي الحسن محمد بن عبد الله الكساني، كتب عام 882 هـ.

2. كتاب التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للحسن بن محمد بن الحسن الصنعاني ـــ مجلدات ستة.

3. حاشية عبد القادر البغدادي على شرح ابن هشام لقصيدة كعب بن زهير «بانت سعاد».

4. الجمع بين كتابي نزهة الناظر وبهجة الغصن الناضر، وشوارق الأنوار، وطوالع الأسرار، كلاهما للشيخ أحمد بن عبد القادر التاستاوتي ـــ مجلدان كتب بتاريخ 1149 هـ.

5. مجموع يشتمل على :

ـــ تأليف في بيع الصفقة للشيخ ميارة.

ـــ تقاييد في التوحيد.

ـــ شرح الخروبي على المشيشية.

ـــ نبذة في الأوليات، تأليف أبي بكر الرباطي المعروف ب خراط.

ـــ استنزال اللطف الموجود في أسر الوجود في ورقات.

ـــ تقييد غريب في شكل مقامة

ـــ تقاييد مختلفة.

ـــ لامية طويلة في الحكم والاداب.

---

(35) خل وبقل : 123 ـــ 124.

ـــ عمل من طب لمن حب لابي عبد الله المقري.
ـــ الحدود لابي الوليد الباجي.
ـــ مختصر نوازل ابن سهل.
ـــ كتاب للحكيم الترمذي في أصول الطريق والسلوك.
ـــ كتاب أزهار الخمائل في اختصار السير والشمائل.
ـــ شرح عبد الملك السجلماسي على رائية ابن ناصر في العبادات.
ـــ رسالة في العقائد والعبادات لمحمد بن عبد المنعم.
ـــ تأليف في الألفاظ الموهمة التي لا يصح إطلاقها على الله تعالى لابي علي السكوني.
ـــ مكنون الجواهر وتحصين المقيم والمسافر في الأدعية والأذكار.

6. رسالة في بيان ناسخ ومنسوخ القرآن لهبة الله البغدادي البصري، ألف عام 453 هـ.

7. الابرار في بري القلم وعمل الأحبار، مؤلفه غير معروف، وكتب بتاريخ 987 هـ.

8. كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك للسلطان أبي حمو موسى ابن زيان.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

9. كتاب المبتدأ لمقاتل بن حيان.

10. كتاب في الفلاحة لحمدون الاشبيلي، اسمه البستان ونزهة الأذهان.

11. كتاب نعت الأحجار لارسطاليس، نقله إلى العربية محمد بن عبد الملك.

12. كتاب الأبيات المقصورة على الأبيات المقصورة، وهو شرح على مقصورة ابن دريد لعبد القادر الحسيني الطبري الشافعي ت. 1033هـ.

13. الفهرست لابن النديم، نسخة متقنة محققة.

14. مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين الحسيني الحلبي، اختصر فيه كتاب معجم البلدان لياقوت.

15. الأنيس النفيس المغني عن الجليس لابي القاسم الزياني.

16. مطالع الرقائق في تحرير الجوامع والفوارق، وهو كتاب في الفروق للزركشي.

17. كتاب في تعبير الرؤيا لابي طاهر الحنبلي، واسمه المعلم في تعبير الرؤيا على حروف المعجم.

18. مجموع به :

ــ مناسك الشيخ خليل.

ــ ورد الجيوب في الصلاة على الحبيب (المحبوب) لمحمد الرسموكي على نهج دلائل الخيرات.

ــ كتاب الرصاع في موضوع الصلاة على النبي.

ــ قرة العين في أوصاف الحرمين.

ــ منسك الشيخ التاجوري

ــ تقاييد.

19. مجموع يشتمل على :

ــ شرح بحرق على لامية العجم

ــ نظم فصيح ثعلب لابن المرحل

ــ كتاب الوافي في نظم القوافي لابي الطيب الرندي

ــ شرح ابن هشام لبانت سعاد.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

20. مجموع يشتمل على :

ــ المنافع البينة وما يصلح بالأربعة الأزمنة، وهو كتاب في الطب لابي عبد الله الصنهاجي، مكتوب بخط مغربي جميل، مؤرخ بعام 1004 هـ.

ــ شرح زروق على الأسماء الدمياطية.

ــ التيسير في صناعة التفسير للفقيه بكر بن ابراهيم الأشبيلي.

ــ الصحبة وآدابها لابي العباس ابن عرضون.

ــ شرح الأسماء الحسنى لزروق.

ــ النصيحة، له

ــ الحزب الكبير للشاذلي

ــ شرح السنوسي لحديث «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء»

ــ تفسير الفاتحة، له.

ــ تقاييد.

21. ديوان المتنبي، نسخة مرتبة على حروف المعجم بمقدمة للاديب أبي جمعة المراكشي الماغوسي.

22. كتاب الرحمة في الطب والحكمة لجمال الدين محمد المهدي الصنوبري.

23. كتاب الكتيبة الكامنة لابن الخطيب.

ولقد أطلعني الفقيه الأستاذ محمد بوخبزة القيم على هذه المكتبة الآن، والذي له اطلاع على المخطوطات وخاصة الموجودة بهذه المكتبة والذي قرأ أكثرها وعرف خصائصها ومميزاتها، أقول : أطلعني على لائحة بأهم المخطوطات التي استرعت انتباهه، والتي ذكر فيها ميزة كل مخطوط عقب ذكر اسمه، وقد رأيت نقلها للقارىء لما في ذلك من الفائدة وذلك كما يأتي : «قائمة بأسماء المخطوطات التي يحسن اطلاع الباحثين والزائرين عليها».

اسم الكتـــاب	رقمــــه
1. تحرير المقالة في شرح الرسالة للقلشاني	15
2. نظم الدرر المنثورة للونشريسي بخطه	147
3. ألحان السواجع للصفدي (جيدة)	255
4. خفايا الزوايا للخفاجي، نقلت عن المؤلف	257
5. الأنيس النفيس للزياني، كتب في حياته	341
5. مقامات الحريري (نسخة مهمة)	348
7. مجموع رسائل الأمير المصري بخطه	404
8. تخميس طي البردة للسخاوي المدني بخطه	451/1
9. ترتيب ديوان المتنبي للماغوسي (مهمة)	524
10. مجموع العلميين الشفشاونيين	656
11. مختصر كتاب العين للزبيدي (عتيقة جدا)	642
12. نسخة أخرى منه عليها خط البناض	740
13. تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس ج 1	650
14. ذخيرة المحتاج للمعطي بن صالح، جزء منها	671
15. رقم الحلل في نظم الدول (جيدة)	686

16. الريحان في اعراب القرآن (عتيقة)	732
17. ج 3 من صحاح الجوهري (عتيقة)	138
18. مشارق الأنوار للصاغاني	357
19. ذكر فتح مصر (عتيقة) وهو جزء من الاكتفا	803
20. قطعة من مصحف غرناطة (على الرق)	830/ 2
21. شرح المرادي على الألفية، كتب في حياة المؤلف	884
22. أرجوزة ابن سينا في الطب، كتب عام 800 هـ	126
23. حاشية أبي ناجي على الرسالة، كتب عام 964 هـ	622
24. القصص لمحمد الكسائي	17
25. القول المبين لعدة الممسوخين	486/ 6
26. شرح العصنوني على التلمسانية والفرائض	844
27. شرح رسالة عمران الصابي ومعه : ـــ شرح في اثبات الغيبة ـــ شرح الفوائد في الفلسفة لاحمد زين الدين الأحشائي (امام فرقة الكشيفية أو الشيخية) والكتابان معا لكاظم الرشتي (زنديق امامي) بخطه.	م124
28. رسالة في المولد النبوي لحسن السقا بخطه	14م/456
29. الشفا لعياض نسخت عام 791هـ	م246
30. شرح بردة البوصيري ليوسف الحنفي بخطه	
31. نسخة ممتازة من مغنى اللبيب	356
32. عمدة الراوين في تاريخ تطاوين	676
33. حاشية الروداني على الموضح	670
34. مصورة مطمح الأنفس	456
35. بلوغ المقصود لابراهيم السقا	/ 10
36. فضل الليل في آداب الفروسية للوزاني الرباطي	434
37. كشف الغمة للكردودي	689

38. مجموع شرقي به كتاب في وصف الأحجار، نسخ بمدينة بروشة (تركيا) عام 836 هـ	891/ 6
39. كتاب الابرار في بري القلم وعمل الأحبار	160
40. كشف اللثام في أحكام السلام	442م

والمكتبة تحتوي على وثائق مخطوطة كثيرة، منها وثائق الحاج محمد بن العربي الطريس، وتتكون من عشرين ألف وثيقة، منها رسائل وظهائر سلطانية ورسائل صدرت عن السلطة المخزنية، ومحافظ للمراسلات الدبلوماسية، ووثائق عدلية ومخطوطات وكتب مخطوطة ومطبوعة وبعض الخرائط، ومنها وثائق قاضي شفشاون الفقيه الحسن بن محمد بن أحمد العلمي، وتتألف من خمسمائة وثيقة، معظمها مراسلات شخصية ووثائق عدلية، ومنها وثائق يبلغ تعدادها نحو المائة تتعلق بالمجاهد أحمد بن محمد الحزمري (اخريرو) الذي شارك في الحرب الريفية مشاركة بطولية (36).

وهناك وثائق أخرى يمكن الرجوع إليها بالاطلاع على المكتبة وفهارسها وزيارة هذا القسم منها.

وليس يخفى بعد هذا أن هذه المكتبة تحتوي على نفائس وذخائر أخرى كبيرة، يجد المهتمون بالتراث لذة ومتعة في الاطلاع عليها واكتشافها وعرضها وتحقيقها، ويمنعني من ذكر ما أختار منها وأستجيد خوف الطول، ولهذا أنتهي عند هذا الحد في الكلام على مخطوطات هذه المكتبة القيمة.

ثالثا : مخطوطات معهد مولاي الحسن :

وكنت ذكرت أن مكتبة معهد مولاي الحسن للابحاث جلبت مصورات مخطوطة من المكتبة الوطنية بمدريد ومكتبة الاسكوريال بها أيضا، وكان هذا العمل مفيدا للباحثين في وقت كان أكثر تلك المخطوطات لم يطبع بعد، وهذه لائحة بما يوجد منها في معهد مولاي الحسن :

---

(36) Historia de la accion cultural : 716-717

1. اعتاب الكتاب لابن الابار
2. ريحانة الكتاب لابن الخطيب.
3. شرح المقامات للشريشي.
4. شرح ديوان امرىء القيس المسمى بالتعليقة لابن النحاس.
5. اثبات واجب المود لملا يوسف.
6. دمعة الشاكي ولوعة الباكي للصفدي.
7. شرح تحفة الحكام لابي يحيى ابن عاصم
8. طيف الخيال في معرفة خيال الظل لابن دانيال
9. الشرح الصغير للخرشي على المختصر
10. شذور العقود في ذكر النقود للمقريزي.
11. شرح الرامزة في علمي العروض والقافية لناظمها ضياء الدين الخزرجي..
12. المحاورة الصلاحية لابن النديم
13. شرح التاودي على تحفة ابن عاصم
14. شرح على لامية الزقاق للتاودي ابن سودة
15. الاسطرلاب لابن البنا المراكشي
16. منهاج الطالب لتعديل الكواكب، له أيضا.
17. عمدة الصفوة في حل القهوة لعبد القادر الانصاري الجزيري.
18. الوسائل إلى معرفة الأوائل للسيوطي.
19. مخطوط مصور به مقامة للفتح بن خاقان ورسالة للوزير ابن جعفر وأخرى للوزير ابن أبي الخصال.
20. المنهج المبين في شرح الأربعين (النووية) لعمر الفاكهاني.
21. الدرر الحسان في الكلام على ليلة النصف من شعبان لابي العباس أحمد الفاسي.
22. شرح كافية ابن الحاجب، وهو لاحمد الهندي.
23. مجموع به رسائل وقصائد مختلفة لكتاب وشعراء الأندلس وهم الفتح بن خاقان وابن عبد الصمد والبستي وابن عمار وابن اللبانة وابن زيدون وابن خبيب ونظم صداف لابن علقمة ورحلة لابن جبير ونسخة بيعة.
24. الدر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير جمع ابراهيم التسولي.

25. عدة الحصن الحصين لابن الجزري.
26. كتاب جامع لفوائد في الطب والعلاج لابي الفضل العجلاني.
27. الجزء الثاني من الشرح الكبير على تلخيص ابن البنا لابي زكريا.
28. الحاشية على الكافية وشرحها للملاجامي، لعلي الشريف الجرجاني.
29. النفحة المسكية والتحفة المكية في العروض والمعاني للسيوطي
30. الديباج المذهب لابن فرحون.
31. نظم العقود ورقم الحلل والبرود، وهو ديوان أبي الربيع سليمان الموحدي.
32. نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد لاحمد الغزال.
33. اللعب بالرمح في معرفة الفروسية للمعلم أحمد ناصر الدين
34. شرح أبي الحباك على تلخيص أعمال الحساب لابن البنا
35. طيف الخيال للشريف الرضى
36. الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك.
37. كناسة الدكان لابن الخطيب.
38. الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، المعروفة بتاريخ أبو راس.
39. الغرة المخفية في شرح الدرة الالفية لابن معط، تأليف أبي العباس الموصلي، المعروف بابن الخباز.
40. الاعجاز والايجاز لابي منصور الثعالبي.
41. كفاية الأريب عن مشاورة الطبيب لابن الصائغ.

رابعا : مخطوطات مكتبة اليزيد بن صالح :

هذه المكتبة كانت تتألف من نحو ألف مخطوط، كان أكثرها في غمارة التي منها صاحب المكتبة باشا تطوان اليزيد بن صالح، وقد نقل بعض نفائسها إلى تطوان عندما تولى بها منصب الباشوية، وكان سلفه أهل علم وفضل، يرجعون بنسبهم إلى الولي الصالح ابراهيم بن صالح دفين قبيلة متيوة بالريف [37] وأصل بني صالح من الساقية الحمراء في الصحراء المغربية، ثم انتقلوا إلى شمال المغرب، ونزلوا بقبيلة بني يطفت قرب بادس، ثم رحلوا إلى بني رزين، من قبائل غمارة، حيث سكنوا مدشر

---

(37) خل وبقل : 141.

أزاغر على بعد مراحل من الجبهة [38] وبالرغم من أن هذه المكتبة كانت خاصة، فإن صاحبها مكن بعض أهل العلم والفضل من الاطلاع على بعض محتوياتها، ومن هؤلاء الأستاذ المؤرخ محمد داود الذي اعتمد بعض مخطوطاتها وجعلها من مصادر كتابه الكبير تاريخ تطوان والأستاذ العلامة عبد الله كنون، الذي كتب عنها معرفا بها في كتابه «خل وبقل» وذكر أن من جملة ما كانت تضمه من النفائس كتاب «الذخيرة» لابن بسام، وقد سرق هذا الكتاب من المكتبة وبيع للمستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال، الذي حمل هذه النسخة المسروقة إلى مصر، وكانت من النسخ التي اعتمدت عندما طبع الكتاب هناك.

ثم ذكر الأستاذ كنون أن من الكتب التي اطلع عليها بهذه المكتبة، ووقع عليها اختياره لنفاستها الكتب الآتية : [39] :

1. سفر يضم عددا من المؤلفات منها :

- ديوان الشاعر علي مصباح
- رسائل الشاعر المذكور بخطه
- شرح مختصر للامية العرب
- شرح ابن مالك على قصيدته في المقصور والممدود.
- تقييد لابن هشام اللخمي على أبيات ابن دريد في المقصور والممدود
- نصيحة الهلالي
- نظم ابن غازي لنظائر الرسالة.

2. ديوان الشعراء الستة : امرؤ القيس، وعلقمة والنابغة وزهير وعنترة وطرفة «ولاشك أن هذه النسخة قد مرت في أيدي كثير من العلماء المحققين، فهي لذلك مما يعتمد في تحقيق شعر هؤلاء الشعراء وضبطه».

3. الجزء السابع من كتاب النوادر لابن أبي زيد القيرواني.

4. شرح مقصورة ابن دريد لناظمها، وهي نسخة عتيقة في مجلد يرجع تاريخها لعام 706 هـ، وفي آخر الكتاب نظم فصيح ثعلب لمالك بن المرحل.

---

(38) سعيد أعراب «ظهائر سلطانية لحماية الشواطىء المغربية» دعوة الحق /العدد 268، ص 103.
(39) خل وبقل : 142 ـــ 146.

5. كتاب المقتضب في بيان اعتزال الزمخشري، وهو بخط مشرقي، كان في ملك سليمان الحوات، ثم ملكه الطيب بن الطيب بن صالح، من سلف صاحب المكتبة.

6. مجموع يضم :
ــ رحلة البلوي، بخط مغربي، كتبت عام 814 هـ.
ــ ديوان الحماسة، مرتبا على حروف المعجم، كان في ملك الشاعر المغربي ابن الونان.
ــ طرف من كتاب أنس السهير في نوازل الفرزدق وجرير، لمؤلفه الشاعر المغربي علي مصباح الزرويلي.
ــ حاشية صغيرة على ديوان المتنبي.

7. مجموع يضم :
ــ شرح زروق على المباحث الأصلية
ــ المقصد الشريف في ذكر صلحاء الريف
ــ كتاب المغزى في مناقب أبي يعزى

8. كتاب الروض الأنف للامام السهيلي، كتب عام 974 هـ.

9. كتاب الأغاني لابي الفرج الأصبهاني، نسخة بخط موسى بن هانئ المالكي كتبت عام 978 هـ.

10. الجزء السابع من كتاب البيان والتحصيل لابن رشد، تاريخ هذا الجزء عام 1199هـ.

11. كتاب زهر الأكم في الأمثال وا حكم، لابي علي اليوسي، نسخة مضبوطة في غاية الصحة بخط الشاعر علي مصباح المذكور، وتاريخ النسخة عام 1122هـ.

12. مجموع يشتمل على ما يلي :
ــ كتاب الكنايات والأمثال للقاضي أبي العباس أحمد بن محمد الجرحاني.
ــ شرح الماغوسي المراكشي على لامية العرب، واسم الكتاب : «اتحاف ذوي الارب بمقاصد لامية العرب».
ــ منظومة رجزية في علم المنطق للقاضي محمد بن الطاهر الهواري الفاسي.

13. شرح ابن السيد البطليوسي على ديوان سقط الزند للمعري مرتبا على الحروف بخط أندلسي، تاريخه عام 569 هـ.

14. ديوان ابن الخياط الدمشقي في مجلد وسط تنقصه بعض الأوراق في أوله، بخط مشرقي.

15. ديوان الشهاب التلعفري بخط مشرقي جميل.

الجوائز الأدبية

كان من مظاهر العناية بالآداب والثقافة والاهتمام بحفز الهمم على الاجادة فيها استحداث جوائز أدبية وأعياد الكتاب وإقامة معارض أدبية متنوعة بهدف الاشادة بالعلم وابراز أهمية الكتاب كوسيلة من وسائل نشر العلم والثقافة، والجوائز التي كانت ترصد للابحاث والأدب ثلاثة :

أولا : جوائز معهد مولاي الحسن :

كانت الجائزة الأولى التي وضعت لهذا الغرض هي التي كان يمنحها معهد مولاي الحسن للابحاث والتي نص عليها ظهير 27 ذي القعدة 1355 هـ ـــ 8 فبراير 1937م، ومن شروط نيل هذه الجائزة كما نص على ذلك الظهير المذكور أن يكون العمل الأدبي المرشح للفوز بها مكتوبا بالعربية وأن لا يكون طبع من قبل، وكان المبلغ النقدي للجائزة يصل إلى عشرة آلاف بسيطة، وكان موعد تقديمها للمرشحين يقترن بعيد الجلوس الخليفي (8 نوفمبر) من كل سنة.

ويرجع تاريخ أول مسابقة نظمها المعهد المذكور إلى عام 1947 وكانت تدور حول الكتابة، عن موضوع من هذه المواضيع :

1. الرياضي المغربي أبو العباس أحمد الازدي ابن البناء المراكشي.
2. لسان الدين ابن الخطيب وأعماله.
3. الآداب والعلوم والفنون على عهد الموحدين.

وتألفت لجنة المسابقة من السادة العلماء والباحثين الآتية أسماؤهم : محمد بن موسى : وزير الأحباس، ومحمد المرير رئيس محكمة الاستئناف العليا الشرعية، والتهامي

الوزاني شيخ المعهد الديني بتطوان، ومحمد عزيمان مفتش التعليم الثانوي، وعبد الله كنون مدير معهد مولاي الحسن، والبروفسور ماريانو أرياس بلاو Mariano Palau المدير المساعد بنفس المعهد.

وكانت الجائزة من نصيب الاستاذين محمد التطواني السلوي الذي كتب عن لسان الدين ابن الخطيب من خلال كتبه، وعبد العزيز بن عبد الله الذي كتب عن الفلسفة الخلقية لابن الخطيب.

وخصص المعهد المذكور جائزته لعام 1950م لواحد من المواضيع الآتية :

1. القاضي عياض، عصره، وحياته، وتأثيره.
2. تطوان من النواحي التاريخية والعلمية والاجتماعية.
3. تاريخ الزاوية الدلائية من الناحيتين السياسية والعلمية.

لكن هذه الجائزة لم تمنح لأحد من الكتاب وذلك لانه لم يترشح لها أي واحد منهم. وخصص المعهد جائزته لعام 1951م وهي الجائزة الثالثة للمواضيع الآتية :

1. ابن الابار، عصره، وحياته، وتأثيره.
2. سبتة من النواحي التاريخية والعلمية والاجتماعية.
3. العلوم والآداب والفنون على عهد المرينيين.

وكانت لجنة هاتين المسابقتين الأخيرتين تتكون من نفس أعضاء اللجنة الأولى حسبما تقدم. وقد نال جائزة هذه المسابقة أستاذ مصري، وهو الدكتور عبد العزيز عبد المجيد أستاذ العربية بجامعة منشيستر، الذي كتب عن ابن الابار ومؤلفاته وعصره.

وخصص المعهد جائزته لعام 1952م، وهي الجائزة الرابعة للمواضيع الآتية :

1. تاريخ المغرب على عهد الوطاسيين.
2. الشريف الادريسي، حياته، ومؤلفاته وتأثيره.
3. تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى.

وكانت لجنة المسابقة تتألف من الشخصيات المذكورة من قبل، ونال جائزة هذه المسابقة السيد محمد عبد الرحيم غنيمة من القاهرة.

وخصص المعهد جائزته لعام 1953م وهي الجائزة الخامسة للمواضيع الآتية :

1. أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني.
2. تاريخ تطوان.
3. الأدب العربي بالمغرب.

وتألفت اللجنة ممن ذكر من الشخصيات سابقا، ومنحت الجائزة للاستاذ محمد بن أحمد داود عن كتابه «مختصر تاريخ تطوان».

وخصص المعهد جائزة عام 1954م للمواضيع الآتية :

1. ابن خلدون، حياته ومؤلفاته.
2. تاريخ الأغالبة في افريقيا والمغرب.
3. الموشحات والوشاحون في الغرب والشرق الاسلاميين.

ولم يتقدم أحد لنيل هذه الجائزة، وخصصت جائزة 1955، للمواضيع الآتية :

1. القاضي عياض، حياته، ومؤلفاته.
2. العلوم والآداب والفنون على عهد المرينيين.
3. تاريخ مدينة قرطبة.

ولم يتقدم أحد كذلك لنيل هذه الجائزة.

وكان المعهد تابع مع ذلك محاولة تشجيع النشاط الأدبي بالدعوة إلى جائزته لعام 1956م وكانت تدور حول المواضيع الآتية :

1. ادريس الثاني
2. مدخل إلى تاريخ المذهب المالكي وتطوره بالأندلس والمغرب.
3. الأدب الأندلسي على عهد ملوك الطوائف.

ولم يتقدم أحد لنيل هذه الجائزة فيما أعلم وكان المبلغ النقدي المخصص هو عشرة آلاف بسيطة اسبانية كما تقدم، ومن شروط المسابقة حسب الظهير المنظم لها والمؤرخ ب (27 ذي القعدة 1355 هـ ـــ 8 فبراير 1937م) أن يكون العمل الأدبي المرشح باللسان العربي وأن يكون أصليا، وأن لا يكون طبع من قبل، وكان

موعد تقديمها للمرشحين يقترن بذكرى عيد جلوس الخليفة السلطاني (8 نوفمبر) على كرسي خلافته.

ثانيا : جائزة معهد الجنرال فرانكو :

ومنذ عام 1948م شرع معهد الجنرال فرانكو في الدعوة للاشتراك في مسابقات لكتابة دراسات أدبية وعلمية وتاريخية، كانت تخصص لها جائزة تصل إلى عشرة آلاف بسيطة، وكان الموضوع المقترح لعام 1949م عن مغرب ما قبل التاريخ وقد حصل على هذه الجائزة باحثان من جامعة برشلونة هم لويس غرسيا ومرتين باش. والموضوع المقترح لعام 1950م عن «الفترات الأولى من التاريخ المغربي، الفينيقيون والقرطاجنيون والأساطير القديمة عن الشمال الافريقي. والموضوع المقترح لعام 1951م عن «روما وموريطانيا الغربية...» والموضوع المقترح لعام 1952م عن «الفتح العربي والأدارسة والمرابطين». والموضوع المقترح لعام 1954 عن المرابطين، وقد نال هذه الجائزة أمبروسيو ميرافدا، والموضوع المقترح لعام 1953 عن المرينيين، والموضوع المقترح لعام 1956 م عن الوطاسيين والسعديين.

ثالثا : جائزة «مرويكوس» والمغرب للآداب :

وأراد المشرفون على شؤون التربية والثقافة احداث جوائز تشجيعية جديدة للانتاج الأدبي القصير، متمثلا في المقالة والقصة والشعر، فأعلنوا عن أربع جوائز أخرى باسم «جوائز مرويكوس والمغرب للآداب» تمنح للمغاربة والاسبان المقيمين بالمغرب، بحيث ينال جائزتي مرويكوس اسبانيان وينال جائزتي المغرب مغربيان، وقد نظمت هذه الجوائز بمقتضى ظهير 3 شعبان 1372 هـ ــ 18 أبريل 1953م، وكانت لغة الجوائز هي الاسبانية والعربية.

وقد وقع الشروع في نفس السنة 1953م في الاعلان عن الجائزة، فكانت جائزة المغرب عن الشعر من نصيب الأستاذ ابراهيم الالغي وجائزة المغرب عن النثر من نصيب الأستاذ أحمد بن عبد السلام البقالي، ونال جائزتي مرويكوس كل من الآنستين الاسبانيتين Tirina Mircader و Dora Bocaicoa وكانت جوائز عام 1954 م من نصيب آمنة اللوه عن النثر، ولم يظفر بجائزة الشعر العربي أحد، ونال جائزتي

مرويكوس عن الشعر والنثر Pio Gomez وكانت جوائز المغرب للآداب عام 1955م من نصيب محمد الطنجاوي عن الشعر وأحمد بن عبد السلام البقالي عن النثر، ونال جائزتي مرويكوس عن الشعر والنثر Miguel Fernandez وكانت قيمة كل جائزة تصل إلى ألفي بسيطة، وقام معهد مولاي الحسن بطبع الانتاج الأدبي الذي نال تلك الجوائز، وهو جيد، يدل على مواهب فنية قادرة على الابداع والعطاء، ويدل الانتاج العربي فيها خاصة على تطور في الأداء الفني حيث نرى القصة القصيرة، عند أدبائنا صارت وسيلة من وسائل تصوير المجتمع وقضاياه وأحواله الزمنية والتاريخية كما يبدو هذا من خلال قصة أحمد البقالي «المسعورة» التي نالت جائزة عام 1953م وقصته «رواد المجهول» التي نالت جائزة عام 1955م وكذلك الشأن بالنسبة لتواشيح الأستاذ الالغي التي تغنى فيها بجمال تطوان ومُنْتَزَهاتها وهو وصف يمتاز بكثير من الابداع وبغنائية بارعة أصيلة عذبة وبروح ملاحظة، متميزة بهدوءكبير وطمأنينة عميقة، وقدرة على التقاط الصور الذهنية وتسجيلها، وكذلك الشأن بالنسبة لقصة الأستاذة أمينة اللوه «الأميرة المغربية خناثة بنت بكار»، وشعر الأستاذ محمد الطنجاوي عن فتيان قرية بني معدان.

أعياد الكتاب والمعارض

وأقام المشرفون على شؤون الثقافة والتعليم عيدا للكتاب، يقام فيه معرض سنوي، ويكون مناسبة لاحتفالات ثقافية متنوعة، تتوجه فيها الأنظار إلى معرفة التراث وعرضه ودراسته، وحث الهمم للاقبال على الدرس والتعليم، وقد نظم الاحتفال بالأعياد المذكورة بظهير 15 محرم 1359هـ ـــ 24 فبراير 1940م الذي غيرت بعض مقتضياته بظهير 25 ربيع الأول 1360 هـ ـــ 23 أبريل 1941م وينص الفصل الثاني منه على اقامة عيد سنوي للكتاب بتطوان، وينظم فيه معرض عربي اسباني تحت اشراف المكتبة العامة للمدينة.

وقد جرى أول احتفال بعيد الكتاب عام 1940م في قسم الصحف والمجلات التابع للمكتبة العامة (شارع محمد الطريس، رقم 7) وتم فيه عرض نحو مائتي نسخة من المصادر والمراجع العلمية وعدد من أقدم الصحف التي صدرت بالمغرب، وقد أسهم في اقامة المعرض المذكور معهد الجنرال فرانكو للأبحاث، والمكتبة

العامة بتطوان ونيابة الشؤون الوطنية والبعثة الكاثوليكية بطنجة وقسم الصحف والمجلات التابع للحماية، واللجنة التاريخية للحملات الحربية بالمغرب، وغرسيا فيغراس، وانريكي أركيس، والجمعية التاريخية لشريش ومجلة موريطانيا، ومكتبة الكراس، ومكتبة مرتينس، واللجنة الاقتصادية المركزية، ونيابة الأملاك بتطوان والسيد عبد الخالق الطريس وآخرون.

وفي عام 1941م واحتفاء بالعيد المذكور أقيم معرض للمخطوطات العربية بمقر المكتبة العامة، ساهمت فيه بنصيب وافر مكتبة مدريد الوطنية ومكتبة الاسكوريال.

وفي عام 1942م جرى احتفال آخر بنفس المكان، أقيم فيه معرض للصور والرسوم الخرائطية من محتويات المكتبة العامة.

ويظهر أنه كانت هناك جائزة خاصة بهذا العيد، تمنح لمن يكتب مقالا حول موضوع ثقافي مقترح، كما يدل على ذلك هذا الاعلان الذي نشرته نيابة التربية والثقافة بتطوان (40) :

«عيد الكتاب الاسباني المغربي لسنة 1948»

بمناسبة هذا العيد المنشأ والمضبوط بظهيري 4 فبراير من سنة 1940 و 23 أبريل 1941 وجريا على روح ذلك المرسومين والخطط المتبعة في السنوات السابقة تفتتح مبارة لمكافأة أحسن مقال يكتب بالعربية أو الاسبانية حول الموضوع الآتي :

(المطبعة الاسبانية المغربية في شمال المغرب معلومات لوضع تاريخها).

ويجب أن يحتوي المقال على الاقل 50 صفحة من حجم الربع مكتوبة على جهة واحدة وعلى مسافتين بين الأسطر، والمقالات التي تقدم مخطوطة يجب أن تكون واضحة الخط ذات اتساع مساو لاتساع المكتوبة على الآلة الكاتبة وينتهي أجل قبول المقالات نهار10 أبريل المقبل على الساعة 14.

---

(40) عن مجلة المعرفة، العدد 7 ص 18.

ان المقالات يجب أن تقدم إلى نيابة التربية والثقافة مكتوبة عليها الاشارة الآتية : «مسابقة عيد الكتاب الاسباني العربي» وتدفع دون ذكر اسم المؤلف مع علامة توضح ضمن غلاف مختوم يرفق بالمقال ويذكر في داخله اسم صاحب المقال وعنوانه.

فالمقال الذي تحكم بأفضليته اللجنة التي ستعين في الوقت المناسب يكافأ بجائزة قدرها 500 بسيطة تسلم للكاتب في حفلة عمومية.

تطوان في 28 يناير سنة 1948

نائب التربية والثقافة ــ طوماس غرراس فيغيراس»

وفي عام 1949م أقيم احتفال بمناسبة عيد الكتاب كانت مدينة العرائش مركزا له، ساهمت في اقامته المكتبات ومديرية الوثائق.

وفي عام 1950 احتفل في تطوان بمناسبة العيد المذكور بمعرض للكتاب المدرسي.

وفي عام 1951م أقيم معرض للمخطوطات والوثائق العربية، شاركت فيه المكتبة العامة وجامعة غرناطة ومدرسة الدراسات العربية بهذه الجامعة، ووزارة الأحباس، وعدد من الخواص.

وفي عام 1952م احتفل بالمناسبة بإقامة معرض في مقر المكتبة العامة، اشتمل ما يأتي :

ــ كتب التعليم الثانوي التي طبعت بمصر

ــ كتب التعليم الثانوي التي طبعت بلبنان

ــ الخرائط القديمة لقارة افريقيا.

ــ وثائق عربية واسبانية في ملك أرشيف تطوان التاريخي.

ــ مخطوطات عربية في ملك المكتبة العامة بتطوان، وصور فتوغرافية لمخطوطات توجد بمكتبة الاسكوريال، والصور المذكورة مستعارة من خزانة معهد مولاي الحسن.

ــ الكتب المدرسية التي طبعت بالمنطقة الخليفية، والمطبوعات الجديدة لمعهد مولاي الحسن.

ـــ مختارات من مطبوعات معهد الدراسات الافريقية بمدريد.

ـــ المطبوعات الحديثة لمعهد الجنرال فرانكو والكتب العصرية الاسبانية التي تعالج مواضيع اسلامية وافريقية.

ـــ كتب عربية عصرية للتعليم الجامعي والبحث العلمي.

ـــ صور وخرائط افريقيا ساهمت بها المصلحة الجغرافية للجيش، وجهاز لقراءة الميكروفيلمات من ممتلكات أرشيف الصور بتطوان [41].

واشتمل معرض عام 1953م المخصص للصحافة على أنواع من الصحف حسبما يأتي :

ـــ صحافة عربية مما ساهم به الأستاذ محمد داود.

ـــ صحافة عربية مما ساهم به الأستاذ محمد الجحرة

ـــ صحافة عربية في ملك قسم الصحف التابع للحماية

ـــ صحافة سبتة

ـــ صحافة طنجة.

ـــ صحافة العرائش والقصر الكبير والحسيمه.

ـــ صحافة مليلية

ـــ صحافة تطوان

ـــ صحافة الوحدات العسكرية بالمغرب

ـــ صحافة مخطوطة مدرسية

ـــ مجلدات مختلف الصحف مما ساهم به انريكي أركيس.

واشتمل معرض عام 1954م على صور تاريخية مختلفة وتراجم الشخصيات العلمية، ساهمت فيه شخصيات ومؤسسات ثقافية.

وخصص معرض عام 1955م لانواع نشاط مكتب توزيع وتبادل المنشورات.

ولقد كان الاحتفال بعيد الكتاب مناسبة كبيرة تعلق فيه المنشورات التي تشيد بهذه الظاهرة، ويتبارى الشعراء والكتاب في الكتابة والنظم في مواضيع تتعلق بالكتاب وفضله في نشر العلم والثقافة وتقدم المجتمع. كما كان يخرج لزيارة المعارض

---

(41) Historia de la accion cultural : 705-706

المذكورة ومشاهدتها كبار رجال السلطة والمسؤولون عن الادارات والمثقفون وكل من له اهتمام بشؤون التربية والتعليم، ولعل من القصائد التي كانت من وحي احدى هذه المناسبات قصيدة للاستاذ السيد عبد الله كنون، خصصها للكتب والمكتبات وأثر العلم في تقدم المجتمعات وهي بعنوان : «المكتبة» وهذا نصها [42].

اخلع النعل واخفض الطرف وامثل ... بخشوع كراهب عند هيكل
ها هنا معبد عكوفك ساعة ... فيه خيرمن نسك عمر وأفضل
مهبط الوحي فالملائك والر ... وح حواليه كل حين تنزل
تتجلى عرائس الفكرفيه ... تصبي من كان بالفكر يحفل
مجمع المفكرين والشعراء الـ ... ـلسن والمصلحين من عهد أول
يتبارون فيه كل بلبلا ... ه على مسرح الهوى يتغزل
عالم واقع وان كان غيبا ... رب غيب من واقع كان أمثل
الدُّنى والعصور فيه تلاقى ... مجمل في أمورها ومفصل
والرؤى والطيوف تهفو عليه ... حومنا كالطيور للوكر تعجل
والمعاني والشعر والسحر فيه ... والأماني أمام عينك مثل

الجمعية والنادي ومجالس العلم
والثقافة الخاصة

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

من مظاهر النشاط الثقافي بتطوان خلال هذه الفترةوجود نشاط تمارسه جمعية ثقافية، وتشرف عليه مجموعة من الوطنيين المثقفين، ويهدف إلى بعث الوعي والنهضة الثقافية بين الأوساط الطلابية والمتعلمة، ويرجع تاريخ هذا إلى عام 1932 عندما أسس الأستاذ عبد الخالق الطريس «جمعية الطالب المغربية» التي مهدت لظهور حزب الاصلاح الوطني، وقد وضعت الهيأة التي ساهمت في التأسيس قانونا للجمعية الذي نص فصله الثالث من الباب الأول على الأهداف التي رسمتها لنفسها، وهي :

«أ. الدفاع عن حقوق الطالب

ب. ارشاده أثناء الدراسة

ج. تهيئته للعمل عند الانتهاء من حياة الدراسة بشكل يتناسب مع ما تسنه الحكومة.

---

(42) مجلة الأنوار، 6 مايو 1946م.

د. ايجاد رابطة قوية بين طلبة المدارس على اختلاف أنواعها ومتخرجي هذه المدارس.

هـ. انشاء ناد للتسامر ومكتبة للاطلاع والاستعانة في البحوث.

و توسيع ثقافة الطالب وتنوير ذهنه».

وقد مرت الجمعية بمراحل، وكانت أهم مرحلة وأكثرها أهمية هي الواقعة ما بين سنة التأسيس إلى عام 1939 عندما أخذت السلطات الاستعمارية تراقبها وتضيق الخناق على الوطنيين عموما والمسؤولين عنها خصوصا، وأخذ نشاطها لذلك يقل ويضعف حتى أصيب بالشلل منذ عام 1948 في أعقاب حوادث تطوان عندما هاجمت قوات الشرطة مركزها الكائن بباب الرموز وأتلفوا محتوياته من الفراش والمطبوعات والوثائق وغيرها، وعلى الرغم من أن الجمعية عادت للعمل ابتداء من عام 1952 بعد الانفراج المغربي الاسباني، فإنها لم تبق تلك الجمعية القوية الناهضة التي كانت في الاربعينات.

وكانت جمعية الطالب تنظم للعموم محاضرات ولقاءات ثقافية ومهرجانات أدبية في مختلف المناسبات، وكان مجلسها الاداري الذي كان يسيرها بعدما تم تأسيسها يتكون من هذه الشخصيات : عبد الخالق الطريس (رئيسا) والتهامي الوزاني (وكيلا) ومحمد الناصر (أمينا) ومحمد باغوز (كاتبا عاما) وعبد السلام بن عجيبة (كاتبا مساعدا) وعبد السلام الحاج، ومحمد اعيار، ومحمد بن اللبار، ومحمد الدليرو (أعضاء) [43].

وقد كتبت عنها مجلة المغرب الجديد تقول : «جمعية الطالب المغربية هي الهيئة الأدبية الوحيدة التي تقوم في شمال المغرب بنشر الثقافة بين المواطنين، وتحبيب المعرفة إليهم بمختلف الوسائل من محاضرات واحتفالات، عامة وخاصة، والحق أن تاريخها في الميدان الثقافي تاريخ مجيد [44]».

ومن الأعمال الأدبية للجمعية :

ــ تنظيم محاضرة ألقاها الأستاذ الطريس عن دولة الموحدين [45].

---

(43) مجلة السلام، الجزء الأول، قسم الصور.

(44) مجلة المغرب الجديد، العددان 9 ــ 10 ص 131.

(45) أب الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة 3 : 341.

ــ إقامة حفل لتأبين الشاعر أحمد شوقي

ــ تنظيم محاضرة للاستاذ التهامي الوزاني بعنوان «الاحسان في مجتمعنا».

ــ الدعوة للاحتفال بالذكرى الذهبية لزيارة السلطان المولى الحسن الأول لتطوان كرد فعل على احتفال الاسبان بالمدينة بذكرى «الاركون» (46).

ــ الاحتفال بذكرى أبي الطيب المتنبي (47).

وكثيرا ما كانت السلطة الاسبانية تتدخل لمنع بعض أنواع النشاط الفكري والوطني للجمعية، ومن أمثلة ذلك منعها من الاحتفال بذكرى دخول السلطان المولى الحسن الأول، وقد واجه المسؤولون عن الجمعية ذلك بإقامة الاحتفال سرا بدار الفقيه الصفار، ولم تتمكن السلطة الاسبانية من تطبيق قرار المنع.

ومن أمثلة ذلك أيضا منعها محاضرة كان سيلقيها الأستاذ عبد السلام بن جلون بنادي الجمعية، وقد وجه المراقب المحلي رسالة إلى الجمعية يحتج فيها لقرار المنع بأمرين :

1. إنه يجب تقديم طلب بإلقاء أية محاضرة قبل أربعة وعشرين ساعة، وأن الطلب لم يصل للمراقبة إلا يوم الإلقاء.

2. أن الجمعية لم توجه نص ملخص المحاضرة إلى المراقب سونيير ليتخذ بشأنها قرارا.

وكان جواب الجمعية :

1. أنها أشعرت السلطة بالمحاضرة بواسطة رسالة وجهت للباشا.

2. أن الجمعية نظمت محاضرات من قبل، ولم تدفع ملخص المحاضرات إلا مرتين «في العهود المظلمة».

وقد تحدثت جريدة الحياة عن هذه المسألة وذكرت السلطة الاسبانية بمحاضرة الحسين بن عبد الوهاب بتاريخ 2 رجب 1353 ومحاضرة باغوز قبلها، ومحاضرات

(46) الوثائق الوطنية، العدد 2 ص 22.

(47) مجلة المغرب الجديد العددان 9 ــ 10 ص 131 ــ 132.

الأساتذة الطريس وبنونة والطنجي التي لم تخضع فيها الجمعية بقرار توجيه ملخص السلطة (48).

وظلت «جمعية الطالب المغربية» هي المؤسسة الثقافية الوحيدة المرخص لها رسميا بمزاولة نشاطها إلى عام 1356 ـــ 1937 عندما أسس الشيخ محمد المكي الناصري نادي الوحدة المغربية، ويبدو أن الشيخ الناصري الذي كان من قبل من المتحمسين لجمعية الطالب المغربية والمشجعين لها وساهم في نشاطها بمحاضرات وكلمات لاحظ أن الجمعية صار لها ارتباط وثيق بحزب الاصلاح الوطني، فقرر تأسيس النادي المذكور ليكون مركزا ثقافيا تابعا لحزب الوحدة المغربية الذي كان يرأسه، وهو مع هذا يقول في حفلة تدشين النادي انه : «ناد ثقافي صرف، وانه ليس بحزب سياسي، بل هو بعيد عن التحزب كل البعد، وانما هو مركز للاخوة الاسلامية والعمل على تعميق الشعور بالوحدة المغربية في نفوس المسلمين المغاربة واعدادهم للسعي في سبيل تحقيقها من جديد، كما أنه مركز للثقافة والتهذيب والتربية القومية الصحيحة...» (49).

وقد نظم هذا النادي عدة لقاءات ثقافية كان من أبرزها :

ـــ حفل تأبين الكاتب المصري محمد صادق الرافعي.

ـــ محاضرة للشيخ المكي حول «اعجاز القرآن» (50).

ـــ تأبين الشاعر العالم والوطني المغربي الشهيد محمد القري (ت. 1356) (51).

ـــ تكريم الاستاذين ابراهيم الالغي والشاعر الجزائري أبي مدين الشافعي (52).

ـــ حفل تكريم وفد من الصحراء المغربية، كان من بين أعضائه الشيخ الحاج محمد بن الشيخ ماء العينين سيدي مربيه ربه، والشيخ ماء العينين ابن العتيق والشيخ ماء العينين يحجب بن خطر، وفي الحفلتين تبادل الحاضرون مع الوفد المذكور كلمات الترحيب والود وأحاديث علمية في التفسير والحديث والأصول، كما تبادلوا

---

(48) جريدة الحياة، العدد 35 عام 1353 ـــ 1934م، ص 2.

(49) جريدة الوحدة، عدد 28، ص 1.

(50) جريدة الوحدة المغربية، العدد 30 ص 5 و8.

(51) نفس الجريدة، العدد 52.

(52) نفس الجريدة، العدد 57.

انشاء أشعار قيلت على البديهة، ومنها قول الشيخ ماء العينين بن العتيق مادحا الشيخ المكي :

سلام على شيخ الأساتذة المكي	يبير به ليل البراعة والصك
فهذا، فقد جاد الزمان بنفحة	آدابك الحسناء أذكى من المسك
ليهنيك ما تتلو من الخطب التي	أبانت لنا حسن الجزالة والسبك (53)

ـــ تأبين العلامة ابن القرشي (54)

وإلى جانب العمل الثقافي والأدبي لهاتين المؤسستين الكبيرتين، جمعية الطالب المغربية ونادي الوحدة المغربية كانت هناك مجالس خاصة للعلم والأدب والتعليم والنزهة، ومن بينها مجلس الفقيه محمد بن الابار (ت 1337 هـ 1918م) وكان يعقد كل يوم أربعاء بعد صلاة العشاء، بحيث كان الحاضرون يسردون صحيح البخاري بشرح القسطلاني، وكان المجلس يتألف من السادة الفقيه المذكور والفقيه محمد المؤذن وأحمد الغنيمة وأحمد غيلان والفقيه أحمد الصفار والفقيه محمد المرير، وكان عشاء الحاضرين في المجلس الكسكس بالدجاج، وقد صار هذا المجلس يعقد منذ عام 1335 بعد صلاة العصر من كل يوم خميس، وقد وصف الفقيه المرير المنهج العلمي لهذا المجلس فقال : «كنا في الحقيقة نجعل شرح القسطلاني هو المتن ونسرده كله حرفا حرفا، ونتبع أبحاثه بكل تحقيق وتدقيق ومناضلة حتى لا يشذ عن فهمنا شيء...» (55).

مجلس مجموعة عصبة الفكر، التي انتظمت في شكل جمعية ثقافية خاصة، كانت من اقتراح الأستاذ عبد الخالق الطريس، وكان أعضاء المجموعة يتدارسون فيما بينهم قضايا أدبية وفلسفية وتاريخية (56) ومن مظاهر نشاطها الفكري أنها نظمت مناظرة في المفاضلة بين عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين والمهدي بن تومرت زعيم دولة الموحدين، وقام بتفضيل ابن ياسين الأستاذان الطريس والطيب بنونة، وانتصر للمهدي بن تومرت الأستاذان التهامي

---

(53) نفس الجريدة، العدد 72 ص 8 والعدد 83 ص 7.

(54) نفس الجريدة، العدد 87.

(55) فهرسة النعيم المقيم، الجزء 2 ص 91 ـــ 92.

(56) الأستاذ ابن الابار : 18.

الوزاني والحاج محمد بنونة وقام بعملية التحكيم الأستاذ محمد الطنجي الذي نشر نص كلمته في مجلة «الارشاد الديني» [57].

وورد في قصيدة «الجناح الأخضر» للشاعر الوزير محمد بن موسى مايدل على أن فقهاء تطوان كانوا يعقدون فيما بينهم حلقات للمذاكرة العلمية والمناظرة الفقهية، وخاصة في مجالس النزهة التي كانت تجمعهم ببعض منتزهات المدينة، مثل منتزه الجناح الأخضر، الواقع أسفل جبل غرغيز، أمام مدينة تطوان، وهو كثير الأشجار والمياه، وجميل المناظر، تسرح بين أيكه الطيور المغردة والجداول المتدفقة، وقد وصف الشاعر بأناقة ودقة وشاعرية فياضة طبيعة المكان الغناء، وانتهى للحديث عن مجلس للفقهاء انعقد به ذات يوم ومادار فيه من نقاش وجدال، كاد يفضي للخصام، لولا أن عميد القوم وكبيرهم، تدخل في الموضوع فبين وجه المسألة ، واستمال الحاضرين لترك اللجاج والخصام، وحثهم على طلب الحق والتحلي بخصال أهل العلم والفضل ونشر بذلك ألوية السلام، بينهم، وردهم للوفاق وخلق الانصاف والاخاء [58].

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

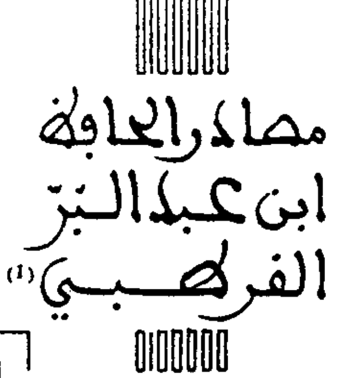
(57) مجلة الارشاد الديني، الجزء الرابع، ص 5 — 11.

(58) انظر القصيدة في مجلة النصر، العدد الأول، ص 2 — 4.



بحوثٌ تمهيديَة مُقدّمة إلى دار الحَديث الحسنيّة





في كتابه الاستيعاب في معرفة الأصحاب

للأستاذ الحسين أجاك

التعريف بالكتاب :

كتاب الاستيعاب هو أحد الكتب الفريدة من نوعها في التراث المغربي الاسلامي الأصيل فإنه لم يسبق مؤلفه الامام ابن عبد البر بمؤلف مغربي جامع ومعجم كبير في هذا الباب مثله. يقول الامام ابن حزم في شأنه : هذا الكتاب ليس لأحد من المتقدمين مثله على كثرة ما صنفوا في كتب الصحابة [2].

والواقع أن للمغاربة حضورا في هذا المجال قبل الامام أبي عمر فقد صنفوا في فضائل الصحابة وفي فئات خاصة منهم مثل القراء والرواة والفقهاء من الصحابة، وإذا كان المشارقة قد سبقوا أبا عمر وغيره من المغاربة في ذلك فإنه استطاع رحمه الله بنفسه الطويل في البحث والتنقيب أن يجعل من كتابه الاستيعاب قبلة المؤلفين في

(•) أشرف على هذا البحث الدكتور محمد يسف.

(1) انظر في ترجمته : بغية الملتمس : 442/1 الديباج : 30 ط القاهرة 1329 الشذرات 3 /314 ـ 316 ـ نفح الطيب 116/2. 123 ـ الصلة رقم 1376 طبقات الحفاظ للسيوطي 14 /12 تذكرة الحفاظ 324/3 الانساب للسمعاني 447 الجذوة : 367.

تاريخ الأدب العربي لبركلمان 6 /260.

مدرسة الامام الحافظ أبي عمر ابن عبد البر في الحديث والفقه وآثاره في تدعيم المذهب المالكي بالمغرب الجزء الثاني من ص 102 ـ 175 رسالة تقدم بها الأستاذ الدكتور محمد بن يعيش لنيل دكتوراه الدولة باشراف الدكتور فاروق النبهان سنة 1408 ـ 1988. شجرة النور الزكية 100/2. غاية النهاية في طبقات القراء 1 /620 ط11 : 1400 ـ 1980.

(2) المصنفات المغربية في السيرة النبوية للدكتور محمد يسف441/3 (اطروحة دكتوراه نوقشت بدار الحديث الحسنية سنة 1986م) ؛ نقلا عن ابن حزم في رسالة فضل الأندلس.

الصحابة بعده سواء في ذلك المشارقة والمغاربة، فلا يكاد الناظر في كتب الصحابة المؤلفة بعده ــ بل حتى كتب السيرة ــ إلا ويجد النقول عليه مرة بعد مرة ومعلوم أن الامام الحافظ ابن حجر جمع في كتابه في الصحابة الموسوم : بـ«الاصابة في تمييز الصحابة» بين الاستيعاب وذيولاته وغيرها (3).

وقد طبع الاستيعاب عدة طبعات بحاشية الاصابة للعسقلاني، كما طبع مستقلا بتحقيق علي محمد البجاوي وهو تحقيق لم يكن في المستوى المطلوب.

وقد كانت عناية أبي عمر يوسف بن عبد البر بتأليفه هذا خلال جمعه له أقوى وكان حرصه على استكمال جوانب الموضوع فيه أشد، وذلك حتى بعد اتمامه والفراغ منه، يدل على هذا وصيته به (الاستيعاب) لتلميذه أبي علي الغساني حيث قال له : «أمانة الله في عنقك متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة لم أذكره إلا الحقته في كتابي الذي في الصحابة» (4).

وهذا يدل بوجه آخر على نفي أو انتفاء ما يفهم من عنوان الكتاب «الاستيعاب» من أن أبا عمر ادعى فيه الاستيعاب لكافة الأصحاب فقدقال الامام ابن حجر العسقلاني في كتابه الاصابة : «ثم كأبي عمر بن عبد البر وسمي كتابه الاستيعاب لظنه أنه استوعب ما في كتب من قبله» (5).

فإذا كان أبو عمر لم يستوعب جميع ما في الكتب قبله بحذافيرها فإنه رجع إليها في الغالب الأعم وانتقى منها ما هو على شرطه في كتابه «الاستيعاب» فهو يقول معربا عن أمله في أن يكون كتابه عظيما ومفيدا وفي نفس الوقت ينفي ادعاء الكمال، ويقول : «وأرجوا أن يكون كتابي اكثرهم تسمية وأعظمها فائدة وأقلها مؤنة على أني لا أدعي الاحاطة بل اعترف بالتقصير الذي هو الأغلب على الناس» (6).

---

(3) الرسالة المستطرفة ص 152.
(4) الروض الأنف للسهيلي 3 /283.
(5) الاصابة : 1 /3.
(6) الاستيعاب 1 /19.
ينظر تحقيق الاسم لهذا الكتاب في «المصنفات المغربية في السيرة النبوية» : 3 /441 ــ 443.

منهج المؤلف في «الاستيعاب» وسبب تأليفه

أبان أبو عمر رضي الله عنه في خطبة هذا الكتاب عن منهجه فيه وأشار إلى أهم المصادر التي استقى منها مادته الأصلية، يقول أبو عمر : «وقد جمع قوم من العلماء في ذلك كتبا صنفوها ونظرت إلى كثير مما صنفوه في ذلك وتأملت ما ألفوه فرأيتهم ـــ رحمة الله عليهم ـــ قد طولوا في بعض ذلك وأكثروا من تكرار الرفع في الانساب ومخارج الروايات. وهذا ـــ وإن كان له وجه ـــ فهو تطويل على من أحب علم ما يعتمد عليه من أسمائهم ومعرفتهم وهم مع ذلك قد أضربوا عن التنبيه على عيون أخبارهم التي يوقف بها على مراتبهم ورأيت كل واحد منهم قد وصل إليه من ذلك شيء ليس عند صاحبه.

واعتمدت في هذا الكتاب على الأقوال المشهورة عند أهل العلم بالسير وأهل العلم بالاثر والأنساب وعلى التواريخ المعروفة التي عول عليها العلماء في معرفة أيام الاسلام وسيره وأهله» (7).

ويقول أيضا : «... قد ذكرنا انساب القبائل الرواة من قريش والأنصار وسائر العرب في كتاب «الانباه على القبائل الرواة» وجعلناه مدخلا لهذا الكتاب يغنينا عن الرفع في الانساب ويغنينا على ما شرحناه من الاختصار والتقريب وبالله العون لا شريك له. ونبدأ بذكر رسول الله ﷺ ونقتصر من خبره على النكت التي يجب الوقوف عليها ولا يليق بذي علم جهلها وتحسن المذاكرة بها لتتم الفائدة للعالم الراغب والمتعلم الطالب في التعريف بالمصحوب والصاحب مختصرا ذلك أيضا موعبا مغنيا عما سواه كافيا، ثم نتبعه ذكر الصحابة بابا بابا على حروف المعجم على ما شرطنا من التقصي والاستيعاب مع الاختصار وترك التطويل» (8) هذا عن المنهج العام المتبع في الكتاب...

أما صياغته للترجمة وبناؤه لها فهما على الشكل التالي :

يذكر الاسم الكامل ويتبعه بالنسبة وأحيانا يذكر الكنية ويتبعها بالاسم ثم بالنسب أو يذكر الكنية ثم يقول : اسمه فلان. فان كان فيه خلاف يذكره اجمالا أو

---

(7) الاستيعاب 1 /19.

(8) الاستيعاب 1 /25.

تفصيلا فيقول : فيه خلاف، أو على اختلاف في ذلك. وقد يسوق أطراف الخلاف ثم يرجح ما صح عنده تارة بقرينة أودليل وأخرى من غير ذلك، كقوله مثلا في ترجمة منية بنت غزوان : «وأهل الحديث وأصحاب التواريخ يقولان : منية بنت غزوان أخت عتبة بنت غزوان ويقول هي أم يعلى بن أمية.

وقال الطبري : هي بنت جابر عتبة بن غزوان وأم يعلى بن أمية، وقال الزبير بن بكار : هي جدة يعلى بن أمية أم أبيه، ولم يصب الزبير في ذلك والله أعلم» (9). وما كان محل اتفاق نبه عليه كذلك بقوله مثلا : «لم يختلف أهل السيرة» (10) أو غيرها من العبارات التي تفيد الاتفاق على مسألة من المسائل. وقد لا يزيد على القول : «ذكره فلان في الصحابة ولا يصح عندي ذكره فيهم» (11)، ثم عندما يذكر ما يتعلق بالترجمة يذكر للمترجم أحاديث مسندة إليه أقوالا مأثورة عنه وقد يقوى عنده كون المترجم من الصحابة أولا بما يذكر له من حديث نقله عن الرسول الكريم ﷺ. ويحيل أبو عمر على من لديه أحاديث المترجم بقوله : أحاديثه أو حديثه عند فلان. يقول أبو عمر رضي الله عنه في ترجمة النعمان بن بشير مصححا سماعه من رسول الله ﷺ خلافا لأهل الحديث : «لم يصحح أهل الحديث سماعه من رسول الله ﷺ وهو عندي صحيح لأن الشعبي يقول عنه : سمعت رسول الله ﷺ في حديثين أو ثلاثة» (12).

ومما أخذ على أبي عمر في بناء الترجمة ما ذكره ابن الصلاح في مقدمته ونقله عنه من بعده من أهل المصطلح حيث قال في مبحث معرفة الصحابة : «وفيها كتب كثيرة ومن أحسنها وأكثرها فوائدا الاستيعاب لابن عبد البر لولا ما شانه بذكر ما شجر بين الصحابة وحكايات الاخباريين» (13) لكنه يمكن القول بأن أبا عمر بالنسبة لذكر الشجر بين الصحابة قليل ـــ حسب قراءتي المتواضعة للكتاب ـــ وهو يتغاضى عن ذكر الكثير من مثالب المترجمين ويكره ذلك اللهم إلا ما اقتضته الأمانة

(9) الاستيعاب : 4 /788.
(10) نفسه 1475/4.
(11) الاستيعاب 3 /883.
(12) نفسه 1500/4.
(13) مقدمة ابن الصلاح : 145.

العلمية، من ذلك يقول أبو عمر في ترجمة الوليد بن عقبة مثلا : «وكان الأصمعي وأبو عبيدة وابن الكلبي وغيرهم يقولون : كان الوليد بن عقبة فاسقا شريب خمر وكان شاعرا كريما تجاوز الله عنا وعنه» ثم قال أي أبو عمر : «أخباره في شرب الخمر ومنادمته أبا زبيد الطائي مشهورة كثيرة يسمج بنا ذكرها هنا» [14].

ويهتم أبو عمر بذكر الروايات المختلفة للكتب فهو يقول مثلا : «ترجمة كثير بن عمر السلمي... فيما ذكره ابن اسحاق في رواية زياد، وليس من رواية ابن هشام» [15] ويقول في ترجمة مالك بن نمية : «لم يذكره ابن اسحاق في رواية هشام وذكره ابراهيم بن سعد عن ابن اسحاق» [16]. ووصل أبو عمر في كتابه إلى 3500 ترجمة بما فيها تراجم من لقي النبي ﷺ ولو مرة وما وهم فيه كذلك.

الرواية المغربية للاستيعاب

1. رواية ابن خير :

يقول ابن خير في فهرسته «... وهو كتاب مفيد ـــ أي الاستيعاب ـــ حافل طابق باسمه معناه، وكتاب الانباء على القبائل الرواة عن النبي ﷺ بما انضاف إلى ذلك من أنساب وهو المدخل للاستيعاب تأليف أبي عمر بن عبد البر أيضا وهو جزء ضخم حدثني بها الشيخ المحدث الثقة أبو بكر بن طاهر رحمه الله قراءة مني عليه بلفظه في منزله، قال حدثني بهما أبو علي حسين بن محمد الغساني قراءة عليه، قال حدثني بهما أبو عمر بن عبد البر قراءة عليه في منزله بشاطبة سنة 453..» [17].

2. رواية الوادي آشي :

يقول في برنامجه : «كتاب الاستيعاب في أسماء الصحابة رضي الله عنهم للحافظ أبي عمر بن عبد البر سمعت من أثنائه إلى آخره على شيخي القاضي أبي العباس بن القماز دولا كثيرة لم أحصها بقراءة الفقيه أبي حفص عمر التجاني وذلك

---

(14) الاستيعاب : 1555/4.

(15) و (16) نفسه 3 /1308 و 1361.

(17) فهرست ابن خير : 214 ـــ 215.

من شهر رمضان المعظم عام ثمانية وثمانين وستمائة إلى شهر صفر من العام التالي وأجازنيه وحدثني بحق سماعه على الحافظ أبي الربيع بن سالم عن أبي محمد بن طاهر القيسي سماعا من أبي علي الغساني قراء عن مؤلفه» (18).

الدراسات حول الاستيعاب

إذا كان المشارقة قد رجعوا إلى كتاب الاستيعاب في مؤلفاتهم في باب الصحابة والسير ومصطلح الحديث، فإن المغاربة كذلك قاموا بنفس العمل وزادوا عليه من حيث تناولهم له بالدراسة والفحص ثم الاستدراك عليه والتصحيح له. فكان عملهم اتجاه هذا الكتاب يتأرجح بين مستدرك عليه ومختصر له أو ناقل منه.

فقد استدرك عليه كل من (19) :

1. أبو بكر محمد بن أبي القاسم بن فتحون الأندلسي (ت 517 هـ أو 519 هـ)
2. أبو الوليد ابن الدباغ في كتابه «المستدرك على الاستيعاب».
3. اسحاق بن الأمين الطليطلي القرطبي في كتابه «الاعلام بالخيرة الأعلام من أصحاب النبي عليه السلام».
4. أبو الربيع الكلاعي في : «ميدان السابقين وحلية الصادقين المتصدقين».
5. أبو القاسم الملاحي في كتابه المعروف ب «استدراك الملاحي على صحابة ابن عبد البر».

واختصره أبو العباس ابن سميرة الاشبيلي : في كتابه «اختصار الاستيعاب لابن عبد البر». فهذا وغيره مما لم نذكره من الدراسات حول هذا الكتاب يدل بحق على أهميته وعلى ما لقيه من عناية أهل العلم والمهتمين بالسيرة النبوية وسير الصحابة.

---

(18) برنامج الوادي اشي : 219 ـــ 220 ـــ 17.

(19) ذكرناها باختصار ولمن أراد التوسع الرجوع إلى كتاب : المصنفات المغربية في السيرة النبوية للدكتور محمد يسف فقد تحدث فيه عن المستدركات على استيعاب ابن عبد البر بما يغني ويشفي في الجزء الثالث ابتداء من ص 451.

وعلى ما يظهر فإن كل هذه الدراسات والاستدراكات بالخصوص. لم تكن واسعة وكبيرة باستثناء ذيل ابن فتحون فان الامام ابن حجر وصفه بأنه حافل حيث يقول : «فذيل عليه أبو بكر بن فتحون ذيلا حافلا وذيل عليه جماعة في تصانيف لطيفة» [20] ومعلوم أن وصف التصانيف بأنها لطيفة يعني أنها صغيرة.

مصادر الامام أبو عمر يوسف بن عبد البر في الاستيعاب

لابأس أن نستهل الكلام في هذا المبحث ببيان الفرق بين المصدر والمرجع لما له من دور هام في فهم الغاية من كون الامام أبي عمر يوسف بن عبد البر قد صرح بأسماء بعض الكتب التي رجع إليها في مقدمة كتابه ولم يصرح بالبعض منها مما سنذكره في حينه فنقول :

يختلف المصدر عن المرجع من حيث أن الأول هو ماالتصل بالموضوع اتصالا جوهريا أو مباشرة وكان أصيلا في مجاله، ومن هنا يرى البعض [21] أن المصادر نوعان : مصادر أصلية وأخرى ثانوية، فكتب الفقه القديمة الأمهات مصادر أصلية لمن يبحث في موضوع فقهي كالشفعة والحوالة... على حين تعد كتب الدراسات الفقهية المعاصرة مصادر ثانوية لمثل هذه الموضوعات لأنها اعتمدت في مادتها العلمية على تلك المصادر الأصلية، وإن كان لها قيمتها الخاصة من حيث الترتيب والتبويب والصياغة...

أما المرجع فهو ما كانت علاقته بالموضوع علاقة تفسير لجزئية من جزئياته ولا يتناول جوهر الموضوع وقضاياه الأساسية. فكتب التاريخ ومعاجم البلدان والتراجم واللغة ونحوها تعد من المراجع لتلك الموضوعات الفقهية ــ مثلا ــ لأن الباحث لا يستعين بها للدراسة قضايا الموضوع الأساسية وإنما يستعين بها في القاء الضوء على نص أو كلمة أو شخص أو مكان... الخ.

وهناك من يرى أنه لا فرق بين المصدر والمرجع وأنهما في درجة واحدة غير أن الدقة العلمية تقتضي أن يكون المصدر غير المرجع وان كان معا قوام البحث

---

(20) الاصابة في تمييز الصحابة بهامشه الاستيعاب 1 /3.

(21) منهج البحث التاريخي : للدكتور حسن عثمان ص 67 دار المطرف ــ منهج البحث الأدبي للدكتور علي جواد ص 237 ط بيروت.

وعماده [22]. وهذا ما نرى الامام ابن عبد البر سار عليه في كتابه الاستيعاب حيث ذكر في خطبته قائمة مصادره الأساسية المعتمدة فيه، ولم يشر إلى الكتب الأخرى التي يعود إليها في جزئيات الموضوع، على أن التصريح بجميع ما رجع إليه يتطلب كتابا مستقلا ولذلك ترك التصريح بالكثير مما رجع إليه من الكتب إلا عندما ينقل منه فيشير إلى ذكره بعد النقل أو قبله فيقول ذكر فلان ويسوق المنقول، أو يقول ذكره فلان بعد سياقه للمنقول أيضا، وهذا يدل على الأمانة العلمية التي بوأته مكان التحلي بمثل عبارة : «ابن عبد البر حافظ المغرب والمشرق» والحق أن من قرأ كتب الرجل عرف قدره.

ولعل من المستحيل الجزم بعدد معين تحصر فيه مصادر الامام أبي عمر في هذا الكتاب غير أنه لابأس بالقيام بمحاولة تكشف عن أغلبها أو الكثير منها وذلك من خلال قراءات عدة لهذا الكتاب.

وإنما جعل ذلك من قبيل المستحيل لما يمليه المنهاج المتبع في تأليف الكتاب فرغم أن أبا عمر قد صرح بكثير من مصادره في صدر كتابه إلا أنه ضرب عن ذكر بعضها سواء منها الأساسية أو الثانوية، يقول أبو عمر بعد عرضه لبعض المصادر الأساسية : «وفي كتابي هذا من غير هذه الكتب من منشورات الروايات والفوائد والمعلقات عن الشيوخ مالا يخفى على متأمل ذي عناية والحمد لله» [23].

ورغم أنه يعزو الأقوال إلى أصحابها في الغالب فإنه أحيانا يكتفي بقوله : «قال بعضهم» أو «قال بعض أهل السير» أوقوله السابق : «أهل الحديث وأصحاب التواريخ يقولان».

وغير خاف أن الوقوف على المصادر التي لم يصرح بها يتطلب تتبعا دقيقا واستقراء شاملا لها في ثنايا الكتاب وصعوبة ذلك تظهر أول ما تظهر فيما يلي :

1. الوقت الكافي لاستخراج المصادر وتجريدها وترتيبها.
2. كون المؤلف قد يذكر الكتاب ولا يذكر صاحبه.
3. كونه قد يفعل عكس ذلك.

---

(22) منهج البحث في العلوم الاسلامية للدكتور محمد الدسوقي ص 118 ط 1، دار الأو[illegible]

(23) الاستيعاب 1 /19.

4. قد يكون لصاحب المصدر المرجوع إليه أكثر من كتاب في نفس الموضوع.
5. قد تكون لكثير من العلماء مؤلفات بنفس الإسم المذكور كمصدر في الاستيعاب على أنه يمكن تقسيم مجموع ما عرف لدينا بعد القراءة للكتاب عدة مرات ومن خلال مقابلة بعض النقول والرجوع إلى كتب التراجم لمعرفة المرجوع إليه من شيوخه من غيره، يمكن بعد ذلك أن نقسم حصيلة هذا الجهد إلى مجموعات ثلاث.

1. بعض شيوخه الذين أخذ عنهم وصرح بالرواية عنهم في الاستيعاب :

في مقدمتهم :

أ. **يعيش بن سعيد بن محمد الوراق** : سمع أبا بكر محمد بن معاوية القرشي المعروف بابن الأحمر وأبا محمد قاسم بن أصبغ البياني، قال أبو عمر بن عبد البر «وكان من أروى الناس عنهما وعن غيرهما والف مسند حديث ابن الأحمر بأمر الحكم المستنصر» أخبر غير واحد عن ابن وهب عن أبي عمر قال قرأ علينا أبو عثمان يعيش بن سعيد سنة 390 مسند حديث أبي بكر محمد بن معاوية القريشي من تأليفه.

ب. **عبد الوارث بن سفيان بن جيرون** [24] روى عن قاسم بن أصبغ البياني فأكثر وعن وهب بن مسرة ومحمد بن معاوية القرشي وأحمد بن سعيد بن حزم الصدفي وغيرهم، روى عنه أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الحافظ وأثنى عليه وقال : «كان من ألزم الناس لابي محمد قاسم بن أصبغ ومن أشهر أهل قرطبة بصحبته حتى يقال انه قل ما فاته شيء مما قرىء عليه يسمع من سنة 332 إلى سنة 338 وأكثر سماعه مع القاضي ابن زريب وابن تعلية وتلك الطبقة. قال أبو عمر رأيت كثيرا من أصول قاسم بن أصبغ فرأيت سماعه في جميعها وحدث بعلم جم وروى عنه أبو محمد عبد الله بن ابراهيم الأصيلي وخرج عنه كثيرا في كتابه المعروف بالدلائل. أخبر في غير واحد عن ابن موهب عن أبي عمر قال قرأت مصنف أبي

(24) البغية : 386 ـ 387.

محمد قاسم بن أصبغ في السنن على عبد الوارث بن سفيان أنابه عن قاسم وقرأت عليه المعارف لابي محمد بن فتية وسمعت عليه شرح غريب الحديث له، أخيرا.

ج. **خلف بن قاسم ابن سهل** [25] ويقال أيضا ابن سهلون بن أسود وأبو القاسم المعروف بابن الدباغ كان محدثا مكثرا حافظا سمع بالأندلس من يحيى بن زكريا بن الشامة وغيره ورحل قبل 350 هـ إلى مصر ومكة والشام وسمع جماعة منهم أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد أبن أبي الموت، وجمع مسند حديث مالك بن أنس ومسند حديث شعبة بن الحجاج وأسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين وكتاب المخالفين وأقضية شريح وزهد بشر بن الحارث وغير ذلك.

روى عنه أبو عمر بن عبد البر الحافظ فأكثر وكان لا يقدم عليه من شيوخه أحدا، قال أبو عمر : «أما خلف بن القاسم بن سهل الحافظ فشيخ لنا وشيخ لشيوخنا أبي الوليد بن الفرضي وغيره كتب بالمشرق عن نحو 300 رجل وكان من أعلم الناس برجال الحديث وأكتبهم له وأجمعهم لذلك وللتواريخ والتفاسير. ولم يكن له بصر بالرأي يعرف بابن الدباغ وهو محدث الأندلس في وقته».

وتوفي أبو القاسم خلف بن القاسم سنة 393هـ وقد سكن قرطبة وحدث بها.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

د. **سعيد بن نصر** [26] أبو عثمان محدث فاضل وأديب، سمع أبا محمد قاسم بن أصبغ البياني وأحمد بن مطرف بن عبد الرحمن ووهب بن مسرة وأحمد بن رحيم..

روى عنه أبو بكر أحمد بن محمد بن عيسى البلوي غندر وأبو عمران الفاسي موسى بن عيسى بن أبي حاج فقيه القيروان، وأبو عمر بن عبد البر وذكره أبو عمر فأثنى عليه وقال : سعيد بن نصر يعرف بابن أبي الفتح كان أبوه من كبار موالي عبد الرحمن الناصر المقدمين عنده ونشأ أبو عثمان فطلب الأدب وبرع فيه ثم لازم شيوخ قرطبة : قاسم بن أصبغ وابن أبي دليم ووهب بن مسرة وأحمد بن رحيم. وكتب بأحسن التقييد والضبط وكان من أهل الدين والورع والفضل معربا فصيحا.

---

(25) البغية : 273 ــ 275.

(26) البغية : 301.

روى عنه أبو عمر كتاب المجتبى لقاسم بن أصبغ عن قاسم.

هـ. عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن بن أسد الجهني البزار (27)أبو محمد سمع بالأندلس ورحل فسمع بالحجاز ومصر والشام جماعة منهم أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن وأبو محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد وأحمد بن محمد بن آشتة الأصبهاني صاحب المحبر في القراءات وغيرهم.

حدث عنه أبو عمر بن عبد البر وأبو بكر مصعب بن عبد الله القرطبي والحاكم قال أبو عمر بن عبد البر. «أنا أبو محمد بن عبد الله بن محمد الجهني بمصنف أبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي قراءة وأنا أسمع عن أبي القاسم حمزة بن محمد عن النسائي...».

و. عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن (28). أبو محمد، رحل إلى العراق وغيرها وسمع اسماعيل بن محمد الصفار وأبا بكر محمد بن بكر بن عبد الرزاق المعروف بابن داسة صاحب أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني ونحوهم، وحدث بالأندلس. روى عنه أبو عمر بن عبد البر.

ز. أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد أبو عمر يعرف بابن الجسور (29) الأموي مولى لهم محدث مكثر سمع أبا الحسن بن سلمة بن سلمون صاحب النسائي وأبا بكر أحمد بن الفضل بن العباس الدينوري حدث عنه بكتاب التاريخ لمحمد بن جرير الطبري، وحدث به عن الطبري غير واحد عن أبي الحسن بن موهب عن أبي عمر بن عبد البر، قال : نا بالتاريخ المعروف بذيل المذيل أبو عمر احمد بن محمد بن الجسور عن أبي بكر احمد بن الفضل الدينوري عن الطبري سمع الأندلسيين وهب بن مسرة ومحمد بن معاوية القرشي وقاسم بن اصبغ وطبقتهم وسمع منه جماعة منهم : أبو عمر بن عبد البر وأبو محمد بن حزم، حدث عنه أيضا بكتاب التاريخ وقال : انه أول شيخ سمع منه قبل الأربعمائة، وأنه مات في منزله ببلاط مغيث بقرطبة يوم الأربعاء أول ليلة الخميس لاربع بقين من ذي القعدة سنة احدى وأربعمائة.

---

(27) البغية : 318 ــ 319.

(28) البغية : 319.

(29) نفسه : 143.

فهؤلاء الشيوخ نقل عنهم جميعا الامام أبو عمر في الاستيعاب تارة يصرح بالاسم كاملا وأخرى يقول مثلا : أخبرني به أحمد بن محمد أو غير ذلك، وقد تفاوت النقل عليهم حسب الكثرة والقلة فعبد الوارث بن سفيان هو أكثرهم يليه سعيد بن نصر وخلف بن قاسم ثم عبد الله بن محمد بن أسد وعبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ثم الآخرون ممن ذكرنا لهم الترجمة أو ممن لم نذكرهم كخلف بن سعيد وأبي بكر الطلمنكي وغيرهم كثيرين.

فالذي اتضح من خلال تتبع النقول والرواية عن كل من عبد الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر ويعيش بن سعيد وخلف بن قاسم أنهم على هذا الترتيب من حيث الرواية عنهم في كتاب الاستيعاب. لذا اخترناهم كنموذج للمصادر الشخصية للامام أبي عمر في كتابه الاستيعاب، ولتدل من جانب آخر على أنه نهل علومه من منابع صافية وعذبة يرتاح صدر الانسان إلى العزو إليها والرجوع إليها.

2. مصادر مصرح بها في خطبة الكتاب :

يقول أبو عمر : «واعتمد في هذا الكتاب على الكتب المشهورة عند أهل العلم بالسير والأنساب وعلى التواريخ المعروفة التي عليها عول العلماء في معرفة أيام الاسلام وسير أهله» ثم بدأ يسرد مصادره في الكتاب فذكرها حسب هذ االترتيب :

1. مغازي موسى بن عقبة
2. السير لابن اسحاق
3. الطبقات والتاريخ للواقدي
4. طبقات خليفة بن خياط : (ت 240 هـ)
5. انساب الانصار للزبير بن بكار /معرفة من نزل من الصحابة سائر البلاد لعلي بن المدني (ت 233هـ).
6. تاريخ ابن أبي خيثمة : (ت 279هـ)
7. تاريخ الامام البخاري : (التاريخ الكبير) (ت 256 هـ)
8. تاريخ أبي العباس محمد بن اسحاق السراج.
9. ذيل المذيل لأبي جعفر الطبري
10. الحروف في الصحابة لابي عثمان سعيد بن السكن.

11. الآحاد في الصحابة لابي محمد ابن الجارود (ت 320 هـ)
12. أخبار مكة للازرقي
13. الكنى والأسماء للدولابي
14. الصحابة لعبد الله بن محمد البغوي.
15. الانباه على القبائل الرواة للمؤلف.

وكل هذه المصادر منها ما قرأها أبو عمر على شيوخه فرواها عنهم بأسانيده إليهم ومنها ما قرأها بنفسه زيادة على روايته لها، فيظهر أنه استحضر الكثير من المراجع وهو يكتب كتابه الاستيعاب.

3. مصادر مجردة من ثنايا الكتاب :

ومنها ما أحال عليها أبو عمر وصرح باسمها واسم مؤلفها ومنها ماصرح فقط باسم الكتاب دون اسم صاحبه أو العكس واليك ما تيسر لي الوقوف عليه عن طريق مقابلة النقول والرجوع إلى تراجم المؤلفين المرجوع إليهم أحيانا :

1. الموفقيات : الزبير بن بكار
2. التاريخ : سفيان بن عيينة
3. الموطأ : عبد الله بن دينار
4. الموطأ : مالك بن أنس
5. مقاتل الفرسان : معمر بن المثنى
6. التفسير : الحسن البصري
7. التاريخ : أبو زرعة الدمشقي
8. الكنى : أبو أحمد الحافظ
9. السير ـــ المغازي : يحيى بن سعيد الأموي
10. الواحدان : أبو حاتم لعله ابن حبان
11. التاريخ : أبو عفير
12. المعجم : ابن قانع
13. كتاب النسب : أبو عبد الله العلوي
14. المسند : أحمد بن حنبل.

15. الاستذكار : أبو عمر المؤلف
16. التمهيد : أبو عمر المؤلف
17. الانباه على القبائل الرواة : أبو عمر المؤلف.
18. تاريخ الحمصيين : أحمد بن محمد بن عيسى.
19. الدرر في اختصار المغازي والسير : أبو عمر المؤلف.
20. المعرفة والتاريخ : ابراهيم بن يعقوب الفسوي
21. كتاب المكائد : المدائني
22. تسمية أصحاب رسول الله ﷺ : أبو عيسى الترمذي
23. كتاب الجهالة : ابن المبارك عبد الله
24. صحيح البخاري : البخاري محمد بن اسماعيل
25. الجامع : معمر
26. الدلائل : قاسم بن ثابث
27. بهجة المجالس : أبو عمر المؤلف.
28. احكام القرآن : الساجي أبو يحيى
29. المسند : أبو داوود الطيالسي
30. المصنف : أبو بكر بن أبي شيبة
31. التفسير : ابن جريج
32. التفسير : السدي
33. المؤتلف والمختلف : عبد الغني بن سعيد
34. المؤتلف والمختلف : الدار قطني
35. التاريخ : أبو سعيد بن يونس
36. مروج الذهب : المسعودي
37. الافراد : أبو حاتم
38. المقلين من الصحابة : البزار
39. انساب الأنصار : محمد ابن عمارة
40. الطبقات : الهيثم بن عدي
41. كتاب المعرفة : الحلواني
42. المسند ؟ أبو زرعة ؟!

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

43. من شهد فتح مصر من الصحابة : سعيد بن يونس
44. كتاب المكيين : ابن أبي خيثمة
45. التفسير : بقي بن مخلد
46. المصنف : بقي بن مخلد
47. الاسماء والكنى : مسلم بن الحجاج
48. الموقف : علي بن عبد العزيز بن الحسين الجرجاني النسابة
49. السنن : أبو داوود
50. التفسير : الكلبي
51. السنن : النسائي
52. الواحدان : أبو الفضل عبد الله بن واصل
53. تسمية من روى عن النبي ﷺ : مسلم بن الحجاج
54. أخبار صفين : ابن الكلبي
55. المحبر : ابن حبيب
56. الصحابة : ابن رشيد
57. كتاب الكتاب : عمر بن شبة

هذه إذن مجموعة مصادر [30] نقل عنها أبو عمر في كتابه الاستيعاب وهو قليل من كثير مما يمكن أن يكتشف بمتابعة البحث عنها في ثنايا الكتاب مرة بعد مرة فما أكثر الأماكن التي يقول فيها أبو عمر من كتابه هذا : «ذكره فلان» ولا سبيل لمعرفة اين إلا عن طريق مقابلة النقول بعد البحث في ترجمة المشار إليه أي اسم المؤلف المشار إليه هل له كتاب في الموضوع المنقول فيه عنه أم لا وهل هو موجود أم مفقود إلى غير ذلك مما يتطلبه البحث في هذا المجال.

---

(30) بذلك يبلغ ما وصلنا إليه من المصادر في هذا الكتاب 72 مصدرا.

لائحـــة المراجـــع

1. برنامج الوادي آشي : محمد بن جابر الوادي آشي تحقيق محمد محفوظ ط 1 : 1400 هـ 1980 : دار الغرب الاسلامي.
2. بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس : أحمد بن يحيى بن أحمد الضبي طبع بمدينة مجريط سنة 1884.
3. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس : أبو عبد الله الحميدي الدار المصرية للتأليف والترجمة : 1966..
4. الديباج المذهب : لابن فرحون المالكي تحقيق الدكتور محمد أحمد أبو النور مكتبة دار التراث بدون تاريخ.
5. طبقات الحفاظ : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي تحقيق علي محمد عمر ط 1393/2 بدون ط.
6. كتاب السيرة المشرقي وعناية المغاربة به : محاضرة مطبوعة شارك بها الدكتور محمد يسف في ندوة السيرة النبوية المنظمة من طرف جمعية أبي رقراق سنة : 1408 هـ.

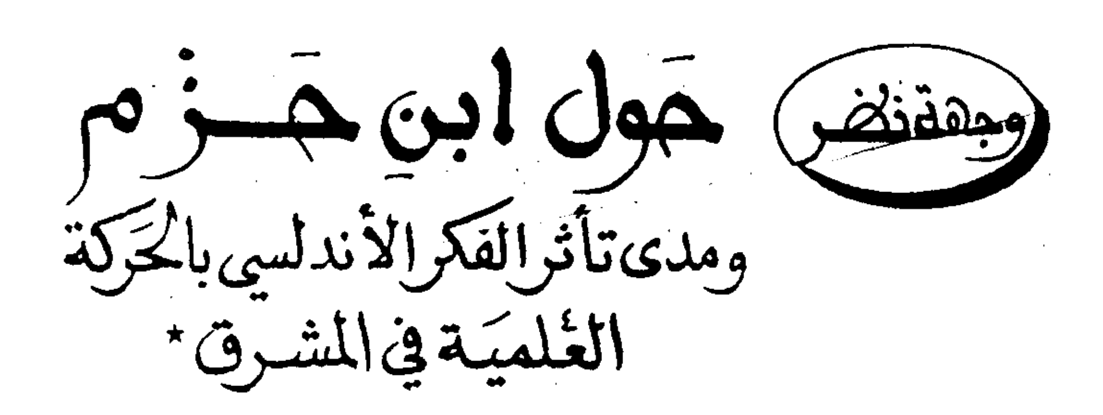
* منهج البحث التاريخي : الدكتور حسن عثمان دار المعارف ومنهج البحث الأدبي : علي جواد ط بيروت.

7. مقدمة ابن الصلاح : لأبي عمرو عثمان بن الصلاح دار الكتب العلمية بيروت ط 1398 هـ 1978.
8. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : أحمد بن محمد المقري ــ تحقيق الدكتور احسان عباس ط : 1388 ــ 1968م
9. الانساب : أبو سعيد السمعاني تحقيق د. عبد الفتاح لحلو ط 1401/1 هـ ــ 1981م.
10. الاصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني ومعه الاستيعاب المكتبة التجارية الكبرى : شارع محمد علي مصر (بدون ت).
11. الصلة : ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك ت 1494 الدار المصرية 1966 بدون ط.

12. العبر في خبر من غبر : شمس الدين الذهبي تحقيق د. صلاح الدين منجد طبع في الكويت بدون ط.
13. فهرسة ابن خير : أبو بكر محمد بن خير الأموي الاشبيلي (ت 575 هـ) ط 2 /1382 هـ.
14. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام : أبو القاسم عبد الرحمٰن السهيلي ط 1398 هـ ـــ 1978، دار المعرفة.
15. الرسالة المستطرفة : أحمد بن جعفر الكتاني.
16. الاستيعاب : أبو عمر يوسف بن عبد البر تحقيق علي محمد البجاوي مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بدون ت.
17. سير اعلام النبلاء : شمس الدين الذهبي ت 748. تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ط /1403هـ 1984.
18. تاريخ الأدب العربي : كارل بركلمان. نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ط 2 ـــ دار المعارف.
19. ترتيب المدارك : القاضي عياض طبعة وزارة الأوقاف بالمغرب.
20. تذكرة الحفاظ : شمس الدين الذهبي، دار احياء التراث العربي.
21. غاية النهاية في طبقات القراء : شمس الدين ابن الجزري ط 2 /1400 هـ دار الكتب العلمية.

مركز تحقيقات کامپیوتری علوم اسلامی





للأستاذ محمد محجوبي

مولد ابن حزم ونسبه.

هو الامام الوزير، العالم ابن الوزير : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي (1) القرطبي اللبلي، الفقيه الحافظ الظاهري صاحب التصانيف (2) ولد كما كتب بخط يده بقرطبة في الجانب الشرقي من ربض، قبل طلوع الشمس وبعد سلام الامام من صلاة الصبح، آخر ليلة الأربعاء، آخر يوم من شهر رمضان المعظم سنة 384 هجرية (3) الموافق سابع نونبر من سنة 994 ميلادية (4).

هذا عن مولد ابن حزم، أما عن نسبه : فقد ثار حوله جدل بين الكتاب القدامى الذين ذهب أغلبهم إلى القول بنسبه الفارسي (5).

---

* أشرف على هذا البحث الأستاذ السعيد بوركبة

(1) المغرب في حلي المغرب : لابن سعيد، حققه وعلق عليه : الدكتور شوقي ضيف الطبعة الثالثة ص 335 الجزء الأول فقرة 253، دار المعارف.

(2) لسان الميزان : للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852 هـ ج 4 حرف العين، ص 198 فقرة 531 : منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان طبعة بدون تاريخ

(3) معجم فقه ابن حزم الظاهري : 12/1، دار الفكر طبعة بدون تاريخ أما عن وفاة ابن حزم فقد تمت «بأونبة»، قرية في غرب الأندلس على خليج المحيط كما كتب ابنه الفضل بخط يده : عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة 456 هـ فكان عمره رحمه الله : احدى وسبعين سنة وعشرة اشهر وتسعة وعشرين يوما. نفس المرجع ونفس الصفحة.

(4) دائرة المعارف الاسلامية العدد 1، المجلد 1، ص 136 جمادى الثانية 1352 هـ ـــ اكتوبر 1933م.

(5) انظر على سبيل المثال : الصلة 2 /415 لابن بشكوال، ط 1966 القاهرة ـــ والبداية النهاية لابن كثير 12 /91 ط 1966 بيروت ـــ ووفيات الاعيان لابن خلكان 2 /425، ط بدون تاريخ نشر الدكتور احسان عباس ـــ ومعجم الأدباء لياقوت الحموي 12 /225 و 234 ط 1937 القاهرة ـــ وشذرات الذهب 3 /299. لابن العماد، ط بدون تاريخ.

وعلى هذا الرأي يوافق عدد من الكتاب المعاصرين أيضا، من بينهم : المرحوم الامام محمد أبو زهرة، الذي كتب تحت عنوان : «جنسية ابن حزم» ما يلي [6] : «علا ابن حزم بعلمه ولم يعل بنسبه... وقد ذكر أنه ينتمي لأسرة فارسية، وذلك أن جده «يزيد» كان فارسيا، وكان مولى ليزيد بن أبي سفيان أخي معاوية الذي ولاه أبو بكر امرة الجيش الأول الذي ذهب لفتح الشام.

وعلى ذلك فهو قرشي بالولاء، فارسي بالجنس، وأنه لذلك الولاء كان يتعصب لبني أمية يعادي من عاداهم، ويوالي من والاهم...

وقد رحل جده لأعلى مع البيت الأموي إلى الأندلس.... وقد نزلت أسرته في قرية «منت ليشم» من اقليم الزاوية من عمل أونبة التي هي من كورة لبلة من غرب الأندلس، وأول من وفد إلى الأندلس جده الأعلى خلف، وقد كان لهم شأن من يوم أن نزلوا، حتى لقد قال الفتح بن خاقان «بنو حزم فتية علم وأدب وثنية مجد وحسب، فلهم رفعة العلم ورفعة الجاه والمجد» [7].

هذا ما يقرره أغلب المؤرخين، ولكن يخالفهم أبو مروان ابن حيان [8] فيروي عنه ياقوت في معجمه ما نصه : «كان من غرائبه انتماؤه لفارس واتباع أهل بيته له في ذلك بعد حقبة من الدهر... فقد عهده الناس خامل الابوة مولد الأرومة من عجم لبلة، جده الأدنى حديث عهد بالاسلام، ولم يتقدم لسلفه نباهة، فأبوه أحمد على الحقيقة هو الذي بنى بيت نفسه في آخر الدهر برأس رابية، وعمده بالخلال الفاضلة من الرجاحة والمعرفة والدهاء والرجولة والرأي... حتى تخطى على هذا رابية لبلة، فارتقى قلعة اصطخر من أرض فارس فالله أعلم كيف ترقاها، اذ لم يكن يؤتى من خطل ولا وجاهة، بل وصله بها واسع علم ووشيجة رحم معقوفة، بلها بمستأخر الصلة رحمه الله [9]»، كما أن المقري قد أثبت بدوره النسب الفارسي لابن حزم [10]

---

(6) ابن حزم : للامام محمد أبو زهرة ص 24 وما بعدها، ملتزم الطبع والنشر : دار الفكر العربي 1977.

(7) نقلا عن : معجم الأدباء لياقوت 12 /137، طبع الرفاعي.

(8) ويقول الدكتور طاهر أحمد مكي في كتابه عن «ابن حزم» ما يلي : و«أعظم مؤرخي هذا العصر على الاطلاق أبو مروان حيان بن خلف القرطبي ويلقب بابن حيان (ت سنة 469 هـ ـــ 1076م) ومؤلفاته لا تقل عن خمسين مؤلفا وأحدها يسمى «المتين» في ستين مجلدا، ولسوء الحظ لم يصلنا عن مؤلفاته هذه إلا أجزاء متناثرة من كتابه : «المقتبس في تاريخ رجال الأندلس». انظر كتابه : «دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة» ص 69 ـــ 70، دار المعارف ط الثالثة : ذو الحجة 1401 هـ، اكتوبر 1981م، القاهرة.

(9) معجم الأدباء، 12 /350.

(10) نقلا عن نفح الطيب للمقري 6 /203.

وهو نفس ما قرره الذهبي في تاريخه، إذ قال : (نقلا عن صاعد معاصر ابن حزم) : «هو العلامة أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي مولاهم، الفارسي الأصل الاندلسي القرطبي »[11].

فهناك رأي ثان اذن اعتبر أن ابن حزم ليس فارسيا، وإنما هو من أصل عجمي، تزعم هذا الرأي عن القدامى معاصر ابن حزم : ابن حيان، كما قال به أيضا ابن سعيد [12]، ويقصدون من وراء ذلك أنه نصراني الأصل، من أجداد اسبانيين اعتنقوا الاسلام مع من أسلموا من الاسبان أمثالهم بعد فتح الأندلس.

ولا شك أن هذا الرأي الأخير هو الذي أيده الدكتور سالم يفوت ــ إلى جانب من يقول به من المحدثين ــ قائلا « ويوافق على هذا الرأي العديد من الدارسين المعاصرين لابن حزم، شرقيين وغربيين، ومن بين هؤلاء، على الخصوص بعض كبار المستشرقين الاسبان، ونحن حينما نلتقي معهم في التأكيد على اسبانية فقيهنا، فإننا لا نرمي من ذلك، الانسياق وراء النتائج التي يستخرجها بعضهم كالمفكر المعاصر «البرنث» والتي يمكن اجمالها في القول بأن انتساب ابن حزم وغيره من مفكري الأندلس إلى السلالة الإسبانية جعله يرث خصائصها ويظهر عن عبقرية لا نظير لها، لأنها خصلة عريقة، لذا كان «قمة اسبانية» نتيجة الدم الاسباني الذي يجري في عروقه» [13].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ومن خلال رد الدكتور سالم يفوت على المفكر الاسباني «البرنث»، يتضح اعتقاد الأول واضحا، إذ يضيف قائلا (في نفس المرجع ونفس الصفحة) ما يلي : «ان «البرنث» لا يميز بين شيئين أساسيين بالنسبة لابن حزم وغيره من مفكري الغرب الاسلامي، هما : الشعور بالانتساب إلى الغرب الاسلامي والاعتزاز بذلك من جهة، وسريان الدم الغربي (أي الاسباني) في عروقهم من جهة أخرى». وهكذا يقول بثبوت الأمر الأول من خلال تأليف ابن حزم رسالته الشهيرة في «فضل الأندلس وذكر رجالها».

---

(11) نفس المصدر ونفس الصفحة ــ وانظر في ذلك : الامام محمد أبو زهرة في كتابه عن «ابن حزم» ص 25 المرجع السابق.

(12) المغرب في حلي المغرب (في سلسلة : ذخائر العرب رقم 10) 1 /355، نشر وتحقيق الدكتور شوقي ضيف، القاهرة 1978.

(13) انظر اطروحته لنيل دكتوراه الدولة في الفلسفة بكلية الاداب بالرباط تحت عنوان «ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس» ابتداء من ص 36 إلى غاية ص 40، الطبعة الأولى 1986، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

أما الأمر الثاني : فيرى أنه محل نظر، وخلاصته : أن عبقرية ابن حزم وغيره من الأندلسيين «كابن القوطية» مثلا، إنما ترجع إلى أصولهم الاسبانية ليس إلا، الشيء الذي اعتبره الدكتور سالم يفوت ــ عن حق ــ نوعا من القومية العرقية التي ما كان على مفكر كبير أن يقول بها هو وأمثاله، ومن بينهم المستشرق الهولندي «رينهارت دوزي» صاحب كتاب «تاريخ مسلمي اسبانيا» [14].

ويختم الدكتور «يفوت» رده على المفكر «البرنث» وأمثاله قائلا : «لم يكن غرضنا من التأكيد على اسبانية ابن حزم، الاندفاع وراء هاته العرقية، بل كنا نريد فقط أن نحقق نسبه، اعتمادا على شهادات معاصريه، لا سيما ابن حيان وغيره وَرُجوعا إلى سياق أفكار ابن حزم ذاته» [15].

وبعد هذه الاشارات التي كان لابد منها، لا يسعنا إلا تأكيد ما قاله الامام المرحوم محمد أبو زهرة من أن ابن حزم فارسي الأصل، وليس اسبانيا كما قيل، ومؤيده في ذلك ــ عن صدق ــ أن هذه الفكرة (أي فارسية ابن حزم) كاد ينعقد عليها الاجماع، وأن ابن حيان مجرد مشكك في ذلك النسب [16] خلافا لكافة معاصري ابن حزم الذين ناضلهم وكان عنيفا في نضاله معهم ومجادلته اياهم، ولذلك لا نستطيع أن نكذب دعواه لمجرد ما يثيره خصومه من قول قد تكون العداوة هي الدافعة إليه [17] خاصة وأن ابن حزم «لم يكن في حاجة إلى نسب يزدهي به، وقد ازدهى بحليتين هما : العلم والجاه بين الناس، فلا مطمع له في هذا الباب» [18].

وأخيرا، نسبه الدكتور الطاهر أحمد مكي إلى «العربية الاسبانية» حيث قال : «ومن الواضح أنني حين ادعو ابن احزم عربيا اسبانيا، فإنما أنسبه إلى العربية جادا، وإلى الاسبانية بصورة غير جدية» [19].

ومع ذلك قال في بداية نفس كتابه المشار إليه أعلاه ما يلي : «أما أن ابن حزم من أصول غير عربية فحقيقة لا نرفضها، وكان عالم قرطبة العظيم مسلما طيبا،

(14) المرجع السابق : ص 38.
(15) نفس المرجع ص 40.
(16) خاصة وأن «اسبانية» ابن حيان لا يجادل فيها أحد، لا من القدامى ولا من المحدثين.
(17) ابن حزم : للامام المرحوم أبي زهرة في المرجع السابق، ص 26.
(18) نفس المرجع السابق ص 27.
(19) دراسات عن ابن حزم وكتابه «طوق الحمامة» للدكتور الطاهر احمد مكي، مرجع سابق، ص 211.

والاسلام فوق عصبيات الجنس واللون والدم، وأما أنه من سلالة يمكن أن توصف بأنها اسبانية ففيه شك كبير، لأن لفظة «اسبانيا» لحظة الفتح الاسلامي كانت تعني امتدادا جغرافيا فحسب، دون أن تكون لها دلالة أبعد من هذا قومية أو دموية أو فكرية. والقول بهذا ليس من عندي، وإنما هي فكرة اهتدى إليها المفكر والمؤرخ الفيلسوف اميركو كاسترو، وظل يبشر بها طوال حياته (1885 ـــ 1973م) ويرى في تجاهل الاسبان لها تضليلا وتحريفا للتاريخ، وانحرافا بسير الثقافة في وطنه، وألف في ذلك كتابا قيما : «حقيقة اسبانيا التاريخية» [20].

فبمقتضى هذه الأقوال اتضح أنها ثلاثة آراء، رأي أول اعتبر ابن حزم فارسي الأصل، ورأي ثان اعتبر أنه اسباني مسلم، وراي ثالث قال بعروبة ابن حزم «بصورة جدية و«باسبانيته» بصورة غير جدية» على حد تعبير الدكتور الطاهر أحمد مكي أعلاه.

وقد سبق لنا تأييد الرأي الأول لوجاهته اعتمادا على مؤيداته، وفضلا عن ذلك فإنه يمكن الرد على من قال «باسبانية» ابن حزم، استنادا إلى «سياق أفكاره ذاته» [21] بما يلي : ان اعتزاز ابن حزم بانتمائه إلى الغرب لاسلامي (وليس «اسبانيا» كما قيل) لم يقصد من ورائه ابن حزم في نظرنا إلا شيئا واحدا : وهو أنه ولد ونشأ في الأندلس وبها تلقى تعليمه، ولم يرحل عنها قط إلى المشرق الاسلامي لتلقي العلم عن عالم المدينة الامام مالك أو غيره، عكس ما فعله كثير من علماء الغرب الاسلامي الذين كبر شأنهم بعد رحلتهم تلك، ومع ذلك تحداهم وجلس لمناظرتهم وكاد أن يتفوق على أشهر هؤلاء، وهو القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي [22].

---

(20) د. الطاهر أحمد مكي في مرجعه السابق : 11 ـــ 12.

(21) د. سالم يفوت في المرجع السابق : ص 40.

(22) (ت 474 هـ ـــ 1081م)، انظر عن ترجمته : «تاريخ قضاة الأندلس» للشيخ أبي الحسن النباهي المالقي الأندلسي : المكتب التجاري للطباعة وللنشر والتوزيع، بيروت، لبنان (ط بدون تاريخ)، الصفحات : 33 ـــ 95 ـــ 100 ـــ 105 ـــ 202، وحول مناظرات ابن حزم والباجي : راجع كتابا قيما في ذلك تحت عنوان : مناظرات في أصول الشريعة الاسلامية بين ابن حزم والباجي للدكتور عبد المجيد تركي، ترجمه وحققه : الدكتور عبد الصبور شاهين، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان الطبعة الأولى 1406 هـ ـــ 1986م، وأصل هذا الكتاب بالفرنسية، وسبق طبعه بها ضمن سلسلة «دراسات ووثائق» بواسطة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1977 بالجزائر.

والذي يستغرب له : أن ما حدث وقت ابن حزم مازال يحدث في وقتنا الراهن، إذ يكفي أن يأتينا أجنبي (وأقصد به الأوربي أو الأمريكي) أو عربي ـــ أيا كان ـــ حاصلا على شهادة عليا ـــ في أي فرع من فروع المعرفة ـــ من جامعة بواشنطن أو لندن أو باريس، ليقوم له القائمون ويقعد له القاعدون ابتداء بغض النظر عما تتضمنه أفكاره (ولو كانت هدامة)، ولا مقدار نصيبه من العلم (ولو كان يسيرا)، وربما هذه هي سنة الحياة منذ عصر ابن حزم إلى عصرنا هذا، ونطلب من الله السلامة والثقة في النفس وفي الأوطان.

وابن حزم عندما أشاد بالغرب الاسلامي، إنما اعتبر ذلك فخرا وتحديا لعصره، لما صرح جهارا بما لم يقدر عليه غيره من المغاربة بمثل ما فعل هو، ومؤدى ذلك أنه تغنى بالأندلس وليس باسبانيا، لأن هذه الأخيرة لم يكن لها كيان قائم حينئذ... أما نسبه الفارسي فلم ينكره أبدا كما أشير إلى ذلك أعلاه.

مدى تأثر الفكر الأندلسي بالحركة العلمية في المشرق

لقد أثار انتباهي عنوان لمقال نشر بمجلة «عالم الفكر» ــ المعروضة داخل وخارج العالم العربي ــ ظننت لأول وهلة أنه يفيدني في بحثي هذا بدون شك، مادام يتعلق بموضوع : «تأثر الفكر الأندلسي بالحركة العلمية في المشرق الاسلامي»[23] إلا أنني أصبت بخيبة الأمل لما اطلعت على الموضوع من مقدمته إلى خاتمته، وقد حز في نفسي كثيرا ما عثرت عليه (والذي ما كان يجب نشره ابتداء)... حيث إنه قد يظن المرء بعد ذلك، أن الحضارة الأندلسية خاصة ــ والمغربية عامة ــ لا وجود لها، وإنما هي مجرد صورة طبق الأصل لكل ما هو «شرقي» في جميع المجالات العلمية والفكرية بدون استثناء.

وبإلقائنا نظرة خاطفة على ما كتب بالمجلة المذكورة (بهذه المناسبة)، يتأكد قولي، خاصة وأن الباحث يتحدث عن الفكر الأندلسي ابتداء من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، وحتى نهاية الحكم العربي لبلاد الأندلس العربية الاسلامية، على حد تعبيره[24].

وهكذا، وبعد ما قام الباحث الكريم باستعراض لأهم المراكز العلمية في المشرق أولا، والكلام عن شهرتها وذيوع صيتها في كافة أرجاء العالم، ثم استعراض نتائجها وعطائها، من أعلام مبرزين ومؤلفاتهم في جميع أصناف المعرفة... انتهى إلى

(23) مجلة «عالم الفكر» العدد الثاني، المجلد الثالث عشر : يوليوز غشت 1982، ص 287 إلى 314، أما عن كاتب المقال المشار إلى عنوانه أعلاه، فهو الأستاذ السيد سوادي عبد محمد من كلية التربية بجامعة البصرة.

(24) المرجع السابق : ص 287.

القول بأن الأندلسيين مجرد مقلدين لاخوانهم المشارقة، هكذا بكل بساطة [25]!

والملاحظ أن أهم مرجع اعتمد عليه الباحث في زعمه وادعائه الشخصي ـــ الذي لا يرقى إلى الموضوعية في شيء ولا يستند على أساس البحث العلمي، الذي يتطلب التحري والدقة في إصدار الأحكام ـــ هو رحلة الأندلسيين إلى المشرق العربي من أجل طلب العلم، حتى إذا ما رجعوا إلى بلادهم، ونبغوا في فرع من فروع المعرفة ـــ ولو تفوقوا أحيانا على إخوانهم المشارقة ـــ لم يكن لهم أي فضل فيما وصلوا إليه [26] لا لشيء، إلا لأنهم درسوا أوتابعوا دراساتهم خارج الغرب الاسلامي [27].

ومن ثم، فهو يرى أن الأندلس قد حققت وحدتها الدينية باتباعها المذهب المالكي لما يمتاز به من مزايا المذهبيين الأوزاعي والحنفي [28]. إلا أن المتتبع لتاريخ المذهب المالكي في الغرب الاسلامي، لا يعتبر هذا من قبيل التقليد، بقدر ما هو إبداع وصيانة للشريعة الاسلامية، باتباع مناهجها الصحيحة، والدليل على ذلك أن الغرب الاسلامي هو الذي كان ـــ ومازال ـــ متزعما للمذهب المالكي، بعد وفاة إمام المذهب رضي الله عنه بقليل، بل الأكثر من ذلك، أنه بقدر ما تقلص نفوذ المذهب المالكي بالمشرق العربي، إلا وازداد نفوذه وانتشاره وتعلق الناس به في العبادات والمعاملات، في الغرب الاسلامي [29].

كما يرى الباحث : أن «تأثيرات المشرق كانت واضحة وجلية في بلاد

---

(25) حتى إنه عندما أراد أن يصل إلى نتيجة منطقية، تتمثل في وجود فكر أندلسي متميز، ـــ وبدون شعور ـــ عاد ليفند الفكرة التي انطلق منها على التوّ، قائلا : «غير أنها (أي الأندلس) دأبت على الاهتمام في أن تصون اللغة العربية، وأن تحفظ التقليد الكلاسيكي الذي جرى عليه المشرق، وبخاصة التقاليد في المجالات، الفقهية، والدينية، والعلمية، والأدبية والفنية، والفلسفية، وحرص حكام الأندلس على أن يضعوا دولتهم على منوال الشام والعراق وبلاد فارس...»، وكأن صيانة اللغة العربية قاصر على المشارقة دون غيرهم، وأن قيام الأندلسيين بذلك هو عبارة عن «تقاليد» على حد تعبيره.

(26) ويعلم الباحث بلا ريب أن جزاء المجتهد أجر واحد لو أخطأ، أما لو أصاب فله أجران، استنادا إلى الحديث الشريف.

(27) أي : في المشرق العربي، سواء في الحجاز، أو الشام، أو العراق، أو مصر.

(28) نفس المرجع السابق ص 292.

(29) راجع بحثا في الموضوع لأستاذنا الدكتور عمر الجيدي، بمجلة «دعوة الحق» ص 71 عدد 3، السنة 23 و راجع أيضا كتابه القيم محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الاسلامي» ص 27 منشورات عكاظ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء (الطبعة الأولى).

الأندلس، فيما يتعلق بعلوم اللغة العربية وآدابها» (30) بسبب الرحلة إلى المشرق أيضا، كما يرى أن التقليد الأندلسي القديم في جلب الكتب المشرقية الحديثة الصدور إلى الأندلس بقي مستمرا (31). ويرى أيضا أن «هناك عددا من الشعراء الأندلسيين الذين أفصحوا بالعربية متأثرين بزملائهم المشارقة...» (32) ويرى أن الفن القصصي الشرقي انتقل إلى الأندلس معالجة وموضوعا (33)، وأن مقامات المشارقة تركت أثرا بارزا في مقامات المغاربة... (34).

وإذا وقفنا عند هذا الحد وقفة تأمل، نبادر إلى طرح سؤال على الأستاذ «سوادي عبد محمد» وهو : ألم يكن من الأجدر دراسة الأندلسيين اللغة الاسبانية بدل اللغة العربية، حتى لا يقال عنهم مقلدون للشرق في مجال اللغة ؟! أما من حيث جلب الكتب الشرقية إلى مكاتب الأندلس فهذا عمل لا يسمى تقليدا بقدر ما هو رمز للتحضر وحب المعرفة، وإلا لا كتفت كل جهة من العالم بالاهتمام بدراسة كتب مؤلفيها دون الإطلاع على كتب الغير، حتى إذا ما وجد كتاب لمؤلف أجنبي (35) قيل إن هذه الدولة مقلدة لغيرها في مجال كذا... وهكذا، وهذا لا يحتاج إلى تعليق يذكر.

أما في مجال المقامات فلا ينكر أحد فضل الأندلسيين في تطوير هذا الفن والابداع فيه، وإن كان مأخوذا عن المشارقة.

ويكفي في هذا الصدد ما نقله الباحث الكريم عن المقري، نقلا عن العلامة ابن حزم الأندلسي، ما يلي : «أخبرني تليد الخصي (36) أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسا، وكل فهرس عشرون ورقة (37)، وأقام بنو مروان للعلم والعلماء سوقا نافعة جلبت بضائعه من كل قطر» (38).

(30) مجلة «عالم الفكر» المرجع السابق ص 293.

(31) المرجع السابق ص 294.

(32) المرجع السابق ص 296.

(33) نفس المرجع ونفس الصفحة.

(34) نفس المرجع 297.

(35) والمقصود بكلمة «أجنبي» معناها في الاصطلاح السياسي الراهن، أي : غير المواطن الذي يحمل جنسية دولته، بغض النظر عن القيود الجمركية السائدة اليوم.

(36) الذي كان مقيما (قيما) على خزانة الكتب والعلوم بدار بني مروان.

(37) أي : ما مجموعه 880 ورقة.

(38) نفح الطيب ج 1 ص 362 ط مطبعة السعادة، مصر 1949 ط 1. مجلة عالم الفكر المرجع السابق 300.

ولا يكتفي باحثنا بهذا، بل يضيف مبالغا، قائلا : «أما فيما يتعلق بالفلسفة، فلدينا ما يشير إلى أن تاريخ الفكر الفلسفي في بلاد الأندلس هو صورة مطابقة لما كانت عليه الثقافة الاسلامية المشرقية دون أن تكون له بالتراث المحلي صلة حقيقية يقوم عليها الدليل (39). ولابد من القول، أن الفلسفة لم تدخل لهذه البلاد كعلم قائم بذاته، وإنما وصلت إليها من المشرق في صحبة العلوم النظرية والتطبيقية... أو أنها — كما أفاد بعضهم — تسربت إليها في ثنايا الاعتزال وبعض المذاهب الدينية (40) حتى إذا ما تحدث عن فيلسوف أندلسي مشهور بفكره الثاقب : كمحمد بن عبد الله بن مسرة القرطبي (41) وابن حزم الأندلسي، وصاعد بن أحمد عبد الرحمان بن صاعد الطليطلي (42) (ت 462هـ)، وابن باجة (ت 523هـ)، وابن طفيل (ت581هـ) (43) وابن رشد (ت 595 هـ)... وغيرهم، قال : إن الفضل في كل ما وصل إليه هؤلاء وأمثالهم يرجع، إما إلى النقل عن المشارقة بسبب الرحلة في طلب العلم، وإما عن طريق استلهام أفكارهم التي كانت سباقة إلى الوجود، وكأن الفلاسفة المشرقيين كان ينزل عليهم الوحي الالهي، دون أن يرجعوا، لا إلى فلسفة الاغريق، ولا إلى فلسفة اليونان، ولا إلى الفكر والفلسفة الفارسية، وخاصة بعد ترجمة الكتب اليونانية والفارسية — خاصة — إلى العربية — في عهد أبي جعفر المنصور على وجه الخصوص الذي أمر بذلك شخصيا (وهو الذي بنيت في عهده مدينة بغداد بالعراق).

ومن حيث التاريخ، يلخص الباحث الكريم قوله فيما يلي : «أما نشوء المدرسة التاريخية العربية الأندلسية وتطورها، فيمكن القول باطمئنان، أنها تمت على يد المؤرخين المشارقة (44) بسبب الرحلة إلى المشرق. ليس إلا.

(39) نقلا عن بالنثيا في «تاريخ الفكر الأندلسي» المرجع السابق، ص 107.

(40) «عالم الفكر» المرجع السابق ص 303.

(41) خرج من الأندلس فارا بعد أن اتهم بالزندقة، ودخل المشرق واشتغل بملاقاة أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة، ثم انصرف إلى الأندلس واظهر نسكا وورعا واتخذ الناس بظاهره فاختلفوا إليه وسمعوا منه، المرجع السابق الهامش رقم 110 ص 303 نقلا عن «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» ج 2 ص 41.

(42) وهو تلميذ لابن حزم الأندلسي.

(43) وهو صاحب كتاب «حي ابن يقظان» ورغم ان الباحث أشاد بهذا الكتاب... لم يجد بدا من القول بأن ابن طفيل قد «تأثر بفلاسفة المشرق الذين تناولوا هذا الموضوع» نفس المرجع السابق، ص 304، بدون أي تحفظ.

(44) المرجع السابق، ص 305.

ونتساءل هنا أيضا : كيف لم ينسُب الباحث العلامة ابن خلدون ـــ الذي يعتبر بحق أول مكتشف لعلم التاريخ [45]، قبل مؤرخي ومفكري أوربا بقرون من الزمن ـــ (وهو ينتمي إلى الغرب الاسلامي، أصله من تونس (أفريقية) وقضى معظم حياته العلمية في المغرب الأقصى)، أقول : كيف لم تتم نسبة اكتشافه إلى المشرق العربي عن طريق النقل؟! ولعل هذا ليس بعزيز على الباحث الكريم، إلا أنه تحاشى ذلك فقط، لكون بحثه خاصا «بتأثر» جهة واحدة فقط من الغرب الاسلامي ـــ وهي الأندلس ـــ بالحركة العلمية في المشرق الاسلامي... أما لو كان بصدد الكلام عن «أفريقية» أو المغرب الأوسط، أو المغرب الأقصى، لقال بدون تحفظ (كما عودنا في بحثه محل التعليق) بأن كل ما نسب إلى مسلمي الغرب هو لمسلمي الشرق لا محالة.

وخلاصة ما يمكن الرد به على زعم الباحث الكريم، أن «لا إله إلا الله» تُجَرِّدُ كافة البشر من أي امتيازات قد تميز بعضهم عن بعضهم الآخر، أو حقوق قد يختص بها بعضهم دون بعضهم الآخر، مصداقا لقوله تعالى :﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [46]...، حيث كرم الاسلام الانسان لذاته، تطبيقا لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ [47].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ومعنى الحضارة : «كل ما ينشئه الانسان في كلما يتصل بمختلف جوانبه ونواحيه عقلا وخلقا، مادة وروحا، دنيا ودينا... وهي في تخصصها بجماعة من الجماعات، أو أمة من الأمم، تراث هذه الأمة، أو الجماعة على وجه الخصوص، الذي

---

(45) ذلك أن مفكري أوربا ـــ ومن بينهم كارل ماركس نفسه ـــ كانوا ينتقلون مباشرة في «منهج المؤرخ» إلى «منهج فيلسوف التاريخ» متخطين أهم مرحلة فاصلة بين المرحلتين، في إطار «المنهج التاريخي كقدرة شارحة» في مجال البحث العلمي، وهي مرحلة «عالم التاريخ»، وهو منهج في الشرح يتجاوز منهج المؤرخ، حيث لا يكتفي بكتابة وسرد الوقائع والأحداث... وإنما يستجوب التاريخ إما مباشرة (إذا عايش الحدث أو الواقعة)، أو اعتمادا على تاريخ المؤرخين (حيث يخضع هذا الأخير إلى «الغربلة» إن صح التعبير). وهكذا لم تعرف أوربا «علم التاريخ» إلا ابتداء من النصف الأخير من القرن التاسع عشر، بينما عرفه المسلمون منذ عهد ابن خلدون. راجع في هذا الصدد : أستاذنا الدكتور رشدي فكار في مؤلفه : «في المنهجية والحوار» سلسلة إسلاميات ص 23 وما بعدها الطبعة الثالثة 1987 مطبعة أكدال الرباط المغرب. توزيع مكتبة وهبة بالقاهرة ومكتبة المشعل بالرباط.

(46) سورة الحجرات : الآية 13.

(47) سورة الاسراء : الآية 70.

يميزها عن غيرها من الجماعات والأمم»[48].

ومن ثم، فإن كلا من الدين، والفلسفة، والعلم ، والأدب، والفن، والأخلاق، ... هي جزء لا يتجزأ من الحضارة، هذا المصطلح الذي بمقتضاه يمكن التمييز بين الجماعات البشرية في الزمان والمكان، إلا أنه مع ذلك، لا يمكن بحال من الأحوال أن ينسب نتاج حضاري ما [49] إلى جماعة بعينها بطريقة لا تقبل الجدل، لأن أهم ما يميز «الحضارة» هو «النسبية» من حيث البداية والنهاية، لا في الزمان ولا في المكان. فقوله تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[50] معناه أن من طبيعة البشر (عباد الله) أنهم مجتمعيون بطبعهم : يتأثرون ويؤثرون عن طريق اختلاط بعضهم ببعض وأخذ بعضهم عن بعض، في إطار التشريع السماوي الذي يمتاز بالمساواة ونبذ الظلم والطغيان... فكل إنسان متعه الله تعالى بالعقل، الذي عن طريقه يمكنه أن يبدع إذا ما هو أحسن استعمال أدوات المعرفة المتمثلة في : الادراك والوجدان والارادة... وإلا كان غير تقي، فيصبح في حكم الأنعام الذي لا عقل لها بل أضل منها، تطبيقا لقوله تعالى : ﴿ لهم قلوب [51] لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام، بل هم أضل، أولئك هم الغافلون [52]﴾. وكيف لا، وطلب العلم فريضة على كل مسلم، خاصة وأن القرآن الكريم بدأ بالدعوة إلى ذلك، قال تعالى : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم [53]﴾.

وبعد هذا، أيمكن الحكم على المجتمع الأندلسي في أرقى مراحله الحضارية الفكرية بالعقم والنقل والتقليد؟! أو لم يتميز بشخصيته الفكري ةالفذة علماء أجلاء في شتى أنواع المعرفة كأمثال : ابن عبد البر رفيق ابن حزم، وهذا الأخير، وأبو الوليد

---

(48) راجع بتفصيل مقالا بعنوان : «التشريع الاسلامي والقيم الحضارية» منشور بمجلة رسالة الجهاد، ص 72 إلى ص 83 العدد 80 شتنبر 1989.

(49) أقول : «حضاري»، وليس فكري فحسب، لأن المفهوم الأول أشمل وأعم من الثاني.

(50) سورة الحجرات الاية 13.

(51) أي : عقول.

(52) سورة الأعراف : من الاية 179.

(53) سورة العلق : من الايات : من 1 إلى 5.

الباجي، وابن رشد والمعتمد بن عباد، وولادة بنت المستكفي، وابن طفيل، والطبيب الجراح أبو القاسم خلف الزهراوي، صاحب كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» الذي يعتبر أول مؤلف جعل الجراحة علما قائما بذاته، ومستقلا عن الطب [54].. وغيرهم، والذين يحتاج كل علم منهم إلى مؤلفات؟! ألا يكفي الغرب الاسلامي عامة، والأندلس خاصة، فخرا واعتزازا بمثل هؤلاء، ولم لا يقال لمن رحلوا إلى المشرق طلبا للمزيد من العلم أنهم لم يفعلوا ذلك إلا من أجل السعي إلى التربع على ذورة درجات الكمال، كما قال أبو الطيب المتنبي :

وإذا كانت النفوس كبارا ... تعبت في مرادها الأجسام [55]

بلى، لقد كان عدد كبير من علماء المشرق يرحلون إلى الأندلس، فرارا من طغيان بعض الأعاجم، الذين آل إليهم السلطان، ليجدوا في الأندلس وفي أمرائها وأهلها ملاذا رحبا لقرائحهم الأدبية والعلمية، جنبا إلى جنب مع إخوانهم في الدين هناك من أهل الأندلس، التي منها انتشر نور المعرفة يمحو قرونا من الجهل الذي كان يخيم على أوربا حيث «لم يضعف العلم ـــ بالأندلس ـــ بضعف السياسة، ولم يأفل نجم العلماء كما أفل نجم السياسيين» [56].

ولعل خير ما أختتم به هذا الموضوع، ما كتبه الدكتور الطاهر أحمد مكي [57] بأمانة، قائلا : «... بل أقسم عالم من إشبيلية أن يذهب إلى القاهرة، وأن يجلس في صحن الأزهر وأن يدرِّس «الكتاب» لسيبويه، ليثبت أن الأندلسيين لم يعودوا دون المشارقة تمكنا من العلم، واستيعابا له». وقال الامام ابن حزم (محل هذه الدراسة) :

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ... ولكن عيبي أن مطلعي الغرب [58]

---

(54) دراسات عن ابن حزم وكتابة طوق الحمامة ص 73.

(55) راجع مقالا لاستاذنا : السعيد بوركبة بمجلة «الاعتصام» تحت عنوان : «عياض : مكانته العلمية» من ص 12 إلى ص 25، العدد 7 السنة 8، وهي مجلة تصدر عن جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية وهذا العدد خاص عن العلامة المغربي : القاضي عياض.

(56) الامام أبو زهرة في مرجعه السابق عن «ابن حزم».

(57) راجع كتابه القيم «دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة» ص 57، الطبعة الثالثة أكتوبر 1981، دار المعارف، القاهرة.

(58) «مناظرات في أصول الشريعة الاسلامية بين ابن حزم والباجي» للدكتور عبد المجيد تركي ص 17، ترجمة وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى 1986 : دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان.

وما كتبه الباحث بيريز في تمهيده لرسالته عن الشعر الأندلسي بالفصحى في القرن الحادي عشر الميلادي مَن أن «الشعر لم يزدهر في أي فترة أخرى بمثل هذه الغزارة»، و«أنه إذا كانت هنالك قسمات مشتركة بين هذا الشعر ونظيره في المشرق، أو حتى في إسبانيا في القرون السابقة، فإنه يتميز بسمات أصلية كثيرة أيضا لا يمكن أن تعزى إلا إلى الظروف التاريخية الخاصة التي عرف بها القرن الحادي عشر» (59) ثم يضيف، متحدثا عن ملوك الطوائف وشغفهم بالعلم عامة، قائلا عنهم : «أولئك الذين كانوا جميعا يحرصون على الدعوة لأنفسهم، فبدأ الالهام المحلي يتخذ مكانته الغالبة» (60).



(59) المرجع والصفحة نفسهما.

(60) المرجع والصفحة نفسهما.



جهود الزاوية الناصرية

في خدمة الحديث وعلومه

على عهد الشيخين أبي عبد الله ابن ناصر وخليفته أبي العباس

للأستاذ عثمان عبد الصادق

مدخل :

الزاوية الناصرية :

تنسب إلى سيدي محمد [1] (فتحا) بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عمرو ابن عثمان، الدادسي الأصل، الدرعي [2] الاقليم، الترناتي الصقع، اليرسوتي النجار، الأغلاني المنشأ، التمكروتي الدار والوفاة.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

---

* أشرف على هذا البحث الدكتور محمد الراوندي

(1) تأتي ترجمته، وعليه سيدور الحديث في الفصل الأول، ومصدر هذا النسب : الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة لوحة 266.

(2) درعة : تطلق على منطقة من إقليم ورزازات، تمتد من أكدز الواقع على بعد (66 كلمتر) تقريبا من مدينة ورزازات إلى المحاميد الغزلان الواقع على بعد خمسين ومائتي كلمتر من ورزازات تقريبا (250) بمعنى أن اقليم درعة يمتد على مسافة (190 كلمتر تقريبا) وينقسم حسب التقسيم القديم إلى خمسة أخماس هي :

ــ خمس مزكيطة، ويضم حاليا قبائل الجماعة القروية لأكدز.

ــ خمس ترناتة، ويضم حاليا قبائل الجماعة القروية لتغمار، ومنها : تيرسوت وأغلان..

ــ خمس تنزولين، ويضم حاليا قبائل الجماعة القروية لتنزولين، ومنها : زاوية الحنا، وأسرير المشان وزاكورة (الدائرة الحالية)...

ــ خمس فزواطة، ويمتد من آمزرو، إلى قبائل بني علي، وهو حاليا الجماعة الحضرية تمكروت، ومنها : أغلا ودرار، سارت، تمتيك، أيت عيسى وابراهيم، زاوية سيدي علي، أكني،...

ــ خمس لكتاوة، ويضم حاليا قبائل جماعتي : لكتاوة والمحاميد الغزلان.

موقعهـا :

تقع الزاوية الناصرية في تمكروت الثانية [3] أعني التي أسسها سيدي عمرو [4] ابن أحمد الأنصاري سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة هجرية (983 هـ) [5]، وإليها أشرت في التقسيم الخماسي السابق لبلاد درعة بأنها جماعة قروية حاليا. تقع على بعد ثمانية عشر كلمتر من زاكورة في اتجاه ورزازات غربا، وعلى بعد حوالي سبعين كلمتر من لمحاميد الغزلان شرقا، وشمال القريتين تزروت وزاوية سيد الناس الواقعتين على الضفة الشمالية لوادي درعة [6] اللتين تكونان معها مشيخة واحدة. وعرفت على مدار التاريخ بعدة أسماء إلى أن لازمها إسم الزاوية الناصرية.

فمنها الزاوية العَمْرية، نسبة إلى سيدي عمرو بن أحمد الأنصاري مؤسسها حيث اشتغل فيها بالتربية الروحية، وتلقين الأوراد الشاذلية.

ومنها الزاوية الحسينية نسبة إلى سيدي عبد الله [7] بن حسين الرقي بعد أن آل إليه أمرها، المتمثل في التربية الروحية وتلقين الأوراد الشاذلية، وإطعام الطعام. وكان

---

(3) أنبه إلى أن اسم تمكروت، أطلق على محلين هما :
أ. محل نسميه الآن زاوية سيدي علي، نسبة إلى أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد الجزولي البكري الدرعي التمكروتي، سفير المنصور السعدي إلى تركيا، وصاحب الرحلة المسماة : الرحلة المسكية في السفارة التركية. وهو من أسرة علمية، مات رحمه الله بمراكش سنة (1003هـ) ودفن بمشهد القاضي عياض. الدرر المرصعة لوحة 221.
ب. تمكروت الحالية والمحلان المذكوران ليس بينهما أكثر من كلمتر ونصف.
أما معنى تمكروت ببربرية المنطقة فهي الأخيرة، ويصدق عليها ذلك بالنظر إلى تاريخ تأسيسها بالمقارنة مع تاريخ القريتين المجاورتين لها : زاوية سيد الناس التي يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الثامن الهجري حسب ما ذكره صاحب الدرر المرصعة أثناء ترجمته لمؤسسها سيدي الحاج ابراهيم الأنصاري. لوحة (103) وتزروت التي يرجع تاريخها إلى عهد أحد حفدة سيدنا يوسف عليه السلام).

(4) (5) سيدي عمرو بن أحمد الأنصاري أبو حفص، الصوفي أخذ عن القطب أبي العباس أحمد بن علي الحاج (جبار المكسور)، عن أبي القاسم الغازي بسنده. وهو من حفدة الحاج ابراهيم مؤسس زاوية سيد الناس ومنها خرج فأسس تمكروت في التاريخ المذكور. مات رحمه الله سنة (1010هـ) الدرر المرصعة لوحة 252 /253.

(6) سمي وادي درعة لاختراقه بلاد درعة طولا على مسافة (1200 كلمتر) وهو أطول نهر في المغرب.

(7) عبد الله بن حسين الرقي القباب أبو محمد، من الأفراد السالكين طريق السنة في أحوالهم والمجتهدين في العبادة الزاهدين في الدنيا، حتى كان يكتفي من قوت يومه باثنتي عشرة تمرة وحساء. أخذ عن سيدي أحمد بن علي الحاجي (جبار المكسور) عن سيدي أبي القاسم الغازي مات رحمه الله سنة (1042هـ) الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة لوحة (171...).

يساعده في ذلك الشيخ سيدي أحمد بن ابراهيم الأنصاري [8] وهو من ذرية سيدي الحاج إبراهيم الأنصاري مؤسس زاوية سيد الناس. وقد سميت باسمه بعد وفاة عبد الله ابن حسين الرقي القباب الدرعي.

أما اسم الزاوية الناصرية فلم يلحقها إلا بعد وفاة أحمد بن ابراهيم سنة (1052هـ) رغم أن ابن ناصر التحق بها منذ سنة أربعين وألف (1040 هـ) مدرسا برغبة من الشيخين سيدي عبد الله بن حسين، وسيدي أحمد بن ابراهيم لينشر العلم بزاويتهما.

ومن هنا يتجلى لنا الدور البارز الذي اضطلعت به التربية الصوفية السنية التي كانت عليها المنطقة ورجالها طيلة اثنين وستين سنة في اظهار براعة ابن ناصر العلمية ومما يزكي هذه الفكرة أنه لمدة اثنتي عشرة سنة التي قضاها ابن ناصر بجانب الشيخين الروحيين : عبد الله بن حسين الرقي، وأحمد بن ابراهيم الأنصاري. لم يظهر له من التلاميذ إلا شقيقه أبو الفضل الحسين بن ناصر [9]. القائل في فهرسته :

«وكانت مدة إقامتنا في صحبتهم اثنتي عشرة سنة، وفيها أحفظني الشيخ : مختصر خليل، والتسهيل، واليدوني، والصغرى، والحوظي، وابن عطية، والخزرجية، والمدونة، في ست سنين». [10].

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

---

(8) أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن عبد الله الأنصاري، ولد سنة (1001هـ) وأخذ عن سيدي عبد الله بن حسين الرقي، وعليه تخرج. ولم يتزوج حتى مات شيخه خشية أن تشغله الزوجة عن خدمة شيخه. قتل شهيدا رحمه الله ضحى يوم الجمة 11 جمادى الثانية عام (1052 هـ) الدرر المرصعة لوحة 12.

(9) الحسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمر(بن عثمان شقيق الشيخ محمد بن ناصر) أخذ القرآن عن والده إلى طه والباقي عن شقيقه، وقرأ عليه مجموعة من الكتب والمختصرات مرارا ذكرها في فهرسته. وشاركه في من لقي بمصر في حجتيه، أحداهما سنة (1070هـ) والثانية سنة (1076هـ). مثل الشيخ عبد المعطي المالكي، الشيخ محمد البابلي الشافعي وأبي الحسين علي الشبراملسي، وهؤلاء كلهم أجازوهما. وأجازهما أيضا الشيخ محمذ بن سعيد المرغيتي عندما كان بحضرتهما. توفي رحمه الله في الثامن عشر من ربيع الأول عام (1091هـ). الدرر المرصعة لوحة (18 وما بعدها).

(10) فهرس الحسين بن ناصر، لوحة 4 /5.
ــ اسمها الكامل : الفوائد الجمة في اسناد علوم الأمة لابي زيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المغافري، الجزولي الروداني المتوفى عام (1060هـ).
رتبها في أربعة أبواب فذكر في الباب الأول أساتذته وشيوخه وأحوالهم، وخصص الباب الثاني لأسانيدهم ... من مخطوطاتها : =

ومن العوامل التي ساعدت على شهرة ابن ناصر العلمية، فتور النشاط العلمي بزاوية سيد الناس، بعد أن كانت مركزا علميا هاما، تصدر للتدريس بها علماء أجلاء مثل الشيخ أبي القاسم بن عمرو التفنوتي، القصر، الدرعي الدار والمدفن. قال في الدرر المرصعة : «أبو القاسم بن عمرو التفنوتي القصر، الدرعي الدار، الامام العلامة البحر الفهامة، الشهير بالشيخ، قال أبو زيد (التمنارتي) في الفوائد الجمة : ومنهم الشيخ الصالح، الفقيه المحصل، ...ويعرف عند أهل فاس بالكواش» [11].

كان رحمه الله كما قال تلميذه سيدي سعيد بن علي الهزالي رحمه الله : «لا يفرق أن يحمل شيئا [12] للسوق على عاتقه يبيعه، وينبه الطلبة إلى الاحتراف بما يكون به عيشهم، وكان عارفا بحال الصناع. ويقول : ما فاتني شيء إلا الحرارة، لم أجد من يعلمها إلي [13] من أهل فاس، مع براعته في فنون كثيرة من العلم : الفقه، والعربية، والحساب، والقراءات...» [14].

أخذ بفاس عن أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، وهو أول من وقف على حرز للامام للامان الشاطبي بما جمعه في شرطه بزاوية سيد الناس. مات رحمه الله سنة (953 هـ).

قال محمد المكي بن موسى الناصري [15] : «وإنما قيل له الشيخ لأنه تخرج عليه جماعة من الفقهاء، منهم : سعيد بن علي بن محمد الهزالي، وأحمد البوسعيدي

= ـــ نسخة بخط المؤلف تحمل رقم 513.
ـــ نسخة رقم 1420 مصورة على الورق.
ـــ نسخة بالخزانة الملكية تحمل رقم 12632.
ـــ نسخة رقم 3693.

(11) الدرر المرصعة، لوحة 112.

(12) كذا بالأصل.

(13) كذا بالأصل.

(14) الدرر المرصعة لوحة 112.

(15) محمد المكي بن موسى الناصري : والده مو خليفة الزاوية بعد أبي العباس، ولد بتمكروت وبها نشأ، أخذ العلم عن أسلافه وأعمامه، ومن كان بالزاوية في عهده من الأعلام، له عدة مؤلفات جلها في تاريخ منطقة درعة ورجالها، وتخليد مآثر الأسرة الناصرية. ومنها :
ـــ الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة.

المعروف بأكجيل [16] وأبي عبد الله الحساني [17]، وسيدي الحاج الحساني، وسيدي عبد الرحمن بن لا يخاف الفلالي، وسيدي عبد الكريم العقبي، وسيدي عبد السلام البودلالي،...» [18].

وبعد وفاة أبي القاسم الشيخ، خلفه تلميذه أحمد البوسعيدي المعروف بأكجيل قبل أن يتولى قضاء درعة، من طرف المنصور السعدي. ليحل محله الشيخ علي بن يوسف الدرعي شيخ ابن ناصر بأغلان.

وقد علم من حال هذا الشيخ أنه منشغل البال كثيرا بهم الرزق والمعيشة ومن أجل ذلك كان كثير الأسفار والرحلات ومحجه المفضل : الزاوية الدلائية لأن شيخها محمد بن أبي بكر الدلائي كان يغدق عليه من عطاياه، لا سيما بعد أن حمّله الشيخ ابن ناصر إلى محمد بن أبي بكر الدلائي قصيدة يمدحه فيها ومنها :

له يدان : يد للظلم مقمعة ويد جود تفيد الناس أموالا
كأنما هاتف أضحى يخاطبه أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا [19]

إذ وقعت هذه القصيدة من نفس الممدوح موقعا حسنا، فآتت أكلها ضعفين على الرسول، حيث نال من عطاياه مالم يكن معهودا منه كاق من جهة. وفاتحة التواصل المباشر بين الزاويتين ـــ الناصرية، والدلائية ـــ من جهة أخرى

قال في الدرر المرصعة : «وكان يأتيه شيخه سيدي علي بن يوسف رحمه الله تعالى وزاد عليه قراءة لما كان بزاوية سيد الناس برسم الشرط» [20].

= ـــ فتح الملك الناصر في اجازات مرويات بني ناصر.
ـــ الرحلة المسماة ب «الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية»
ـــ طليعة الدعة في تاريخ وادي درعة...
مات رحمه الله سنة 1163هـ (تقريبا).

(16) أحمد البوسعيدي بن أحمد بن محمد الدرعي المعروف بأكجيل، له قصة عجيبة مع المنجور بفاس ومع أهل مراكش لأنه قليل الفهم في النحو، أفتى في النوازل، وتولى قضاء درعة. ولد سنة (920هـ). الدرر المرصعة لوحة 7 /8.

(17) محمد الحساني الدرعي الدار والمنشأ، كان كثير الحفظ والمطالعة، ومعرفة أسماء الكتب، ونسبتها. تولى خطة الفتوى بمراكش بعد وفاة أبي الحسن السجتاني، وكان كثير الاطلاع على مظان المسائل في الدواوين، مات رحمه الله سنة (965هـ). الدرر المرصعة لوحة 260 /261.

(18) الدرر المرصعة لوحة 112 /113.

(19) الدرر المرصعة لوحة 316/317.

(20) الدرر المرصعة لوحة 275.

عصر التأسيس: عهد أبي عبد الله محمد بن ناصر (1040 هـ/1085م)

التعريف بأبي عبد الله ابن ناصر:

في سنة إحدى عشر وألف (1011هـ) بأغلان ولد أبو عبد الله «محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر بن عمرو بن عثمان، الدادسي الأصل، الدرعي الاقليم، الترناتي الصقع، اليرسوتي النجار، الأغلاني المنشأ، التمكروتي الدار والوفاة.» (21).

أخذ القرآن على والده. ثم «ابتدأ بتعلم العربية، والبيان، على شيخ الجماعة، ومربي المتعلمين، العالم العامل، المتفق على أنه : (ممن هو) (22) لعباد الله ناصح، أبو الحسن علي بن يوسف الدرعي، والفقه ما التحق بذلك، والتزمه إلى أن نال منه واستفاد، ولازمه مدة مديدة» (23).

وذلك مع انشغال الشيخ المذكور ـــ علي بن يوسف ـــ بما يصلح به حال معاشه، وانشغال ابن ناصر نفسه بأعباء أسرته، إذ غالبا ما يغيب والده عنها، ويتحمل هو مسؤولية تدبير شؤون والدته وإخوته.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

والشيخ أبو الحسن علي بن يونس الدرعي هذا، هو الذي يمكن اعتباره شيخه العلمي، لأنه الشيخ الوحيد الذي أخذ عنه وهو في حاجة إلى الأخذ، وأما بقية علمه الذي اشتهر به، فإنه أدركه بجده وأجتهاده ولم يفته أن يعبر عن هذا الفتح الالهي عليه بما حكاه عنه خليفته أبو العباس وهو قوله : «... هذا العلم الذي حصل لي، حصلته في ثلاث سنوات» (24).

وقد ذكر له صاحب الدرر، نقلا عن مصادره شيوخا آخرين، مغاربة ومصريين فمن المغاربة :

---

(21) الدرر المرصعة لوحة 267.

(22) كذا بالأصل.

(23) الدرر المرصعة لوحة 268.

(24) المصدر نفسه لوحة 275.

ـــ الشيخ محمد بن أحمد المصمودي [25] صاحب عمدة الخطيب. قال : «غير أن صحبته له يسيرة». [26].

ـــ الشيخ محمد بن سعيد بن يحيى السوسي، المرغيتي. [27] اجتمع به في زاوية تمكروت فأجازه مع أخيه أبي الفضل الحسين بن ناصر، وذلك ما بين عامي إحدى وخمسين وألف، واثنتين وخمسين والف (1051 /1052هـ) لما كان المجيز في زيارة الزاوية [28].

ومن المصريين الذين لقيهم هو وأخوه أبو الفضل الحسين في حجتيه : حجة سبعين والف (1070هـ) وحجة ست وسبعين وألف (1076هـ).

ـــ الشيخ عبد المعطي المالكي : أخذ عليه تلخيص المفتاح على الفنون الثلاثة : البيان، والمعاني، والبديع. وختماه عليه بالجامع الأزهر قراءة من بعض تلامذته وهما يسمعان [29].

ـــ الشيخ محمد البابلي الشافعي، أخذا عليه بعض أحاديث البخاري فأجازهما جميع رواياته ومروياته، ومسموعاته [30].

ـــ الشيخ أبو الحسن علي الشبراملسي، «قرأ عليه جمع الجوامع لابن السبكي في علم أصول الفقه قراءة من الشيخ وأخوه يسمع، والشمسية على القواعد المنطقية قراءة من الشيخ وأخوه يسمع» [31].

---

(25) محمد بن أحمد المصمودي، أبو عبد الله كان اماما بالجامع الكبير بترغليل. قال عنه المرغيتي في فهرسته : ثم رحل في طلب القراءة، فأخذ بتازرين عن أبي فارس سيدي عبد العزيز بن محمد. ثم انتقل إلى وادي غريس. قال المرغيتي رحمه الله : فوجدت الحقيقة عند الشيخ العارف أبي عبد الله محمد بن أحمد المصمودي (عرف به) رحمه الله. قال : فوجدت القراءة عنده كما لا يعلمها كثير من أشياخه. الدرر المرصعة لوحة 131 عندما ذكر والده أبا العباس أحمد المصمودي.

(26) الدرر المرصعة اللوحتان 275 و292.

(27) محمد بن سعيد بن يحيى السوسي المرغيتي المراكشي، من شيوخه الأجلاء مولاي عبد الله بن علي بن الطاهر بن الحسين بن يوسف بن علي الحسني السجلماسي. من آثاره العلمية : المقنع في اختصار علم أبي مقرع، فهرسته. مات رحمه الله عام (1080هـ).

(28) فتح الملك الناصر في اجازات مرويات بني ناصر، لوحتين 3 و 10.

(29) الدرر المرصعة لوحة 284.

(30) الدرر المرصعة لوحة 284.

(31) الدرر المرصعة لوحة 284.

ـ وقد سافر الشيخ ابن ناصر إلى دادس [32] برسم الشرط، لكنه لم يمكث فيه طويلا إذ سرعان ما رجع إلى بلاده أغلان، فتولى به امامة الصلاة، وخطبة الجمعة، وتصدر لتعليم العلم. « وكانت له وجاهة عند أهل الوقت من ملوك أهل الساحل، فعظموه غاية الاعظام، وأكرموه غاية الاكرام، ووجد والده في ذلك راحة، وفرح به غاية الفرح، وسُرَّ بِهِ غاية السرور» [33].

سبب اتصال الشيخ ابن ناصر بتمكروت وانتدابه للتدريس بها.

بعدما تعرفنا على جانب من حياة الشيخ أبي عبد الله بن ناصر وهو طالب علم، وعلى بعض شيوخه نتعرف عليه طالب تربية.

يبدو أن أبا عبد الله بن ناصر، رغم ما حظي به من التعظيم والاحترام والتكريم لدى أمراء زمانه، وهو امام، وخطيب، ومدرس بأغلان. كان يشعر بفراغ روحي جعله دائم السؤال عن شيوخ للتربية، إلى أن أرشد إلى شيخيها بتمكروت : سيدي عبد الله ابن حسين الرقي القباب، وسيدي أحمد بن ابراهيم، اللذين اشتهرا بصلاحهما، وشدة اتباعهما للسنة [34]. فذهب لزيارتهما، وليرى بعينيه من سلوكهما السني ما سمعت أذناه. وكان ذلك سر إعجابه بهما. ولما هو عليه من العلم آوياه، وأكرما نزله، وطلبا منه الاستقرار بزاويتهما لينشر بها العلم، فاعتذر لهما بالمسؤوليات المنوطة به في أغلان، وظيفية وأسرية ولكنهما استطاعا أن يقنعاه بالبقاء معهما فبقي. وكان هذا عام أربعين وألف (1040 هـ). وعن هذا الموقف قال محمد المكي بن موسى الناصري : «ثم بعد ذلك ألهم الله الشيخ [35] للبحث والفحص عن شيخ للتربية، ففحص قرى

---

(32) بقرية يقال لها (الجرية) وهي قرية الموقت الحيسوبي الفرضي صاحب البواقيت في علم التوقيت أبي الحسن علي بن محمد الدادسي، الدرر المرصعة لوحة 269.

(33) الدرر المرصعة لوحة 269.

(34) يبدو أن تمكروت تفردت بهذه الميزة على صعيد المغرب، ولذلك كانت وجهة كبار العلماء في تلك الفترة الزمنية كلما شعروا بضيق، أذكر منهم على سبيل المثال، زيارة الشيخ محمد بن سعيد بن يحيى السوسي المرغيتي المراكشي لها بين سنتي (1051 /1052هـ) حيث أجاز بها الشيخ ابن ناصر وأخاه أبا الفضل الحسين ابن ناصر. ولاشك أنه لم يقصدها إلا لزيارة الشيخين عبد الله بن حسين، وأحمد بن ابراهيم. ويبعد جدا أن يذهب لزيارة الشيخ بن ناصر فالذي جمعهما بتمكروت هو زيارة الأشياخ. فتح الملك الناصر في اجازات مرويات بني ناصر لوحة 3 و 10.

(35) في الأصل (الى).

هذا الوادي قرية قرية، فلم يصادف حاجته، ولا من توفرت فيه شروط القُدْوَةِ والاتباع، ولا من له في المَعْرِفة والدين والعمل و اتباع سنة الأتباع. وبعد زمان أخبره صهره السيد محمد بن عبد القادر الساحلي الحربلي (36) الود (37) بأنه رأى بهذه البلدة أعني الزاوية، أحاطها الله في السر والعلانية رجلين صالحين تابعين لسنة رسول الله ﷺ، وآثار الصلاح والدين يلوح من غرتيهما، وعرف الولاية يفوح من حواليهما، فوفق الله الشيخ للسير إليهما فوافاهما صلاة المغرب، فلما سلما منها أخذا اثر السلام في «لااله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير». فقال الشيخ في نفسه، : هذه سنة رسول الله ﷺ، فأعجباه وماهما عليه من الأحوال المرضية، الموافقة للشريعة المحمدية. فقال لأخيه في الله، ومحبه في دين الله واتباع سنة رسول الله ﷺ سيدي ومولاي القطب أحمد بن ابراهيم نفعنا الله تعالى به : إني أردت أن تذهب معي إلى الشيخ يلقنني الورد الشاذلي، فقال : استخر الله تعالى في ذلك فقال الشيخ في نفسه : هذه أمارة أخرى على اتباعهما (38) للسنة. لأن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه الاستخارة ويأمرهم بها. فقال له قد استخرت قبل. فذهب معه للشيخ سيدي عبد الله بن الحسين فلقنه الذكر. فأعجباه وأعجبهما ورغبا في مصاحبته ومعاشرته وتعليمه العلم ونشره في زاويتهما وكان يجيء لزيارة الشيخين. قال : ومهما جلست بين يدي سيدي أحمد إلا ويقول لي : لو وجدت فقيها أو عالما نضمه إلينا ينفعنا بعلمه وننفعه، وماجلست بين يديه إلا قال لي ذلك وصرح به. فقلت له ذات يوم : لعلك يا سيدي تعنيني، فقال اياك نعني. فقلت له : يا سيدي، انني راغب في ذلك أكثر مما رغبت إلا أن (39) لي أبوين لا يريدان أن أفارقهما، وقد كان أبوه يريد أن يضمه إليه في بلدته لنفعه اياه، ودفعه عنه (وظائف أبناء الدنيا، وأهل الشرطة والمخزن) (40). لكونه معظما، موقرا

(36) محمد بن عبد القادر الساحلي الحربلي، لم أقف له على خبر إلا كونه صهرا للشيخ ابن ناصر.

(37) بياض في الأصل.

(38) في الأصل (اتباعهم).

(39) في الأصل (أني).

(40) هذه الوظائف استمرت في تلك المناطق إلى أن باشرها كاتب هذه السطور بيده الفانية، فتأدية الوظائف لابناء الدنيا تتمثل في العمل بمزارعهم حرثا، وسقيا، وحصادا، ودراسا...

وظائف الشرطة، لها وجوه متعددة منها : اعلام جماعة من الأشخاص للقيام بحراسة ليلية للاعلام بكل مشتبه في هويته، كما هو الحال في أواخر السبعينات خاصة عندما هاجم أعضاء المرتزقة =

عندهم، لما اتصف به من العلم، وقصته في ذلك معهم معروفة ومع أبيه مشهورة،..» (41). وهكذا وجد ابن ناصر نفسه بين أمرين كلاهما عزيز عليه : والداه اللذان رباه صغيرا، وهما الآن في حاجة إليه ليدفع عنهما أذى الجبابرة وتسلطهم، وشيخاه اللذان رباه كبيرا، تربية روحية، وهما في حاجة إليه لينشر العلم بزاويتهما. غير أنه يميل إليهما بدليل قوله للشيخ أحمد بن ابراهيم : «يا سيدي إني راغب في ذلك أكثر مما رغبت» (42).

ونظرا لما للمُرَبِّيين الروحيَّين من سلطة فقد استطاعا أن يقنعاه. فلازمهما مدة اثنتي عشرة سنة ليس له من الأمر شيء. وحتى التدريس ونشر العلم الذي انتدباه له فلم يظهر له خلالها طلبة إذا استثنينا أخاه أبا الفضل الحسين بن ناصر القائل في فهرسته : «وكانت مدة إقامتنا في صحبتهم، اثنتي عشرة سنة، وفيها أحفظني الشيخ مختصر خليل، واليلوني، والصغرى، والجرومية، والمدونة، في ست سنين» (43).

على أنني لا أستبعد أن يتلقى عنه صبيان البلد القرآن بالمحضر طيلة هذه المدة، ومهما يكن الأمر فإن الشيخ أحمد بن ابراهيم عهد له بالولاية بعده. وأوصاه على أهله، وبهذا أصبح مربيا روحيا، إلى جانب مهمة التدريس ونشر العلم، فقام بواجبه بحزم وعزم، لعله أقلق به بعض حسدته فدخلوا معه في صراع، اختار بعده الشيخ الرجوع إلى بلاده أغلان ليمارس فيه وظائفه السابقة لمدة سنتين (1053 /1054هـ) وفي هذا يقول أحمد بن خالد الناصري (44): «ولما توفي الشيخ

= (البوليزاريو) لحاميد الغزلان وقد صادفتني أيام العطلة هناك فحرست ليلة نوبة أسرتنا.

ومنها العمل في بناء دور وقلاع بعض المتسلطين، كالجلاوي، والقائد ابراهيم، ولازالت هناك انقاضها وهي من الضخامة بمكان، يحكي لنا المشاركون في بنائها العجب العجاب، ومنها مثلا : دار القائد ابراهيم، بتنزلين، ومنها قلعة الجلاوي بأيت بسفول، ومنها دار الباشا بين زاكورة وتنسيطة وكان المشرف على العمال في بنائها يهودي اسمه بشارة وكان شديد التنكيل بالعمال،....

(41) الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة لوحة 269 /270.

(42) المصدر أعلاه لوحة 270.

(43) نفسه، لوحة 272 /273.

فهرسة الحسين بن ناصر لوحة 4 /5.

(44) أحمد بن خالد الناصري، المؤرخ المغربي، السلاوي، كان واسع الاطلاع، من مؤلفاته : 1. طلعة المشتري في النسب الجعفري، 2. الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى، 3. تعظيم المنة بنصرة السنة. 4. زهر الأفنان شرح قصيدة ابن الونان... انتدبه المولى عبد العزيز لتفقد الأملاك المخزنية بالدار البيضاء، مات رحمه الله سنة 1315 هـ ودفن بالمقبرة المعروفة بمقبرة باب المعلقة.

سيدي أحمد بن ابراهيم رضي الله عنه، انتقل أمر الزاوية بعده إلى سيدي محمد ابن ناصر رضي الله عنه بوصية منه وتوكيله إياه على جميع أموره من بعده،» ثم قال : «ولما توفي سيدي أحمد بن ابراهيم عاد سيدي محمد إلى أغلان لما ناله من بعض الحسدة، واستصحب معه عيال سيدي أحمد بن ابراهيم لأنه كان وصيه» [45] وبعد رؤية منامية رأى فيها شيخه سيدي عبد الله بن حسين رجع ثانية إلى تمكروت وكان أول عمل قام به، زواجه بالسيدة حفصة بنت عبد الله الأنصارية، [46] أرملة الشيخ أحمد بن ابراهيم، ووالدة خليفته أبي العباس أحمد بن ناصر وذلك من أجل أن يتمكن من الدخول عليها لمراقبة تربية بناتها من سيدي أحمد بن ابراهيم بحكم وصية أبيهن له عليهن، ودخل بها عتمة ثالث عيد الفطر ليلة الثلاثاء سنة خمس وخمسين وألف (1055 هـ). بعد أن تمنعت عليه حولا كاملا، لعدم رغبتها في ابدال فراش زوجها السابق. ولم تجبه إلى الزواج بها حتى رأت رؤيا ألجأتها إلى القبول، وأخلصت له النية. «وولد منها من الأولاد : ميمونة، أحمد أبا العباس، وتوأمين : زينب وأم كلثوم، أم سلمة، إبراهيم وسارة».

«وكانت رضي الله عنها في غاية الجد والاجتهاد في العبادة، وخدمة المسلمين لا تنام من الليل إلا قليلا، مواظبة على الصلاة في أوقاتها كثيرة الذكر، لا يفتر لسانها عن الذكر، لاتخاف في الله لومة لائم. تدور مع الحق حيثما دار، كثيرة الصدقة.

---

(45) طلعة المشتري في النسب الجعفري ص 143 ج 1، الدرر المرصعة لوحة 223.

(46) حفصة بنت عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الدرعي الصالحة القانتة، العابدة ألف فيها ولدها سيدي أحمد بن ناصر كراسة للتعريف بها، ولكنه لم يتمها، وعليه اعتمد. صاحب الدرر المرصعة.

توفي والدها وهي دون البلوغ ونشأت في حجر والدتها فربتها أحسن تربية، وحجبتها في دارها لا ترى أحدا من الرجال ولا يراها، وكانت تذهب بها في المواسم لزيارة الأشياخ، تزوج بها الشيخ أحمد بن ابراهيم بعد وفاة شيخه عبد الله بن حسين، وبعد أن تأيمت منه رحلت إلى أغلان مع الشيخ ابن ناصر وهي حامل. فلما وضعت حملها، خطبها الشيخ، فامتنعت من الزواج به وأبت كل الاباء، ومكثت على ذلك عاما كاملا. ثم رضيت بعد رؤيا رأتها فتزوجها الشيخ رضي الله عنه. توفيت رحمة الله عليها سنة (1095هـ) الدرر المرصعة لوحات 133 /134 /135 بتصرف كثير، طلعة المشتري 330 ج 1.

لازال عندنا بتمكروت حي يسمى : درب العبيد، قرب مقر الزاوية الناصرية لا يستبعد أن يكون هؤلاء أصولهم. ومن خصائصهم الى الان أنهم لا يملكون عقارا ولا أجنة ومصدر عيشهم في الغالب العمل في البناء. ومنهم بناؤون مرموقون.

ورثت عن أبيها أجنة ودورا وأموالا، واشترت عبيدا وإماء وأجنة وتصدقت بذلك كله في سبيل الله، وأعتقت ولم تترك بابا من أبواب الخير إلا عملت فيه...» (47).

وضعية قيام المدرسة وأسسها

1. العنصر الاقتصادي وظروف المعيشة :

بخصوص الوضع الاقتصادي وظروف المعيشة فلعلها كانت قاسية جدا، ولابأس هنا أن أذكر بما سبق في ترجمة الشيخ أبي محمد عبد الله بن حسين وهو شيخ ابن ناصر في السلوك من أنه يكتفي من قوت نهاره أو يومه باثنتي عشرة تمرة وحساء. «وكان إذا تصدق أحد على الزاوية بشيء ودعاه إلى نقله امتنع كل الامتناع وقال : لا تأتني به حاجة لنا فيه» (48).

وعن هذه الظروف المعيشية يقول محمد المكي بن موسى الناصري :

«صبر غاية الصبر على معيشته وكسوته، وكان ينام مع أهله على التراب لعدم ما يشتري به حصيرا يفرشه، وربما فرش ليفا أو جريد نخل. وقد أرسل إليه تلميذه الأجل : سيدي منصور بن أحمد التيرسوتي (49) حصيرا، فآثر وضع كتبه عليه على نفسه وحشمه. وربما تقوت هو وأهله من شعير أياما.» (50).

واستمر عليه هذا الوضع إلى ما بعد عام ثلاثة وستين والف (1063هـ) قال محمد المكي الناصري نقلا عن إنارة البصائر (51) لأبي العباس الهشتوكي (52) : «وقد

(47) الدرر المرصعة لوحة 135.

(48) الدرر المرصعة لوحة 270 ولعل قسوة الظروف المعيشية بالنسبة إلى الشيخ ومن معه من شيوخ وطلبة يرجع إلى عدم استشراف الشيخ إلى متاع الغير ولاأظن السبب فيها راجعا إلى القحط.

(49) من المبكرين في الأخذ عن الشيخ ابن ناصر وشاركه في الأخذ عن القطبين : عبد الله بن حسين وأحمد ابن ابراهيم.

(50) الدرر المرصعة لوحة 271.

(51) اسمه الكامل : (انارة البصائر في ذكر مناقب القطب ابن ناصر وحزبه الأئمة الهداة الأكابر) منه بخزانة تمكروت تحت رقم (3070) بعنوان : مناقب سيدي أحمد بن ناصر. ولكنه منسوب إلى الحسين بن شرحبيل.

(52) أحمد بن محمد بن داود بن يعزى بن يوسف الجزولي التملي نسبا أحزي الشهير بالهشتوكي. تأتي ترجمته.

شاهدته في صغري لما كنت عنده بهذه الزاوية برسم القراءة، وذلك والله أعلم عام ثلاث وستين بعد الألف يأتي الطلبة بنفسه بحساء أو لبن ويرزقنا كل شهر صحفة تمر وبالليل كسكسا قليلا. يجيء لكل طالب نحو ثلاث لقيمات أو أربعة. ويقول يا معشر الطلبة : والله ما يأكل عيالنا وأهل الزاوية إلا كما تأكلون، ولا نوثر أنفسنا عليكم» [53].

قلت : وسبب هذه المعيشة هو أن الشيخ لا يريد التطاول على ما حبس على الزاوية للفقراء والمساكين، وأحباس الزاوية موفورة، الشيء الذي يدل على أن البلاد ليس بها قحط.

ولم يقف الشيخ مكتوف الأيدي إزاء وضعه، بل سعى في اتخاذ أسباب تغييره. فتحسنت الأحوال، وأظهر نعمة الله عليه وعلى شيوخ مدرسته وطلبتها. وفي هذا يقول اليوسي [54] في معرض حديثه عن مكاشفات شيخه أبي عبد الله بن ناصر : «ومن عجب ما اتفق لي معه في هذا المعنى أني سافرت إليه مرة زائرا، فحين وصلته، قيل لي أن عندهم العقيقة الليلة على مولود ولد للشيخ من فلانة بنت فلان، لأمة من إماء الزاوية، وأبوها من أكابر عبيدها. فقلت في نفسي سبحان الله : كيف توصل الشيخ إلى الاستمتاع بهذه الأمة، وإنما هي حبس [55] ولا ملك له فيها وذلك أن الشيخ سيدي أحمد بن ابراهيم رحمه الله هو الذي حبس هؤلاء العبيد لخدمة الزاوية. فأشكل عليّ هذا الأمر، ثم أنه حضر لي أيضا أن أملاك الزاوية حبس من الشيخ المذكور، فكيف تأتى للشيخ أن يتوسع منها بالتزوج هو وأولاده ؟ ولئن كان فيها وجه بأن يقال : انها تكون من قبيل المصالح العامة، والشيخ عالم فيكون له مدخل في ذلك فهو لا يرضى أن يدخل هذه المداخل اللينة، ولا يسلك إلا الورع التام. ثم قلت وكيف حج هو وأولاده من ذلك ؟ وإنما هي وقف على المساكين ليأكلوا منها في موضعها. وإنهم لا يخاطبون بالحج باعتبارها، إذ لا ملك لهم فيها. وأشكلت علي هذه المسائل الثلاثة» [56] فكاشف عليه الشيخ فيها، واستمر في بيان

(53) الدرر المرصعة لوحة 272. طلعة المشتري ص 153 ج 1.

(54) تأتي ترجمته.

(55) السؤال المطروح هنا : إذا كانت أملاك الزاوية حبسا على الفقراء والمساكين، أليس طلبة الزاوية وجه من وجوه الانفاق عليهم منها؟ ولم عاشوا على الحالة الموصوفة ؟.

(56) طلعة المشتري في النسب الجعفري ص 170 ج1. ط. حجرية.

ذلك إلى أن قال : «.... فقال : وكنت استسلفت من احدى نسائي [57] دراهم حصلت لها من ميراثها لأبيها طيبا، فاشتريت بها غنما، وقلت إن نَتجت فعسى أن يحج الانسان منها. قال : فدفعتها إلى الضيعة وهي أرض تحت درعة، فأصلحها الله حتى كانت غنم الناس تباع بسوم، وكان الكبش من غنمها يباع بأربعة دنانير. قال : وكانت أرض الخلة وهي أسفل درعة محرثة كريمة. قال الشيخ : وكان يقال بلسان العامة : لو كان في المغرب خلتان ما انباع الزرع بدرهمين، قال : وكانت ساقيتها فسدت وتعطلت فجاءني أربابها، فقالوا ان أحييت لنا هذه الساقية فلك نصف الأرض. فتعاقدت معهم على ذلك. وكتب الوثيقة سيدي علي بن محمد الفركلي قال : فخرجت ونفر من الاخوان إليها فحركناها فسلمها الله. وطلعت فكنا نحرثها، فمن ذلك تزوجنا، وحججنا، ومن ذلك نخص من رأينا أن نخصه بكرامة من الواردين علينا» [58].

2. الوضع السياسي والموقف منه :

أما عن الوضع السياسي، فقد اقترن ظهور الزاوية الناصرية بأفول نجم الدولة السعدية، وبزوغ فجر الدولة العلوية ولئن كانت بعض الزوايا زجت بنفسها في غمار المعارك السياسية فأيدت هذه الجهة، ونددت بتلك، حتى أدى بها الأمر إلى مالا تحمد عقباه، فإن الشيخ أبا عبد الله ابن ناصر رأى بثاقب فكره، ونفاذ بصيرته، وألمعية عبقريته، أن يشتغل بما يصلح به حاله، ويعود عليه وعلى البلاد بالنفع، فهجر هذا الجانب تماما. ولم يسجل عليه التاريخ مع رجالها أية مواجهة، إلا ما حكاه محمد المكي بن موسى الناصري نقلا عن رسالة «صفع القفى لمن لم يتبع سنة المصطفى» لبعض الأشياخ ونصه : «حكي أن بعض عمال [59] مولاي الرشيد قدس الله أرواحهما [60] تكلم له في فقيه وقته وولي دهره، ووحيد عصره سيدي محمد بن ناصر

---

(57) لعلها السيدة حفصة الأنصارية المتقدمة، وقد أشرت إلى أنها ورثت من أبيها مالا كثيرا وأجنة...

(58) طلعة المشتري في النسب الجعفري ص 171 ج1.

(59) لعلهما : منصور بن عبد الله، وعلي بن منصور. وقد ذكرهما في لوحة 289 أنهما ذهبا بجفرية إلى المولى الرشيد، وفيها أن رجلا يظهر ببلاد الغزلان يقال له الحاج محمد يكون ملكا. وهما يعنيان ابن ناصر. وذلك عام 1070هـ عندما رجع الشيخ من حجته الأولى. ثم ذكر كيف انتقم الله له منهما بالمولى الرشيد.

(60) بياض بالأصل.

نفعنا الله به ورحمه، فأثر ذلك في قلب مولاي الرشيد. فكتب له كتابا ، ضمنه عقارب لاسعة، وسهاما صائبة، وتقريعا. لم يقف هذا الولي ببابه، ولا انشغل بأسبابه، وعتابا يصدع اللبيب، ويصير العسل طحلبا. وأمره بالوقوف لحضرته ولوعيده ان تخلف. فلما فضه وقرأه، كتب أسفله ﴿ اقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ [61] فلما بلغ مولاي الرشيد، قام وقعد، وأبرق وأرعد، وأمر محلة أن تذهب لتلك الزاوية فتتركها قاعا، ولا تبقي بها زرعا ولاضرعا. فخرجت بنحو يومين، فتنفس مولاي الرشيد تنفس الصعداء، ورجع للتفكير لطبعه الأول لما سكن غضبه، ولسيق نعم آبائه الطيبين، وما ورثوا من الحلم ولين الجانب، وكظم الغيظ، والتجاوز عن المسيئين. فأمر برجوع المحلة. وكل من لم يشاهد في الوجود الا الله تولى رعيه. وقد قال مولاي الرشيد لما تفكر في كلامه، وأمعن النظر في خطابه : هذا الكلام، لا يصدر من قلوب فارغة، ولا من عقول من معرفة الله خالية. ولا حاجة لنا بكلامه. ان شاء خطب بنا أو لم يخطب، ما لنا فيه ولا علينا» [62]و غاية ما في الأمر حسب النص المذكور، أن الشيخ أبا عبد الله بن ناصر لا يخطب بالمولى الرشيد في الجمعة. لأنه لا يرى ذلك من الدين، أولا يراه واجبا، أو لا يراه من السنة. ولكن الوشاة رأوه خروجا عن الطاعة.

نعم مارس الشيخ ابن ناصر واجبه الديني بصفته عالما، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر بقلمه وفمه ولسانه.

فمن قبيل أمره بالمعروف ما كتب به إلى القاضي أبي مروان عبد الملك التجمعتي بسجلماسة ــ وهو من طلائع تلامذة الشيخ ابن ناصر ــ في شأن القائد عبد الملك بدرعة لما كتب به الوشاة إلى أمير المومنين. «الحمد لله وحده من محمد بن ناصر كان الله له، إلى سيدي عبد الملك التجمعتي سلام عليك ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد : فإن من التعاون على البر والتقوى، أن تتلطف في نصح أمير المومنين في أمر القائد عبد الملك، أن لا يصغي لقول طاعن فيه حتى يَتَثَبَّتَ فإني ما رأيت في درعة قائدا أرفق منه بالمساكين وأصغى

(61) الاية 72 سورة طه.

(62) الدرر المرصعة لوحة 401/300.

للموعظة، ولا أقل مبالاة بالظالم، وبالشيخ، أن ينصف منه المسكين. ولا أشد مراعاة لحق الله ولسيادة أمير المؤمنين، ولا أحمل للتأسي منه، والله المستعان» (63).

وكتب أيضا مرتين في شأن القاضي محمد بن علي الدادسي (64) بما يلي :
«الحمد لله من محمد بن ناصر كان الله له، إلى سيدي عبد الملك التجمعتي : سلام عليك ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا اله إلا هو. أما بعد : فالتحدث بالنعم شكر، وإن من أعظم نعم الله على أهل هذا الوادي، نعمة هي حسنة من حسنات أمير المؤمنين سدده الله وهي توليته سيدي محمد بن علي الدادسي قضاء درعة، فناهيك به عفة وورعا وحزما، واحتياطا وأناة وتثبتا ومضاء في صميم الحق، وقناعة وتحريا في الأحكام للعوام. مارأينا قبله مثله. ثم ان رؤساء الضلالة لما لم يجدوا منه ما اعتادوه من أحكام الجور، أكثروا الشكوى منه. فالمراد أن تكون على بصيرة من أمره، وتنبه أمير المؤمنين إن وجدت محلا، فإن ما يرومه منه هؤلاء السفهاء من تعقب أحكامه، وقبول القدح فيها، لا يليق بالمنصب الأعظم، لما فيه من خذلان الشريعة، وتوهين العزم الصالح في أهل الحق والصلاح، والله المستعان وعليه التكلان» (65).

وكتب إلى القائد عبد الله الزينبي (66) أيضا في شأن القاضي محمد بن علي الدادسي كذلك بما نصه :

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامى

«من محمد بن ناصر كان الله له، إلى الشيخ عبد الله زينبي سلام عليك ورحمة الله وبركاته. أما بعد : فإن من أعظم الحسنات التي يرجى لك به حصول الفوز عند الله يوم القيامة : أن تبذل جهدك في أمر القاضي العدل السيد محمد ابن علي الدادسي عند أمير المؤمنين، فإنه رجل تقي، لا يقبل رشوة وليس له مال ولا شيء إلا ما يأتيه الله من الرزق على يد أمير المؤمنين فاجهد جهدك أن يعوض له ما يقضي به ديونه ويكفيه مؤونة عياله، ونفقة أضيافه، فاصرف اهتمامك إلى ذلك حتى يقضيه الله كما تحب والله المستعان والسلام» (67).

---

(63) طلعة المشتري في النسب الجعفري ص 259 ج 1.

(64) محمد بن علي الدادسي بن أبي القاسم توفي سنة (1094هـ) من فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط، ص 296 رقم الترجمة 2596.

(65) طلعة المشتري في النسب الجعفري ص 260 ج1.

(66) لم أقف له على خبر غير هذا.

(67) طلعة المشتري ص 260 ج1.

وكتب إلى القاضي محمد بن الحسين، (68) منكرا عليه بعض التصرفات ويرشده إلى الصواب فيها :

«من عبد الله تعالى محمد بن ناصر كان الله له، إلى القاضي سيدي محمد بن الحسين : سلام عليك ورحمةالله وبركاته. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فالمومن مرآة أخيه، والنصيحة من قواعد الايمان، والعارف إذا قيل له اتق الله. وأن وجه الرشد كذا تأثر، وازداد بصيرة وتواضعا، ولم يكن ممن إذا قيل له : اتق الله أخذته العزة بالاثم. فالحذر الحذر من العجلة في الحكم بثبوت تلك التدمية * فقد قيل ان شهودها لا يعرفون المفروض من المسنون، ولا تجوز شهادة العامة، وشهادة من يأكل أملاك الخراج، ويأخذ المغارم الباطلة. وأما الرجل الذي طلبت أداء شهادته، فإنه رجل صالح وخزانة لأسرار المسلمين، يبث الناس إليه أسرارهم آمنين غائلته. فليس بصدد الادعاء والسلام» (69) فرد عليه القاضي محمد بن الحسين يهدده قائلا ما نصه : «إلى من ادعى أنه يقول الحق، وإنما يقول الباطل، ويرجم بالغيب ويقدم شهادة شاهد لم يرد أداء شهادته فبطلت وزكاه من غير تزكية ثابتة شرعا ويرمينا بالغيبة ولم يرع قوله عز وجل ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ (70) ويزعم أني أحكم بما لا حقيقة له، فلينظر ما وسوس إليه الشيطان. والحاصل أيها الانسان انك أكثرت علينا من التشويش، فانتبه وإلا رفعت أمرك إلى السلطان نصره الله، واتهم نفسك، واعرف قدرك ان شئت السلامة. وإني اقتصرت والسلام» (71).

وقد أثار هذا الجواب حفيظة الشيخ، فرد عليه بكتاب آخر (72) شديد اللهجة.

---

(68) هو أبو عبد الله محمد بن الحسين التمكروتي الدار الدرعي. تولى قضاء درعة بتكمدارت على عهد ابن ناصر. الدرر المرصعة لوحة 256.

(69) طلعة المشتري ص 144 ج 1.

(*) التدمية : أن يقول المصاب بجرح أو ضرب أو سم : دمي عند فلان. وهذه تسمى التدمية الحمراء. التدريب على الوثائق العدلية لابي الشتاء الحسن الغازي الحسيني المعروف بالصنهاجي المتوفى سنة 1335 هـ ص 360 رقم الوثيقة 192 ج 2 ط 1 سنة 1387هـ.

(70) سورة الحجرات الاية 12.

(71) طلعة المشتري ص 144 /145 ج 1.

(72) المصدر نفسه ص 145 /146 ج 1.

وكما كتب الشيخ أبو عبد الله ابن ناصر إلى القضاة والقواد، كتب إلى علماء عصره وتلامذته، وأصحابه، وفقراء الطريقة الناصرية بعدة رسائل جمعها سيدي محمد المكي بن موسى الناصري في تأليف سماه «اتحاف المعاصر برسائل الشيخ ابن ناصر» (73).

أما إذا وقع منكر من المناكر في تمكروت وما منها وإليها فإنه يتدخل مباشرة لازالته بيده. قال في الدرر نقلا عن انارة البصائر : «أخبرني (74) أيضا أنه خرج ذات يوم فوجد سقاية الزاوية مملوءة ماء، فقال الشيخ : اليوم ليس نوبة (75) الزاوية، ما هذا الماء الذي دخل لنا ولزاويتنا بغير إذن أهله، فمر به، فنزح من الساقية، وفرغ من الساقية، وما استقاه أهل الزاوية أخرجه منها، فجاءه أربابه فقالوا : يا سيدي : أنا جعلناكم في حل منه، فقال لهم : هؤلاء، وأين اليتامى والمحاجير والنساء ومن في معناهم» (76).

---

(73) وهذا المؤلف يقع في خمسة أبواب هي :
- الباب الأول : في رسائله إلى علماء وقته من قضاة وغيرو.
- الباب الثاني : في رسائله إلى أخيه وذريته.
- الباب الثالث : في رسائله إلى أصحابه وتلامذته.
- الباب الرابع : في رسائله إلى امراء وقته.
- الباب الخامس : في أجوبته عن مسائل في فنون شتى سئل عنها.

هذا المؤلف لا أعلم له وجودا بأية خزانة لا عامة ولا خاصة، إلا أنه من مصادر طلعة المشتري في النسب الجعفري لاحمد بن خالد الناصري المتوفى عام 1315 هـ.
وتفصيل الكتاب المتقدم مصدره طلعة المشتري 174 ج1.

(74) المخبِر هو : أبو مروان عبد الملك التجمعتي، والمخبَر هو أحمد بن محمد بن يعزي الجزولي التملي الشهير بالمشتوكي وهو صاحب : انارة البصائر في مناقب القطب ابن ناصر وحزبه الائمة الهداة الأكابر.

(75) أحب أن أنبه هنا إلى معنى (النوبة، وأساسها) : اعلم أن ظروف المنطقة الطبيعية عندنا فرضت أن تتظافر جهود قرى متجاورة في اقامة سد تقليدي نسميه بالبربرية (أكوك) على وادي درعة للاستفادة من مياهه في أماكن ذات ارتفاع نسبي على المنطقة المعنية، وقد يقام على بعد كلمترات منها الشيء الذي يتطلب شق ساقية على امتداد الكلمترات المطلوبة. وهذا ما يفرض أن تمر هذه الساقية في أراضي الغير ولايتم ذلك إلا بمقابل نقدي، وغالبا ما يعجز عن أداء هذا المقابل، فيقوم أغنياء البلد بتأدية ذلك المقابل شريطة إعفائهم من العمل في حفر الساقية، والاستفادة من حصة مائية والزاوية باعتبار ما لها من أحباس وهدايا وزيارات ونفود روحي كانت ممن يؤدي من ذلك المقابل ومن أجله تملكت يوما أسبوعيا في النظام المائي عندنا هو يوم الأحد ونقول له (نوبة الزاوية) وهناك يوم الخميس تملكته الأسرة الموسرة التي كانت تؤدي بدورها من ذلك المقابل حسب الحصص...

(76) الدرر المرصعة لوحة 283.

أسس إقامة المدرسة

تحت هذا العنوان أتطرق للمواضيع التالية :

ــ المستويات الدراسية.

ــ متون المستوى العالي ومكانة الحديث فيه، ومنهج التدريس، ونظام الدراسة.

ــ شيوخ المدرسة وأسلوب ابن ناصر في الاحتفاظ بهم لديه بالزاوية.

ــ طلائع طلبة الزاوية.

1. جاء في محاضرة خطية حول تمكروت للسيد الشيخ ما مفاده أن مستويات الدراسة بها ثلاثة هي : ابتدائي ــ ثانوي ــ عالي.

2. متون الدراسة في المستوى العالي، ومكانة الحديث فيه، ومنهج التدرس، ونظام الدراسة :

عندما نتأمل كلام طلائع تلامذة الشيخ أبي عبد الله ابن ناصر مثل أبي علي اليوسي وأبي سالم العياشي، وأبي الفضل الحسين بن ناصر (77) عما حضروه من دروس الشيخ أبي عبد الله بن ناصر. نفهم منه أن مواد الدراسة هي :

ــ الفقه : والمقرر فيه : المدونة، ومختصر الشيخ خليل.

ــ أصول الفقه : والمقرر فيه : جمع الجوامع لابن السبكي.

ــ اللغة والأدب : والمقرر فيهما : القاموس المحيط، والعقد الفريد، ومقامات الحريري والمعلقات العشر.

ــ النحو : والمقرر فيه : الفية ابن مالك، وتسهيله، وكتاب سيبويه.

---

(77) هو : بناصر بن عبد السلام بن امحمد بن بوبكر بن علي بن يوسف بن محمد الكبير بن أبي عبد الله محمد بن ناصر، نقيب الزاوية حاليا. أخذ على والده القرآن، والتفسير والحديث، والفقه والتاريخ خاصة العام، والجغرافية. وحدثني من لفظه أنه : قرأ بما قرأ به ابن قاسم. فقلت له وبم قرأ ابن القاسم ؟ فأجاب : بأب غني وقلب هني. وحدثني أنه حفظ رسائل اخوان الصفاء عن ظهر قلب. أجاز له محمد الراضي بن ادريس بن علي نزيل أزمور باجازة عامة مؤرخة في فاتح سنة (1377هـ) وأجاز له الشيخ رحالي الفاروقي باجازة عامة أيضا ضمنها أعلى أسانيده في صحيح البخاري بتاريخ 25 جمادى الأولى عام 1395هـ موافق 06 /6 /1975م. وولد المترجم له عام (1336هـ) موافق (1916) ولازال على قيد الحياة متع الله بوجوده.

ـ الحديث ـ وهو الذي يهمنا ـ والمقرر فيه : الكتب الستة التي تحظى هناك بعناية خاصة، وهذه العناية تتمثل في تخصيصه لدراستها ما بين الظهرين طيلة أيام السنة، وفي رمضان يرجع لسرد البخاري. قال محمد بن عبد السلام الناصري [78] : «وكان الشيخ أبو عبد الله بن ناصر يعمر ما بين الظهرين دائما في أيام السنة بقراءة الكتب الستة دراية، فكلما ختم واحدا بدأ آخر. وفي رمضان يعود لسرد البخاري على عادة ابن غازي....».

وهو في أول أمره يعتمد على أصله من نسخة ابن سعادة، واعتنى غاية الاعتناء بتحرير الروايات وتوجيهها بأحسن التوجيهات، قال ابن عبد السلام : «وقد كان الامام أبو عبد الله والد أبي العباس المذكور في زمانه معتنيا غاية الاعتناء بتحرير الروايات، وتوجيهها بأحسن التوجيهات، يشهد بذلك ما كتبه على أصله من ابن سعادة أبي عمران، قرين الأخذ مع عياض على أبي علي الصدفي» [79].

وبعد أن اجتمعت لديه عدة نسخ أهداها إليه تلامذته. اختار نسخة أبي ذر الهروي. قال في المزايا : «ثم إن الامام أبا زيد عبد الرحمن المكناسي، أهدى لشيخه ابن ناصر المذكور نسخة رباعية من ثمانية عشرة جزءا، رواية أبي ذر الهروي من المشارقة يروي عن البخاري بواسطة الكشميمني عن الفربري ثم تنافس تلامذته : اليوسي، والتجمعتي، والعياشي، وأبو الحسن علي المراكشي في ذلك فجاء كل للشيخ بنسخة جيدة مقروءة، فراى الشيخ اختيار رواية أبي ذر، فالتزم القراءة منها حتى أظهر ابنه أبو العباس رواية اليونيني...» [80].

منهجه في التدريس، ونظام الدراسة :

أما عن منهجه في التدريس فقد أجمعت مصادر ترجمته على أنه كان يقتصر على صورة المسألة وحل المشكل، وكان يرى أن كثرة التنقل ضررها بالمتعلم أكثر من نفعها. وذلك ما لم يراجع في مسألة من المسائل المطروحة في مجلسه.

---

(78) محمد بن عبد السلام الناصري السلاوي. قيل : ليس في آل ناصر اعلم منه بعد الشيخين. أخذ بفاس على شيوخ عدة منهم أبي زرعة العراقي، كانت له حظوة عند المولى سليمان وكان هذا الأخير يبعث معه هداياه إلى أمراء الحرمين، ومصر والشام. له عدة تآليف منها : المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا ومنها : الرحلة الحجازية. مات رحمه الله عام 1238هـ.

(79) المزايا فيما حدث من البدع بام الزوايا لوحة 19.

(80) المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا لوحة 17.

وأما عن نظام الدراسة : فإنه كان يتخول طلبته بالموعظة مخافة السآمة عليهم، فكانت هناك فترات راحة يومية، وعطلة أسبوعية، وعطلة سنوية. ولعل العطلة الأسبوعية تقليد لدى كافة المغاربة ويؤكد ذلك قول أبي العباس أحمد بن ناصر في رحلته وهو يتحدث عن عادات أهل المدينة المنورة : «ومن عادات المدرسين أيضا في المدينة : تعطيل القراءة في المكاتب والتدريس يوم الثلاثاء، والجمعة، ويقرأون فيما سوى ذلك من الأيام. خلاف عادتنا في المغرب من التعطيل يوم الخميس والجمعة» (81).

وعن العطلة السنوية يقول ابن عبد السلام : «والذي أدركنا عليه من هو أهل للولاية بالزاوية ينظر الأقوى والأصلح والأعلم، فيفوض له الأمر في الكتب، يدخل للخزانة حتى يأخذ ما فيه كفاية الطلبة ويعطي كلا من المتعلمين بالزمام ما يحتاجه، وعلى رأس كل سنة في آخر رمضان يحضر الزمام ويعاهد كل من بيده كتابا من المعلمين والمتعلمين...».

أما فيما يخص فترات الراحة اليومية وعطل الأعياد (الدينية) فيمكنني تفسيرها بما أدركت عليه قراءة القرآن بالمحضر على شيخنا الطالب (82) يدير هو ما أعتبره موروثا لنا عن العصر الزاهر.

---

(81) الرحلة الناصرية ص 57 ــ 3. المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا لوحة 53.

(82) (الطالب) في عرف المنطقة يعني الشيخ، وشيخنا حفظه الله يدير بن محمد أخذ القرآن برواية ورش عن شيخه محماد أحماد بالدار البيضاء وكان يتقنها جيدا، واستشرطه أهل البلاد بعد عودته إليها لفقدان بصره، وكانت الدراسة اليومية عنده تتم على فترتين : صباحية ومسائية.

فالفترة الصباحية تمتد من صلاة الفجر إلى الساعة العاشرة، وفيها يتم ما وصفت من تجديد الألواح، بعد عرضها على الفقيه. وكتابة الجديد.

والفترة المسائية : ما بين صلاة الظهرين، وفيها يتم تصحيح ماكتبجديدا في فترة الصباح. يقرأ فيه الفقيه مع كل طالب لوحة آية آية، يتقدم الشيخ باللفظ بها ويرددها الطالب خلفه، هذا إذا كان الطالب مبتدئا. وإذا كان ممن أخذ بقسط من التعليم فانه يقرأ مع الفقيه مباشرة بقراءة نموذجية، حسب رغبة الطالب، إذ هناك قراءات نموذجية ونسميها ب : (الجر) مثل : الجر الفيلالي، والجر البيضاوي، والجر الدكالي...

وفي الفترة المسائية أيضا : يكرر الطلبة ألواحهم ويحفظونها مستعدين لعرض حفظهم على الشيخ صبيحة غده. وكلما أنهى الطالب سورة أو حزبا لا يأذن له الشيخ في الشروع في التي بعدها حتى يعرض عليه التي أنهاها بحفظ تام كالماء أو كما يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾.

ويستثنى من هذا النظام اليومي في الدراسة، يوم الخميس فليس فيه إلا الفترة الصباحية ويوم الجمعة كله عطلة.

شيوخ المدرسة :

يبدو أن الشيخ ابن ناصر تحمل وحده عبىء التدريس بمدرسته لمدة لا تقل عن خمسة عشر عاما. إلى أن أدركته طلائع طلبته وهم :

ـــ محمد بن عبد المومن الدرعي.
ـــ أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي.
ـــ أبو العباس الجزولي الشهير بالهشتوكي.

وقبل عرض بطاقات تشريعية بهؤلاء الطلبة الشيوخ، أشير إلى شيخ كبير استعاره ابن ناصر من الخارج. وترغيبا له في الاقامة عنده زوجه أخته ثم ابنته، هذا الشيخ هو محمد بن أبي يحيى بن محمد بن فتوح التلمساني الأصل والمنشأ، الدرعي الدار والملحد، المقريء، الشهير بالشيخ. أخذ بمصر عن تاج المقرئين في عصره : أبي العز سلطان. واجتمع بالشيخ ابن ناصر عند طلوعه للحج الشريف، فأخذ عنه، وتلقن منه الذكر، وصحبه في رجوعه للمغرب، ونزل عنده بالزاوية. فزوجه الشيخ اخته، ثم انها كانت عقيمة، فتبين للشيخ أنه يريد الأولاد، فقال له : طلقها وأزوجك ابنتي لعل الله يرزقك معها ذرية صالحة. فطلقها وزوجه ابنته شقيقة خليفته (83) أبي العباس أحمد بن ناصر. وولد له معها عدة أولاد ماتوا كلهم في الطاعون، ولم يبق منهم إلا سليمان (84).

وكانت وفاة صاحب الترجمة بالأكتاوة عام اثني عشرة ومائة وألف (1112هـ) (85).

ولنرجع الآن إلى الطلبة الشيوخ. فأقول وعلى الله أتكل :

1. محمد بن عبد المومن بن أحمد بن عبد الله بن عبد المومن بن عمرو بن موسى بن الحسين بن جرير، أبو عبد الله الدرعي. التزروتي المنشأ والملحد، الفرضي الحيسوبي المؤقت.

---

(83) للشيخ أبي العباس أحمد بن ناصر شقائق، والمعنية بالأمر هنا أم كلثوم. قال في طلعة المشتري نقلا عن شقيقها أبي العباس : كانت حافظة للقرآن وختمته مرارا، وحفظت مساعدة الاخوان، والوسيلة، وسيف النصر والوغليسية، وقرأت البردة وكان زواجها بالشيخ المذكور سنة (1076هـ) ماتت رحمة الله عليها في 11 ربيع الأول عام (1091هـ) طلعة المشتري ص 14 ج2.

(84) ذكر في طلعة المشتري أن اسمه : (أحمد).

(85) الدرر المرصعة لوحة 362.

أخذ عن جماعة من الشيوخ من أشهرهم :

ـــ الامام أبو عبد الله ابن ناصر. ثم رحل إلى فاس، فأخذ بها عن جماعة منهم :

ـــ أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي.

ـــ العلامة المؤقت علي بن محمد الدادسي. وغيرهما.

كانت له اليد الطولى في علم النجامة والتوقيت، ومن آثاره شرحان على منظومة شيخه الدادسي في التوقيت، أحدهما كبير، والثاني صغير. مات رحمه الله سنة خمس وثلاثين ومائة وألف (1135هـ) [86].

2. أبو سالم العياشي : عبد الله بن سالم بن أبي بكر العياشي، جد سيدي حمزة مؤسس الزاوية الحمزاوية بتافيلالت الرحالة المغربي الكبير.

أخذ عن الشيخ ابن ناصر بتمكروت، ودرس بها الحديث، وعنه أخذ أبو العباس أحمد بن ناصر صحيح البخاري، فأجازه فيه وفي غيره.

له عدة مؤلفات منها فهرستان وهما :

ـــ «اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر» وتسمى أيضا : «مسالك الهداية إلى معالم الرواية» [87]. ذكر فيها مشايخه المشارقة والمغاربة وأسانيدهم.

«اتحاف الأخلاء باجازات الأجلاء» [88]. أثبت فيها الاجازات التي كتبها له مشايخه المشارقة، وأسماء أصحابه الذين استدعى منهم الاجازة. «وهو أحد من أحيا بهم الله طريق الرواية بعد أن كانت شمسها على أشراف النخيل، ووجد من فنون الأثر كل رسم محيل...» [89].

مات رحمه الله سنة تسعين والف (1090 هـ).

---

(86) المصدر نفسه لوحة 367 /368. ويدل على كونه شيخا بالزاوية أنه من شيوخ أبي العباس أحمد بن ناصر.

(87) المصادر العربية لتاريخ المغرب للاستاذ محمد المنوني نشر كلية الآداب بالرباط ص 171.

(88) المصدر السابق ص 172.

(89) صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر ص 191.

3. أبو علي اليوسي : الحسن بن مسعود اليوسي. نسبة إلى يوسى قبيلة من قبائل برابرة ملوية. ولد سنة أربعين والف (1040هـ) وتنقل بين أقطار المغرب طلبا للعلم. فوجد مبتغاه في مدرستي الدلاء، وتمكروت.

فبخصوص علاقته بتمكروت واتصاله بها، يقول في معرض ذكره شيخه ابن ناصر : «وكنت وردت عليه في أعوام الستين وألف بقصد أخذ العلم» (90).

ومن هذا التصريح، يتضح أن علاقته بتمكروت كانت وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، وزارها أيضا في أعوام السبعين برسم مدح شيخه ابن ناصر بداليته (91) المشهورة، وتهنئته بسلامة العودة من الحج. وفي هذا يقول : «كنت في أعوام السبعين، قصدت إلى شيخنا البركة، وقدوتنا في السكون والحركة، أبي عبد الله ابن ناصر» (92).

وبعد ذلك توالت زياراته لها كل سنة. في موسم عاشوراء، قال في المزايا : «وسبب تأخير ختم البخاري المسرود في رمضان بالزاوية، إلى يوم عاشوراء، هو أن الامام اليوسي، وغيره من العلماء المترددين لزيارة الشيخ ابن ناصر قالوا له : تعذر علينا حضور قراءة الصحيح في رمضان عندكم، وأحببنا ــ إذا فاتنا ــ حضور ختمه تبركا. فوافقهم الشيخ على تأخيره لهذا اليوم المبارك فجعلوا يقصدونه في هذا اليوم، فتجتمع الآلاف من الواردين والزوار.» (93).

وقد يكون أخذ من أخذ عليه بالزاوية أثناء هذه الزيارات المتكررة. أما ما درسه من العلوم، فغير واضح لأنه متعدد المعارف، وقد يكون حاضر في غير مادة.

---

(90) المحاضرات في اللغة والأدب لليوسي ص 18.

(91) مطلعها :

عرج بمنعرج الهضاب الورد	بين اللصاب وبين ذات الأرمد
وأجز من الجزع الذي بحضيضه	أجدات أصداء العشير الهمد

وهي حوالي لخمسمائة بيت، أجمع كل من تعرض لذكرها أنها تضاهي المعلقات من حيث جزالة اللفظ. وقد شرحها اليوسي نفسه بشرح سماه (الأماني في شرح التهاني) بين في مطلعه ما ضمنها من الفنون وهي منشورة ضمن طلعة المشتري من ص 188 إلى 205 وقد عارضها غير واحد مثل سيدي عبد القادر التاستوتي.

(92) المحاضرات في اللغة والأدب ص 226 طلعة المشتري ص 162 ج 1.

(93) المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا لوحة 19.

مات رحمه الله في 15 ذي الحجة عام اثنين ومائة والف (1102 هـ) بعد أن أغنى المكتبة العربية بجملة من الاثار العلمية، أذكر منها :

ــ المحاضرات في اللغة والأدب (مطبوع)

ــ فهرسته. من مخطوطاتها 1427 خ ع ك من مطبوع من ص 123 إلى 189.

ــ القانون (94)، وهو كتاب تعليمي أشبه ما يكون بجامع بيان العلم وفضه لابن عبد البر... مطبوع بالحجرية

ــ القصيدة الرائية. رثى بها الزاوية الدلائية...

4. أبو العباس الهشتوكي : أحمد بن محمد بن داود بن يعزى بن يوسف، الجزولي التملي نسبا لحزي.

أخذ عن أبي عبد الله بن ناصر، ولزمه مدة عشرين سنة، حتى أجازه. وأخذ عن أبي سالم العياشي، وعدة من علماء فاس. وكان في أول أمره قليل الفهم، حتى حكي عنه أنه قال : «قرأت الجرومية ثمانية عشر مرة، وأنا لا أفهم : قال زيد، ولا قعد زيد». ثم فتح الله عليه حتى بلغ خطة الفتوى، وتولى القضاء بمدينة تغازى ببلاد السودان. ونال بها أمر الأعظمية، وأخذ عنه جملة وافرة من علمائها وأجازهم.

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

له عدة تآليف منها :

ــ إنارة البصائر في ذكر مناقب القطب ابن ناصر وحزبه الأئمة الهداة الأكابر.

ــ شرح قواعد الاسلام لأبي علي اليوسي.

ــ شرح على السلم المرونق.

ــ شرح الجملة المجرادية.

---

(94) قسمه إلى ثلاثة أبواب هي :

الباب الأول : في أحكام العلم موزعة بين خمسة عشر فصلا وخاتمة.

الباب الثاني : في أحكام العالم في ستة عشر فصلا وخاتمة.

الباب الثالث : في أحكام المتعلم في سبعة عشرة فصلا وخاتمة. من المصادر العربية ص 202 /203.

(95) الدرر المرصعة (باختصار) من لوحة 20 إلى لوحة 26.

ــ التحفة في النحو.

ــ جواهر المعاني فيما يتعلق بأحكام الروح النوراني.

ــ الدر المنظم في إضافة حروف المعجم.

ــ القلم المبسوط في بيان حكم بيع المضغوط.

ــ أرجوزة في تحريم الدخان، سماها : اللؤلؤ والمرجان في تحريم الدخان.

ــ رحلة إلى الحج. ذكر فيها من لقيهم من الأعلام في طريقه.

ــ تقاييد ما بين أسئلة وأجوبة، قال محمد المكي بن موسى الناصري : «لو جمعت لأتت في مؤلفات» [96].

ــ فهرسته المسماة : قرى العجلان بإجازات الاخوان.

مات رحمه الله عند طلوع فجر الواحد عشر من جمادى الثانية عام سبعة وعشرين ومائة وألف (1127هـ) ودفن في المقبرة التي بداخل الزاوية.

5. أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن محمد بن منصور بن داود بن مسلم السباعي الأستاذ، الامام، العلامة، المقريء، المحقق.

ولد سنة أربع وثلاثين وألف (1034 هـ) وقيل سنة سبع وثلاثين والف (1037هـ).

أخذ عن ابن ناصر، وحضر دروسه في الفقه، والحديث، والتفسير، واللغة. وكان عنده المخصوص من العلوم، والمشار إليه بالمنطوق والمفهوم. واختصه بتأديب ولده الخليفة أبي العباس وإقرائه.

وممن أخذ عنه من غير ابن ناصر محمد بن سعيد السوسي المرغيتي، وأبي سالم العياشي، وعلماء فاس، ولقي في رحلته إلى المشرق عددا من الأعلام بمكة، والمدينة، ودمشق، ومصر...

استقر بالزاوية الناصرية، واشتغل فيها بالتدريس، وكان قدومه إليها، سنة اثنتين وخمسين والف (1052هـ).

والغالب عليه إقراؤه علم القراءات وممن أخذها عنه :

ــ أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر.

---

(96) الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة لوحة 26.

ـــ أبو العباس محمد بن عبد الرحمن بن عبد الملك السجلماسي الأنصاري نزيل درعة، ودفين الزاوية الناصرية.

وأخذ عنه أيضا :

ـــ أبو عبد الله الحوات.

ـــ أبو عمران موسى بن محمد الكبير بن محمد بن ناصر، وأجاز له هو والذي قبله.

من آثاره العلمية :

ـــ قصيدة في القراءات سماها : سمط الجمان في قراءات السبعة النعمان.

ـــ فهرسته المسماة الشموس المشرقة بأسانيد المشارقة والمغاربة.

قال محمد المكي بن موسى الناصري : «وأنشأ صاحب الترجمة كتبا كثيرة، وحبسها على من ينتفع بها (من ولده وغيرهم ما لم تكن فيه أهلية) [97] وأشهد على نفسه بذلك».

مات رحمه الله سنة خمس وثلاثين ومائة وألف (1135هـ) [98].

الطلبـــة :

إلى جانب الطلبة الشيوخ الآنفي الذكر، هناك عدد كثيرون من طلبة الزاوية في عهد الشيخ أبي عبد الله ابن ناصر، لا يحصرهم عد. وقد ذهب الشيخ في محاضرة له حول تمكروت إلى أنه كان يتخرج فيها على عهد الشيخ أبي عبد الله سنويا، أربعمائة وألف طالب.

وبضرب عدد الخريجين السنوي في مدة الشيخ الرسمية بتمكروت، وهي ثلاثون سنة (1055 إلى 1085هـ) يكون الناتج اثنين وأربعين ألف طالب، ولعله لا مبالغة فيه.

وقد وعد محمد المكي الناصري بأنه سيفردهم بتأليف مستقل ان فسح الله له في العمر حيث قال : «إن فسح الله في العمر فأفردهم بتأليف أسميه : بهجة المعاصر

---

(97) كذا في الأصل.

(98) الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة لوحة 109.

في من قرأ على الشيخ أبي عبد الله بن ناصر» [99] وذلك بعد أن ذكر منهم طائفة.

ومن أجل هذه الكثرة، وحيث أن المنبث لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى فسأكتفي بالاشارة إلى بعضهم في مجموعتين.

أ. أولاد الشيخ أبي عبد الله ابن ناصر.

ب. الطلبة الأجانب.

أ. أولاد الشيخ :

أنجب الشيخ ابن ناصر اثني عشر ولدا ذكرا، وعُرِفُوا كلهم بالصلاح. وأما العلم فعرف به منهم أربعة هم :

1. أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر : ولد سنة سبع وخمسين وألف (1057 هـ). وهو خليفة والده، وهو أصغر بني أبيه.

أخذ عن والده، وشيوخ مغاربة ومشارقة وأجازوه، بعضهم بلفظه، وبعضهم بخطه، وقد أثبتها في رحلته. وبعضها ـــ إجازاته ـــ في «فتح الملك الناصر في اجازات مرويات بني ناصر».

توفي رحمه الله سنة تسع وعشرين ومائة وألف (1129 هـ). وسيأتي مزيد الكلام عليه في مبحث لاحق بحول الله.

2. أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر : ولد سنة سبع وخمسين والف (1057هـ).

أخذ عن والده، وأبي سالم العياشي، وبعثه والده إلى فاس فأخذ عن علمائها ومنهم اليوسي، وأجازه غير واحد بخطه، وبعض اجازاته مثبتة في «فتح الملك الناصر».

توفي رحمه الله سنة احدى وتسعين والف (1091هـ).

---

(99) هناك عدة مؤلفات في طلبة الزاوية الناصرية منها :

ـــ الدرة الجلية في مناقب الخليفة لمحمد بن عبدالله الحسني البوشعيبي الحسني كان بقيد الحياة عام 1203 هـ دون فيه مآثر الشيخ أبي العباس أحمد ابن ناصر ومعه أشياخه وخلفاؤه. من بعد وضمنه حوالي (250) ترجمة لتلامذته.

ـــ تحفة المعاصر في بعض صالحي تلامذة أبي عبد الله بن ناصر. لمحمد بن عبد الله الحوات والد سليمان الحوات وهو مطبوع بالحجرية (من دورية المناهل ص 24 عدد (15) الخاص بذكرى أبي علي اليوسي.

3. أبو الحسن علي بن محمد بن ناصر : أخذ عن والده وأبي عبد الله محمد بن سعيد السوسي المرغيتي، المراكشي الدار السوسي الأصل. وأبي علي اليوسي، وأبي سالم العياشي وأجازه، واجازاته في «فتح الملك الناصر» مع اجازاته الأخرى من أعلام فاس.

وبعد وفاة والده حدث خلاف بينه وبين أبي العباس الخليفة. فهاجر إلى سوس فأسس به زاوية فرعية، وبقي بها إلى أن مات سنة تسع ومائة والف هجرية (1109هـ) وأمر أبو العباس بحمله إلى الزاوية الناصرية فحمل إليها.

وأجيز من قبل أعلام أجلاء واجازاته مثبتة في «فتخ الملك الناصر»

4. محمد الكبير بن ناصر : ولد سنة ست وأربعين ألف(1046هـ).

أخذ عن والده وتدبج معه ورحل إلى فاس، فأخذ عن علمائها. واستجاز محمد بن عبد الرحمن بن محمد الروداني التلمساني فأجازه، وهي في «فتح الملك الناصر». له معرفة بعلم الجدول، فَنَهَاهُ والده عن تعاطيه، فأبى إلا أن يضمن له الرزق، وهو والد أبي عمران موسى خليفة الزاوية بعد أبي العباس، نزل بأرض البربر بالغرب، بزاويته المعروفة بتمكروت وبها توفي يوم الاثنين التاسع والعشرين من صفر عام ستة وعشرين ومائة وألف (1126هـ).

ب. الطلبـــة :

1. أبو مروان التجمعتي : عبد الملك بن محمد بن مروان، العباسي السجلماسي أخذ عن أبي عبد الله بن ناصر. وولاه المولى الرشيد قضاء سجلماسة، وهو الذي كاتبه ابن ناصر في شأن القاضي محمد بن علي الدادسي، في شأن القائد عبد الملك توفي رحمه الله سنة ثماني عشرة ومائة وألف (1118هـ).

2. أبو عبد الله محمد بن سليمان الروداني، قرأ على الشيخ ابن ناصر بتمكروت أربع سنوات، ثم طاف في البلاد، وحط رحاله ببلاد الحرمين مجاورا. والتقى به هناك شيخه ابن ناصر فساعده في شراء أمة ثم كاتبه ابن ناصر في شأنها لما حملت منه يخبو فيها بصلاحها ويشكره. من مآثره العلمية : فهرسته المسماة بـ «صلة الخلف بموصول السلف».

ووصفه اليفرني في الصفوة [100] بأنه شعلة الذكاء وحكيم الاسلام. توفي رحمه الله سنة خمس وتسعين والف (1095هـ).

3. المولى محمد بن الشريف، أيام زيارته تمكروت في عهد ولايته بدرعة قال في الدرر المرصعة : «... وأنه درس فيها الكتب المتداولة بين الناس كلها. أقرأ الألفية لأولاده مرارا، والتسهيل للعالم البليغ، الأورع، والسيد الجليل الأرفع، مولانا محمد بن الشريف السجلماسي، وجماعة من الأئمة». [101]

واكتفي من الطلبة بهذا القدر.

وضع أساس الخزانة الأثرية

ما من نشاط إلا ولابد له من أدوات، والعلم نشاط من الأنشطة، وأدواته المصادر وخاصة العلوم الاسلامية النقلية. ولذلك اهتم بها المسلمون منذ القديم فخصصوا لها بنايات عرفت بدار الكتب أو الخزانة. تعظيما لشأنها وإجلالا لها.

ولما كانت الثقافة التمكروتية اسلامية محضة، فلابد لها من مصادر ولابد لهذه المصادر من خزانة تحويها. وهذا ما حدث بالطبع وخاصة في عهد أبي العباس بعد أن وضع أبو عبد الله ابن ناصر أسستها بما يلي :

1. النسخ بيده : قال محمد المكي بن موسى الناصري : «فنسخ بخط يده الكريمة، عدة كتب منها : القاموس المحيط، والقاموس الوسيط، والمرادي على التسهيل، وأمالي أبي علي القالي وبعض أجزاء العقد الفريد لابن عبد ربه» [102].

2. الاستنساخ : ومما وقفت على أنه استنسخه كتاب «الحلية» لأبي نعيم الأصفهاني. قال أحمد بن خالد الناصري : «ومن جوده رضي الله عنه أن الامام العلامة سيدي المهدي الفاسي شارح دلائل الخيرات وغيره، نسخ للشيخ رضي الله عنه بيده كتاب الحلية للحافظ أبي نعيم، فوصله الشيخ رضي الله عنه، بثمانمائة مثقال سكة ذلك التاريخ» [103].

---

(100) صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر ص 196.

(101) الدرر المرصعة لوحة 284.

(102) نفسه لوحة 271.

(103) طلعة المشتري في النسب الجعفري ص 303 /304.

3. هدايا طلبته [104].

4. تآليفه، ويغلب عليها الطابع الفقهي، وغالبها منظوم وهي :

أ. غنيمة العبد المنيب في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب [105]. قال في الدرر المرصعة : «أبدع فيها وأغرب، وأتى فيها بما أعجب وأطرب وأكثر فيها من اللغات [106] قصدا منه بذلك على ما قيل، تعليم أهل هذه الأزمنة التي غلب عليها واستولت على ألسنتها العجمة واللكنة، اللغة التي يفهم بها كتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ» [107].

وهذا التأليف قد شرحه غير واحد، ممن يأتي الحديث عنهم.

ب. مساعدة الاخوان. وهي أيضا مشروحة من طرف عدد من طلبة الشيخ.

ج. مناسك الحج. قال عنه في الدرر المرصعة : «اعتمدها أهل هذه الآفاق الغربية لكونه أوضح فيها المحتاج إليه في أفعال الحج والعمرة» [108].

هـ. خطبه البليغة.

و. الأجوبة الناصرية في بعض مسائل أهل البادية. جمعها تلميذه محمد بن أبي القاسم الصنهاجي.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ز. سيف النصر. قال في الدرر المرصعة : «...الشائع الذكر، المواظب على قراءته حملة القرآن فراغهم من الحزب...» [109].

وقد شرحه غير واحد، ومن شروحه «هداية مالك الأمر إلى موارد سيف النصر» لأبي علي الحسين بن شرحبيل البوسعيدي.

---

(104) سبقت الاشارة إلى نسخ البخاري التي تنافس طلبته في اهدائها إليه.

(105) غالبها ضمنه أحمد بن خالد الناصري طلعته فنشر ضمنها بدءا من ص 313 ج 1 إلى آخر ج1. وفي الدرر المرصعة. سماها (الغنيمة في الصلاة على خير البرية).

(106) بياض في الأصل.

(107) الدرر المرصعة لوحة 279.

(108) المصدر أعلاه لوحة. 28.

(109) الدرر المرصعة. لوحة : 281.

ح. اصطلاحات في العربية.

ويضاف إلى ذلك تصحيحه للكتب ومقابلتها، وكتابةالفوائد عليها وتحشيتها. قال في الدرر المرصعة، نقلا عن الجزولي في الانارة بعد ذكره ما نسخه : «وفي تصحيح الكتب. ومقابلتها، وكتب الفوائد على حواشيها. وقد رأيت كثيرا من كتبه عليها خط يده بمقابلة وطررا، وخصوصا نسخ الصحيحين وقد رأيت كراريس عديدة، لدى ولده وخليفته مولانا أبي العباس، وقانا الله واياه مصارع الخزي والباس، على صحيح البخاري نافعة جدا لوأتمها» (110).

5. الشراء : قال في الدرر نقلا عن الانارة : «واشتغل الشيخ بتعليم عباد الله، والمطالعة، وجمع الكتب : نسخا وشراء» (111) وذكر السي الشيخ في محاضرة له حول تمكروت : أنه كان مولعا بشراء الكتب حتى ان المصريين كلما رأوه يقولون : ها هو باز الكتب قد نزل.

تلك هي موارد خزانة الشيخ أبي عبد الله محمد بن ناصر ومقرها في بدء أمرها، حصير بعثه إليه تلميذه : منصور بن أحمد التيرسوتي ليفرشه لنومه مع حشمه. «فآثر وضع كتبه عليه على نفسه وحشمه. رضي الله عنه.» (112).

ولما جاء عهد خليفته أبي العباس أحمد بن ناصر بنى لها خزانة جيدة ممتازة كما سنرى في حينه.

هذا هو أبو عبد الله بن ناصر، ثالث الثلاثة الذين أبقى الله بهم العلم في المغرب، في القرن الحادي عشر، كما جاء في القولة المحكية عن الشيخ عبد الكبير السرغيني وهي : «لولا ثلاثة لانقطع العلم في المغرب في القرن الحادي عشر : لكثرة الفتن التي ظهرت فيه، وهم : سيدي محمد بن ناصر في درعة، ومحمد بن أبي بكر الدلائي في الدلاء، وعبد القادر الفاسي بفاس» (113).

وهذا هو بركة المغرب كما قال المحبي في «خلاصة الأثر» فيما نقله أحمد بن خالد الناصري : «أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي، المغربي، النحوي، الناظم،

(110) المصدر نفسه لوحة 271.

(111) نفسه لوحة 271.

(112) الدرر المرصعة لوحة : 271.

(113) نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ص 274 /275.

الناثر مجدد الطريقة الشاذلية، مربي العلماء والفقهاء، بركة المغرب صاحب الكشوفات، وواحد الدهر، أجمع المغاربة على جلاله وعظم قدره وما أحد بلغ رتبته في الاشتهار عندهم، فإني كثيرا ما أسأل عنه أحدا من المغاربة إلا ويبادرني بذكر فضائله وولايته من أول وهلة، ولا أراهم في وصف غيره كذلك» [114].

أسلم أبو عبد الله محمد بن ناصر نفسه لله راضيا مرضيا، غروب الثلاثاء سادس عشر صفر عام خمسة وثمانين وألف (1035هـ).

قال في «انارة البصائر» : «وصفرت منه البلاد في صفر، غروب الثلاثاء السادس عشر منه، عام خمس وثمانين وألف وهو ابن أربع وثمانين سنة» [115].

عصر التطور والازدهار: عهد أبي العباس (الخليفة 1085 ــ 1129هـ)

أبو العباس الخليفة :

هو أحمد بن محمد بن ناصر، والدته : حفصة بنت عبد الله الانصارية نجلة الأقطاب، وأرملة القطب أحمد بن ابراهيم الأنصاري.

ولد يوم الخميس ثامن عشر رمضان الأبرك عام سبعة وخمسين وألف (1057هـ) [116] نشأ في حجر والده، وعليه أخذ وتخرج في الفقه، والحديث والتفسير.

وقرأ الصحيح على أبي سالم عبد الله بن سالم العياشي فأجازه فيه وفي غيره.

وأخذ أيضا عن :

ــ أبي العباس الجزولي الشهير بالهشتوكي.

ــ ومحمد بن يحيى بن فتوح التلمساني.

ــ وأبي اسحاق ابراهيم بن علي بن محمد بن أحمد بن منصور.

وغيرهم من مشايخ الزاوية.

(114) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ج 4 ص 238. الدرر المرصعة لوحة 294.

(115) طلعة المشتري ص 11 ج 1.

(116) ترجمته مبسوطة في الدرر المرصعة من اللوحة 44 إلى 103، وطلعة المشتري في النسب الجعفري من ص 17 ج 2.

لقي في الشرق أثناء زياراته للديار المقدسة، أئمة أكابر، وعلماء مشاهير، رحبوا به في منازلهم، وفتحوا له أبواب خزائنهم، وأطلعوه على ذخائر كتبهم وأفادوه وأجازوه (117) باللفظ تارة وبالكتابة أخرى.

قال الناصري نقلا عن الروض الفائح لأبي علي المعداني (118) :
«هو شيخ المشايخ الأعيان، وغرة العصر والأوان، علم الأعلام، وقدوة الأكابر الكرام، ومحيي مآثر السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، لفيض مواهب الأسرار الالهية، ومربي أرباب الجذب والسلوك،... كان الشيخ الجليل القدر، العظيم الخطر، عالما عاملا، كاملا واصلا، آية الله في زمانه، ومنة من منن الله سبحانه على أهل عصره وأوانه. عظيم الشأن، غزير الاحسان،... وتتلمذ له خلق لا يحصى عددهم ممن سبقت لهم العناية من الرحمن الرحيم، لازال ماء مدده المعين جاريا، وسره في قلوب المحبين والصديقين ساريا» (119).

وفي الدرر المرصعة نقلا عن قرة عين المومنين لأحد المصريين (120) : «ومنهم الشيخ الفاضل، حاوي الفضائل، الشيخ أحمد بن ناصر المغربي المالكي الشاذلي،

---

(117) هذه الاجازات وخاصة المكتوبة أثبتها أبو العباس في رحلته وهي :
ــ اجازة الشيخ علي الزعتري سنة 1097 هـ ص 119 ج 1.
ــ اجازة الشيخ محمد البقري بتاريخ 17 صفر عام 1110هـ ص 140 /141
ــ اجازة الشيخ عبد الله بن سالم البصري أجازه لفظا ثم كتبها وأرسلها له ص 303 ج1.
ــ اجازة الشيخ اسماعيل خطيب الحرم بالمدينة 53 ج 2.
والاجازات المذكورة أثبتها محمدا لمكي بن موسى الناصري في «فتح الملك الناصير في اجازات مرويات بني ناصر» ومعهن أبي سالم العياشي للمترجم.

(118) هو أبو علي الحسين بن محمد الهداجي التادلي، كان حيا سنة (1180 هـ) واسم الكتاب (الروض اليانع الفائح في مناقب أبي عبد الله المدعو بالصالح». منه خمس نسخ بالخزانة العامة بالرباط. والسادسة بالخزانة الملكية تحت رقم 61 خ م.

(119) طلعة المشتري ص 99 ج 2.

(120) هذا المصدر، من مصادر الناصري في طلعة المشتري دون نسبة، وسعيت في الكشف عن مؤلفه فراجعت بعض الفهارس علني أجده منسوبا فلم أفلح.
لكن بمقارنة النص المقتبس وبالأخص عبارته «وجاء رضي الله عنه إلى بيتي وأكل من زادي» وما جاء في ص 134 ج 1 من الرحلة الناصرية وأبو العباس يذكر من لقيهم بمصر وأكرمهم « وممن أكرمنا بهذه المدينة وجهتنا قبل هذه واستدعانا لداره وبالغ في الاكرام : الشيخ حسن نقيب الأشراف» يمكن أن يكون صاحب قرة عين المؤمنين والله أعلم.

الأشعري، الصوفي، جاء رضي الله عنه إلى مصر المحروسة في سنة تسع ومائة والف (1109هـ) قاصدا للحج الشريف، ومعه تلامذة كثيرة. واجتمع غالب مصر* عليه، وأجمعوا على علمه، وصلاحه، وولايته... وكان رضي الله عنه يخضب لحيته بالحناء اتباعا للسنة المحمدية. وجاء رضي الله عنه إلى بيتي، وأكل من زادي هو وجماعة، ورأيته أزال بعض المنكرات بيده ولسانه» (121).

تولى رضي الله عنه شؤون الزاوية والنظر في أمورها، وهو ابن سبع وعشرين سنة (27 سنة) وخمسة أشهر. بعد أن تمرس بها في حياة والده. فقام بذلك أحسن قيام، وسعى في مصلحتها، وخاصة ما تعلق منها بالعلم وأهله، والعبادة ومرافقها.

قال في الدرر المرصعة نقلا عن أبي علي الحسين بن محمد بن شرحبيل البوسعيدي (122)، في تأليفه الموسوم بـ «هداية مالك الأمر إلى موارد سيف النصر» (123) : «ثم تولى بعد ذلك، بأمره، وإذنه وتوكيله قبل مرضه بأزمنة، وترك التصرف في الزاوية وأمورها كلها في صحته، وولي ذلك تولية شرعية ولده المرتضى، وخليفته سيف السنة المنتضى، سيدنا ومولانا أبو العباس وقانا الله وإياه مصارع الخزي والباس، بحضور شهادة الجم الغفير من الأئمة المشاهير، والفقهاء الأكابر. منهم أخوه سيدي الحسين بن ناصر، ومنهم الفقيه النبيه النزيه سيدي أحمد بن محمد الأخصاصي، وغيرهما. كما سطر ذلك في عقد وصيته رحمه الله تعالى وأسكنه بحبوحة جنته، فقام أيده الله بما استخلف عليه أحسن القيام، وزاد أشياء لم تكن في عهد والده الشيخ القطب الامام.

- بنى الصومعة بنيانا رصيفا.
- وجدد مسجد الخلوة تجديدا حسنا لم يكن عليه أولاً.
- وبنى درسا للتدريس جانبه عجيب (124).

---

(121) الدرر المرصعة لوحة 49.

* كذا بالأصل، غير أن الأستاذ ألح على أنه قد يكون هناك سقط كلمة : (علماء).

(122) سيأتي ذكره ضمن طلبة وشيوخ الزاوية فهو من خواص أبي العباس ومن الأصهار وقد نازع أبا عمران في ولاية الزاوية بعد أبي العباس.

(123) شرح به تأليف أبي عبد الله بن ناصر المسمى بسيف النصر. وهداية مالك الأمر إلى موارد سيف النصر، من مصادر الناصري في طلعة المشتري والناصري من المتأخرين، إلا أن مخطوطاته ما تزال مجهولة.

(124) هذه المآثر أدركنا الكثير منها، ولم تنمح إلا بعد فيضان (تلت) سنة 1986.

ـــ وبنى مسجدا خارج باب سنجلماسة، من زاويته.

ـــ وحفر بئرا بإزاء قبور شهداء الطاعون والوباء.

ـــ وبنى لديه بيتا لغسل الموتى

ـــ وبنى مسجدا جامعا وجعل فيه الخطبة بزاوية الفتح.

ـــ ومسجدا آخر جامعا أقام فيه الخطبة بزاوية البركة

ـــ وبنى مسجد آخر فيه خمسة صفوف بزاويته الجديدة بأمزرو.

وكل مسجد بمراحيضه الجيدة وحوانيته وبئره.

ـــ وبنى بمسجد الخلوة حماما وجعل من يخن الماء به ليلا ونهارا بحيث يجد مريد الطهارة ماء سخونا متى أحبه وأراده.

ـــ وبنى مسجدا آخر ومراحيض وبئرا للنساء داخل زاويته.

ـــ وخزانة للكتب،وميز خزانة كل نوع وصنف من العلوم بعلامة تميزه عن غيره.

ـــ وزاد أجنة وأمتعة للزاوية، واجتهد في منافعها وأمورها غاية.

وكان ذا خلق حسن، ونية صادقة محبا للعلم وأهله وتدريسه، وكان جوادا يكرم الطلبة، وغيرهم لا سيما طلبة العلم، وكان ذا احتمال وصبر وحلم وتواضع لا يخاف في الله لومة لائم» (125).

وحيث أن الله بسط له في الرزق فإنه بالغ في إكرام زوار الزاوية. عربا وعجما فقراء ومساكين، ملرسين وطلبة، وفي هذا يقول الحضيكي (126) : «ولقد أقام الزاوية لاقامة دين الله، واطعام الطعام، وتزدحم عليه وفود العرب والعجم، ويؤوي إليه الفقراء والمساكين وطلبة العلم، والمجاورين المقيمين من الفقهاء والمدرسين والعباد بأهاليهم، يأكلون ويشربون بفضل الله تعالى من لا يحصون عددا» (127).

(125) الدرر المرصعة لوحة 45 /46 قال بعد ذلك : قد أغفل كثيرا من مآثره ولعلها لم تكن إلا بعد تأليفه للكتاب المذكور، ومن أشهرها وأحسنها الزاوية المعروفة بزاوية الفضل.

(126) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله السوسي الجزولي اللكسي، ثم الايسي الشاذلي المشهور بالحضيكي مات رحمه الله سنة 1189 هـ وطبقاته. (وتسمى أيضا ب «مناقب الحضيكي») عرف فيها بصلحاء سوس في القرن العاشر وما بعده، وأحيانا صلحاء مناطق مغربية أخرى، وقليل من الشرقيين. رتبه على الحروف إلا أن تكون الأسماء في الحرف قليلة فيعدل إلى القرون. وقد يترجم لأهل المائة التاسعة، ومن مؤلفاته : كناشة الحضيكي.

(127) طبقات الحضيكي ص 79 ج 1. حضارة وادي درعة من خلال النصوص والآثار للاستاذ المنوني ص 17.

كان رحمه الله لا يلتفت إلى أرباب الولاية والمظالم، منكبا مع اشتغاله بما سبق ذكره، على التعلم مكبا على المطالعة، قائما على البخاري وغيره من كتب الحديث.

«لم يزل رضي الله عنه مكبا على سرد الحديث وتدريس العلوم، مواظبا على قراءة سيدي البخاري وغيره من كتب الصحة، وذلك من شأنه مشهور ومعلوم يحضر مجلسه الجم الغفير من العلماء الأعلام أهل الحفظ والذكاء ورؤساء الاسلام منهم العالم المحقق المتفنن في جميع العلوم، المدقق أبو عبد الله سيدي محمد الملقب بالصغير الورزازي الدرعي، والفقيه الحافظ سيدي عبد الكريم آسكي السوسي، والفقيه الامام العلامة الهمام المشارك أبو العباس سيدي أحمد الهشتوكي السوسي، والفقيه الصالح الولي الناصح أبو إسحاق سيدي إبراهيم الاستاذ، والعالم العامل الولي الكامل ولي عهده والخليفة من بعده أبو علي سيدي حسين بن محمد بن شرحبيل، والعالم صاحب السير النافعة والفهم أخو الشيخ سيدي محمد بن محمد بن ناصر وولده الفقيه المحدث سيدي موسى بن محمد المذكور وغيرهم من العلماء الوافدين عليه لطلب بركته وما لله من الأسرار والمواهب لديه لأنه كانت مجالسه نفعنا الله به مجالس علم وحكمة ومواعظ وأذكار ورحمة»[128].

وثناء أهل العلم والعرفان على أبي العباس لا ينتهي، ومناقبه لا تحصر وقد ألف فيها قديما بعض مخلصي مريديه[129].

ومما يجلي آثاره ما تخرج على يديه من العلماء الأفذاذ، سبق التعريف ببعضهم في عهد والده رحمهما الله.

واستكمالا للصورة أذكر بعض ما تيسر منهم. فأقول :

1. البوسعيدي : أبو علي الحسين بن محمد بن علي بن شرحبيل البوسعيدي ولد سنة تسع وسبعين وألف (1079هـ) على قول صاحب الدرر. وعلى قول صاحب طلعة المشتري سنة ست وسبعين وألف (1076 هـ)[130].

---

(128) طلعة المشتري ص 100 ج 1.

(129) هناك مثلا : أ. التنبيه على بعض فضائل أبي العباس أحمد بن ناصر لأحمد بن عبد الله يبورك المشتوكي منه نسخة بخزانة تمكروت تحت عدد 3877 ضمن مجموع 3070.
ب. مناقب أحمد بن ناصر لعلي بن أبي القاسم بن أحمد البوسعيدي منه بتمكروت نسخة تحت رقم 3878.

(130) الدرر المرصعة لوحة 132 /133. طلعة المشتري في النسب الجعفري ص 10، ج 1.

كان متفننا في جملة من العلوم العقلية والنقلية، وصحب الشيخ أبا العباس الخليفة في حجتين من حجاته الأربع، وشاركه في من أخذ عليهم بالشرق فيهما، وكان هو المخصوص به والمباشر له في غالب أحواله.

ومن شيوخه المعتمدين لديه أيضا أحمد بن محمد بن داود الشهير بالمشتوكي، إذ لازمة مدة مديدة تلقن الذكر عن أبي عبد الله بن ناصر. وزوجه أبو العباس أخته عاتكة [131] وبقي في الزاوية معززا مكرما حتى ظن وظن معه الناس أنه ولي عهد أبي العباس أحمد بن ناصر [132]، وقد نازع فيها بالفعل أبا عمران موسى بن محمد الكبير بن أبي عبد الله ابن ناصر [133]، ولما لم يتم له ذلك الأمر شد رحاله إلى ناحية سوس الأقصى، فأقام بها زاويته المعروفة ب «أمان ملولن» بالبربرية، بمعني الماء الأبيض، مات رحمه الله عام 1142هـ حسب الدرر، وحسب طلعة المشتري عام (1143هـ) ودفن بزاويته.

من مآثره العلمية :

— شرحان على صغرى السنوسي (العقيدة الصغرى).

— ثلاثة شروح على منظومة الشيخ أبي عبد الله بن ناصر (سيف النصر).

وشرع في شرح «غنيمة العبد المنيب» وهي منظومة أخرى لابي عبد الله ابن ناصر كذلك وشرع في جمع مناقب شيخه أبي العباس أحمد بن ناصر.

2. عبد الكريم بن علي بن محمد بن علي بن عمرو التدغي [134] الأصل الدرعي الدار، أبو محمد العالم العلامة، البحر الفهامة، المحدث المتقن، المتفنن، الرحالة.

---

(131) زوج أبو عبد الله ابن ناصر أخته ثم ابنته للفقيه محمد بن يحيى بن أبي فتوح التلمساني ترغيبا له في الاقامة بالزاوية. فاتخذ أبو العباس ذلك سنة فلم يصاهر بيقية أخواته وبنات إخوته إلا العلماء.

(132) لاحظ نعته بولي عهد الخليفة في النص المقتبس من الروض الفائح لأبي علي المعداني.

(133) معلومات هذا النزاع بسطها محمد المكي الناصري في الدرر عند ترجمته لوالده أبي عمران. وقد يكون هذاالنزاع بسبب اختصاره في ذكر أخبار المترجم له بما هو أهله. لأنه مادام أن أبا العباس جعله من خواصه فذلك دليل على أنه من الرجال المهمين.

(134) الدرر المرصعة لوحة 201 — طلعة المشتري ص 12 /13.

أخذ عن جماعة من الأعلام أشهرهم :
ــ أبو الحسن علي المراكشي.
ــ أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي.

ورحل إلى الشرق للحج فلقي به أعلاما كثيرين.

ورد الزاوية الناصرية قبل أعوام التسعين وألف وزوجه الخليفة أبوالعباس أخته سارة وبقي بالزاوية مدرسا إلى أن توفي ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الأولى عام اثنين وثلاثين ومائة وألف، ودفن بمقبرة الشيخ أبي القاسم التفنوتي، وصلى عليه أبو اسحاق إبراهيم بن علي الأستاذ بوصيته.

ويظهر مما نقله محمد بن موسى الناصر من خط أحمد بن صالح الدرعي الاكتاوي (135) أنه من مدرسي الحديث، فقد مهد لابيات نقلها بقوله :
«ومما صدر نظمه من محبنا وشيخنا العلامة الأورع الأذكى الأتقى، الزكي الأزكى، سيدي عبد الكريم التدغي نزيل الزاوية الناصرية حرس الله مجدها، وذلك في شهر ذي القعدة سنة 1107هـ، وأقام عندنا مدة تزيد على العشرين يوما. أفادنا فيها ما هو أهل له من العلوم التوحيدية، والأحاديث النبوية وغير ذلك من العلوم والاشارات الأدبية» (136).

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

3. أبو عبد الله محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن ناصر (137) المراكشي المنشأ الدرعي الدار والمدفن. ولد بمراكش سنة نيف وثمانين وألف وورد الزاوية الناصرية وهو ابن أربع عشرة سنة، وكفله الشيخ أبو العباس ابن ناصر، وزوجه بابنة أخته.

اشتغل بالقراءة والتعليم، ورحل إلى المشرق صحبة أبي العباس فحج، وبعد رجوعه ولاه الامامة والخطبة بالمسجد الجامع والنظر فيما له من الأوقاف، فقام بذلك أحسن القيام، واشتغل بالتدريس والاقراء فيه إلى أن توفي.

أخذ عن أبي العباس الخليفة، وأبي العباس الجزولي، وأبي عبد الله محمد

---

(135) يأتي فإنه من التلاميذ النجباء.
(136) الدرر المرصعة لوحة 203.
(137) الدرر المرصعة لوحة 372، طلعة المشتري ص 16 ج 1.

الصغير الورزازي، وأبي علي الحسين البوسعيدي، وأبي اسحاق ابراهيم بن علي السباعي الأستاذ.

توفي رحمه الله بالزاوية الناصرية في رابع عشر جمادى الأولى ليلة الجمعة عام أربعين ومائة وألف ودفن بالمقبرة التي بداخل الزاوية، وبقية الأصهار أخبارهم نادرة وان انتسبوا إلى العلم. أوردهم كالتالي :

أ. مولاي مسعود بن يحيى بن أبي فتوح التلمساني [138] الحسني السليماني. وهو شقيق محمد بن يحيى ابن أبي فتوح الذي زوجه أبو عبد الله أخته ثم ابنته أم كلثوم، ومولاي مسعود هذا زوجه أبو العباس شقيقته ميمونة.

ب. أبو العباس أحمد بن حسين بن ناصر [139] زوجه أبو العباس شقيقته أم سلمة، توفي رحمه الله بعد عودته من الحج صحبة أبي العباس في حجته عام 1096 هـ بطرابلس ليبيا ودفن بروضة أبي رواس.

ومنهم : عبد الرحمن اليعقوبي، ومولاي المامون، وأخبار هذين أقل من القليل.

بقيت زينب من بنات أبي عبد الله مجهولة البعل، ويذكر من أصهار أبي عبد الله بعض الورزازيين، وأشدهم اتصالا بالزاوية وأكثرهم احتكاكا بأهلها : أبو عبد الله الشهير بالصغير الورزازي ولابأس أن نلم ببعض أخباره باعتباره من الشيوخ المبرزين بتمكروت فأقول :

4. هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين الورزازي منشأ التمكروتي الدرعي أصلا وملتحدا الشهير بالصغير، وبالقاضي العالم العلامة الحافظ المتفنن. كان القاضي أبو محمد عبد الكبير بن أحمد يستخلفه لما علم من غزارة علمه، حيث لازمه مدة مديدة، ثم رحل إلى فاس فأخذ بها عن أبي العباس أحمد بن الحاج الفاسي، وأبي عبد الله محمد بن أحمد القسمطيني المعروف بالكماد.

رحل إلى المشرق صحبة أبي العباس ابن ناصر فشاركه فيمن لقي من الأعلام درس بالزاوية مدة في حياة أبي العباس وبعده قليلا، ثم ارتحل ثانيا إلى المشرق فحج ثم رجع إلى مصر واشتغل فيها بالتدريس، فدرس البيضاوي والكبرى حسب ما يفهم من

---

(138) طلعة المشتري ص 11 ج 2.

(139) الدرر المرصعة لوحة 17 /19. طلعة المشتري ص 11 /12.

رسالة له إلى أبي عمران موسى بن محمد الكبير خليفة أبي العباس، ومنها : «... واننا والحمد لله على خير وعافية فإني قدمت من مكة إلى مصر بنفسي وتركت هناك كتبي ومالي فإن جاءني ذلك في المركب بفضل الله فنستخير الله تعالى في الرجوع للحضرة والتوجه لناحيتكم، وإلا فنرجع إلى مكة. واما الآن فإني قد اشتغلت بالتدريس، فإني في هذه الساعة أدرس الكبرى والبيضاوي ونحوهما...» (140).

كان يخطىء في شرح المختصر أمام الطلبة بالزاوية ويبين لهم أن مصدر خطئه هو الأجهوري. فقالوا له فما نفعل ؟ قال : عليكم بالحطاب والمواق فإنهما يسوقان المشهور. ومن آثاره العلمية شرح على العقيدة السنوسية.

اعتنى به أبو العباس اعتناء تاما في مأكله ومشربه وغير ذلك توفي رحمه الله سنة 1138هـ أو سنة 1139هـ ودفن بمشهد ابن القاسم وأشهب.

5. عبد الكبير بن أحمد بن عبد الكبير بن الحسين الدرعي (141) أبو محمد المحقق الفهامة البارز في النوازل الأشهب قاضي درعة. أخذ عن أبي العباس أحمد الشهير بالعطار المراكشي، وأبي اسحاق ابراهيم بن علي السباعي، وأبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، وأبي مروان عبد الملك التجمعتي، وأبي العباس أحمد بن ناصر. وكلهم أجازوه. تولى خطة القضاء بدرعة سنة احدى ومائة وألف، وبقي فيها إلى أن توفي بداره من بلدة تنفو بدرعة يوم الجمعة من شعبان سنة ست وأربعين ومئة وألف. من آثاره العلمية حاشية على مختصر خليل.

6. علي بن أحمد بن محمد بن يعزى بن يوسف التملي (142) الجزولي نسبا الهشتوكي شهرة الدرعي الدار والنشأة والوفاة أبو الحسن ابن أبي عبد الله بن ناصر من ابنته أسماء. أخذ عن والده. وعن أبي علي الحسين بن شرحبيل البوسعيدي حيث لازمه مدة من الزمان وسافر معه إلى فاس. ثم رجع إلى الزاوية ولازمها. وربما درس فيها بعض الأحيان بداره.

كانت وفاته بها عشية يوم الأحد ليوم بقي من ذي الحجة سنة سبع وأربعين والف، ودفن بالمقبرة التي بداخل الزاوية إزاء قبر والده رحمهما الله ووالده هو صاحب

---

(140) الدرر المرصعة لوحة 369.

(141) الدرر المرصعة. لوحة 204 /205.

(142) المصدر نفسه. لوحة 251 /252.

القضاء بالسودان، وصاحب التآليف التي منها : انارة البصائر في مناقب القطب ابن ناصر وحزبه الأئمة الهداة الأكابر. (سبقت ترجمته)

7. عبد الرحمن بن عبد القادر بن ضيف الله السويدي النسب المكناسي المنشأ الدرعي الدار أبو زيد.

نزل الزاوية الناصرية ودرس بها وكان حسن الخط فنسخ للشيخ أبي العباس أحمد بن ناصر عدة كتب قال محمد المكي بن موسى الناصري : «وجدت بخطه في آخر بعضها (يعني الكتب) ما صورته : على يد عبد الله تعالى لمن غرضه مصيب، ومن حائز المآثر بأوفى نصيب سيدنا الامام مصباح الظلام، وقدوة الأنام، سيدي أبي العباس أحمد ابن القطب الشهير، الغوث الكبير سيدي محمد بن ناصر. لازالت سيرتهم دراري، وطريقهم الأحمدية كوكب نهاري، ومنازلهم المحفوفة بالخير والبركة ان شاء الله محط الصالحين من مخلوقات الكريم الوهاب الباري. انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير» (143). زوجه أبو العباس الخليفة سكينة بنت أخيه محمد الكبير بن محمد ابن ناصر، واستوطن الزاوية إلى أن توفي بها.

8. أحمد بن صالح بن المومن بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن يحيى (144) الشاوي أصلا الدرعي الاكتاوي مولدا ونشأة.

أخذ عن والده سيدي صالح وعن أبي العباس ابن ناصر، وعن أبي اسحاق ابراهيم بن علي الاستاذ السباعي، وعن أبي العباس أحمد الشهير بالحبيب السجلماسي. كانت له عارضة قوية في الحديث والطب وقرض الشعر.

قال محمد المكي بن موسى الناصري : «ولما قدم مولانا محمد بن السلطان اسماعيل رحمه الله، أميرا بوادي درعة، منع الناس من اقراء صحيح البخاري لأجل التصحيف واللكنة، والتحريف، إلا زاويتنا الناصرية عمرها الله بذكره. وكان يختبر الطلبة بالسرد في النسخة من الصحيح بخط مشرقي لا نقط فيها، فمن رآه خاليا مما ذكر، أقره وإلا فلا. وكان صاحب الترجمة هذا ممن يقرأ، فوشى به بعض الحسدة إلى

(143) الدرر المرصعة لوحة 95 /103.

(144) الدرر المرصعة لوحة 90 /91.

الأمير المذكور، فأمره بالقدوم عليه، فاختبره فوجده في غاية الفصاحة، فأقره على قراءته. فقال في الوشاة المذكورين قصيدة مطلعها :

أيا معشر الحساد موتوا بغيظكم وقولوا وشقشقوا فما ضرنا القول
هذا رمضان قد تهلـــــل نوره هلموا لتسمعوا الحديث الذي أتلى» [145]

من آثاره العلمية رحمه الله :

ـ منظومة في الطب سماها : (الهدية المقبولة في حلل الطب المشمولة)
ـ شرح المنظومة السابقة سماه : (الدرر المحمولة على الهدية المقبولة)
ـ ديوان شعر سماه : (إشفاء المريض، في بساط القريض)
ـ تنبيه السائل ببعض ما هو عنه سائل.
ـ الرحلة الشافية في الزيارة الكافية. جمع فيها رحلة أخيه أبي عبد الله محمد الحجازية.
ـ تجديد المراسيم البالية في السيرة الحسنية العالية (سيرة أبيه)

توفي رحمه الله سنة سبع وأربعين ومائة وألف (1147هـ).

9. موسى بن محمد الكبير بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر ابن عمرو، أبو عمران، الفقيه، المحدث، النحوي، اللغوي، الأديب، البياني. تولى الزاوية بعد أبي العباس.

ولد سنة ست وسبعين والف (1076هـ). والدته ميمونة بنت القطب أبي العباس أحمد بن ابراهيم الأنصاري، كلفه عمه أبو العباس الخليفة بعد وفاة والدته المذكورة بالطاعون سنة إحدى وتسعين والف (1091هـ) وتولى تربيته وتعليمه. أخذ العربية والبيان عن عمه أبي الحسن علي بن محمد بن ناصر، وكان يقرئه بضريح أبي القاسم الشيخ خارج الزاوية. ولازم مدة مديدة أبا العباس أحمد بن محمد بن داود بن يعزى المشتوكي. وأخذ العلوم العقلية عن أبي عبد الله محمد الشهير بالصغير الورزازي وأعظم استفادته من عمه أبي العباس أحمد الخليفة الذي أخذ عنه كتبا كثيرة خاصة الحديثية، مثل : «الموطأ ومسلما مرة، وابن ماجة مرة، والترمذي وأبي داود، مرة، وإرشاد الساري في شرح البخاري، من أوله إلى آخره... وصحيح البخاري غير ما

(145) الدرر المرصعة لوحة : 99.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

مرة. وكان قارئه في جلها، والمخصوص لديه بين أرباب دائرته وأهلها، وأجازه في الجميع». وأجازه في ما ذكر والسنن الصغرى للنسائي والشفاء للقاضي عياض والأربعين النووية، وسائر مصنفات النووي، والجامع الصغير للسيوطي أبو اسحاق ابراهيم بن علي الدرعي السباعي الأستاذ، وقال :«وكان أصلحه الله وأصلح به، ووصل الخيرات بسببه، قد لازم عمه الشيخ العالم الهمام السالك أبا العباس السيد أحمد بن شيخنا المذكور، وقرأ عليه كتبا منها : الموطأ مرة، ومسلم مرة، وابن ماجة مرة والترمذي مرة، وأبا داوود مرة وارشاد الساري من أوله إلى آخره، والبيضاوي مرة ورسالة القريشي مرة والعهود الصغرى مرة [146] وقوت القلوب مرة، والسهروردي مرة وابن عباد مرة، ولطائف المنن لابن عطاء الله مرة، والهدي النبوي لابن القيم مرة، والمواهب اللُّدُنية للقسطلاني مرة وسيرة الكلاعي مرة، والحلية لابي نعيم مرتين، وابن أبي جمرة مرتين، والمدخل مرة ومرادي ابن أبي جمرة ومرادي ابن الحاج، وغيرها من الكتب الاسلامية. وكان قارئه في جلها والمخصوص لديه بين أثرته وأهلها. وقد أجزته في ذلك كله...» [147].

كانت له اليد الطولى في علم الحديث والعربية واللغة والأدب والفقه، وخصوصا علمي الحديث والعربية. فمن ناحية مهارته واطلاعه في الحديث ما ذكر في الدرر المرصعة أثناء ترجمته ونصه : «وحدثني من لا أشك في حديثه أن الشيخ الوالد رحمه الله ورضي عنه في هذه المرة، أو في مرة أخرى، وافق قدومه قراءة البخاري بالحضرة بين يدي السلطان اسماعيل، وحضر جماعة وافرة من علماء الوقت، وأرباب الدولة، وكل خاص وعام. فحضر القراءة الشيخ الوالد وكان يجلس بحيث يسمع الحديث في زاوية من زوايا المسجد. فاتفق أن استشكل الحاضرون بعض المسائل الحديثية، فأجاب بعضهم بأحد أقوال العلماء فيها، فقالوا بأجمعهم : من يقول هذا ؟ فلم يدر ما يقول وبهت ونسي من أين علمه، فقال الشيخ الوالد لما سمع ذلك : نعم مقالته صحيحة، قالها فلان في شرح البخاري في سفر كذا باب كذا منه. فنظروا في الشرح المذكور فوجدوها كما ذكر في الجزء والباب منه فنظر إليه السلطان ونظر جميع أهل المجلس بنظرته وقال : من هذا الذي يتكلم ؟ فقالوا : يا سيدنا، ولد سيدي

(146) في الأصل : (مرة مرتين).

(147) فتح الملك الناصر في إجازات مرويات بني ناصر لوحة 26 وهي أول إجازة من اجازات الفصل الثالث.

أحمد ابن ناصر. فقال : مرحبا بدار العلم ما مثل هذا يجلس خلف الناس وفسح له في المجلس واستدعاه وعرف له قدره وزاد عنده الحظوة والشهرة وهذا مما يدل على اتقاد فهمه وحفظه رحمه الله» (148).

توفي صبيحة يوم الاثنين في شهر ربيع الأول عام اثنين وأربعين ومائة وألف بزاوية الشيخ المعروفة عند العامة بـ (تسغالين) ونقل إلى الزاوية ودفن بها.

وعن سبب وفاته خارج تمكروت يقول محمد المكي الناصري : «ولما دخلت سنة اثنتين وأربعين سافر من حضرة الزاوية المحروسة قصد النظر والوقوف على مالها بقطر سوس الأقصى من الأحباس : من زيت، وزرع وحديد، ونحاس، وغير ذلك لعدم ايصال شيء منها إلى الزاوية لاستيلاء بعض الكفرة الفجرة من المقدمين على ذلك، فسافر حتى بلغ زاوية أبي علي بن شرحبيل الموسومة بـ «أمامان ملولن» فلقيه بها وتكلم معه في ذلك. وكان المقدم المذكور من أصحابه وأتباعه المنوهين باسمه الزاعمين أنه الوصي، ووعده أن يكتب له ويأمره أن يرد ما أخذوه، ومنعه. وحاصل الأمر أنه لم يكتب له كما وعده بل رجع من مقالته، وركن إلى فعله القديم، فخرج الوالد من عنده وبقلبه نار تسعر. واجتاز بمراكش، ثم بدمنات وبها ابتدأه المرض الذي مات به. ثم لتادلة، ثم لزاوية الشيخ الموسومة بزاوية الفيض المعروفة عند العامة بـ «تسغالين» ثم اشتد به المرض وهو دماميل لم تضره كثيرا فتوفي» (149).

مظاهر العناية بالحديث النبوي الشريف

إذا ما حاولنا أن نقارن واقع الدراسة الحديثية في تمكروت، بين عصر التأسيس ــ عصر أبي عبد الله ــ وعصر النضج والازدهار ــ عصر أبي العباس ــ فإننا نستنتج منها أن هناك مزيدا من الاهتمام والعناية بالحديث في هذا الأخير، ــ ولا طعن في العهد السابق ــ وذلك لوجوه منها :

1 . وفرة شيوخها الرسميين : فإلى جانب الشيخ الخليفة، هناك الأستاذ أبو اسحاق ابراهيم بن علي السباعي، وهناك عبد الكريم التدغي، وقد نبهت إلى هذا في

(148) الدرر المرصعة. لوحة 389.

(149) المصدر أعلاه لوحة 411. ويستفاد من النص بعض مناطق انتشار الزوايا الفرعية لأم الزوايا وبعض مصادر اقتصادها.

ترجمته. في حين أن شيوخها في العهد الأول هم : الشيخ أبو عبد الله ابن ناصر رسميا، وأبو سالم العياشي أحيانا.

2. من حيث كتب الدراسة المعتمدة : في الفترة الأولى انصب الاهتمام أكثر على صحيح البخاري، والدواوين الحديثية الأخرى لا تذكر إلا عرضا. على عكس هذا العصر الذي نستطيع أن نحدد فيه، ما قرىء ويقرأ فأقول : «الموطأ للامام مالك وصحيح مسلم، وسنن ابن ماجة، وجامع الترمذي وسنن أبي داود، وصحيح البخاري، وارشاد الساري في شرح صحيح البخاري» (150)، ثم «السنن الصغرى للنسائي، والشفاء للقاضي عياض، والأربعين النووية، والجامع الصغير للسيوطي» (151). وعلى علو كعب الزاوية الناصرية في الحديث وعنايتها به شهادتان رسميتان، هما :

أ. اعفاؤها من الامتحان الذي أخضع له الشريف محمد بن السلطان لما تولى درعة كل من يريد أن يقرأ صحيح البخاري من أهل إيالته في نسخة لا نقط فيها.

ب. خطاب السلطان مولاي اسماعيل في ملا من أهل العلم، وأرباب دولته لابي عمران موسى بن محمد الكبير بقوله «مرحبا بدار العلم».

وهذا لم يكن صدفة وإلهاما. بل لازالت أسبابه تتخذ ويسعى له سعيه من لدن أبي عبد الله ابن ناصر مؤسس الزاوية. حيث كان يسعى سعيا حثيثا في الحصول على أجود النسخ وأصحها، خاصة صحيح البخاري الذي عنده منها :

— نسخة من أصل ابن سعادة واعتمدها صدرا من ولايته.

— نسخة من طريق أبي ذر الهروي، واختيار أبي ذر الهروي، لأن أبا ذر يروي عن الكشميني وهو عن الفربري عن أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري أهداها إليه تلميذه أبو زيد عبد الرحمن المكناسي. فاعتمدها بقية حياته. ونسخ أخرى أهداها إليه تلامذته :

— أبو علي اليوسي
— وأبو مروان التجمعتي، عبد الملك
— وأبو سالم العياشي.
— وأبو الحسن علي المراكشي.

(150) مقروءات أبي عمران موسى بن محمد الكبير بن محمد بن ناصر على أبي العباس أحمد بن ناصر.
(151) من اجازة أبي اسحاق الأستاذ ابراهيم بن علي السباعي لابي عمران موسى بن محمد الكبير.

وفي هذا يقول ابن عبد السلام في المزايا : «وقد كان أبو عبد الله ابن ناصر والد أبي العباس في زمانه معتنيا غاية الاعتناء، بتحرير الروايات، وتوجيهها بأحسن التوجيهات، يشهد بذلك ما كتبه على أصله من ابن سعادة أبي عمران قرين الأخذ مع عياض على أبي علي الصدفي. (...) وعندهم أصل ابن سعادة إلى الآن.

ثم إن أبا زيد عبد الرحمن المكناسي، أهدى لشيخه ابن ناصر المذكور نسخة رباعية من ثمانية عشر جزءا رواية أبي ذر الهروي من المشارقة، يروي عن البخاري بواسطة الكشميني عن الفربري عنه.

ثم تنافس تلامذته : اليوسي، والتجمعتي، والعياشي، وأبو الحسن علي المراكشي، في ذلك فجاء شيخه بنسخة جيدة مقروءة. فرأى الشيخ اختيار رواية أبي ذر، فالتزم القراءة منها واعتمدها حتى أظهر ابنه أبو العباس رواية اليونيني، فاعتمدت إلى الآن...» (152).

وفي عهد أبي العباس ازداد الاهتمام بتحصيل النسخ، فأدخل لأول مرة إلى المغرب النسخة اليونينية اشتراها من المشرق بتسعين دينارا، وفي هذا يقول ابن عبد السلام : «... التي قدم بها أبو العباس أحمد بن ناصر من مكة شراء بتسعين دينارا. ثم جزأ منها نسخة من ثلاثين جزءا لكل يوم من رمضان جزء بخط حسن فاسي، إذ كان أصلها بخط مشرقي فاعتمدوها من زمن أبي العباس إلى الآن. وهو أول من أدخلها المغرب فيما علمته لأني ذكرتها لشيخنا الحافظ ادريس بن محمد العراقي فلم يعرفها، إلا أنه عرف ترجمة مؤلفها».

لكن هناك أمر يجب التنبيه إليه وهو أن اليونيني، كان في مبدإ أمره، رحالا للأمصار في طلب الحديث. ثم تولى المملكة بعد. ولما التقى بالامام ابن مالك صاحب التسهيل والكافية والخلاصة وغيرها. عرض عليه اليونيني روايته هذه، فأصلح له كثيرامن اللحن والتحريف في الرواية، ولعله هو السبب في حواشيه على الصحيح، المسماة ب «التوضيح» ★، وبقي فيها مما لم يصلحه ابن مالك مواضيع نبه على بيان الوهم فيها القسطلاني إذ ظفر بجزء أو قطعة منها. تراه يقول : ووقع في

---

(152) المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا. لوحة 17 /18.

★ هو التوضيع والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، كشف الظنون، ص 553، ج1.

فرع اليونينية كذا والجواب عنه كذا، أو لم يظهر لنا فيه جواب، ونحو ذلك وأما ابن حجر فلم يظفر بها ولا عرج على ذلك أصلا» (153).

وهذه النسخة اليونينية، ذكر أبو العباس أحمد بن ناصر في رحلته عند حديثه عما رآه من الكتب، عند ولد الشيخ تاج الدين مفتي الحنفية، خطيب الجمعة بمكة في حجته تلك. ولم يذكر أنه اشتراها يقول: «وصلينا الجمعة بمكة وخطب الخطيب خطبة السابع، وهو ولد الشيخ تاج الدين مفتي الحنفية، وولده هذا رأيته والتقيت به من باب منزلنا بالمسجد الحرام، وأخبرني أنه جارنا هو وولده الخطيب المذكور، وآخر أصغر منه وسألته عن بعض شراح الهمزية، وقال إنه عنده ابن حجر وقلت له: أردت أن أنظر فيه الشيخ مرزوق الكفافي (154)، وبعث ولده وأتى به. وأوقفني أيضا على الثالث والأول من البرقاوي (154) على البخاري. وأخبرني أن الثاني كان عند الشيخ عبد الله بن سالم البصري. ورأيته. وأكثر نقله عن الكرماني والزركشي، وهو حاشية.

والشيخ عبد الله هذا، التقيت معه بالمسجد الحرام يوم دخولنا هو والشيخ محمد النخيلي، وفرح بنا ووقف معنا في كراء المنزل تقبل الله، وذهبنا لداره أيضا يوم الجمعة ووجدنا في بيته كتبه، والكتب محدقة به يمينا وشمالا ووراءه وأمامه، ورأينا عنده مسند الامام أحمد في ثلاث مجلدات كبار، وأخبرني أنه كتب نسخة من اليونينية، وشرع في شرح البخاري، وبلغ فيه الحج. وزعم طلبة مكة أنه فاق أهل الحرمين في الحديث، وفي غيره من سائر العلوم. وهو شافعي المذهب، وأجازنا سائر مقروءاته ومروياته، ومسموعاته (155)».

وهذا لا ينفي أن يكون :هو مشتريها، أو نفي كونه أول من أدخلها إلى المغرب، لأنه رحمه الله شديد الحرص على لقاء كبار العلماء المحدثين في عصره، عظيم

---

(153) المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا، لوحة 17.

(154) كذا في الأصل، كان الكفافي والبرقاوي مثار تساؤل الأستاذ فاما مرزوق الكفافي فلعله تحريف لابن مرزوق محمد بن محمد بن أحمد الخطيب بن محمد بن أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن مرزوق التعجيسي التلمساني المعروف بالكفيف المولود سنة 824هـ المتوفى سنة 901هـ وهو ولد ابن مرزوق الحفيد. اعلام الجزائر لعادل أبونهيض ص 182 منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

(155) الرحلة الناصرية ص 189 /190 ج 1.

الاستفادة منهم واضح العبارة في تسطير أخبارهم، فعن لقائه مثلا بالشيخ محمد أكرم بن الشيخ عبد الرحمن مفتي الهند، يقول : «واجتمعت هناك بالشيخ محمد أكرم بن الشيخ عبد الرحمن مفتي الهند، وهو رجل عالم له تأليف على رجال البخاري، واختصر البخاري في مجلد، حذف الأسانيد والمكرر. وهو ضرير كبير السن، به مرض فلزم بيته،... وأخبرني ولده الشيخ محمد أنه شرح نخبة ابن حجر في عشرين كراسة، وله تآليف في الرد على الروافض. وهو رجل صالح محقق فيما ذكروا» (156).

وعلى هذا المنوال ذكر من لقيهم من الأعلام بمكة. وما من شيخ شيخ إلا ويذكر طرفا من أخباره (157)، وكان شديد الرغبة في تملك الكتب، فاشتراها بالأحمال، وخاصة في حجته الأخيرة التي اشترى فيها جملة وافرة عند رجوعه.

قال وهو يتكلم عن إقامتهم بمصر بعض أيام صفر وأربعة عشر يوما من ربيع الأول : «واشترينا جملة وافرة من الكتب، فالله ينفعنا بها أبدا، آمين آمين» (158).

ولعله استسلف ثمنها حتى جاء المدد من تمكروت اذ نجده بعد هذا يقول : «وبعث لنا أهلنا مع وكيلنا سيدي عبد العزيز، ما أبرأ الله به ذمتنا مما استسلفناه بطرابلس أبرأ الله ذمتهم من جميع التبعات وجزاهم عنا خيرا» (159).

كما اتخذ ناسخا ينسخ له الكتب خصيصا بالزاوية، وهو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر السويدي المكناسي، وزوجه من آل بيته. وبذلك أصبح رصيده من الكتب هائلا جدا. ولم يعد يسعه الحصير الذي اتخذه والده أبو عبد الله مقرا لخزانته. فبنى لها خزانة رائعة، إذ جلب لها أنواع الزجاج من فاس. ورتب فيها الكتب ترتيبا جيدا حسب المواضيع.

وفي وصف هذه الخزانة يقول أبو عمران موسى بن محمد الكبير الناصري :

علم المحاسن قد أناخ بروضة	ذات السنا ومقر دين محمد
راقت فأبرق نورها أفق العلا	فتبلج الاصباح أسنى مقصد
بيت حوى كل المحاسن فازدهى	عجبا وفاق على كل مشهد

(156) المصدر نفسه ص 192 ج 1.

(157) نفسه ص 208 ج 1 وما بعدها تحت عنوان ذكر فيه من لقيهم في الحرم المكي من الأعلام.

(158) الرحلة الناصرية ص 110 ج 1.

(159) المصدر نفسه 186 ج 2.

بهر العيون بهاؤه وسناؤه ... وسبى العقول بحسنه المتجدد
إن قلت فيه أنه شمس الضحى ... أو فيه من لؤلؤ لم تفند
هبت معالي السعد في عرصاته ... والزهر لاح في أعاليها الند
لم يبق بيت للمعالي مهذب ... إلا تأخر عن معالي السؤدد
أضحت تلاحظه البدور تأدبا ... ومن الحياء يروم أعلى مقصد
حازت مفاخره سناء المجد من ... برد الليالي وحسن صدق تهجد
أزرت بتيجان العقيق كأنها ... حصباء در، في الزي من عسجد
وليال مشرقة تلوح بدورها ... ذات البهاء بحسن طلعة أحمد
الله أكبر ما أعز قوامه ... فعماده من لؤلؤ وزبرجد
قد قصرت فيه المعالي كؤوسها ... وتفاضلت في حلي أم معبد
لو رام قصدا غير ذاك لناله ... في سلك در، كان أسهل مقصد
هذا هو المجد الالهي لا كمن ... غر الأنام بزخرف متبدد
قسما بمكة والمقام محمد ... ما صنع هذا البيت من عمل اليد
بلغ المشارق والمغاربة صيتها ... رعيا لها ما مثلها لم يوجد «160»

وكان رحمه الله، لا يمنعها من مستحقيها فوضع لها نظاما مكن العالم والمتعلم من الاستفادة منها دون أن يتسبب في ضياعها وفي هذا يقول محمد بن عبد السلام الناصري في «المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا» : «ومما أحدث بها، تضييع خزانة الكتب بها، بتركها من معاهدتها كل سنة بجمع ما بيد الطلبة منها بالزمام، اذ كانوا أخذوه بذلك، فترد إليهم بذلك، ومن استغنى عن شيء منها، رده وضرب على زمامه ومن رغب في كتب أخرى، أخذها من يد من ردها، أو أخرجت له بالخزانة، فنشأ عن ذلك تمرين الطلبة، ومعرفتهم ما حوته الخزانة مما لم تحوه، فتسبب عن ذلك مزيد علم وانتشاره.

هذا الذي أدركنا عليه القوم في سيرتهم، في كتب الأحباس. والآن أهمل ذلك كله، فنشأ عنه ضياع الكتب، وجهلها. حتى إن طلب منها أحد الآن كتابا لا يعرفون أهو في خزانتهم أم لا. وسير بها إلى الآفاق، وكم رددنا منها إلى محله بالفداء وغيره».

(160) الدرر المرصعة، لوحة 390 /391.

إلى أن قال : «وشاع وذاع أن الشيخ أبي العباس أحمد بن ناصر أوصى أهاليه عن الكتب، وقال في وصيته : إن أنتم حفظتموها وتعاطيتموها كما هو المألوف، حفظها الله لكم، وجلب لكم غيرها، والعكس بالعكس» [161]

وقد أدت هذه الخزانة دورها كاملا في نبوغ طلبة الزاوية، إلى جانب أساتذتها الأكفاء. ذلكم النبوغ الذي أعفاها من امتحان المولى محمد بن السلطان اسماعيل بين جميع قبائل درعة، في قراءة صحيح البخاري. وذلكم النبوغ الذي دعا المولى اسماعيل في مجلسه الحديثي الرمضاني بين أرباب دولته، وعلماء مملكته، أن يقول لابي عمران موسى بن محمد الكبير : مرحبا بدار العلم.

وأخيرا أحب أن أنبه إلى أن هذه الخزانة، وإلى أيام محمد بن عبد السلام الناصري الذي بكى على ضياعها، ضمت من كتب الآثار، حسب ما جاء في رسالة له إلى شيخه فخر الاسلام أبي العلاء العراقي [162] (بفاس) بتاريخ خامس وعشري محرم عام اثنتين وثمانين ومائة والف (1182 هـ) وقد عزم عليه أن يقارن له ما لدى الزاوية الناصرية من الكتب وما في فاس : الفائق للزمخشري، والأول من نهج الكفاية، والكفاية في مختصر النهاية، وزيادة الجامع الصغير للسيوطي في سفرين، واعراب مشكل الحديث للسيوطي سماه «عقود الزبرجد»، والجمع بين الصحيحين للفرغاني، وشرح السنة للبغوي في خمسة أجزاء ضخام، والتذكرة للقرطبي والدلائل لثابت السرقسطي، والجمع بين الصحيحين لعبد الحق الأزدي وعمل اليوم والليلة للنسائي، والمختار بين المنتقى والاستذكار للتلمساني، والمبهمات للعراقي، وشرح العمدة لابن الأثير، وعلوم الحديث لابن الصلاح، والمطالع لابن قرقول في ثلاثة أسفار، وكنز العمال في ستة أسفار، ومسند الفردوس، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي، وغريب الحديث لابن الجوزي، والدر النقي في الرد على البيهقي، وشرح أربعين البيهقي لابن حجر، وجزء من شرح ابن ماجة للحافظ الدميري، والثالث من جامع الأسانيد للذهبي، والعيني على اليوم والليلة بخطه، وتخريج أحاديث الكشاف لابن حجر،

(161) المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا لوحة 52 /53.

(162) هذه الرسالة ظفر بها أبو الاسعاد الكتاني وذكرها في رسالة له حول المكتبات الاسلامية. ومنها نسخة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 3002. انظر دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت للمنوني ص 3173.

وتلخيص المستدرك بخط الحافظ ابن حجر، والأخير من ميزان الذهبي بخطه، والأول من مسند الفردوس للديلمي، والترغيب والترهيب لأبي القاسم بن اسماعيل بن زائد.

وذكر من التواريخ :

ــ تاريخ ابن عساكر. قال : فيه جزء ضخم من تجزئة عشرين.
ــ والبداية والنهاية لابن كثير، في سبعة أسفار.

وغير ذلك مما لم يتيسر له استقصاؤه.

وعن تآليف السيوطي قال «وأما تآليف السيوطي، فلا تكاد تنحصر هنا كثرة، وأكثرها بخطه» ثم قال : وأما شروح البخاري، ومسلم، وحواشي السنة مما هو متداول من كتب الحديث فلا يحصر كثرة.

ويظهر أن صيحة محمد بن عبد السلام السابقة، كانت صيحة في واد، فلم يسمعها أحد، واستمر ضياع الكتب، أكثر مما جاء في رسالته إلى شيخه، ما لم يكن ضمن ما أخذ وحفظ بالخزانة العامة بالرباط.

على أنه والى الآن فقط بقي فيها حوالي أربع وثمانين وأربع آلاف مخطوطة. منها من الكتب الستة التي هي دواوين الاسلام، لا سيما صحيح البخاري العشرات إن لم أقل المئات. فلو لم يكن لرائدي المدرسة الناصرية التمكروتية ــ أبي عبد الله ابن ناصر، وخليفته أبي العباس ــ من جهد في خدمة السنة النبوية الشريفة إلا تلك الخزانة، وملؤها بأمهات مصادر السنة النبوية التي ذكرت مما تيسر لي معرفته من محتوياتها عبر العصور، في فترة زمنية كاد العلم أن ينقرض فيها في المغرب لكثرة ما عرفه من الفتن لكان كافيا.

ولو لم يكن للزاوية الناصرية من خدمة للسنة النبوية إلا الاحتفاظ بخزانتها الأثرية وحدها في العالم بنسخة من تاريخ خليفة من خياط لكفاها خدمة. فكيف وبها من مصادر الفقه، والتفسير، والتصوف، والمنطق... الشيء الكثير.

وكيف بخدمتها لها وقد أنجبت خيرة العلماء، أهل الحفظ والاتقان ورؤساء الاسلام، أمثال : أبي علي اليوسي، وأبي مروان التجمعتي، وأبي سالم العياشي، وأبي العباس أحمد بن ناصر، وأبي اسحاق ابراهيم بن علي السباعي الأستاذ، وغيرهم وغيرهم.

ويضاف إلى هذا وذاك، تمثل أربابها وأولي الأمر فيها للسنة النبوية — في سلوكهم — على ووجهها المألوف.

وفي هذا المعنى يقول اليفرني (163) في صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر: «ولقد كان بعض أشياخ العلم بفاس (164) يقول في الحديث المشهور «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» إن لم تكن هذه الطائفة الآن بتمكروت فلست أدري من هم لاقامة السنة فيها على وجهها المألوف» (165).

وهذه القولة أوردها اليفرني فيترجمة الشيخ الخليفة أبي العباس أحمد بن محمد ابن ناصر المتوفى رحمه الله مساء يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الثاني عام تسع وعشرين ومائة والف (1129هـ).

ملحق خاص بخزانة الكتب بتمكروت

كانت خزانة الكتب العلمية بتمكروت في عهدها الزاهر من أعظم خزائن الكتب بالمغرب، إن لم تكن من أعظمها في العالم الاسلامي.

وقد حدثني «السي الشيخ» (نقيب الزاوية حاليا) أنها كانت تضم حوالي ثلاثين الف مجلد، ولا مبالغة في ذلك بعد ما رأينا مدى العناية التي أولاها الشيخ أبو العباس أحمد بن ناصر ونظام الاعارة فيها الذي وضعه لها، ووصيته أهله بالمحافظة عليها.

---

(163) محمد الصغير بن الحاج محمد بن عبد الله السوسي المراكشي المشهور باليفرني. كان على قيد الحياة عام 1155هـ.
من مؤلفاته:
أ. «نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي».
ب. «صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر».
ج. «روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف» أو «الظل الوريف في مفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف».

(164) عينه أحمد بن خالد الناصري في طلعة المشتري، بأنه أبو محمد عبد القادر الفاسي. ص 151 ج 1.

(165) طلعة المشتري ص 98 ج 2.

وهي إلى أواخر الثمانينات من القرن الثاني عشر لازالت تثير انتباه العلماء لدرجة أن طلبوا مقارنة محتوياتها بمحتويات فاس. مع أنها تعرضت للضياع في ذلك العهد لأسباب نفهمها من مقتبساتنا من محمد بن عبد السلام في الزوايا. وهي :

— العهد بالنظر فيها إلى غير المؤهلين لذلك.
— ترك الأخذ والعطاء فيها بالزمام على الطلبة والمعلمين.
— السير بها في الآفاق والأخذ الابتزازي ولعله من فعل الهجمات المتوحشة لأيت عطاء، في عهد (السيبا) الفوضى...

وأضيف إلى ذلك عاملين آخرين طرءا بعد ابن عبد السلام وهما :

— تحويل مقرها مرتين ما بين أوائل السبعينات، وأواخرها. مما عرض مخزونها لأيدي العمال والعبيد،...

— انتقاء حوالي (1363 مخطوطة) لحفظها بالخزانة العامة وهي المشار إليها غالبا بحرف (ق)، ومن ضمن ذلك النسخة اليونينية التي أدخلها أبو العباس أحمد بن ناصر لأول مرة إلى المغرب...، والنسخة الوحيدة في العالم من تاريخ خليفة بن خياط وعليها اعتمد محققه بالعراق...

قلت : ان دار الكتب الناصرية ما تزال تحتفظ إلى الآن على الكثير من ذخائر المخطوطات في شتى فنون العلم، فقها، وتفسيرا، وتصوفا، ولغة، ونحوا، وتصريفا، وبلاغة، وتاريخا، وجغرافية ومنطقا، وفرائض، وحسابا،...

ولئن لم يعرف لها أغلب الباحثين هذه الميزة، فإن الزوار الأجانب وخاصة الاوربيين يؤمونها كثيرا، وغالبا مايذهلهم ما يرون فيها من المخطوطات إما لجودة خطوطها وأناقته، وإما لقيمتها التاريخية، واما لموضوعاتها العلمية.

يدل على ذلك أنها ثالثة العوامل الجالبة للزوار الأوربيين إلى المنطقة، وهي معمل الفخارة، وكثبان الرمال المتواجدة بتنفو على بعد حوالي خمس كلمترات من تمكروت، والخزانة الأثرية، إلى جانب هوائها الطلق النقي.

إن دار الكتب الناصرية ينبغي أن تستغل للعلم قبل أن تستغل كتحفة تاريخية، فهناك من هي أولى بها من ذلك كخزانة ابن يوسف بمراكش، وخزانة

القرويين بفاس... فإنها أقدم منها وأكثر منها قيمة في الجانب التاريخي. حقيقة أن هناك مشاكل تعترض مريد الاستفادة منها، أهمها :

ــ ازدواجية إدارتها : فقد اتجهت إليها لاطلع فيها على بعض المخطوطات الحديثية، فطالبني مرشد الزوار بها برخصة من وزارة الأوقاف، واتصلت بمديرها السيد عبد الرحمان الناصري ليساعدني، فأبدى أسفه على عدم استطاعته ذلك لأنه تابع اداريا لوزارة الثقافة، وأن علاقته بالمرشد ليست في متسوى توسطه لي لديه.

وهذا ما دفعني إلى الاكتفاء بتصفح دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت في الاشارة إلى بعضها للاعتبارين التاليين :

ــ قدم تاريخ نسخ المخطوط.

ــ تمام النسخة.

وهاكم بعض النمادج.

المخطوط	رقمه	ترتيبه	عدد أجزائه	تاريخ النسخ	خطه
صحيح البخاري :					
	960	514	4	1011هـ	مغربي
	961	515	6	1213هـ	مغربي
نسخة تامة	996	541	20		مغربي
نسخة تامة	1000	545	4		مغربي
نسخة تامة	1177	647	4		مغربي
نسخة تامة	1195	697	2		مغربي
نسخة تامة	1232	693	5	1084هـ	مغربي
السفر الأخير منه	1295	733	1	1021هـ	مغربي
النصف الأول منه	1297	734	1	846هـ	مشرقي
مجلد منها	1353	769	1	1009هـ	مغربي
الخمس الأخير	1423	817	1	1022هـ	مغربي

المخطوط	رقمه	ترتيبه	عدد أجزائه	تاريخ النسخ	خطه
بعض شروح البخاري وما إلى ذلك : فتح الباري :					
الجزء (17)	943	502	1	954 هـ	مشرقي
ج 3 مقابل	1397	795	1	1080	مشرقي
مقدمة فتح الباري	383	144	1	1077 هـ	مشرقي
أرشاد الساري :					
ج 5 من تجزئة (1)	382	143	1	1117 هـ	مغربي
الأجزاء (1،3،5،6)	1938	500	4	1150 هـ	مغربي
ج 2	1395	794	1	1150 هـ	مغربي
ينقصها الجزآن (12،24)	2142	2288	24	1077 هـ	مشرقي
ج 3	2522	2799	1	955 هـ	مشرقي

زاد المجد الساري لمطالع صحيح البخاري، لمحمد التاودي بن الطالب بن سودة :

ــ الجزء الأول مبتور الأول ــ رقم المخطوط : 2825 ــ ترتيبه 2445.

ــ الأول والثاني مبعثر : رقم المخطوط : 3099 ــ ترتيبه 3785.

شرح مختصر البخاري لابن أبي جمرة : الشارح : علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري ، منه :

ــ نسخة بخط شرقي تحت رقم 1195 ترتيب 1943.

المرائي الدالة على فضل شرح مختصر صحيح البخاري لعبد الله بن سعيد بن أبي جمرة، منه :

ــ نسخة بخط مغربي ضمن مجموع 1182 ب 768.

شرح الجامع الصحيح للكرماني منه :

ــ نسخة بخط شرقي تحت رقم 3182 ترتيب 4077

النصف الأخير من شرح صحيح البخاري لبعض المغاربة. منه :
ـــ نسخة بخط مغربي تحت رقم 2861 ترتيب 3472.

التوشيح على البخاري للسيوطي. منه :
ـــ نسخة بخط مغربي تحت رقم 1241 ترتيب 701 تاريخ النسخ 1004

تشنيف المسامع ببعض فوائد الجامع للبخاري. لعبد الرحمن الفاسي. منه :
ـــ نسخة بخط مغربي تحت رقم 2131 ترتيب 2285 تاريخ النسخ 1197 هـ.

الجزء الثالث من تعليق على صحيح البخاري، المعلق مجهول لحد الآن ـــ منه :
ـــ نسخة بخط شرقي تحت رقم 2800.

شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك النحوي. منه :
ـــ نسخة بخط مغربي ضمن مجموع 709 ترتيب 336 د.

تعليق على الجامع الصحيح. المعلق غير معروف. منه :
ـــ نسخة بخط مغربي ضمن مجموع 709 ترتيب 335 جـ.

صحيح مسلم. أذكر من نسخه :
ـــ الأول منها بخط مغربي تحت رقم 757 ترتيبه 305 تاريخ نسخه (988هـ)
ـــ نسخة بخط مشرقي تحت رقم 988 ترتيبه 535 تاريخ نسخه (723 هـ) في ثلاثة أجزاء.
ـــ نسخة تامة بخط مغربي تحت رقم 1263 ترتيبه 712 في عشرة أجزاء
ـــ نسخة بخط مغربي تحت رقم 927 ترتيبه 492 تاريخ نسخه (1143هـ) في أربعة أجزاء
ـــ الأول منه تحت رقم 2288 ترتيبه 2705 بخط مغربي تاريخ نسخه (1110هـ).

شروح مسلم :
ـــ **شرح صحيح مسلم لمحمد بن يوسف السنوسي.** منه :
ـــ نسخة تحت رقم 363 ترتيبه 848 بخط مغربي بتاريخ (1112هـ) في جزئين
ـــ نسخة أخرى تحت رقم 504 ترتيبه 946.

إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم لمحمد بن خليفة الوشتاتي الأبي. منه :
ــ نسخة بخط مغربي تحت رقم 1152 ترتيبه 635 في أربعة أجزاء.
ــ نسخة أخرى مبدوءة بكتاب الامامة مبتورة الأخير تحت رقم 1208 ترتيبه 664.

إكمال الاكمال شرح اختصار صحيح مسلم لاحمد بن سعيد بن الشاط البجائي. منه :
ــ نسخة بخط مغربي ضمن مجموع 1553 ترتيبه 1074 ج.

شرح صحيح مسلم للامام النووي. منه :
ــ الثلث الأخير تحت رقم 915 ترتيبه 840 بخط مشرقي بتاريخ (821هـ)

الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج السيوطي. منه :
ــ نسخة تحت رقم 905 ترتيبه 473 بخط مشرقي.

سنن الترمذي. منه :
ــ نسخة تحت رقم 697 ترتيبه 329 في أربعة أجزاء. بخط أحمد المكناسي تاريخ النسخ (1290هـ)
ــ الجزء الأول بخط مغربي تحت رقم 958 ترتيبه 513 بخط مغربي.
ــ جزء أوله باب الطهارة تحت رقم 1124 ترتيبه 619 بخط مغربي

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامى

السنن الصغرى للنسائي. منه :
ــ نسخه تحت رقم 957 ترتيبه 512 تاريخ النسخ 1289هـ بخط مغربي. في جزئين.
ــ نسخة تامة تحت رقم 1243 ترتيبه 703 بخط مغربي في ثلاثة أجزاء.
ــ اجازة بقراءة سنن النسائي. والمجيز عثمان بن محمد الديمي ضمن مجموع 1995 ترتيبه 2025 بخط مشرقي بتاريخ (906 هـ).

سنن أبي داود. وما عليها. فمن السنن :
ــ نسخة تامة تحت رقم 1222 ترتيبه 685 في جزء بخط شرقي (بتاريخ 1103هـ)
ــ نسخة تامة مهمشة بخط ابن ناصر تحت رقم 1356 ترتيبه 685.
ــ ومن شروحه :
ــ مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود للسيوطي تحت رقم 1282 ترتيبه 701 في جزء بخط الشيخ سالم السنهوري.

سنن ابن ماجة. منها :
ــ السفر الأخير تحت رقم 2177 ترتيبه 2378 بخط مغربي.
ــ الجزء الثاني تحت رقم 2218 ترتيبه 2406 بخط مغربي (عام 1260هـ).

موطأ الامام مالك منه.
ــ ثلاثة أجزاء، من كتاب الحج إلى آخر المساقاة. عليه سماعات، احداها مؤرخة في صفر عام (443هـ) تحت رقم 4 ترتيبها 2.
ــ نسخة تحت رقم 951 ترتيبها 508 بخط شرقي عام (1163هـ)
ــ نسخة تحت رقم 1050 ترتيبها 582 بخط مغربي عام (1106هـ)
ــ نسخة تامة تحت رقم 1242 ترتيبها 702 بخط مغربي في جزئين
ــ نسخة ضمن مجموع 1399 ترتيبها 796 بخط مغربي عام (1189هـ)

ومن شروحه :

تنوير الحوالك للسيوطي. من نسخه :
ــ نسخة تحت رقم 1083 ترتيبها 596 بخط مشرقي.
ــ نسخة تحت رقم 1871 ترتيبها 1741 بخط مغربي عام (1109هـ)
ــ نسخة تحت رقم 2306 ترتيبها 2532 بخط مغربي عام (1099هـ)

تقريب المسالك لموطأ مالك لاحمد بن المكي السدراتي. من نسخه :
ــ الجزء الثاني تحت رقم 1042 ترتيبها 575 بخط عبد القادر شكلانط
ــ الجزء الرابع تحت رقم 2930 ترتيبها 3565 بخط مغربي.

الممهد الكبير شرح موطأ الامام مالك لعمر بن علي العثماني الورياغلي. أوله باب مسح الحصباء في الصلاة. تحت رقم 2501 ترتيبه 2771 بخط مغربي.

شرح موطأ مالك لمحمد عبد الباقي الزرقاني. الأجزاء : الثاني والثالث والرابع والخامس.

الجامع الصغير للسيوطي. أذكر من نسخه :
ــ نسخة تامة تحت رقم 251 ترتيبها 47 بخط مشرقي عام (1036هـ)
ــ نسخة تامة تحت رقم 280 ترتيبها 94 بخط مغربي عام (1034هـ)
ــ أخرى تامة تحت رقم 764 ترتيبها 368 بخط مغربي عام (1101هـ)

ـ أخرى تامة تحت رقم 1937 ترتيبها 1909 بخط شرقي عام (999هـ)
ـ أخرى تامة تحت رقم 218 ترتيبها 2380 بخط شرقي عام (1139هـ)
ـ زيادة الجامع الصغير. منه نسخة تحت رقم 252 ترتيبه 49 بخط شرقي عام (1001هـ)

شروح الجامع الصغير :

ـ السراج المنير بشرح الجامع الصغير. لعلي بن أحمد العزيزي. من نسخه :
ـ الجزء الأول تحت رقم 934 ترتيبه 496 بخط شرقي عام (1037هـ)
ـ الجزء الثالث تحت رقم 2355 ترتيبه 2593 بخط شرقي عام (1102هـ)

الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير. لمحمد بن عبد الرحمن العلقمي الشافعي. من نسخه :
ـ نسخة تحت رقم 1967 ترتيبها 1987 بخط شرقي.
ـ أخرى تحت رقم 2430 ترتيبها 2703 بخط شرقي عام (1079هـ).

التيسير بشرح الجامع الصغير. لعبد الرؤوف المناوي. من نسخه :
ـ نسخة تامة تحت رقم 990 ترتيبها 537 في ثلاثة أجزاء بخط شرقي.
ـ أخرى تامة تحت رقم 991 ترتيبها 538 في جزئين بخط شرقي.
ـ **أحاديث مختارة من جامع السيوطي** ضمن مجموع 2564 ترتيبها 2274ع

مصادر البحث ومراجعه

أولا : المخطوطات :

★ فهرسة أبي الفضل الحسين بن ناصر. ومن نسخها :
ــ نسخة ضمن مجموع 505 بالخزانة العامة.
ــ نسخة رقم 3289 خ ع ك مبتورة الأول.

★ الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة، أو (كشف الروعة في التعريف بصلحاء درعة)، اسمان لمؤلف واحد. لمحمد المكي بن موسى الناصري. من نسخه :
ــ نسخة رقم 265 خ ع ج مصدرة بأسماء المترجمين بها.
ــ نسخة رقم 2637 خ ع د
ــ نسخة رقم 3785 خ ع د.

★ فتح الملك الناصر في اجازات مرويات بني ناصر لمحمد المكي بن موسى الناصري سجل فيها الاجازات التي أجيز بها الأعلام الناصريون، وقسمه إلى ثلاثة فصول هي :
ــ الفصل الأول : اجازات الامام أبي عبد الله ابن ناصر، وأخيه أبي الفضل الحسين
ــ الفصل الثاني : في اجازات أولاد أبي عبد الله.
ــ الفصل الثالث : في اجازات أحفاد أبي عبد الله. ومن مخطوطاته :
ــ نسخة ضمن مجموع 323 خ ع ك.
ــ نسخة رقم 88 خ ع ج.
ــ نسخة بالخزانة الملكية تحت رقم 10939 خ م أول مجموع مصورة على الورق.

★ المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا. لمحمد بن عبد السلام الناصري المتوفى سنة (1239هـ) موافق 1823م من مخطوطاته :
ــ نسخة بالخزانة العامة مصورة على الميكروفيلم من مخطوطة خزانة الأستاذ عباس ابن ابراهيم.
ــ نسخة بخزانة ابن سودة عبد السلام. قال : إنها في ثمانية كراريس (انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبد السلام بن سودة ص 56 /57).
ــ نسخة بخزانة الأستاذ بلماحي (انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبد السلام بن سودة ص 56 /57)

ثانيا : المطبوعات

ــ الرحلة الناصرية إلى الديار النورانية. لأبي العباس أحمد بن ناصر المتوفى سنة (1129هـ) دون فيها ارتساماته عن وجهته الحجازية الثالثة عام (1121هـ). مطبوعة على الحجر في مجلد يشتمل على جزئين. ومنها نسخة خطية بخزانة تمكروت تحت رقم (1952) رقم الترتيب (1941).

ــ طلعة المشتري في النسب الجعفري لاحمد بن خالد الناصري المتوفى سنة (1315هـ) في 15 جمادى الأولى، موافق : 12 /1 /1815م. حقق فيه نسبة الأسرة الناصرية إلى سيدنا جعفر بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. مطبوع على الحنجر، وأعادت المؤسسة الناصرية بسلا نشره بتصوير الطبعة نفسها.

ــ صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر، لمحمد الصغير بن الحاج محمد ابن عبد الله السوسي المراكشي، اليفرني، كان بقيد الحياة سنة (1155هـ) وهو مطبوع طبعة حجرية.

ــ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي الدمشقي المتوفى سنة (1111هـ) مطبوع واسم المحبي الدمشقي محمد أمين بن فضل الله بن محب الله الدمشقي.

ــ دليل مؤرخ المغرب الأقصى : لعبد السلام بن سودة. مطبوع في جزأين.

المراجــع :

ــ المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الاسلامي إلى نهاية العصر الحديث لمحمد المنوني. وهو عبارة عن محاضرات القاها الاستاذ على طلبة شعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، ثم نشرتها الكلية في كتاب سنة (1494هـ /1933م).

ــ دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت لمحمد المنوني، نشرته وزارة الأوقاف بأمر من صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله سنة(1405 /1985م).

ــ الجزء الثاني من فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط. نشر مطبوعات أفريقيا الشمالية الفنية. الرباط سنة (1858م).

المصادر الشفوية :

ــ معرفتي الشخصية بالمنطقة.

ــ ما حدثني به «السي الشيخ» نقيب الزاوية حاليا.

المحدّثون في عهد السلطان المولى محمّد بن عبد الله (4)

للأستاذ أحمد العمراني

محدثون عاشوا بعد السلطان المولى محمد بن عبد الله

تمهيـــد :

من عنوان هذا المبحث نستطيع الاجابة عن السؤال الذي ظل معلقا في المبحث السابق، فقد استمرت تلك النهضة الحديثية التي زرع بذرتها الطيبة السلطان العالم المولى محمد بن عبد الله إلى ما بعد عهده.

فالمحدثون الذين يتضمنهم هذا المبحث وغيرهم، هم أولئك الذين حملوا مشعل الازدهار الحديثي من العهد المحمدي إلى العهد السليماني.

وقد توفرت لهذا المشعل الظروف الملائمة فظل وضاء، إذ كان المولى سليمان نفسه محدثا مؤلفا في علم الحديث، وتلقى هذا العلم في المدرسة المحمدية وتربى في أحضانها.

وهذا الصنف من المحدثين يشمل عددا وافرا، لذلك فقد أوردت نماذج منهم فقط، وقد كانوا من أبرز المحدثين، وتخرجوا كذلك من مدرسة المولى محمد بن عبد الله الحديثية، ودرسوا على شيخها، ممن سبقت ترجمة بعضهم في المباحث السالفة.

وقد رتبتهم على حسب تاريخ الوفاة، وهم : عبد القادر ابن شقرون والطيب ابن كيران ومحمد به عبد السلام الناصري.

عبد القادر ابن شقرون [1] 1219 هـ/1804 م

أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن العربي ابن شقرون الفاسي [2] محدث فقيه مشارك في الأدب واللغة والنحو والمنطق وغيرها.

ولد بفاس، وتلقى العلوم عن طائفة من الشيوخ كأحمد الهلالي [3] وعبد الرحمان المنجرة [4] وعبد القادر بوخريص [5] ومحمد جسوس [6] ومحمد بن الحسن البناني [7] وعمر الفاسي [8] وهو عمدته، وأحمد الدلائي.

وقد حج ابن شقرون فلقي أعلاما واستفاد منهم في العلم، من بينهم حسين بن عبد الشكور البكري الصديقي بالمدينة، ومرتضى الزبيدي [9] وغيره بمصر.

روى المترجم عن الشيخين المذكورين أخيرا، وعن عمر الفاسي.

---

(1) انظر عنه :
سلوة 1 /95 ـ 96 (ذكر لترجمته : إمداد ذوي الاستعداد). أزهار البستان 206. السرب 8. اليواقيت الثمينة 213/1، شجرة النور 374 ـ 375 رقم 1497. إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة 26. معجم المؤلفين 5 /282 ـ 283. الفكر السامي 4 /128 رقم 804. النبوغ 1 /300. جامع القرويين 3 /806. معجم المحدثين 24. مجلة دعوة الحق ع 242 ـ 1405 /1985 ص 68.

(2) يوصف هذا العالم بالفاسي تمييزا له عن سميه المتوفى 1140هـ/1928م، الذي كان طبيبا وفقيها وأديبا، وبعد أن ترجم محمد الكتاني في السلوة 1 /98 لهذا الأخير الموصوف بالمكناسي ـ واسمه كذلك عبد القادر، إلا أن اسم والده العربي. نبه الكتاني على هذا التشابه الاسمي لازالة الالتباس بين الرجلين.

(3) سبقت ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث في العدد العاشر من مجلة دار الحديث الحسنية (1991) ص 424 ـ 428.

(4) سبقت ترجمته في الجزء الأول من هذا البحث في العدد الثامن من مجلة دار الحديث الحسنية (1990) ص 436 ـ 459.

(5) سبقت ترجمته في الجزء الثاني من هذا البحث في العدد 9، ص309ـ312.

(6) سبقت ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث في العدد 10 من مجلة دار الحديث الحسنية (1992)، ص 437 ـ 439.

(7) سبقت ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث في العدد 10 من مجلة دار الحديث الحسنية (1992)، ص 449 ـ 451.

(8) سبقت ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث في العدد 10 من مجلة دار الحديث الحسنية (1992)، ص 440 ـ 444.

(9) انظر عنه فهرس الفهارس 1 /526 ـ 543. 2 /549.

ومن تلاميذه الطيب ابن كيران [10] وعبد القادر الكوهن [11] وغيرهما، على أن من أبرزهم السلطان المولى سليمان العلوي، درس عليه الحديث والفقه والعربية والمنطق وغيرها [12].

وممن أجازهم المترجم الطاهر المشرفي [13] وروى عنه محمد بن أحمد السنوسي روى عنه صحيح البخاري، وبصري المكناسي [14] روى عنه الموطأ، وابن التهامي بن عمر والرباطي [15] روى عنه صحيح البخاري والمولى سليمان روى عنه عامة، والعباس ابن كيران، روى عنه الشفا للقاضي عياض.

كان المترجم من مشاهير المدرسين، متمكنا من العلوم، وخاصة الحديث والفقه، إذ كان مرجعا في حل المشكلات العويصة، مع اتصافه بالفصاحة، وبالضبط والاتقان، سواء فيما يلقيه من دروس، أو فيما يؤلفه من تصانيف.

ونظرا لمقدرة ابن شقرون الفائقة في حل المشكلات، وحسن سيرته، ولاه السلطان المولى محمد بن عبد الله قضاء مدينة الصويرة مرتين، الأولى من سنة 1183 هـ إلى 1184هـ والثانية من محرم إلى رمضان خلال سنة 1187هـ [16]. ونصبه أيضا في آخر عهده قاضيا بسجلماسة ثم فاس [17].

وفي عهد تلميذه السلطان المولى سليمان حظي المترجم كذلك بالعناية المولوية، واختاره السلطان عضوا لمجالسه الحديثية، وكلفه بشرح العشرة الثانية من الأربعين النووية، التي أمر بشرحها أربعة من العلماء، عشرة أحاديث لكل عالم [18]. ومما يدل على تقدير هذا السلطان لابن شقرون أنه عاده وهو مريض، فضمه إلى

---

(10) ستأتي ترجمته في ص [illegible] من هذا البحث.

(11) انظر عنه سلوة 2 /169. شجرة 397. معجم المؤلفين 5 /282. معجم المحدثين 23.

(12) سلوة 1 /96.

(13) انظر عنه فهرس الفهارس 1 /466.

(14) انظر عنه فهرس الفهارس 1 /232 — 235.

(15) انظر فهرس الفهارس 1 /279 — 281.

(16) إيقاظ السريرة 26.

(17) سلوة 1 /96.

(18) النبوغ 1 /300. وكانت العشرة الأولى لاحمد بن التاودي ابن سودة (ت 1235هـ) والعشرة الثالثة لمحمد بنيس (ت 1214هـ) والرابعة للطيب ابن كيران (ت 1227هـ).

صدره وقال «لا عدوى ولا طيرة» (حديث نبوي شريف) [19] وأنه لما توفي المترجم حضر في جنازته والصلاة عليه راجلا [20].

وصف محمد الكتاني المترجم بقوله : «الشيخ الامام الفقيه، العلامة المشارك النبيه، الجامع بين المعقول والمنقول، الضابط المتقن لما يقول أو ينقل... كان... فقيها نحويا لغويا أديبا محدثا مشاركا... مرجوعا إليه في حل المشكلات...» [21].

وقال عنه محمد مخلوف : «كان علامة جميل المشاركة في العلوم، فهامة شديد الحرص على إحياء الرسوم، فصيح العبارة، مليح الهيئة والشارة، مرجوعا إليه في حل المشكلات، مقصورا عليه في دفع الشبهات، معروفا بالضبط والاتقان، مملوءا بالصدق والعرفان» [22].

ومن مؤلفات ابن شقرون الفاسي ما يلي :

1. شرح العشرة الثانية من الأربعين النووية [23].
2. نظم [24].

توفي يوم 11 شعبان سنة 1219هـ [25]/1804م.


مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

(19) ويدل هذا من جهة أخرى على تشبع هذا السلطان بالثقافة الحديثية وتطبيقها في حياته.
(20) سلوة 1 /96 نقلا عن الاشراف لابن الحاج.
(21) المصدر السابق 1 /95.
(22) شجرة النور 374.
(23) مخطوط عدد 6877 الخزانة العامة
(24) معجم المؤلفين 5 /282 ـ 283 مجلة دعوة الحق ع 242 ـ 1405 /1985 ص 68
(25) سلوة 1 /96 الفكر السامي 4 /128. شجرة النور 375. وذكر ابن عجيبة في أزهار البستان ص 206 أنه توفي سنة 1220هـ.

الطيب ابن كيران [26]
(1172 ـ 1227 هـ/ 1758 ـ 1812م)

أبو عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام ابن كيران الفاسي، وحدث فقيه مفسر أصولي أديب، مشارك في علوم مختلفة، نقلية وعقلية، وهو ممن وصل رتبة الاجتهاد.

ولد بفاس سنة 1172 هـ/1758م، وقرأ العلوم على شيوخ مرموقين كالتاودي ابن سودة [27] ومحمد جسوس وعمر الفاسي وعبد القادر ابن شقرون [28] ومحمد بن الحسن البناني وزين العابدين العراقي [29] ومحمد بن الطاهر الهواري [30] وعبد الكريم اليازغي [31] والعربي المعطي [32] وغيرهم. وأجازه محمد بن عبد السلام الناصري [33] والعربي المعطي.

ودرس عليه جماعة من أعيان الطلبة، ومن بينهم ابنه أبو بكر وحمدون ابن الحاج [34] ومحمد ابن منصور [35] وأحمد ابن عجيبة [36] وعبد القادر الكوهن [37]

---

(26) انظر عنه :
سلوة 3 /2 ـ 3، السرب 8، أزهار البستان 206، فتح الاله 75 ـ 84، الحسام المشرفي 322 ـ 323. دليل مؤرخ المغرب 1 /374، مؤرخو الشرفاء 333 وهامش 10 ط. باريس، ملحق بروكلمان 2 /875، شجرة النور 376 ـ 377 رقم 1506 الفكر السامي 4 /128 رقم 805. النبوغ 1 /294، 299، 300. الدرر الفاخرة 73 معجم المحدثين 21. جامع القرويين 3 /807. الحياة الأدبية 345 ـ 347. مجلة دار الحديث الحسنية ع 3 ـ 1492هـ /1982م ص 64.

(27) سبقت ترجمته في الجزء الثاني من هذا البحث في العدد 9 من مجلة دار الحديث الحسنية (1991) ص 300 ـ 312.

(28) سبقت ترجمته

(29) انظر عنه سلوة 3 /114.

(30) انظر عنه مؤرخو الشرفاء 147 وهامش 5 ط. باريس.

(31) انظر عنه مؤرخوا الشرفاء 337 وهامش 4 ط. باريس، فهرس الفهارس 2 /1152.

(32) انظر عنه فهرس الفهارس 2 /778 ـ 781.

(33) ستأتي ترجمته في ص من هذا البحث.

(34) سبقت ترجمته في الجزء الأول من هذا البحث في العدد 8 من مجلة دار الحديث الحسنية (1990) في ص 445 ـ 448.

(35) انظر عنه سلوة 2 /343.

(36) انظر عنه تاريخ تطوان 6 /213 ـ 258.

(37) انظر عنه سلوة 2 /162،فهرس الفهارس 1 /368 ـ 371 .شجرة النور 397،معجم المحدثين23.

والمعمر الحسن كنبور [38] ومحمد الزروالي [39] ومحمد بن الحسن أقصبي ومحمد المدني الغربي ومحمد التهامي بن محمد البوري (ت 1243 هـ) ومحمد بن عبد الرحمان الفلالي الحجرتي والعربي بن محمد الدمناتي وعبد الهادي بن عبد الله العلوي وعبد الله الوليد العراقي، ومن أجل تلاميذه السلطان المولى سليمان العلوي [40]، وأجاز المترجم للطاهر المشرفي [41]، كان الطيب ابن كيران يدرس بالقرويين الحديث والتفسير وغيرهما، وكان في درس التفسير يستحضر أقوال المفسرين جميعا ويقابل بينها ويناقشها، ويرد الزائف منها بالدلائل القوية، والحجج البينة. وكان يحضر مجلسه أعيان الطلبة، كما سلف الذكر، والسلطان فمن دونه من رجال الدولة [42]، وقد اجتمع به الشيخ إبراهيم بن عبد القادر الرياحي التونسي [43] حين قدم إلى فاس سفيرا وتباحثا في مسائل علمية [44].

قال في المترجم محمد أبوراس المعسكري منوها بمنزلته في علم الحديث : «يزعمون أن الامام السيوطي هو آخر الحفاظ، وأنا أقول بدوري إن آخر الحفاظ والبلاغيين هو الشيخ الطيب ابن كيران، وليس من رأى كمن سمع» [45]. ووصفه تلميذه أحمد ابن عجيبة قائلا : «الفقيه الحافظ الكبير، والعالم النحرير، سيبويه زمانه، سيدي الطيب بن كيران بكسر القاف الفاسي، له تفنن في العلوم وخصوصا علم المعقول والنحو» [46]، وقال عنه محمد الحجوي : «عالم محقق نقاد حامل لواء العلوم المعقولة في المغرب وقته، وحافظ متقن، تفرد في وقته بالجمع بين علمي المعقول والمنقول، والفروع والأصول، يعرف أكثر الفنون، على أنه مجتهد فيها لا مقلد، وهو ممن حصل رتبة الاجتهاد في زمنه، كما وصفه في الروض المعطار وغيره» [47].

---

(38) انظر عنه فهرس الفهارس 1 /291 — 293.

(39) انظر عنه مؤرخو الشرفاء 202 وهامش 1 ط، باريس.

(40) سلوة 3 /3. شجرة النور 376.

(41) انظر عنه فهرس الفهارس 1 /466.

(42) النبوغ 1 /294.

(43) انظر عنه فهرس الفهارس 1 /437 — 439.

(44) شجرة النور 376.

(45) فتح الاله 75.

(46) أزهار البستان 206.

(47) الفكر السامي 4 /128.

ألف ابن كيران تآليف تنيف على العشرين، من بينها[48] :

أ. في الحديث :

1. شرح العشر الأواخر من الأربعين النووية[49] بأمر السلطان المولى سليمان.

2. شرح حديث «لا يدخل الجنة ولد زنى ولا ولد ولده»[50].

3. شرح حديث «إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس».

4. شرح ألفية العراقي في مصطلح الحديث[51].

5. رسالة في لفظة (قال) الواردة في إثر إسناد الحديث[52] ألفها بمناسبة مناقشة جرت في مجلس السلطان المولى سليمان العلوي. ويليها تعليق على الجواب للشيخ محمد بن عمرو الزروالي.

ب. في التفسير :

1. تفسير القرآن الكريم من سورة النساء إلى قوله تعالى من سورة غافر. ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ الآية[53].

2. تفسير سورة الفاتحة.

3. تفسير جزء من سورة البقرة[54].

توفي الطيب ابن كيران بفاس يوم 14 أو 17 محرم عام 1227 هـ الموافق ل 29 يناير أو فاتح فبراير 1812م، عن خمس وخمسين سنة.

---

(48) الكتب التالية وردت بتفاوت في شجرة النور 376 ــ 377. الفكر السامي 4 /128. النبوغ 1 /294، 299، 300 معجم المحدثين 21. الحياة الأدبية 347 ــ 348.

(49) مخطوط عدد 3142 المكتبة الملكية. وشاركه في شرح الأربعين النووية بأمر السلطان، كل من أحمد بن التاودي ابن سودة (ت 1235هـ) وعبد القادر ابن شقرون ومحمد بنيس (ت 1214هـ)، عشرة أحاديث لكل عالم، على الترتيب المذكور.

(50) طبع على الحجر بفاس في 27 ورقة.

(51) مخطوط عدد 1379 ك.

(52) مخطوطان بالخزانة العامة، ضمن مجموعين، رقم 1373 و 1072 ك ص 54 ــ 61، ويتضمن المجموع الأخير أيضا دراسة عن الهمزة. ومخطوط بالمكتبة الملكية عدد 1303.

(53) اعتمد فيه تفسير أبي بكر النيسابوري، حيث يهتم بمناسبات الآيات والسور، ويحتفظ حفدة المؤلف بنسخة منه، وانظر مجلة دار الحديث الحسنية ع 3 ــ 1402 هـ/1982م ص 64.

(54) انظر بقية مؤلفاته في الفقه والتصوف والعقائد والنحو وغيرها في المصادر والمراجع السالفة الذكر.

محمد به عبد السلام الناصري [55]

(ـ1239هـ / ـ1824م)

أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الكبير بن محمد بن ناصر الدرعي التامكروتي، من أعلام الزاوية الناصرية [56] وآخر كبار شيوخها، وأعلمهم بالفقه والتفسير، وأوسعهم رواية وأعلاهم سندا، كان محدثا حافظا فقيها أديبا رحالة.

أقام بفاس في سنوات السبعين هجرية (ما بين الخمسينات والستينات ميلادية)، ودرس على علمائها، كمحمد جسوس والتاودي ابن سودة ومحمد البناني وإدريس العراقي [57] الذي كان عمدته في الحديث، لازمه طويلا ولم تنقطع العلاقة بينهما حتى بعد رجوع المترجم من فاس، إلى أن مات العراقي، وأحمد الشرايبي ومحمد الحضيكي [58] وغيرهم.

---

(55) انظر عنه :
طلعة المشتري 2 /162 ـ 166 ط. فاس 1309.
فهرس الفهارس 2 /843 ـ 848 (ذكر لترجمته : إتحاف الحفيد، بترجمة جده الصنديد). الاعلام 5 /189 ـ 194، 197، 213 دليل مؤرخ المغرب 1 /32، 57. 2 /323، 349، 350، 465.
تاريخ تطوان 3 /87. الرحالة المغاربة 23 ـ 24. مجلة دعوة الحق ع 4 ـ 1959. شجرة النور 381 رقم 1524. الأدب المغربي محمد الفاسي، ص 539 بدائرة المعارف الاستعمارية. معجم المحدثين 33. مدرسة الامام البخاري 1 /61، 63 ـ 65، 176 ـ 177. 2 /514 ـ 515، الحياة الأدبية 368 ـ 377. الخزانة السلطانية وبعض نفائسها : مجلة البحث العلمي ع 4 و5 ـ 1965، مجلة دعوة الحق ع 240 ـ 1404 /1984 ص 73 و ع 263 ـ 1407 /1987 ص 101.

(56) تقع بتامكروت، التي توجد على ضفاف وادي درعة وراء الأطلس الكبير الجنوبي شرقي زاكورة، تأسست سنة 983هـ /1575م على يد عمر بن أحمد الأنصاري المتوفى سنة 1010هـ /1601م أخذ عن أعيان درعة.

(57) سبقت ترجمته في الجزء الثاني من هذا البحث في العدد 9 من مجلة دار الحديث الحسنية (1991) ص 312 ـ 320.

(58) سبقت ترجمته في الجزء الثالث من هذا البحث في العدد 10 من مجلة دار الحديث الحسنية (1992 ص 444 ـ 448

وكلهم أجازوه كما أجازه أحمد الورزازي (59) ومحمد بن أبي القاسم السجلماسي (60) وقد جمع إجازاتهم له بخطوطهم في مجموع، وأوسعها وأنفسها إجازة العراقي له، وهي عامة مؤرخة بتاريخ أوائل ذي القعدة عام 1182هـ قبل موته بسنة، ولعله آخر من عاش من أصحابه، إذ عاش الناصري بعده ستا وخمسين سنة (61)، وقد رحل إلى المشرق مرتين، بقصد الحج ولقاء العلماء والبحث عن الكتب النفسية. الرحلة الأولى كانت سنة 1196هـ (62)/1781م في عهد السلطان المولى محمد بن عبد الله، واتصل فيها بجماعة من العلماء، فأخذ عنهم وأخذوا عنه، منهم المعمر بن إسماعيل الفجيجي الأغواطي، وقاضي قابس أبو بكر بن أحمد المغربي المدني، ولعله أعلى من لقي في وجهته، لأنه شارك عم أبيه أحمد ابن ناصر في الرواية عن البصري، ومحمد بن أحمد الجوهري المصري وسليمان الجمل ومحمد بن محمد النابلسي البخاري، وأحمد البجيرمي ومحمد المنير ومحمد بن إبراهيم المصيلحي ومحمد بن الست الشلبي وحسن الجداوي وأحمد بن موسى العروسي وأحمد بن عبد الوهاب السمنودي وسليمان البجيرمي وعبد الرحمان البناني ومحمد بن علي الصبان (63) وأحمد بن محمد الدردير العدوي (64) ومحمد بن محمد الأمير (65) وغيرهم. وكلهم أجازوه، وإجازاتهم مثبتة في كناشه (66) لكن أعظم من لقي بالمشرق الحافظ مرتضى الزبيدي (67) الذي حظي منه بأكبر إقبال وأجازه نظما ونثرا، وأهداه عدة كتب نادرة أخرجها من مكتبته (68) وقال في إجازته له :

---

(59) سبقة ترجمته في الجزء الثالث من هذ االبحث في العدد 10 من مجلة دار الحديث الحسنية (1992)، ص 433 — 436

(60) سبقت ترجمته في الجزء الثاني من هذا البحث في العدد 9 من مجلة دار الحديث الحسنية (1991) ص 292 — 295.

(61) فهرس الفهارس 2 /844.

(62) المصدر السابق. الاعلام 5 /189، 193 نقلا عن الرحلة الكبرى للمترجم. مدرسة الامام البخاري 2 /514.

(63) انظر عنه فهرس الفهارس 2 /705. تاريخ الأدب لبروكلمان 2/288، وملحقه 2/399.

(64) انظر فهرس الفهارس 1/393 — 394.

(65) انظر عنه فهرس الفهارس 1 /133 — 139 تاريخ بروكلمان 2 /485، وملحقه 2 /737.

(66) الاعلام 5 /190.

(67) انظر عنه فهرس الفهارس 1/526 — 543.

(68) فهرس الفهارس 2 /844.

وقــد سألت ربنــا سبحانـــه له على ما قصد الاعانـــة
حــى يصير حافــظ الزمــان وعــالما بعلمـه الربـاني (69)

وتدبّج (70) محمد بن عبد السلام الناصري أثناء هذه الرحلة مع محدث الشام أحمد بن عبيد العطار الدمشقي الشافعي (71) في مصر، ومع الأمير الكبير، أجاز كل منهما له، كما أجازهما هو أيضا.

والرحلة الثانية سنة 1211هـ (72)/1797م في عهد السلطان المولى سليمان، وتعود أهمية هذه الرحلة إلى ما قام به المترجم أثناءها من اقتناء لمخطوطات نفيسة ونادرة، واطلاعه على بعضها، من ذلك أنه عثر بطرابلس عند رجل يقال له أبو الطبل على كتاب الكمال للحافظ عبد الغني المقدسي (73) في رجال الكتب الستة، وهو يقع في جزءين فاشتراه منه، وعثر عنده أيضا على نسخة من صحيح البخاري بخط الحافظ أبي علي الصدفي (74) التي ظلت مجهولة قبل اكتشافه لها، فتملكته رغبة أكيدة في شرائها، وعرض على مالكها كل ما استطاعه من ثمن، إلا أن صاحبها لم يقنع بذلك. ونظرا لتأثير هذا الحدث على محمد بن عبد السلام الناصري فقد تحدّث عنه في كل من كتابيه «المزايا» و «الرحلة الصغرى» وظل مهتما بهذه النسخة طوال حياته.

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(69) المصدر السابق 2 /847.

(70) التدبيج في اصطلاح الحديث أن يروي الراويان كل منهما عن الآخر. انظر التقييد والايضاح على مقدمة ابن الصلاح 333.

(71) انظر عنه فهرس الفهارس 2 /827 ــ 829. وذكر الدكتور يوسف الكتاني أن هذ التدبيج كان سنة 1218هـ مدرسة الامام البخاري 1 /172، وهو ليس صحيحا، لأن رحلة المترجم الأولى كانت سنة 1196 هـ والثانية سنة 1211 هـ وكلاهما قبل التاريخ الذي ذكره الدكتور بسنوات، كما أن عبدالحي الكتاني يذكر أن هذا التدبيج كان في الرحلة الأولى. انظر فهرس الفهارس 2 /844.

(72) الاعلام 5 /189، 213 نقلا عن الرحلة الصغرى للمترجم وطلعة المشتري. وفي فهرس الفهارس 2 /844 أنها كانت سنة 1212 هـ ولكنه في 2 /706 أرخ لها بعام 1211هـ.

(73) انظر عنه مادة «المقدسي» في دائرة المعارف الاسلامية 3 /575 (أ ــ ب). وذكر الدكتور الأخضر في الحياة الأدبية 369 أن المترجم اشترى كتاب الكمال وكتابالحافظ عبد الغني المقدسي، مع أن كتاب «الكمال» هو لعبد الغني المقدسي.

(74) انظر عنه فهرس الفهارس 2 /705 ــ 709. مدرسة الامام البخاري 1 /56 ــ 59.

ذلك لان هذه النسخة فريدة من نوعها حسب قوله، تحتوي على روايات في الحديث لمحدثي القرون السالفة من عصر القاضي عياض (75) إلى ابن حجر العسقلاني (76) وعلى كتابة بخط الحافظ السخاوي (77) تلميذ ابن حجر، على ما ظن المترجم، تفيد أنها هي الأصل الذي يعتمد عليه ويرجع إليه عند الاختلاف، وأن ابن حجر اعتمدها عند شرحه للصحيح المسمى «فتح الباري».

قال الناصري في كتابه «المزايا» بعد كلامه على نسخة ابن سعادة (78) «... وقد عثرت على أصل شيخه الحافظ الصدفي الذي طاف به البلاد بخطه، بطرابلس في مجلد واحد مدموج لانقط فيه أصلا، على عادة الصدفي وبعض الكتاب، إلا أن بالهامش منه كثرة اختلاف الروايات والرمز عليها، وفي آخره سماع عياض وغيره من الشيخ بخطه.

وفي أوله كتابة بخط ابن جماعة والحافظ وابن العطار، والسخاوي قائلا : هذا الأصل هو الذي ظفر به شيخنا ابن حجر العسقلاني وبنى عليه شرحه «الفتح». واعتمد عليه لأنه طيف به في مشارق الأرض ومغاربها : الحرمين ومصر والشام والعراق والمغرب، فكان الأولى بالاعتبار كرواية تلميذه ابن سعادة.

ولقد بذلت لمن اشتراه في عدة كتب من أهل طرابلس الغرب باصطنبول بثمن تافه، صرة ذهب فأبى من بيعه، وبقي ضائعا في ذلك القطر، وكان من مدح ابن عطار له بخطه ما نصه :

قد دام بالصدفي العلم منتشرا — وجل قدر عياض الطاهر السلفي

ولا عجيب إذا أبدى لنا دررا — ما الدر مظهره إلا من الصدف (ي)» (79)

وتحدث الناصري عن نسخة الصدفي أيضا في «رحلته الصغرى»، فقال : «وقد وقفت هنا عند أبي الطبل على نسخة البخاري في مجلد بخط الحافظ أبي علي الصدفي شيخ القاضي عياض، وعليها من سماعات العلماء في القرون السالفة عياض

---

(75) انظر عنه فهرس الفهارس 2 /797 ــ 804. دائرة المعارف الاسلامية 2 /602 ب ــ 603 ب.

(76) انظر عنه فهرس الفهارس 1 /321 ــ 337. دائرة المعارف الاسلامية 1 /236 ــ 250. 3 /402 ب ــ 403 ب.

(77) انظر عنه فهرس الفهارس 2 /989 ــ 993. تاريخ بروكلمان 2 /34. وملحقه 2 /31.

(78) انظر عنه فهرس الفهارس 2 /1030 ــ 1033. مدرسة الامام البخاري 1 /72 ــ 37.

(79) فهرس الفهارس 2 /707. الاعلام 5 /191 نقلا عن المزايا 37.

فمن دونه إلى ابن حجر العجب، ومن جملة ما كتب عليها ــ وأظنه بخط الحافظ السخاوي ــ ما نصه : هذا الأصل الذي يعتمد عليه ويرجع عند الاختلاف إليه، ولقد اعتمد عليه شيخنا الحافظ ابن حجر حالة شرحه للجامع الذي سماه «فتح الباري»... الخ» [80].

وقال كذلك في هذه الرحلة : «... فراودته ــ يعني أبا الطبل مالك النسخة الصدفية ــ عى إبدالها بنسخة جليلة مذهبة يناهز ثمنها السبعين دينارا في جزء أيضا فأبى، وعرضت عليه الثمن مضعفا فأبى، ويأبى الله إلا ما يريد...» [81].

ولم يقف الناصري عند هذا الحد، فبعد أن عجز عن شرائها وعاد إلى وطنه، بادر إلى إخبار السلطان المولى سليمان بهذا الاكتشاف وطلب منه العمل للحصول عليها بأي ثمن، فسارع السلطان بإرسال رسول خاص إلى أبي الطبل واشتراها منه بألف مثقال أوريال، إلا أن حربا كانت قائمة بين الجزائر وتونس منعت أبا الطبل من حمل النسخة إلى المغرب، وبعد مدة من الزمن كاتبه السلطان حول هذه النسخة لكنه لم يتوصل بها. ويخبرنا الناصري بذلك في كتابه «المزايا» قائلا : «... ثم حملتني الغيرة والمحبة على أن بلغت خبرها لأمامنا المنصور أبي الربيع سيدنا سليمان بن محمد، فوجه إليه حسبما شافهني به ألف مثقال أوريال ــ الشك مني ــ فأجابه من هو بيده أنه يقدم به لحضرته، وما منعه إلا فتنة الترك فيما بين تونس والجزائر، ثم لما طال الأمر أعاد الكتب بذلك وإلى الآن لم يظفره الله به، وقد داعبته ذات مرة قائلا على شأن سماع الصدفي المذكور : وماذا لمبلغ هذه الخصلة ؟ فوعدني ــ ووعد الملوك تحقيق ــ أنه إن ظفر به خرج منه فرعا وأعطاني أحدهما على اختياري» [82]. أوردت هذه النصوص لنرى مدى اهتمام محمد بن عبد السلام الناصري الشديد بالكتب العلمية، وخاصة النفيسة والنادرة منها، وخشيته على ضياعها. وحيث أن الكتاب هنا هو كتاب حديثي، فهذا يشير إلى تمكنه من علم الحديث وولوعه بكتبه.

---

(80) مدرسة الامام البخاري 1 /62.

(81) الاعلام، 5 /190 نقلا عن الرحلة الصغرى.

(82) فهرس الفهارس 2 /709. والمؤكد الآن حول هذه النسخة الصدفية من صحيح البخاري أنها موجودة في مكتبة الشيخ أحمد بن محمد السنوسي بجغبوب من طرابلس الغرب الجمهوية الليبية. انظر فهرس الفهارس 2 /709. الحياة الأدبية 370 هامش 9. مدرسة الامام البخاري 1 /64 ــ 65، 387. مجلة دعوة الحق ع 8 س 15. 1393 /1973 ص 33 (صحيح البخاري بخط الحافظ الصدفي) للدكتور عبد الهادي التازي.

وقد زار المترجم أثناء هذه الرحلة الامام أبا زيد الثعالبي [83] والخروبي شارح الصلاة المشيشية والجزائري [84] ناظم التوحيد [85].

لقد بلغ الناصري شأوا بعيدا في العلوم، فأقبل الطلبة عليه مغاربة ومشارقة، للنهل من معارفه، ومنهم الطيب ابن كيران ومحمد ابن التهامي الرباطي [86] والشيخ الأمير [87].

وممن أجازهم المترجم عامة الأمير المذكور والمولى سليمان وحمدون ابن الحاج ومحمد بن منصور الشفشاوني الفاسي [88] وعبد الكريم بن عبد السلام الحضري الشفشاوني الفاسي ومحمد البخاري التبزاوي الفلالي ومحمد بن عبد الواحد المكناسي والمعمر البركة محمد العلمي التازي (ت 1225هـ) والتهامي الأويبري الحمري [89]. لقد وصف عبد القادر الكوهن [90] المترجم بأنه «خاتمة حفاظ المغرب»، إلا أن عبد الحي الكتاني عقب على ذلك بأن الحفظ نسبي، وعلى حسب الزمان والمكان، فوصف الناصري بحافظ صقعه، وأقر بأنه لم يكن في تلاميذ شيخه إدريس العراقي بالمغرب أشهر منه، وأكبر سعة رواية، وعلو إسناد، وطول بحث وتنقيب وجمع ولقاء بعلماء الحديث واغتباط بما عندهم [91] ومهما يكن من أمر فقد تحقق في الناصري دعاء شيخه مرتضى الزبيدي المنظوم، الذي سلف ذكره، سواء على المستوى المحلي، على قول الكتاني، أو على المستوى الوطني على قول الكوهن.

وقد كان المترجم بالاضافة إلى ذلك شاعرا ذا نزعة صوفية، وهذه أبيات من قصيدة له تنم عن هذا :

لله في الخلق ما اختارت مشيئته	ما الخير إلا الذي يختاره الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته	ما لامرئ حيلة فيما قضى الله

---

(83) انظر عنه دائرة المعارف الاسلامية 4 /770 ب.

(84) انظر عنه الاعلام للزركلي 1 /153 ب.

(85) الاعلام 5 /213.

(86) انظر عنه فهرس الفهارس 2 /279. الاعلام 5 /215 — 223. الحياة الادبية 384 — 388.

(87) شجرة النور 381.

(88) انظر عنه سلوة 3 /6. الاعلام 5 /172 — 173.

(89) فهرس الفهارس 2 /847.

(90) انظر عنه سلوة 2 /169. فهرس الفهارس 1 /490 — 493.

(91) فهرس الفهارس 2 /847.

تجـري الأمـور بأسبـاب لهـا علـل | تجـري الأمـور علـى ما قدر اللـه
إن الأمـور إذا ضاقت لهـا فرج | كم من أمـور شداد فرج اللـه [92].

ألف الناصري مجموعة من التآليف منها:

1. شرح أربعين حديثا، من جمع شيخه محمد بن أحمد الجوهري المصري [93]، قال في مقدمته: «لما قفلت من الحرمين الشريفين (1197هـ)، وكان من جملة من لقيته وأخذت عنه العلم بمحروسة مصر الامام النبيل العالم العلامة الجليل سيدنا أبو عبد الله محمد بن محمد الجوهري الخالدي الشافعي.... ندبني إلى شرح أربعين حديثا له في الحث على ترك الظلم، بعد أن قام وقعد في إكرامنا، وهش وبش لملاقاتنا، ووهب لنا منها نسخة وكتب بخطه على ظهرها: أجزتكم بها وأرجو أن تشرحوها إذا وصلتم، مع ذكر سندها وبيان رتبتها، والاقتصار على بيان المعاني، مع الاختصار ما أمكن.

فقلت له مشافهة: إني لست من خيل ذلك الميدان، ولا ممن يليق به أن يتجاسر على الأحاديث النبوية فيخط فيها ببنان» وهو تواضع منه ليس إلا.

2. أجوبة لنوازل مختلفة [94].

3. المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا [95]. ألفه للرد على البدع التي أحدثت بزاوية تامكروت، وعددها ستون، وتنعكس فيه ثقافته الحديثية والفقهية، إلا أنه يشتمل على تحامل في بعض المواضع، حسب ما قاله أحمد الناصري [96].

4. كناشة، تعرف باسمه [97] تشتمل على استدعائه [98] من مشايخه مغاربة ومشارقة، وعقبها إجازاتهم له بخطوطهم.

(92) طلعة المشتري 2/ 165.
(93) مخطوط عدد 137 ق، ضمن مجموع، ص 1 — 109.
(94) مخطوط عدد 1079 د، ضمن مجموع.
(95) مخطوط عدد 4297.
(96) طلعة المشتري 2/ 165.
(97) مخطوط مبتور، عدد 3289 ك، يحتوي على 18 ورقة غير مرقمة. وهي مجلدة.
(98) الاستدعاء في اصطلاح الحديث طلب الاجازة الذي يوجهه المستجيز إلى الشيوخ والعلماء والمحدثين يطلب منهم الاجازة في علم من العلوم أو سند من الاسناد، انظر مدرسة الامام البخاري 1/ 204.

5. فهرسة، نسبها له محمد بن قدور الزرهوني في إجازته له [99].
6. الرحلة الكبرى [100] سجل فيها رحلته الأولى إلى المشرق.
7. الرحلة الصغرى [101] دون فيها رحلته الثانية.

توفي محمد بن عبد السلام الناصري يوم 12 صفر 1239هـ /18 أكتوبر 1824م.

خاتمــــة

يمكن إجمال أهم نتائج هذا البحث فيما يلي :

1. لعل القارىء المنصف يستطيع بعد اطلاعه على هؤلاء المحدثين وتآليفهم الحديثية، أن يتأكد من كذب المقولة الزاعمة بأن المغاربة لم يهتموا بالأصول، وأن المشارقة والأندلسيين هم وحدهم الذين اعتنوا بها، وناهيك بالمحدث الحافظ إدريس العراقي، الذي قال عنه معاصره المحدث عمر الفاسي إنه أحفظ من ابن حجر العسقلاني، ولم يكن قوله هذا من قبيل المجاملة والمدح، وإنما بالدليل العلمي على صدق هذا الوصف، كما رأينا ذلك، وبالتاودي ابن سودة الذي شهد بنبوغه الحديثي علماء الأزهر وغيرهم، والأمثلة كثيرة.

2. وقد عرف عهد المولى محمد بن عبد الله عددا هائلا من المحدثين اقتصرت على ترجمة أربعة وعشرين منهم، كنماذج لمحدثي هاته الفترة التاريخية الزاهرة، وهو مظهر من مظاهر ازدهار علم الحديث في هذا العهد.

3. ومن مظاهره كذلك قيام حركة نشيطة تتمثل في دراسة وتدريس الحديث النبوي الشريف، فقد انتشر المحدثون في المساجد والزوايا وقاعات الدرس، وازداد الاقبال على علم الحديث، بفضل المجهودات الجبارة التي بذلها السلطان، فاكتظت مجالس العلماء بالطلبة والمتعطشين لهذا العلم.

---

(99) فهرس الفهارس 2 /845.
(100) مخطوط بالمكتبة الملكية عدد 5658 بخط مؤلفه.
(101) توجد بخزانة عبد الحي الكتاني. انظر فهرس الفهارس 2 /845.

4. وعرف هذا العهد أيضا تحقيق منجزة عظيمة وهي إنشاء المجالس الحديثية على يد هذا السلطان العالم، فكان بذلك أول مؤسس لها، في عهد العلويين، وقد أسهمت هذه المجالس بفعالية كبيرة في ازدهار الدراسات الحديثية، بما بعثته في نفوس العلماء من روح التنافس والتباري، فدفعت أعضاءها والمدعوين لها، إلى المزيد من الاطلاع من أجل الابداع درسا وتأليفا، وتقديم أحسن ما لديهم بحضرة السلطان.

5. وقد انطبعت هذه المجالس في شكلها وتركيبها بما يمكن تسميته بالنظام البرلماني حسب التعبير القانوني، إذا شاركت فيها مختلف المناطق المغربية، ممثلة في محدثيها وعلمائها، مثل فاس ومكناس والرباط وسلا وتطوان وتادلا وسجلماسة وسوس ومراكش وغيرها، واتسمت شكلا كذلك بنظام اللامركزية حسب التعبير القانوني أيضا، إذ لم تقتصر على العاصمة مراكش، بل انتشرت هذه المجالس في ارجاء المغرب، يقيمها خلفاء السلطان وأمراؤه وعماله.

6. وفي هذا العهد دخلت إلى المغرب مسانيد الأئمة أبي حنيفة وأحمد بن حنبل والشافعي، فكان لذلك أثر كبير على الدراسات الحديثية المغربية، إذ اعتنى بها المحدثون وتدارسوها، وطعموا تآليفهم بما فيها من أحاديث، وخاصة مسند أبي حنيفة الذي عثروا فيه على مجموعة جديدة من الأحاديث، مروية من طرق لم يعرفوها من قبل.

7. ومن مظاهر هذه النهضة الحديثية أيضا ازدهار حركة التأليف في علم الحديث، وقد تعرفنا على مجموعة من هذه المؤلفات، منها ما صنف حول كتاب أو كتب حديثية معينة معروفة، كالصحيحين والموطإ والأربعين النووية ومشارق الأنوار للصغاني وغيرها، ومنها ما هو بحث جديد ومستقل ليس شرحا أو حاشية على كتاب حديثي معين.

وبعض هذه التصانيف اتسمت بالابتكار والابداع، وبذلك انطبع بالطابع المغربي الأصيل، وقام دليلا واضحا على أن المغاربة قادرون ــ كغيرهم أو أكثر ــ على بعث نفس جديد في الدراسات الحديثية، وأنهم ليسوا مقلدين فقط كما يدعي بعض الجهال.

لكن عذر هؤلاء هو أن معظم هذه المؤلفات لازالت مخطوطة قابعة في رفوف المكتبات العامة والخاصة، تنتظر من ينفض عنها غبار الاهمال والتجافي، ويعمل على تحقيقها ونشرها ليطلع عليها الناس ويستفيدوا منها، وبذلك لن يبقى أي عذر لمن يزعم اهتمام المغاربة بالفروع دون الأصول، أو يطعي أنهم يهتمون أحيانا بالأصول، لكنهم دائما مقلدون لغيرهم.

8. ولم يقف الاهتمام بالحديث النبوي في هذه الفترة التاريخية عند الحدود النظرية المحضة، بل تجاوز ذلك إلى حيز التطبيق في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، فكان السلطان يستشهد بالحديث في مناقشاته العلمية والتعاملية، وفي المناشير التي يصدرها، سواء تعلق الأمر بالعقيدة أو القضاء أو التعليم أو افتكاك الأسرى أو غير ذلك. ونفس الشيء يمكن قوله بالنسبة لمحدثي عهده، كان الحديث النبوي عملتهم الدائمة في التعامل والنقاش أو تصحيح فساد ظهر بالمجتمع، حتى صاغ حمدون ابن الحاج مضمون حديث نظما، إذ قال في حواره الطرائفي مع السلطان مخاطبا وصيفه ميمونا :

نعم وأزيد :

ولم تعمل بحكم الشرع فينا | كما جلاه خير المرسلينا
رسول الله فيما صح عنه | من أنه قال : ناولها اليمينا

9. إلا أن هؤلاء المحدثين على الرغم من تعاطيهم لعلم الحديث وتشبعهم بالهدي النبوي، فإنهم لم يقاطعوا الاشتغال بالفروع الفقهية، بل ظلوا متشبثين بها، ودليل ذلك أنهم كانوا يدرسون ــ مما يدرسونه ــ ويطالعون كتب الفروع، وخاصة قبل إصدار السلطان للمنشور الاصلاحي المؤرخ بتاريخ 1203هـ /1708م، غير أن الذي يطمئن انفس، هو أن اشتغالهم بهذا النوع من الدراسات أصبح مطعما بالثقافة الحديثية، مما جعلهم يربطون بين الفروع الفقهية والحديث النبوي، وذلك هو المقصود.

10. ونلاحظ كذلك حول هؤلاء المحدثين أن معظمهم يتصف بالظاهرة الموسوعية، حيث له مشاركة في علوم مختلفة من حديث وتفسير وأصول وفقه

وعربية ومنطق وغيرها. مثل المولى محمد بن عبد الله وعبد الرحمان المنجرة وحملون ابن الحاج ومحمد الجنوي وغيرهم كثير، ولذلك وجدنا لهم مؤلفات في علوم مختلفة، تبعا لمشاركتهم فيها.

11. ومنهم من وصل درجة الاجتهاد، وتمكنه من علم أصول الفقه وأدوات الاجتهاد، فكان لا يرضى بالتقليد، وانما يحقق المسائل ويدققها، أمثال محمد جسوس وعمر الفاسي ومحمد الجنوي والطيب ابن كيران.

12. ومنهم أيضا الأدباء والشعراء الفطاحل، الذين تركوا كتابات أدبية رائعة، نثرا أو نظما أو هما معا، في طليعتهم أحمد ابن عثمان المكناسي والطاهر ابن عبد السلام وحملون ابن الحاج وسواهم.

13. كان للاتجاه الذي نهجه السلطان المولى محمد بن عبد الله في النهوض بعلم الحديث أثر على الملوك العلويين الذين أتوا بعده، بدءا من ولده السلطان المولى سليمان، فقد سار على نهج أبيه، على الرغم من مخالفته له في بعض الأمور، كإلزامه الناس بقراءة مختصر خليل وتشجيعه على ذلك بالوسائل المادية والمعنوية، لذلك استمرت هذه النهضة الحديثية التي زرع بذرتها المباركة والده، خاصة أن مجموعة من محدثي العهد المحمدي عاشوا في عصر المولى سليمان.

(تم البحث)

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات والمطبوعات :

ـ أ ـ

1. اتحاف أعلام الناس، بجمال أخبار حاضرة مكناس، عبد الرحمان ابن زيدان ط 1 ـ 1349 هـ /1930م. (اختصاره ـ الاتحاف).
2. اتحاف أشرف الملا، ببعض أخبار الرباط وسلا. محمد بن علي الدكالي. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 11 د.
3. اتحاف أهل الدراية والتوفيق والسداد بما يهمهم من فضل العلم والتلقين وطرق الاسناد. محمد بصري المكناسي. ذكر في معجم المحدثين، ص 31.
4. إتحاف المطالع بوفيات رجال القرن الثالث عشر والرابع. عبد السلام ابن سودة. ذكر في جامع القرويين3 /808.
5. الاتحاف الوجيز بأخبار العدوتين لمولانا عبد العزيز محمد بن علي الدكالي، تحقيق مصطفى بوشعراء. منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، 1406هـ /1986م.
6. الاحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش، عبد الله العياشي. ميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط. رقم 1433د.
7. الأدب المغربي. محمد ابن تاوت ومحمد عفيفي. ط 1 ـ بيروت : 1960.
8. أزهار البستان، في طبقات الأعيان. أحمد بن عجيبة نسخة بخط أحمد بن محمد العلمي الشفشاوني بخزانة الفقيه محمد بوخبزة بتطوان، الذي قدم لها بترجمة مؤلفها وصححها وكتب هوامشها. ويوجد مخطوط منه على أصله بالخزانة العامة. رقم 286 ك و 3347ز.
9. التقاط الدرر، ومستفاد المواعظ والعبر، من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر، محمد القادري، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 676د.
10. ألفية السند. مرتضى الزبيدي ذكرت في فهرس الفهارس 1 /257.
11. إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والاسناد (فهرسة). عبد القادر الكوهن. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط 514.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

12. الامام أبو عبد الله المسناوي. إدريس خليفة رسالة دبلوم. توجد نسخة مرقونة بمكتبة دار الحديث الحسنية.
13. الاعلام، بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام. عباس بن إبراهيم المراكشي. الخمسة أجزاء الأولى ط. فاس 1355 ــ 1357 هـ /1936 ــ 1938م. ط 2، تحقيق عبد الوهاب بن منصور. صدر منها 8 أجزاء عن مطبعة القصر الملكي سنة 1394هـ /1974م. (اختصاره ــ الاعلام).
14. الأعلام، معجم تراجم. خير الدين الزركلي عشرة أجزاء. دون تاريخ ولامكان الطبع.
15. الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى. أحمد الناصري ط. 2. دار الكتاب الدار البيضاء. 1956.
16. الاسناد للشفيع يوم التناد. (فهرسة). عبد الرحمان المنجرة. مخطوط خ. ع. ر رقم 2244 ك.
17. آسفي وما إليه. محمد الكانوني، ط. القاهرة 1353 هـ /1935م.
18. الاشراف على من بفاس من مشاهير الأشراف. محمد الطالب ابن الحاج. ذكر في فهرس الفاهرس 2 /822 و3 /251.
19. أوضح المسالك، محمد الرهوني، ط 1 ــ مصر 1306هـ.
20. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. إسماعيل باشا البغدادي. مطبعة وكالة المعارف، استنبول 1947.
21. إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة. محمد سعيد الصديقي. مطبعة دار الكتاب. الدار البيضاء.

ــ ب ــ

22. البستان الظريف، في دولة أولاد مولانا علي الشريف. أبو القاسم الزياني. مخطوط خ.ع.ر رقم 1577 د.

ــ ت ــ

23. تأليف في ترجمة التاودي ابن سودة. الطالب ابن الحاج ذكر في دليل مؤرخ المغرب 1 /191 رقم 736ط. الدار البيضاء 1960.
24. تحفة الزائر بمناقب الشيخ ابن عاشر. أحمد بن عاشر الحافي. مخطوط خ.ع.ر. رقم 389.

25. التذييل المنتخب فيما لفضلاء الشعبة العراقية من المآثر وجب. الوليد العراقي. ذكر في فهرس الفهارس 2 /819.
26. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. القاضي عياض. طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت ؛ 1974. حققه مجموعة من الأساتذة المغاربة. نشر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية.
27. الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا. أبو القاسم الزياني. تحقيق وتقديم عبد الكريم الفيلالي. نشر وزارة الأنباء. مطبعة فضالة المحمدية. 1967.
28. التنبيه والاشادة بمقام رواية ابن سعادة. عبد الحي الكتاني. ذكر في مدرسة الامام البخاري 1 /89.
29. التقييد والايضاح على مقدمة ابن الصلاح. ذكر في مدرسة الامام البخاري في المغرب 1 /171 هامش 45.
30. تاج العروس. (مادة : سود). مرتضى الزبيدى ذكر في مؤرخو الشرفاء ص 238، ط. الرباط 1977.
31. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان. وعمروبرلين، 1898 ــ 1902، جزآن. المطبعة الجديدة في ليدن، بريل الجزء الأول، 1943 ــ الجزء الثاني، 1949.
32. تاريخ الأزهر. ذكر في جامع القرويين 3 /805.
33. تاريخ التراث العربي. فؤاد سيزكين. المجلد الأول من الجزء الأول نقله إلى العربية د. فهمي أبو الفضل طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة 1971.
34. تاريخ تطوان، محمد داود، ط. تطوان 1379هـ /1959م.
35. تاريخ الضعيف الرباطي، ذكر في تاريخ تطوان : 3 /91.
36. تاريخ الشعر والشعراء بفاس. أحمد النميشي. مطبعة أندري. فاس : 1343هـ /1924م.

ــ ث ــ

37. ثمرة أنسي في التعريف بنفسي. سليمان الحوات. ذكر في دليل مؤرخ المغرب. 2 /296 ط. الدار البيضاء 1960.

ــ ج ــ

38. جواهر الكمال. محمد الكانوني المطبعة العربية. الدار البيضاء : 1356 هـ /1937م.

39. جامع القرويين : د. عبد الهادي التازي ط. 1. دار الكتاب اللبناني : بيروت. 1972.

— ح —

40. الحلل السندسية في الأخبار التونسية. محمد بن محمد الأندلسي السراج، الدار التونسية للنشر تونس 1970.
41. حيلة البشر. ذكر في فهرس الفهارس 1 /165 هامش 15 (المعتني إحسان عباس).
42. الحسام المشرفي في الرد على أكنسوس المراكشي. ع. المشرفي مخطوط خ. ع. ر رقم 2276 ك.
43. الحياة الأدبية على عهد الدولة العلوية د. محمد الأخضر ط. 1 ــ 1977.

— د —

44. الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس. الوليد العراقي. ذكر في سلوة الأنفاس 1 /143.
45. درة السلوك. عبد السلام بن محمد بن عبد الله، ذكر في الاتحاف الوجيز، بتحقيق مصطفى بوشعراء ص 122، هامش 136.
46. الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسينية والحسنية. ابن أحمد العلوي الفضيلي. طبعة حجرية. فاس : 1314هـ /1896م.
47. الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة. عبد الرحمان ابن زيدان. المطبعة الاقتصادية 1356هـ /1937م.
48. دليل مؤرخ المغرب الأقصى. عبد السلام ابن سودة ط. 1. تطوان : معهد مولاي الحسن 1369هـ /1950م، ط. 2، دار الكتاب الدار البيضاء ج 1 ــ 1960، ج 2 ــ 1965.
49. دائرة المعارف الاستعمارية والبحرية ط. باريس 1948.
50. دائرة المعارف الاسلامية. لايد ــ باريس 1913 ــ 1942.

— ر —

51. الروض، أحمد الصبيحي. مخطوط بالخزانة الصبيحية بسلا.

52. الروضة المقصودة في مآثر بني سودة. سليمان الحوات مخطوط بالخزانة الملكية رقم 10923، والخزانة العامة بالرباط، رقم 2211.
53. رياض الورد إلى ما انتهى إليه هذا الجوهر.الفرد، محمد الطالب ابن الحاج. مخطوط خ.ع.ر. رقم 111د.

— ز —

54. الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، د. محمد حجي، المطبعة الوطنية. الرباط 1384هـ /1964م.

— ط —

55. طبقات محمد الحضيكي. طبعة الدار البيضاء 1357هـ /1938م.
56. طبقات الفقهاء. أبو إسحاق الشيرازي، مطبعة بغداد. بغداد 1356هـ.
57. طلعة المشتري في النسب الجعفري. أحمد الناصري فاس، 1309هـ.

— ك —

58. الكتاب الذهبي : جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف. نشر وزارة التربية الوطنية. مطبعة فضالة. المحمدية 1379 هـ /1960م.

— م —

59. مختصر تاريخ تطوان. محمد داود، المطبعة المهدية. تطوان 1375هـ /1955م.
60. مختصر خليل. ط. 1 فاس. 1322هـ.
61. المخطوطات العربية بالرباط. ليڤي بروفنسال. الخزانة العامة للحماية الفرنسية بالمغرب باريس 1921.
62. مدرسة الامام البخاري في المغرب. د. يوسف الكتاني ط. دار لسان العرب. بيروت. بدون تاريخ.
63. المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا. محمد بن عبد السلام الناصري. مخطوط خ. ع. ر رقم 4297.

64. مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور الموحدي. عبد الهادي الحسيسن. ط.1. ج 1 ــ 1982 ج 2 ــ 1983.
65. ملحق كارل بروكلمان. ليدن بريل ج 1 ــ 1987. ج2 ــ 1938. ج 3 ــ 1942.
66. الملك المصلح سيدي محمد بن عبد الله. الحسن العبادي رسالة دبلوم من دار الحديث الحسنية. ط 1987.
67. معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى. عبد العزيز بنعبد الله. الرباط 1382هـ /1972م.
68. معجم مرتضى الزبيدي. ذكر في فهرس الفهارس 2 /820.
69. معجم المطبوعات. يوسف سركيس، ط. القاهرة 1346 ــ 1349هـ /1928 ــ 1930م.
70. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي : دمشق. 1380هـ /1961.
71. المعسول. محمد المختار السوسي، مطبعة النجاح الدار البيضاء 1370هـ /1960م
72. المقتبس الأسمى. ح. الفيلالي مخطوط خ.ع.ر. رقم 355 ك. ضمن مجموع.
73. مسانيد الأئمة. السلطان محمد بن عبد الله العلوي مقدمة الفريد البستاني. ط. 1941.
74. مؤرخو الشرفاء، ليفي بروفنسال. ط. باريس 1922. وبتعريب عبد القادر الخلادي. ط. الرباط 1977.

ــ ن ــ

75. النبوغ المغربي في الأدب العربي. عبد الله كنون ط. 2 دار الكتاب اللبناني. بيروت 1961.
76. النعيم المقيم، محمد المرير، ذكر في تاريخ تطوان 6 /267.
77. نفحة المسك الداري لقاري صحيح البخاري. حمدون ابن الحاج ط. فاس 1329هـ.
78. نشر حوليات المثاني للقادري. حسب مخطوطة فريدة بمكتبة البودليان بجامعة أكسفورد. نشر د. نورمان سيكان. تقديم د. عبد الهادي التازي، ط.1978.

79. النشر الكبير. محمد القادري. مخطوط خ.ع.ر. رقم 2253 ك.
80. نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني. محمد القادري. المطبعة الحجرية. فاس : 1310هـ /1892م.

— ص —

81. صفوة ما انتشر من أخبار أهل القرن الحادي عشر. محمد الافراني. المطبعة الحجرية. فاس.

— ع —

82. عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد. السلطان سليمان العلوي. مقدمة محمد العابد الفاسي. المطبعة الجديدة، فاس. 1347هـ /1928م.

— غ —

83. غاية الأمنية، وارتقاء الرتبة العلمية، في ذكر الأنساب الصقلية، ذات الأنوار البهية السنية. عبد الواحد الفاسي مخطوط خ.ع.ر، رقم 97 ج.

— ف —

84. فتح الاله ومنته في التحدث بفضل الرب ونعمته. محمد أبوراس المعسكري. مخطوطان ن.خ.ع.ر. رقما 2263 ك. و2332 ك.
85. الفتح الوهبي. العربي بن بنداوود بن العربي، ذكر في الاعلام : 5 /158.
86. الفتوحات الالهية في أحاديث خير البرية. السلطان محمد بن عبد الله العلوي. مقدمة محمد الرشيد ملين ومقدمة المدني بن الحسني. المطبعة المحمدية : الرباط.
87. الفكرالسامي في تاريخ الفقه الاسلامي. محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي. ط. الرباط وفاس 1345 — 1349هـ.
88. فهرس الخديوية. ذكر في مدرسة الامام البخاري : 1 /250.
89. فهرس ع. الدمناتي. مخطوط خ.ع.ر. رقم 1254 ك. ضمن مجموع.

90. فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. عبد الحي الكتاني. اعتناء د. إحسان عباس ط.2. دار الغرب الاسلامي : بيروت 1402هـ /1982م.
91. فهرسة ابن التهامي بن عمرو الرباطي. ذكرت في فهرس الفهارس : 1 /119.
92. فهرسة الاسغركيسي. ذكرت في الاعلام للمراكشي : 2 /190.
93. فهرسة محمد بن عبد الصادق ابن ريسون. ذكرت في تاريخ تطوان : 6 /269.
94. فهرسة محمد بن علي الورزازي. ذكرت في تاريخ تطوان 3 /153.
95. فهرسة الشيخ الأمير المصري، ذكرت في فهرس الفهارس 1 /257.

— س —

96. السرب، ذكر في جامع القرويين : 3 /806.
97. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر. محمد المرادي. المطبعة الميرية. القاهرة : 1301هـ.
98. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس. محمد الكتاني ط. ح فاس. 1310هـ/1900م.
99. سلوك الطريق الوارية في التلميذ والشيخ والمريد والزاوية. (فهرسة) محمد الزبادي. ميكروفيلم خ.ع.ر. رقم 190.
100. السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية. محمد ابن المؤقت. المطبعة الحجرية، فاس. بدون تاريخ.
101. سوس العالمة. محمد المختار السوسي، مطبعة فضالة. المحمدية. 1380هـ /1960م.

— ش —

102. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : محمد بن محمد مخلوف. دار الكتاب العربي : بيروت.
103. الشرب المختصر. جعفر الكتاني. ذكر في تاريخ تطوان. 6 /266.

104. شرح الشمقمقية. عبد الله كنون. مطبعة مصطفى محمد. القاهرة : 1354هـ /1945م.

ـ ي ـ

105. يتيمة العقود الوسطى في مناقب أبي عبد الله سيدي محمد المعطي محمد العبدوني. مخطوط خ.ع.ر. رقم 305 ك.
106. اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة. محمد البشير الأزهري، مطبعة الملاجىء العباسية، القاهرة. 1335هـ /1808م.

ثانيا : الدوريات :

107. مجلة البحث العلمي، يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط. جامعة محمد الخامس : ع 4 و 5 ـ 1965.
108. مجلة دعوة الحق. ع4 ـ 1959. ع 10 ـ 1959. ع 4 ـ 1967. ع 5 ـ 1967. ع 8 ـ 1973. ع 2 ـ 1978. غ 4 ـ 1979، ع 227 ـ 1983. ع 234 ـ 1984. ع 237 ـ 1984. ع 240 ـ 1984. ع 242 ـ 1985. ع246 ـ 1985. ع263 ـ 1987. ع 265 ـ 1987.
109. مجلة دار الحديث الحسنية. سنوية علمية تعنى بشؤون الفكر الاسلامي ع 2 ـ 1401 /1981. ع 3 ـ 1402 /1982.
110. مجلة رسالة المغرب. ع 7 س 1 ـ 1943.
111. مجلة المغرب الصادرة عن وزارة الممثل الشخصي للملك المغرب ع. 6 ـ 7 س 5، نوفمبر ـ دجنبر 1936.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مدارس التعليم الشّرعي الأصيل

في مدينة حلب السورية بين عامي 1918-1958م *

للأستاذ تميم الحلواني

التعريف بمدينة حلب

تعتبر حلب ثانية المدن السورية، فهي تأتي بعد دمشق العاصمة، من حيث الأهمية السكانية والعمرانية والحركة التجارية والعلمية، وتدب فيها الآن حركة إعمارية وسكانية ظاهرة.

الموقع الجغرافي

تقع مدينة حلب على البوابة الشمالية للقطر العربي السوري، حيث الحدود التركية التي تتعانق وحدود محافظة حلب، مشكلة معها شبه قوس أو نصف دائرة تقريبا.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وتسقى هذه المدينة من ماء نهر الفرات، أما نهر «قويق» الذي يفد إليها عبر الأراضي التركية فلم يعد صالحا لشيء، بل ربما نقل إليها بعض الأسقام والعلل، وذلك لقلة مائه مع تلوثه في فصل الشتاء، ولجفافه إلا من بعض المستنقعات في الصيف.

قال الحموي في معجم بلدانه متحدثا عن حلب : «حلَبُ بالتحريك مدينة عظيمة، واسعة، كثيرة الخيرات وطيبة الهواء، صحيحة الأديم [1] والماء [2]».

وقال فيها أيضا : «وأما قلعتها، فبها يضرب المثل في الحسن والحصانة... لأن مدينة حلب في وطأ من الأرض، وفي ذلك الوطأ جبل عال مدور صحيح التدوير، مهندم بتراب صح به تدويره والقلعة مبنية في رأسه» [3].

* أشرف على هذا البحث الأستاذ السعيد بوركبة.

(1) الأديم : وتعني هنا الأرض ـــ انظر مختار الصحاح : مادة «أدم».

(2) الحموي: ياقوت، معجم البلدان، ج 2، ص 282، دار صادر ـــ بيروت.

(3) المرجع نفسه، ج 2، ص 285.

المكانة التاريخية وسبب التسمية

لمدينة حلب مكانة تاريخية عظيمة، لأنها تدخل في عداد المدن القديمة الممتدة الجذور في عصور التاريخ السالفة، شهدت لها بذلك المصادر التاريخية الموثوقة.

يقول الدكتور عبد الفتاح رواس قلعة جي في كتابه «حلب القديمة والحديثة» «إن حلب في موقعها الحالي يكمن ثلاثة وجودات، ما تزال تشخص إلى اليوم تاريخا وعمرانا وسكانا :

1. حلب العصر الحجري : وهي الغائصة في ظلمات الأرض مغاور، وكهوفا، وسراديب، وبيوتا منقورة في الحَوَّار ماثلة إلى الآن لم تكتشف.

2. حلب القديمة : وهي القلعة، والأسوار، والمساجد، والقصور، وغيرها من الآثار والنسج العمرانية القديمة.

3. حلب الحديثة : وهي الامتدادات الجديدة للمدينة، ذات الطابع العمراني الغربي» (4).

ثم أضاف الدكتور قلعة جي قائلا : «وآثار ماري تذكر حلب في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، وكثيرا ما كان ملوك ماري، وملوك حلب يتبادلون الهدايا» (5). ولقد وصلت الفتوحات الاسلامية إلى مدينة حلب أيام الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ذكر ذلك ابن الأثير في أحداث السنة الخامسة عشرة للهجرة (6).

وحلب تسمى منذ القديم «حلب الشهباء»، وفي بيان سبب هذه التسمية أقوال : قيل : إن حلب سميت بالشهباء لأن نبي الله ابراهيم عليه السلام لما هاجر من بلاده أقام بحلب في تل قلعتها وكانت له بقرة شهباء، والشهب بياض يصدعه سواد، فهو يحلبها كل يوم ويوزع لبنها على من جاوره من العرب فيقال : ابراهيم حلب الشهباء، وهذا القول هو المشهور عند أكثر الحلبيين. وقيل : إنها سميت بذلك لأنها معروفة بأرضها الحوارية وحجارتها الكلسية البيضاء (7).

(4) حلب القديمة والحديثة، ص 13، ط 1، عام : 1409 هـ ـــ 1989م، مؤسسة الرسالة ـــ بيروت.

(5) المرجع نفسه، ص 14.

(6) انظر : ابن الأثير، عز الدين في : الكامل في التاريخ، ج 2، ص 494ـــ495 ط 1399 هـ 1979م ـــ دار صادر ـــ بيروت ـــ لبنان.

(7) انظر : حلب القديمة والحديثة ـــ المرجع السابق ـــ ص 15. والله أعلم بالصواب.

مشاهير رجالها

أنجبت حلب ثلة من فحول العلماء ومشاهير الرجال، ازدانت بهم وبأعمالهم صفحات التاريخ الاسلامي وأشرقت، نذكر من قدمائهم على سبيل المثال :

1. ابن العديم : كمال الدين، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة، المتوفى بمصر عام 660 هـ له مؤلفات كثيرة أشهرها «بغية الطلب في تاريخ حلب» يقع في ثلاثين مجلدا، ترجم له ابن العماد الحنبلي بقوله : «كان قليل المثيل، عديم النظير فضلا ونبلا ورأيا وحزما وذكاء وكتابه وبلاغة» [8]. ومن أهم آثار ابن العديم رحمه الله في مدينة حلب المدرسة العديمية [9].

2. العظيمي، محمد بن علي، أبو عبد الله التنوخي الحلبي، ولد في حلب سنة 483 هـ، وهو صاحب كتاب «تاريخ العظيمي»، الذي تدور مباحثه حول مدينة حلب وتوجد منه نسخة مخطوطة ومحفوظة في الاستانة، توفي العظيمي سنة 556 هـ [10].

أما علماؤها المعاصرون فمن أبرزهم :

1. الشيخ عبد الله سراج الدين بن الشيخ نجيب : وهو عالم مفسر، ومحدث حافظ، وفقيه عارف. اشتهر بكثرة تصانيفه في مواضيع الأخلاق وتزكية النفس، من مؤلفاته : كتاب سيدنا محمد رسول الله ﷺ وكتاب الايمان بعوالم الآخرة.

2. الشيخ العلامة مصطفى الزرقاء : الذي يعتبر هو وأبوه الشيخ أحمد، وجده الشيخ مصطفى، من ألمع وأجل علماء حلب الشهباء، ولقد مارس الشيخ مصطفى وما يزال يمارس مهمة التدريس في أكابر الجامعات الاسلامية، ثم إنه أمد المكتبة الاسلامية بالعديد من المؤلفات العلميةوالفقهية النافعة التي من أهمها كتابه العظيم «المدخل الفقهي العام» الذي عالج فيه مباحث القانون المدني على ضوء أحكام الشريعة الاسلامية، وهو يقع في ثلاثة أجزاء.

---

(8) ابن العماد الحنبلي : عبد الحي، في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، ج 5 ص 303، ط : دار الفكر.

(9) انظر : الطباخ : محمد راغب : «اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء»، ط 2. 1409 هـ ــ 1989م ــ دار القلم العربي ــ حلب ــ سورية، والعديمية هذه من المدارس الدائرة.

(10) الفرضي : أبو الوفاء : «معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب»، تحقيق : محمد التونجي ص 7، ط 1407هـ ــ 1987م، دار الملاح، دمشق، سورية.

هذا إلى جانب أساتيذ وعلماء ذاع صيتهم وانتشرت مؤلفاتهم وظهرت ثمار أعمالهم العلمية المتنوعة في كثير من البلدان العربية والاسلامية، نذكر منهم أصحاب الفضيلة : معروف الدواليبي، عبد الفتاح أبو غدة، محمد فوزي فيض الله، ابراهيم السلقيني، محمد فاروق النبهان، نور الدين العتر، أحمد الحجي الكردي... وآخرون.

أهم الكتب المصنفة فيها

نالت حلب حظا وافرا من جهود الكتاب، أدباء ومفكرين، مؤرخين وباحثين، شهدت بذلك المخطوطات القديمة، وتشهد له أيضا المؤلفات المعاصرة. ومما صنف فيها هذا الميدان [11]:

1. معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب : لأبي الوفاء ابن عمر الحلبي الرضي المتوفى عام 1071 هـ، ويضم الكتاب خمسا وخمسين ترجمة، قامت بطبعه ونشره دار الملاح بدمشق.

2. تاريخ الأثاربي : وهو من تأليف حمدان بن عبد الرحمن التميمي الأثاربي المتوفى نحو 520 هـ، وهو طبيب مؤرخ، وكتابه هذا هو أول كتاب يتناول البحث في تاريخ مدينة حلب.

3. تاريخ حلب : لمؤلفه محمد بن علي العظيمي المتوفى سنة 556 هـ، وقد تم طبع هذا الكتاب في دمشق سنة 1984م بعد أن حققه ابراهيم زعرور.

4. الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب : وينسب إلى قاضي القضاة أبي الفضل محمد ابن الشحنة المتوفى سنة 890هـ، طبع عدة طبعات منها طبعة دار الكتاب العربي في دمشق.

5. اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء : تأليف الشيخ المرحوم محمد راغب الطباخ الحلبي المولود في مدينة حلب سنة 1293هـ /1877م، والمتوفى فيها سنة 1370هـ /1951م، ويقع كتابه في سبعة أجزاء قامت بطبعه طبعة ثانية دار القلم العربي بحلب.

(11) انظر : مقدمة كتاب معادن الذهب، ص 7 وما بعدها، وهو المرجع السابق، وانظر أيضا : الغزي، كامل البابي الحلبي ــ نهر الذهب في تاريخ حلب، ج 1، ص 7 وما بعدها، ط 2، 1412 هـ 1991م، دار القلم العربي ــ حلب ــ سورية.

6. نهر الذهب في تاريخ حلب : مؤلفه كامل البابي الحلبي الشهير بالغزي، المتوفى سنة 1351 هـ /1933م، يقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء، وقد قامت بطبعه طبعة ثانية دار القلم العربي في حلب.

التعليم الشرعي الأصيل في حلب قبل توحيد المدارس الشرعية

ذكر المؤرخون في كتبهم القديمة والحديثة مئات المدارس الشرعية التي ازدانت بها مدينة حلب، تلك المدارس التي كانت تتخذ من المساجد مقرا تنطلق منه إشعاعاتها في ميدان العلم والمعرفة.

ولكن تلك المدارس لم تبق على سلامتها، بل تعرض أكثرها للخراب التدريجي بنوعيه المادي والمعنوي، أما المادي : فكان بتأثير الزلازل والكوارث والحروب وشتى أصناف عوامل الزمن وأحداثه، وأما المعنوي : فكان أثرا من آثار تحجيم رسالة المسجد بوصفه مركزا لا فرق فيه بين صرير الأقلام وبين تسبيح المصلين في سجودهم وركوعهم، إذ كلاهما في الفضل سواء، بل لعل الأول خيره أعظم ونفعه أعم، لكن المسجد أصبح اليوم مجرد مكان تؤدى فيه الصلوات لا غير.

وفي عام 1945 م أحصى الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله المدارس الموجودة في حلب، ما كان منها عامرا بالبناء فحسب، وما كان منها عامرا بالبناء وبالعطاء العلمي معا، فبلغ عددها أربعا وأربعين مدرسة، يدخل منها في نطاق مبحثنا عموما تسع مدارس، قال الطباخ رحمه الله تعالى في مقالة له بعنوان «المدارس في الاسلام» [12] «والآن اذكر المدارس الموجودة العامرة (بالتدريس) وغير العامرة (به) مع بيان مكانها، ولا أذكر ما اندثر منها» وذكر أربعا وأربعين مدرسة إذا اعتبرنا أن العامر منها بالتدريس هو موضوع هذا البحث، فإن الداخل فيه كما ظهر لنا بعد التتبع والنظر هي تسع مدارس لا غير، فيما يلي أسماؤها مع ذكر أماكنها كما وردت في المقالة السابقة تماما :

1. الصلاحية : في محلة الفرافرة.
2. القرناصية : في محلة الفرافرة.
3. الاسماعيلية : في محلة الفرافرة.

(12) المدارس في الاسلام : مقالة للشيخ المرحوم راغب الطباخ، نشرتها مجلة الجامعة الاسلامية في السنة 18 العدد 235 صفحة 82.

4. العثمانية : في محلة الفرافرة.
5. الأحمدية : في محلة الجلوم.
6. الأسدية الجوانية : في محلة باب قنسرين.
7. الرحيمية : في محلة البياضة.
8. الشعبانية : في محلة الفرافرة.
9. الخسروية : قرب القلعة في محلة السفاحية.

وبعد أن أتم ذكر الأربع والأربعين مدرسة قال : «هذه أربع وأربعون مدرسة دينية في حلب، الخرب منها العصرونية والمقدمية ماعدا قبليتها، والظاهرية والكاملية [13] وباقيها عامر (بالبناء كلها وبالتدريس بعضها)» [14].

ونبدأ الان باستعراض المدارس التي كانت عامرة بالتعليم الشرعي قبل عام 1949 عام توحيد المدارس الشرعية وهي سبعة مدارس، كما يلي :

1. المدرسة الصلاحية

تنسب هذه المدرسة إلى واقفها الأمير صلاح الدين بن الأسعد الدوادار الذي وقفها عام 737 هـ وجعل من شروط وقفها :
ــ أن يكون التدريس فيها على المذاهب الأربعة.
ــ أن يكون القاضي الشافعي والقاضي الحنفي بحلب مدرسيها.

تقع هذه المدرسة في محلة الفرافرة، وهي مدرسة صغيرة، وقد كانت أشرفت على الخراب إلا أن بهاء الدين بن تقي الدين القدسي قام سنة 1260 هـ بإعادة إعمارها (فنسبت إليه وأطلق عليها اسم المدرسة البهائية إلى جانب اسمها السابق). وبعد ما عمرت عين الشيخ صالح المرتيني مدرسا فيها، فبقيت تحت يده إلى أن توفي حيث آلت إلى حفيده الشيخ عمر المرتيني الذي قام بتدريس طلابها (الفقه والنحو ومشتقاتهما) [15]. ووقف عليها السيد بهاء الدين نحو سبعين كتابا خطيا موضوعة في غرفة التدريس العليا، إلا أنها بحالة لا يستفاد منها.

---

(13) يريد الكاتب أن المدارس الأربع هذه قد أشرفت على الخراب لا أنها ليست موجودة لأنها لو لم تكن موجودة لما ذكرها كما وعد في بداية كلامه.
(14) «المدارس في الاسلام» : المرجع السابق ص 82.
(15) الخطيب : محمد : لقاء شخصي أجري مع فضيلته.

وكذلك وقفت زوجة السيد بهاء الدين على هذه المدرسة دارا في محلة الفرافرة، وللمدرسة سوى هذه الدار أرض عشرية [16] تبلغ وارداتها ثلاثين ليرة عثمانية ذهبا، وهي الآن في حوزة الأوقاف.

ويلاحظ مما سبق ومن تتبع المصادر التاريخية أن هذه المدرسة لم يكن لها نشاط علمي بارز طوال النصف الأول من هذا القرن، وذلك لعدم ورود ذكرها حتى على ألسنة العلماء الذين أدركوا زمنها، فضلا على أن المصادر التاريخية لم تتحدث عنها بشيء من الاسهاب.

2. المدرسة القرناصية

تقع هذه المدرسة في محلة الفرافرة، وكانت في الأصل جامعا بناه بكتمر القرناصي الحلبي في حدود سنة 770 هـ، ولكن في سنة 1242 هـ عمر فيه اسماعيل آغا بن عبد الرحمن أفندي شريف إحدى عشرة غرفة ليكون مدرسة دينية، بعد أن وقف عليها وقفا رسم من خلاله النظام التعليمي والمالي لها، وذلك على الشكل التالي :

ـــ علم الحديث الشريف : وله في الأسبوع يومان يدرس فيهما هما الثلاثاء والجمعة، ولمدرسه راتب شهري قدره عشرون قرشا.

ـــ علوم القرآن الكريم : يقرأ القرآن مقابلة اثنا عشرة حافظا، نصفهم بعد الظهر ونصفهم بعد العصر، وذلك كل يوم من رمضان، ولكل قارىء خمسة عشر قرشا في ذلك الشهر يعطاه من مال الوقف.

ويدفع مبلغ مائة وخمسة وخمسين قرشا لواحد وثلاثين قارئا يقرؤون حتما كل يوم بعد صلاة الصبح في الجامع المذكور. ويدفع مائة قرش لعشرة أفراد من الطلبة. ويدفع سبعة قروش ونصف للبواب، وخمسة عشرة قرشا لمؤدب الأطفال، وعشرة قروش لقارىء جزء قبل الامساك في رمضان.

---

(16) الأرض العشرية : هي كل أرض أسلم أهلها عليها قبل أن يقدر عليها، أو فتحت عنوة وقسمت بين الغانمين، انظر : د. وهبة الزحليلي : الفقه الاسلامي وأدلته ج 2 ص 776. ط دار الفكر 1404 هـ ـــ 1984م.

والمدرسة الآن (سنة 1926م) عامرة، وشعائرها ـــ غير قليل منها ـــ جارية، ولها بالفتوح على الطلبة شهرة [17].

يلاحظ مما سبق أن المدرسة قد اهتمت بالدرجة الأولى بعلوم الحديث الشريف، في حين اقتصرت علوم القرآن على مجرد التلاوة، أما بقية العلوم الشرعية فلم يظهر لها في نظامها أي ذكر، إلا أن الشيخ أحمد قلاش أفاد [18] بأنه لما كان من طلاب الصف الثاني في المدرسة الخسروية عام 1341 هـ كان ينتقل هو ورفاقه إلى المدرسة القرناصية لحضور حصة درسية يقدمها الشيخ محمد اللبابيدي. وقد ذكر الشيخ محمد سلقيني [19] ـــ وهو من أتراب القلاش وأقرانه في طلب العلم ـــ أن درس اللبابيدي هذا كان في الفقه الحنفي وقتئذ.

3. المدرسة الاسماعيلية

المدرسة الاسماعيلية كائنة قرب القلعة من ناحية الشمال في الحي المسمى بالفرافرة، قال الشيخ الطباخ متحدثا عنها: «بناها اسماعيل بك [20] ... وكتاب وقفها محرر في ربيع الأول عام 1255 هـ ووقف عليها خمسين كتابا، منها نسخة من شرح العيني على البخاري في ستة مجلدات، والمواهب اللدنية للقسطلاني في مجلد، والسيرة الحلبية في مجلدين، والمفاتيح الدرية للشراباتي... وهي الآن (أيام راغب الطباخ) تحت يد دائرة الأوقاف، وطلبتها ومدرسوها يأخذون رواتبهم [21] منها (بعد أن ضمت أوقاف المدرسة إلى خزانتها)، وقد نظم السيد يحي الكيالي مدير الأوقاف دروسها، وجعلها مرتبطة بالمدرسة الخسروية، وذلك حين افتتاح هذه المدرسة سنة 1340 هـ 1921م [22]».

---

(17) انظر : نهر الذهب ـــ المرجع السابق ـــ ج 2 ـــ ص 135.

(18) في لقاء شخصي مسجل أجري مع فضيلته، وهذا اللقاء هو المرجع في كل ما سيرد ذكره نقلا عنه، والشيخ القلاش ولد سنة 1328 هـ ـــ 1910م، انتسب إلى المدرسة الشعبانية سنة 1340هـ فأتم فيها سنة ثم انتقل منها إلى العثمانية التي قضى فيها فترة قصيرة انتقل بعدها إلى المدرسة الخسروية ليكون فيها من طلاب الصف الثاني، ثم ليتخرج منها فيما بعد.

(19) في لقاء شخصي أجري مع فضيلته.

(20) عينه حاكما على حلب ابراهيم باشا المصري لما استولى عليها، انظر : اعلام النبلاء المرجع السابق ج 3 ـــ ص 248.

(21) قال الشيخ القلاشي : ان الطالب كان يتقاضى ليرتين سوريتين شهريا.

(22) اعلام النبلاء : المرجع نفسه ـــ ج 3 ـــ ص 349.

وهذا ما اكده الشيخ القلاش حين قال إن الاسماعيلية كان سنة 1341 هـ تابعة للمدرسة الخسروية، ثم أضاف : «إن طلاب الصفى الثاني كانوا يتلقون فيها مادة النحو على يد شيخهم أحمد الكردي رحمه الله، وبعد انقضاء حصة النحو يعودون إلى المدرسة الخسروية لمتابعة باقي الساعات الدرسية»، : «ثم ضمت (الاسماعيلية) نهائيا إلى الخسروية وطويت بعد ذلك التاريخ (1341هـ) بسنتين أو ثلاث سنوات».

مما سبق يتبين أن المدرسة الاسماعيلية لم تعد مدرسة شرعية منذ عام 1925م، وإنما أصبحت ولا تزال مكانا لأداء الصلوات الخمس لوجود الجامع فيها وأنها لما كانت مدرسة بعد عام 1918م لم تكن تدرس فيها إذ ذاك جميع العلوم الشرعية، وإنما اقتصر التدريس فيها على مادة النحو فحسب.

4. المدرسة العثمانية

قال الشيخ الطباخ رحمه الله أن «باني المدرسة العثمانية هو عثمان باشا [23] الدوركي محصل الأموال الميرية بحلب، وذلك سنة إحدى وأربعين ومائة وألف، ولقد احتوى بناؤها مسجدا وصحنا واسعا تحيط به إحدى وأربعون غرفة، منها ثلاثون للمجاورين من طلبة العلم، وأما المتبقي منها فهو لأرباب الشعائر الذين بهم يستقيم العمل في هذه المدرسة التي تعد أعظم مدارس الشهباء شأنا وأوسعها بناء، ولقد وقف لها عثمان باشا أوقافا غزيرة [24] يوزع ريحها على القائمين بأمر المدرسة من مدرسين ومجاورين ومستخدمين وغيرهم، وكان من بين شروط الواقف في الوقفية الأولى : أن يعين في المدرسة :

ــ مدرس جامع بين العقول والمنقول، قادر على إفادة الفروع والأصول، يفيد طلبة المدرسة كل يوم عدا الجمعة والثلاثاء.

ــ محدث عالم يفيد الحديث ولوازمه، يقرأ كل يوم اثنين وخميس.

(23) الباشا : كلمة تركية يقصد بها صاحب النفوذ في الدولة العثمانية، ذكر هذا الشيخ القلاش حفظه الله.

(24) بلغت أحباس هذه المدرسة من العقارات نحو المائة، أعظمها شأنا بساتين قدرت قيمتها في العشرينات من هذا القرن بنحو مليون ليرة عثمانية ذهبا، لذلك بلغت أعطية الطالب ــ كما صرح الشيخ القلاش ــ ليرتين ذهبيتين شهريا، فكانت تكفيه حاجته بل وتزيد عليها.

ـــ واعظ يعظ بعد صلاة الجمعة.

ـــ معلم للقرآن، يقرأ في كل جمعة سورة الكهف-قبل صلاة الجمعة.

ـــ حافظ للكتب، يفتح باب الحجرة (المكتبة) في كل يوم اثنين وخميس.

ـــ يواظب الطلاب المجاورون في حجراتهم ليلا ونهارا، مع الصلوات الخمس في الجماعة، والمتزوج يذهب ليلة الثلاثاء وليلة الجمعة، وعلى الطالب قراءة جزء من القرآن مع رفقائه [25]...» [26].

ثم تحدث الشيخ الطباخ عن مستوى المدرسة العلمي الذي لا يتفق مع تجهيزاتها الضخمة ولا مع وقفياتها الغنية، فقال رحمه الله «إنها (المدرسة) مع ضخامة بنائها وسعة أرجائها وغزارة وقفها، لم تخرج منذ مائة عام (منذ تأسيسها) إلى الآن من العلماء ما يبلغ عدد الأصابع... وهي ككثير من المدارس العلمية التي في حلب أصبحت منذ مدة طويلة ملجأ للكسالى، ومأوى للعجزة، وذلك لاهمال متوليها أمورها، وعدم تقديرهم العلم حق قدره، ومنذ سنتين اهتم بأمرها السيد يحيى الكيالي مدير الأوقاف الحالي (زمن الكاتب) وأخرج منها من كان مقيدا (مسجلا) وطالت مدته، ومن لا يرتجى الخير في بقائه، وقيد فيها طلبة من جديد... وكلف المدرسين المعينين فيها أن تكون قراءتهم للدروس في أوقات محددة على مقتضى البرنامج الموضوع للمدرسة الخسروية، وأصبحت تابعة للامتحانات السنوية، وبذلك انتظم أمر التدريس فيها بعض الانتظام، ولعله بعد ذلك يزداد انتظاما فتخرج لنا رجالا عالمين عاملين... فتنتفع بهم البلاد والعباد...» [27].

وقد تحدث الشيخ القلاش عن آثار هذا العمل الاصلاحي الذي قام به مدير الأوقاف آنذاك فقال : «وجد على اثرها أساتذة أكفاء، وامتحانات مشددة خضع لها طلابها، وكان ذلك عام 1341 هـ» ثم ذكر من مدرسيها «محمد الحنيفة في التوحيد والحساب، وسعيد الأدلبي في الفقه الشافعي... وابراهيم الترمانيني في الحديث الشريف، ومحمد الناشد في حفظ المتون» وأضاف : «لكن هذه الآثار الايجابية لم تدم طويلا، إذ سرعان ما رجعت أوضاع المدرسة إلى سابق عهدها وإلى نظامها

(25) لعل من الطريف ذكره أن الواقف اشترط في الطالب المجاور أن لا يكون حليق اللحية.

(26) انظر : اعلام النبلاء ـــ المرجع السابق ـــ ج 3 ـــ ص 258 ـــ 261.

(27) اعلام النبلاء ـــ المرجع السابق ـــ ج 3 ـــ ص 264.

القديم الذي على أساسه يكون الطالب غير خاضع لنظام الترفيعات والانتقال في المستوى الدراسي من صف لآخر، إذ ليس في العثمانية إلا حلقة دراسية واحدة، تدرس فيها مجموعة من الكتب كلما انقضى تدريسها تعاد وتكرر من جديد... والطالب يراوح معها في مكانه» [28].

ولعل من أسباب بقاء المدرسة العثمانية متخلفة في المستوى العلمي افتتاح المدرسة الخسروية التي تميزت بحسن نظامها، مما جعل افئدة الطلاب تهوي إليها.

أما مكتبة هذه المدرسة فكانت كما وصفها الشيخ الطباخ «حجرة واسعة وضع فيها كتب قيمة من المخطوطات... غير أن الأيدي قد لعبت بهذه المكتبة، وسرق منها معظم نفائسها، ولم يبق منها إلا قليل، وذلك لاهمال متولي الوقف وقيم المكتبة أمرها، وقد شرط أن تكون مفتحة الأبواب يومين في الأسبوع... ولا تفتح الآن إلا بعد الالحاح في طلب الفتح...» [29].

وذكر الفزي رحمه الله أن مكتبة العثمانية «تشتمل على نحو 1500 مجلد مخطوط في شتى الفنون...» [30].

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

5. المدرسة الأحمدية

الأحمدية بناء جميل من العهد العثماني تعود إلى القرن السابع عشر، وقد «وقفها القاضي أحمد أفندي ابن طه زادة الشهور بالجلبي المتوفى سنة 1177هـ، والمولود في حوالي سنة 1110 هـ» [31].

وقف لها مؤسسها أوقافا عظيمة منها : دكاكين وبساتين وخانات وأفران ومصابن ودور وغير ذلك [32].

---

(28) القلاش : أحمد، حديثه أثناء اللقاء الشخصي السالف الذكر.

(29) اعلام النبلاء : المرجع السابق ــ ج 3 ــ ص 264.

(30) نهر الذهب : المرجع السابق ــ ج 1 ــ ص 143.

(31) اعلام النبلاء : المرجع السابق ــ ج7، ص 69.

(32) انظر الوقفيات في : اعلام النبلاء ــ المرجع نفسه ــ ص 70 وما بعدها، وانظر نهر الذهب ج 2 ص 46 ــ 47.

ولقد شرط واقفها في وقفياته المتعددة شروطا يمكن إجمالها على النحو التالي :

ــ أن يعين للمدرسة مدرس عالم بالمعقول والمنقول، وأن يكون هذا المدرس من صلحاء اكراد ما وراء الموصل، فإن تعذر وجوده أناب عنه متولي الوقف أحد علماء البلدة إلى أن يوجد من علماء الأكراد من هو أهل للتدريس فيها.

ــ أن يكون عدد المجاورين (33) في المدرسة عشرة (34) هم من اكراد الموصل، «ولا ريب ان قصده من ذلك أن يأتي هؤلاء من بلادهم فيتلقوا العلم في المدرسة إلى أن يتأهلوا، ثم يخرجوا منها فيسعون في نشر علمهم في هذه البلاد أو في غيرها» (35).

ــ أن يقرأ ــ ذلك المدرس ــ الاثنين والخميس تفسيرا.

ــ أن يقرأ في بقية الأيام ــ غير يوم الجمعة ــ ما اختاره من العلوم لافادة المجاورين.

ــ يقرأ المدرس الدلائل (36) عند قبر والده (37) ــ والد الواقف ــ يوم الجمعة.

ــ أن يقرأ ــ المدرس ــ الحديث يوم الجمعة والثلاثاء، وله أن يستنيب غيره في هذا العمل إن لم يكن أهلا له.

ــ أن يقرأ الفقه الحنفي في مدرسته يومي الأربعاء والأحد.

ــ متى تزوج المجاور سقط حقه في المجاورة، وكذا لو صدر منه ما يخالف الشرع أو الشروط ولم يزدجر، فيخرجه المدرس بإذن المتولي.

ــ على كل مجاور أن يحضر الدروس المذكورة، وأن يقرأ كل يوم في المدفن والمدرسة جزءا من القرآن العظيم... وأن يقرؤوا أيضا في المدفن المذكور سورة الكهف جهرا بعد صلاة الجمعة... يعقبونها بتلاوة كلمة التوحيد سبعين ألف مرة، ويهدون ثواب ذلك على الصيغة المعلومة.

---

(33) يقصد بالمجاورين طلبة العلم الذين يسكنون في غرف المدرسة المخصصة لطلابها.

(34) هذا العدد متفق مع عدد حجر المدرسة.

(35) اعلام النبلاء ــ المرجع السابق ــ ج 7 ــ ص 77.

(36) المراد كتاب دلائل الخيرات للامام أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي، والكتاب يضم مجموعة من الأوراد والأحزاب والأدعية وصيغ الصلاة على النبي ﷺ.

(37) يوجد قبر والده في مدفن خاص بفناء المدرسة.

ــ يشترى في كل شهر أربعة أرطال زيتا لثلاثة قناديل في المسجد والمدرسة توقد مساء وصباحا، وقنديل في مدفن والده طول الليل، وآخر في المطهرة [38].

ومما يلاحظ ويستغرب هنا : أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : «لعن الله المتخذين على القبور المساجد والسرج» [39]... فكيف ضمن الواقف رحمه الله وقفه هذا الشرط المخالف للنص الصريح ؟! هذا ... ولقد خصص واقف الأحمدية حجرة واسعة منها لمكتبة ضمن ثلاثة آلاف مجلد من الكتب النفيسة النادرة، نقل معظمها من مدينتي القدس وبغداد أثناء وجوده فيهما قاضيا [40].

ولم يترك الجلبي مكتبته تلك بلا ضابط، بل وضع لها نظاما رسمته شروط وقفية خاصة تتمثل بقوله رحمه الله : «لا تخرج الكتب الموقوفة من حجرة الكتب ولا من المدرسة لأحد... وكل من أراد المراجعة والاستنساخ من الكتب المذكورة، فليأت في الأيام الأربعة المعينة لفتح حجرة الكتب، وهي يوم الأحد والاثنين والأربعاء والخميس.» [41].

ولقد ذكر الغزي أن أوقاف «المدرسة والجامع وما يتعلق بهما جارية شروطهما على أحسن ما يرام...» [42].

في حين قال الشيخ الطباخ وهو يصور الحالة التعليمية في هذه المدرسة، مع بيانه لما آلت إليه مكتبتها في أيامه رحمه الله : «والذي شاهدناه أن أكراد تلك البلاد يأتون إلى هذه المدرسة ويتخذونها دار للبطالة، وقل منهم من يشتغل بالعلم اشتغالا يجعله في صفوف العلماء الذين يستفاد منهم. ولما لم يكن في شروط الواقف مدة مخصوصة، فإن أحدهم ربما جاور في هذه المدرسة ثلاثين سنة أو أكثر، وليس له من الغرض سوى تناول الوظيفة (الراتب)، ويبقى على ذلك إلى أن يموت، وهو لم يحصل على طائل، فلا هو استفاد ولا أفاد، ومما يساعده على البطالة وعدم الاهتمام بالتحصيل

(38) انظر نهر الذهب ــ المرجع السابق ــ ج 2 ــ ص 47 ــ 49.

(39) أخرجه الترمذي وحسنه رقم 320، وأبو داود، 3236، والنسائي ج 4 ص 94ــ95، وأحمد في المسند ج 1 ص 229.

(40) انظر : اعلام النبلاء : المرجع السابق، ج 7، ص 70.

(41) انظر : اعلام النبلاء : المرجع السابق، ج 7، ص 70.

(42) نهر الذهب ــ المرجع السابق ــ ج 2 ــ ص 52.

عدم انتظام أمر التدريس أيضا، فكان ذلك داعية لأن لا يخرج من هذا المعهد العلمي طوال هذه المدة ــ مع وفرة واردات عقارات أوقافه ــ أحد تستفيد منه هذه الأمة، ولم تتحقق غاية الواقف، وكانت تذهب تلك الوظائف أدراج الرياح، ولأن تسمى هذه المدرسة دار عجزة أولى من أن تسمى دار علم ودراسة» (43).

«أما المكتبة (فهي) مغلقة دائما، ومفاتيحها بيد خادم المدرسة سلمها إليه القيم عليها، وهذا لا يفتحها إلا عند الطلب خلافا لشرط الواقف الذي اشترط أن تفتح أربعة أيام في الأسبوع، ولذا قلت الاستفادة منها» (44).

ولقد حاول الشيخ الطباخ رحمه الله أن يعدل بعضا من شروط الواقف، حتى تتسع دائرة النفع في تلك المدرسة، فسعى بذلك لدى مجلس الأوقاف الأعلى في دمشق، الذي أصدر عام 1922م قرارا ألغى بموجبه شرط الواقف الذي يقتضي كون المجاورين من الغرباء الأكراد، ولكن مع بقاء الأفضلية لهم إن حضروا، وذلك لتعطل عمل المدرسة حالة عدم وجودهم.

إلا أنه، ورغم دخول القرار حيز التنفيذ، لم تتحقق الغاية المطلوبة لعدم انتظام شأن التدريس، وعدم العناية بأمر الطلاب (45).

لكن الشيخ أحمد سردار مدير المكتبة الوقفية بحلب، أفاد أن المدرسة الأحمدية بعد عام 1918م تعاقب عليها كثير من الشيوخ الأفاضل والعلماء الفحول، من بينهم : الشيخ حسين السردشتي الكردي والشيخ فيض الله الكردي. وأما طلابها الذين أصبحوا فيما بعد من العلماء المعروفين، فكثر.... نذكر من بينهم : الشيخ أبو الخير زين العابدين، وأخوه الشيخ عبد الرحمن زين العابدين. وبقيت هذه المدرسة مستمرة في عطائها إلى أن توحدت المدارس الشرعية في مدينة حلب سنة 1949م، فانضمت الأحمدية وسائر المدارس الأخرى إلى مدرستين اثنتين : الخسروية... وسميت يومها الكلية الشرعية، والشعبانية التي سميت معهد العلوم الشرعية. وكان التدريس في الأحمدية على شكل حلقات، كلما انتهى الطلاب من كتاب قرؤوا غيره، ويقوم الشيخ المدرس بإجراء اختبار للطالب، فإن نجح ارتقى إلى

(43) اعلام النبلاء : المرجع السابق ــ ج 7، ص 77.

(44) نفس المرجع : ج 7 ــ ص 76.

(45) انظر : اعلام النبلاء ــ المرجع السابق ــ ح 7، ص 78.

كتاب آخر، وان لم ينجح بقي عند الكتاب لاعادته مرة ثانية. وأما مواد التدريس فيها، فغالبها من الفقه الشافعي، وعلم البلاغة بفروعها الثلاثة : البديع والمعاني والبيان، وكذا النحو والصرف والمنطق وفن المناظرة، والطبيعيات من المعقولات مثل كتاب عين الحكمة، وكذلك التفسير والحديث النبوي الشريف والأدب والتاريخ والعروض.. وغير ذلك من سائر العلوم.

وفيما يتعلق بمكتبتها فقد نقلت إلى مجمع المكتبات الوقفية في حلب عام 1949م. ثم ختم الشيخ السردار حديثه قائلا : «أما زي العلماء في الأحمدية فهو زي علماء اليوم، ولكن الفرق بين علماء ذلك العصر وعلماء هذا العصر، أن أولئك كانوا أتقى وأزهد وأورع» (46).

ولعل من المناسب في الختام أن ورد هذه الأبيات من الشعر التي نقشت على حجر فوق باب المدرسة، لتكون وسام شرف لها ولبانيها :

مدرسة للمـذهب النعمـاني ومسجـد لطاعـة الـرحمن
يقرأ بها التفسير والحديث وال آلات مع عقائـد الايمان
انشأهـا صدر الموالي أحمد هو ابن طه عارف الزمان
وفي جواره أشاد تربـة بشرى صلاح الحال للجيران

وفي ذيل تلك الأبيات نقش تاريخ تشييد المدرسة وهو سنة 1165هـ.

6. المدرسة الأسدية الجوانية (47)

مدرسة قديمة، في محلة باب قنسرين، كان قد بناها اسد الدين شيركوه (قائد أيوبي) في حدود عام ستمائة (48) (للهجرة). وقد درس فيها الأفاضل، وتخرج منها جمع غفير من العلماء، وكان لها وقف بدمشق، ووقف بحلب، ولم يبق منها (من أوقافها)

(46) سردار أحمد : لقاء شخصي أجري معه ، والجدير ذكره هنا أن مما لفت نظري في لقاء لي مع هذا الشيخ الفاضل أنه يحمل إجازة في علوم الحديث الشريف من محدث المغرب وعالمها المرحوم عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله الذي أجازه إثر لقاء تم بينهما في الأراضي المقدسة.

(47) دعيت بالجوانية لتتميز عن المدرسة الأسدية القريبة من القلعة والتي دثرت منذ عهد بعيد.

(48) لابد أن يكون بناؤها قد تم قبل عام 564هـ الذي فيه توفي أسد الدين شيركوه كما ثبت في كتاب شذرات الذهب، المرجع السابق، ج 4، ص 211.

الآن [49] سوى قليل، ويوجد في دهليزها على يمنة الداخل مطهرة عمرت جديدا بسعي مدرسيها الفرضي [50] الشهير عبد الله بن الأستاذ الشيخ معطي. وفي الجهة الغربية من الصحن قبلية واسعة، وفي الشمالية والشرقية حجر للمجاورين عددها ست، وفي وسطها الصحن حوض كبير مربع فوق عشرة بعشر (امتار) عمر سنة 1311هـ [51]. جددت غرفها عام 1316 هـ ــ 1898م، ثم رممت وطليت بالدهان عام 1343 هـ ــ 1924م.

يبدو مما تقدم أن المدرسة الأسدية لم تكن ذائعة الصيت، ولم يكن لها حظ كبير من الشهرة في النصف الأول من هذا القرن، بل اقتصر نشاطها ــ وعلى نطاق ضيق ــ من خلال ذلك الدرس في علم الفرائض ــ المواريث ــ الذي كان يلقيه على طلابه الشيخ عبد الله المذكور آنفا.

7. المدرسة الرحيمية

تقع الرحيمية في محلة البياضة التي تجاور القلعة من الجهة الشمالية الشرقية، قال الفزي متحدثا عن هذه المدرسة : «وقفتها الشريفة رحمة بنت عبد القادر بن أحمد بك، ولها وقف جزئي لا يكاد يقوم بكفايتها (تاريخ كتابه سنة 1156هـ). وهي الآن عامرة، ومدرسها الفقيه النبيه الفاضل المدقق الشيخ ابراهيم ابن علامة عصره المرحوم الشيخ عبد السلام بن محمد بن عبد الكريم [52] والطلبة يترددون على هذه المدرسة للأخذ عنه، وهو باذل قصارى جهده بإعمارها واحياء شعائرها» [53].

والظاهر أن هذه المدرسة لم تكن لها تلك الشهرة بين علماء حلب الذين أدركوها وهي مفتوحة الأبواب في النصف الأول من هذا القرن الميلادي، فهي فيما يبدو لم تعد عن كونها مسجدا تعقد فيه جلسة علم أسوة بالعديد من مساجد المدينة آنذاك.

---

(49) المراد زمن كتابة «نهر الذهب» للفزي الواقعة في العشرينات من هذا القرن.

(50) الفرضي هو العالم باحكام المواريث وفق الشريعة الاسلامية.

(51) الفزي : كامل : نهر الذهب ــ المرجع السابق ــ ج 2، ص 81.

(52) هو الترمانيني المتوفى سنة 1305 هـ الذي درس في الرحيمية قبل ولده الشيخ ابراهيم، وتخرج على يديه فئة جليلة من علماء حلب.

(53) نهر الذهب : المرجع السابق ــ ج 2 ــ 307.

يؤكد هذا أن الرحيمية في أصل وقفها «كانت منزلا تسكنه الواقفة رحمة الله عليها، فلما وقفته ليكون مدرسة ورصدت لها بعض الأوقاف لتغطية نفقاتها، شرطت لها مدرسا واحدا في العلوم الدينية (54)» فالمدرسة بذلك متواضعة في مقرها وفي هيئة التدريس فيها.

تحليـل وتعقيـب

أكدت الفصول السابقة من خلال معلوماتها أن المدارس الشرعية كان يتسابق إلى بنائها وإعمارها أهل السعة واليسار الذين كانوا يحرصون كل الحرص على توفير أسباب بقائها واستمرارها واكتمال عطائها فقد كان بناء المدرسة يضم مسجدا للصلاة، وحجرا للنوم، وما يتبع ذلك من مرافق هامة، وكان واقف المدرسة يؤمن لها الواردات المالية التي هي وقفيات خاصة بالمدرسة، وشخصا يتولى ادارتها وجمع غلاتها، وكذلك شيوخ التدريس، والمراجع العلمية، وما سوى ذلك من الاجراءات التنظيمية مما يجعل المدرسة الشرعية حرية بأن تنهض بمهامها على أكمل وجه وتحقق أهدافها بأكبر قدر ممكن.

وتبين مما سبق أيضا أن طريقة التدريس في هذه المدارس كانت إلقائية : يقرأ الشيخ الدرس والطلاب حوله يستمعون، وكلما انتهى من كتاب امتحن به طلابه، فيجيز الحافظ منهم، ويعيد الكتاب غير الحافظ، وتلك الاجازة كانت لحاملها بمثابة الشهادة، وهي إما أن تكون خطية وإما أن تبقى شفهية، ولكن بعد تمكن الطالب من اتقان جميع المواد الدرسية فإنه يعطى إجازة محررة على ورقة، تثبت تخرجه بنجاح من مدرسته تلك.

والتعليم في معظم المدارس السابقة كان داخليا، حيث يتلقى الطالب العلم الشرعي في مدرسة يجد فيها طعامه وشرابه ومبيته، وهو لا يغادرها إلا بعد التخرج واكتمال التحصيل.

وحتى يكون حديثنا عن هذه المداس ادنى إلى الانصاف، لابد من الاعتراف أولا بفضلها حين أهدت إلى المجتمع نخبة من جهابذة العلم وفحوله.

---

(54) الطباخ : محمد راغب، في المرجع السابق ج 7، ص 394.

لكن هذه المدارس من جهة أخرى تعثرت مسيرتها بتأثير أمور رافقتها، وأخرى صادفتها، فحدت من نشاطها، وجعلت فيضها غيضا، ومدها جزرا، وأهم تلك الأمور والمعوقات :

1. انعدام التنسيق بين المدارس، وعلى جميع المستويات العلمية والمسلكية والمادية، وفي هذا الصدد قال الشيخ القلاش «لم تكن كلمة : تعاون معروفة عند أرباب هذه المدارس» (55).

2. عدم تدخل الحكومة وبشكل جاد في بناء المدارس الشرعية، جعل انشاء هذه المدارس وقفا على مبادرة أهل الجود واليسار، لذلك نلاحظ أن وجودها في الأحياء كان كيفي التوزيع وغير خاضع لخطة تنظيمية، فقد يجد المرء كثافة في المدارس في حي ما، في الوقت الذي تنعدم فيه أو تقل في حي آخر من أحياء المدينة.

3. ان اتباع نظام المجاورة، جعل عدد الطلاب محدودا، فالطالب وفق هذا النظام تخصص له غرفة مستقلة، والمدرسة مهما اتسعت رقعتها فإنها لا تتسع إلا لعدد محدود من الغرف، فالعثمانية مثلا وهي أكبر المدارس الشرعية في وقتها، كان عدد طلابها ثلاثين طالبا لأن عدد غرفها مثل ذلك. قال صاحب «نهر الذهب»: «على أن المجاورة في جميع هذه المدارس كانت قليلة الجدوى، لأن المجاور في احداها لم يكن لمدة مجاورته حد، وكان يتقاضى من غلة وقف مدرسته راتبا شهريا زهيدا... وليس عليه رقيب ولا مسيطر... وربما جاور مدة حياته ولم يحصل من العلم على طائل... ولذا لم ندرك مدة حياتنا نابغة من مجاوريها نبغ بالعلوم والفنون سوى نفر قليل، لم يحملهم على الانقطاع إلى العلم حامل سوى نفوس شريفة قنعت لأجله من المعاش باليسير» (56).

4. جاءت المناهج التعليمية قاصرة، وغير متفقة مع شمول الشريعة الاسلامية الغراء، صحيح أنها قررت على طلابها مقررات متينة وموثوقة في الفقه والتفسير والحديث واللغة العربية والمنطق، لكنها لم تقرر عليهم مواد تساير متطلبات العصر

---

(55) الشيخ القلاش : اللقاء السابق ذكره.

(56) نهر الذهب : المرجع السابق ـــ ج 1 ـــ ص : 134 ـــ 135.

آنذاك، مثل المواد الفكرية أو الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية، مما جعل الطالب يتخرج من تلك المدارس وهو مفتقر إلى وعي يضع للمشكلات الحاضرة حلولا ملائمة، في وقت كان الناس فيه بأمس الحاجة إلى مثل ذلك الوعي، لأن بلادهم كانت تئن تحت وطأة الاحتلال والاستعباد الأجنبيين المباشرين منه وغير المباشرين.

وبالرجوع إلى الشروط الوقفية التي اعتمدها واقفو تلك المدارس، نلاحظ أن الواقفين أنفسهم — عليهم رحمة الله — لم يكونوا على حظ وافر من الاطلاع الناضج على ما يحيط بمجتمعهم من ظروف وما يتمتع به من خصائص، فكانت النتيجة أن خرجت تلك المدارس طلابا حفظوا المتون والحواشي لكنهم وقفوا عاجزين عن التصدي لدسائس المستعمر وأعماله الهدامة، ولم يكونوا يحسنون الاتصال بأفراد مجتمعهم ومخاطبتهم باللغة التي تفهمها عقولهم. وهذا ما أكده الشيخ القلاش حينما قال : «وكان الشيخ يعطي أحيانا درسا عاما في الأصول أو المنطق دون مراعاة لنوعية الحضور الذي كان غالبهم من عوام الناس وبسطائهم، والذين ما حضروا الدرس إلا للتبرك بالنظر إلى وجه الشيخ ليس إلا، فلا الشيخ أحسن الافادة، ولا الحضور أحسنوا الغاية» [57]. وقال أيضا : «لم يكن يخطر ببال العالم من ذلك الوقت أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر حتى مع عدم وجود أي عائق أمامه، إلا ما كان من الشيخ المحدث بدر الدين الحسني رحمه الله الذي بادر فحرم مثلا الدخان وألزم النساء بالحجاب الأبيض... فبدأ بذلك نشاطا وصحوة لا بأس بهما... وكان ذلك في حدود سنة 1342هـ» [58].

5. لما كان توظيف خريجي المدارس الشرعية ليس مضمونا... وشهادتهم ليس لها أي أولية في التعيين، فإن الناس المطبوعين في أكثرهم على حب إنفاذ أغراضهم الدنيوية أعرضوا عن التماس العلم إلا قليلا منهم، وهذا ما أكده أيضا الشيخ القلاش حينما قال : «إن الوظيفة كانت تنال بعد الاعلان عن مباراة التعيين فيها حيث يوظف الناجح في تلك المباراة بغض النظر عن مؤهله العلمي [59]» وأما مجالات التوظيف

---

(57) القلاش : المرجع السابق.

(58) القلاش — المرجع السابق.

(59) لعل السبب في ذلك هو سهولة تحصيل الشهادة زمن القلاش الذي تخرج من الخسروية سنة 1929م والذي صرح بأن «الشهادة كان يأخذها النابغة... والمقصر جدا» وقال أيضا «نحن تخرجنا سبعة لكن السوية كانت مختلفة جدا».

فجلها كائن من إمامة المساجد والخطابة فيها... وكذا التدريس في المدرسة الخسروية لما صارت تحت يد دائرة الأوقاف» [60].

6. ان النظام الذي ساد كل مدرسة على حدة كان له تأثير بارز في تأخرها، فمثلا سن الانتساب إليها ليست محددة، ومدة المكث فيها ليست مقدرة، بل كلما أطال الطالب بقاءه كلما زادت مكاسبه من واردات الوقف الخاصة بمدرسته.

ولهذا كله رثى الطباخ حال المدارس الشرعية السابقة... وأمثالها، فقال : «...وباقي المدارس يحزنك حالها، وحالة التدريس والطلاب فيها يصدق عليها قول الشاعر :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومهبط وحي مقفر العرصات [61]

وقال في موضع آخر : «... في الشهباء عدة مدارس تتجلى لك حالتها (في عدم الانتظام) إذا سألت [62] عن وارداتها، وعن حالة التدريس فيها، وحينئذ يأخذك العجب إلى أقصاه، وتأسف لتلك الأموال الطائلة، والواردات الهائلة التي تذهب سدى، ويتبين لك أن هذه المدارس لو اعتني في أمرها، وصرف ريعها في السبيل الذي تستحقه، لحييت تلك المعاهد العظيمة بالعلم والعرفان، وجاءت على هذه الديار وعلى غيرها من البلاد بوابل الفوائد...» [63].

وللطباخ أيضا كلمة أخرى قالها في الأربعينات من هذا القرن، صور من خلالها وضع المدارس الدينية سنة 1948م، وهي من آخر وخلاصة ما قاله في هذا الشأن، لذا يجمل هنا ذكرها، قال رحمه الله تعالى : «أما المدارس الدينية، فإنها منذ مدة طويلة ليس فيها شيء من التنظيم، ومن دخل إليها لا يخرجه منها إلا الموت مهما طالت مدته فيها، وليس فيها برامج للتعليم، والتعليم فيها كيفي، ومع ذلك قد أخرجت علماء فضلاء فطاحل، إلا أن هؤلاء كانوا يعدون بالأصابع... وأكثر المنتمين لهذه المدارس كانوا مقتصرين على دراسة النحو والصرف والفقه وقليل من علوم البلاغة وقل

(60) القلاش : المرجع السابق.

(61) المدارس في الاسلام : المقالة السابقة ص 82.

(62) في الأصل «سئلت»، ولعل الصواب «سألت» والله أعلم.

(63) اعلام النبلاء : المرجع السابق، ج 7، ص 441.

منهم من يشتغل بالأدب وغيره من العلوم، وكاد الانشاء يفقد بينهم... وهناك فكرة ترمي إلى إصلاحها وادخال شيء من التنظيم فيها، حقق الله ذلك» [64].

ثم ذكر الشيخ الطباخ في موطن آخر الأسباب التي دفعت الناس إلى الزهد في العلوم الدينية عموما، وهي أسباب يمكن إجمالها بما يلي :

1. أن قضاة البلاد كانوا يعينون من الأستانة.
2. أن لغة الدواوين والتعليم كانت اللغة التركية.
3. قلة رواتب الطلاب وأهل العلم بحيث لا تفي بالضروري من المعيشة.
4. ترك الامتحان الذي هو من أهم الأمور التي تدفع الطالب إلى الاجتهاد.
5. التساهل في إعطاء وظائف الآباء للأبناء حتى صارت المراكز العلمية كالسلعة التي تتداول، وصار العلم كأنه تركة تورث.
6. أخذ طلاب العلوم الدينية إلى الخدمة العسكرية في الحرب العالمية التي حصلت سنة 1333 هـ (1914م) بعد أن كانوا معفيين منها.. [65].

ولكن ... ورغم كل العوامل السالفة، فقد أخذت تلوح في الأفق بشائر تحسن في أوضاع العلم والتعلم، لا في جميع المدارس الدينية الحلبية، وإنما في مدرستين اثنتين وحدت في إطارهما المدارس السابقة هما : المدرسة الشعبانية، والمدرسة الخسروية.

التعليم الشرعي الأصيل في حلب بعد توحيد المدارس الشرعية

أظهر الباب السابق العقبات التي اعترضت سبيل تحقيق المدارس الشرعية لغايات إنشائها في الفترة الواقعة بين عامي 1918 و1948م التي سميت فترة ما قبل توحيد المدارس الشرعية، وكيف تولدت تلك العقبات من شروط وقفية أدى قصورها إلى سوء التنظيم في تلك المدارس، ومن تحديات المجتمع التي تمثلت في وجود

(64) الطباخ : محمد راغب ــ الثقافة الاسلامية ــ ص 389، ط 1369 هـ ــ 1950م مكتبة طباخ اخوان ــ حلب ــ سورية.

(65) انظر : اعلام النبلاء : المرجع السابق : ج 3، ص : 160. وهذه الأسباب وان كانت سابقة على تاريخ هذا البحث (أحصيت سنة 1918م) لكنها ذات تأثير على الزمن الذي بعدها إذ ليس من السهولة بمكان تشويق الناس إلى العلم بعدما أعرضوا عنه، ولو مع انتفاء تلك الأسباب وزوالها.

نظرة لدى الناس لا تليق بالعلم وأهله... مما جعل هذه المدارس تسير في طريق مسدود، حتى بلغت حدا نضب عنده بحر علومها وانحصر نفعها في أرزاق أوقافها، فتعالت الصيحات، وتكاثرت الشكايات لدى دائرة الأوقاف مما جعلها تصدر قرارا بضم تلك المدارس [66] مدرسين وطلبة، في إطار مدرستين اثنتين هما : الشعبانية التي اعيد فتحها سنة 1949م، والخسروية التي فتحت أبوابها ـــ دون انقطاع ـــ سنة 1340 هـ ـــ 1929م.

وبوجود هاتين المدرستين طويت صفحة هاتيك المدارس، وأضحت مساجدها مقرا للصلوات، وباتت حجراتها مبيتا لطلاب الخسروية والشعبانية، وبالأخص الغرباء منهم.

ولعل السبب في إفراد هاتين المدرستين بالحديث حاصل في تميزهما عما عداهما من حيث الدور والأهمية والأثر، وكذلك في وجودهما قبل وبعد تاريخ توحيد المدارس الشرعية الواقع سنة 1949م.

1. المدرسة الشعبانية

الشعبانية مدرسة موجودة في محلة الفرافرة التي تحاذي قلعة حلب من جهة الشمال... والشعبانية كما قال الشيخ الطباخ في أعلامه «بناها شعبان آغا [67] بن أحمد آغا المأمور لتحصيل الأموال في حلب (وهو من مسلمي الأتراك) بناها عام 1085هـ، ويضم بناؤها مسجدا بديعا تعلوه قبة عالية، ومدرسة من تسع وعشرين حجرة مخصصة لسكن طلبة العلم الشريف، ويتوسط البناء صحن جعل في وسطه حوض للماء» [68].

ثم ذكر الطباخ أن من بين شروط الواقف : أن «يقيم بالمدرسة رجل فاضل متضلع بالعلوم وماهر بالفنون العقلية، معروف بالزهد والصلاح، وألا يكون مسقط

---

(66) لو اقتصر قرار الأوقاف على تعديل النظم والمناهج السائدة في تلك المدارس ولم يتم ضمها، لكان النفع أكبر لأن في إبقائها مع الشعبانية والخسروية فتح مجال رحب لاستقبال عدد أكبر من طلبة العلوم الشرعية.

(67) الاغا : كلمة تركية يقصد بها الرجل الغني. نقلا عن القلاش.

(68) انظر : اعلام النبلاء ـــ المرجع السابق ـــ ج 7، ص : (438) و (439).

رأسه ومرباه في إيالة حلب بل يكون آتيا من ديار أخرى، فيقرأ للطلبة في كل صباح الفنون العقلية»، وهذا الشرط يذكرنا بما شرطه واقف الأحمدية من لزوم كون المدرس فيها كرديا (69) ومثل هذا الأمر يبعث على الاستغراب، إذ ما الضير لو كان المدرس في هذه المدرسة من علماء حلب الأكفاء ؟!

وبناء على ذلك فإن المدرسة في حالة عدم توفر المدرس الغريب ستكون أمام واحد من احتمالين اثنين : إما أن تغلق أبوابها ويتوقف عطاؤها، وإما أن يلغى شرطها ذاك، وهذا ما حصل فعلا فيما بعد.

ومن بين تلك الشروط أيضا : «أن يقطن في الحجرات ثلاثون رجلا من الصلحاء بهم قابلية واستعداد للتحصيل، ويجدون في طلب العلم، وعلى أن لا يكون مسقط رأسهم ومحل نشؤهم في إيالة حلب، بل يكونون من بلدان أخرى (70) ثم شرط على كل واحد منهم تلاوة جزء من القرآن العظيم في المسجد بعد صلاة الصبح، على أن يكون لهم مرتب معلوم من واردات الوقف هذا.

ولكن متولي الوقف قطع سنة 1338 هـ، معلوم المجاورين والمدرسة (71) بحجة أنه يريد تطبيق شرط الواقف المشعر بأن مجاوري المدرسة ومدرسها يلزم أن يكونوا من الغرباء، فتفرق لذلك من كان فيها... وبقيت عدة سنوات ليس فيها سوى بضعة أشخاص حتى كادت تخلو من الطلاب وتصبح خاوية.

وفي سنة 1342هـ (72) اهتمت دائرة الأوقاف بأمرها بعض الاهتمام وألزمت وكيل المتولي أن يقبل الطلاب من أهالي حلب وغيرهم وذلك على أثر القرار الذي أعطى من قبل مجلس الأوقاف الأعلى الذي عقد في دمشق سنة 1340 هـ، فرتب فيها ثلاثون طالبا... وصارت تعطى لهم الرواتب» (73).

---

(69) راجع ص : 17 من هذا البحث، والغريب أن واقفي المدارس وضعوا شروطا قاصرة ذكرنا بعضا منها من قبل وسنذكر بعضا منها فيما بعد، على أننا نعرض عن كثير منها خشية الخروج عن نطاق البحث، مع أنها مبثوثة في كتابي : اعلام النبلاء، ونهر الذهب، المرجعين السابقين.

(70) يقال هنا ما قد قيل في شرط كون المدرس فيها غريبا.

(71) المراد من ذلك رواتب الطلبة المجاورين، والنفقات اللازمة للمدرسة.

(72) أكد الشيخ القلاش أن افتتاح الشعبانية كان سنة 1340 هـ، والذي يرجح قوله هو دخوله المدرسة مع كونه حلبيا، مستفيدا من القرار السابق للدخول أو المرافق على الأقل.

(73) انظر : الطباخ : محمد راغب : المرجع السابق — ج 7، ص 440 و 441.

ولما كان الشيخ أحمد القلاش واحدا من طلابها الثلاثين آنذاك فقد أفادنا بالمعلومات التالية : «افتتحت الشعبانية سنة 1340 هـ /1921م تقريبا، وكانت مغلقة قبل هذا التاريخ ولم يكن فيها إلا صف واحد، وكان عدد الطلاب فيها ثلاثين طالبا، يقبض الواحد منهم ليرة ذهبية عثمانية شهريا بما يعادل خمس ليرات سورية في ذلك الوقت، وهو مبلغ معقول في تلك الأيام.

ولكن ــ وخلال السنة ذاتها ــ توفي أحمد آغا متولي الشعبانية، فانقطعت الرواتب على اثر وفاته، مما جعل الشعبانية تعود إلى الاغلاق مرة أخرى، ولكن بعد أن أتم طلابنا عامهم الدراسي ذاك وأجروا امتحاناتهم في قبلية (مسجد) المدرسة الخسروية، وكانت تلك الامتحانات شفوية وليست خطية» (74).

ثم ذكر القلاش نبذة عن طريق الانتساب إلى هذه المدرسة والمستوى العلمي فيها فقال : «ليس هناك حد أعلى لسن القبول في الشعبانية، فلقد انتسبت إليها وأنا في الثانية عشرة، وكان معي على بساط الدراسة طالب في السادسة والثلاثين من عمره. وكان مديرها في تلك الفترة الشيخ عبد الوهاب عقاد. أما مدرسوها فمنهم :

ــ الشيخ طاهر الكيالي، كان يدرس النحو، وكان المقرر فيه كتاب : «شرح الدحلان على الأجرومية».

ــ الشيخ ابراهيم الدرغزيني، وكان يدرس الفقه الشافعي» (75).

ولقد أظهر القلاش في غضون حديثه أكثر من مرة إعجابه بالمستوى العلمي للمدرسة الشعبانية بما يشمل المدرسين والمواد الدراسية.

إذن لم تعش الشعبانية إلا سنة واحدة حتى أغلقت من جديد، وبقيت مغلقة قرابة ثمان وعشرين سنة، منذ عام 1341هـ ــ 1922م وحتى عام 1368 ــ 1949م فأضحت طللا لأهل العلم وعشاقه.

ولما آذنت سنة 1949 م بالرحيل، صدر عن دائرة الأوقاف قرار بتوحيد المدارس الشرعية، فتحت بموجبه المدرسة الشعبانية لتكون هي والخسروية أما تحتضن في حجرها جميع المدارس الدينية في حلب.

---

(74) القلاش : المرجع السابق.

(75) القلاش : أحمد : المرجع السابق.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

دعيت الشعبانية بدءا من افتتاحها هذا بـ«معهد العلوم الشرعية»، وكانت في ذلك الوقت تحت ادارة الشيخ عطا الصابوني، ثم خلفه على ادارتها الشيخ عبد الوهاب سكر وذلك سنة 1954م.

ويمكننا بسط النظام الجديد لهذه المدرسة على الشكل التالي :

ــ يشترط في الطالب الذي يرغب في الانتساب إليها أن يكون تاليا للقرآن الكريم أو حاملاللشهادة الابتدائية، فإذا تحقق فيه هذا الشرط خضع لاختبار كتابي على ضوئه يحدد صفه من بين صفوف المدرسة الستة.

أما إذا كان المنتسب إليها أعجميا ــ ليس عربي اللسان ــ فإنه لابد أن يدخل صفا تمهيديا دون الصف الأول، يتمرن فيه على النطق باللغة العربية.

هذا بالنسبة للمنتسبين الجدد، وهناك طلاب دخلوا هذا المعهد (الشعبانية سابقا) [76] نقلا من مدارسهم التي ألغيت بقرار توحيد المدارس السابق ذكره.

وإلى جانب ما سبق فإن الانتساب إلى المدرسة الشعبانية لم تكن تشترط فيه سن محددة.

ــ يبدأ اليوم الدراسي من طلوع الشمس، وينتهي قبيل صلاة الظهر بربع ساعة تقريبا حتى يتسنى للمدرسين وبعض الطلبة الالتحاق بمساجدهم التي يأمون الناس فيها.

ــ بعد انتهاء الدوام اليومي ينطلق الطلبة الحلبيون إلى بيوتهم، أما الغرباء فإنهم يتوجهون إلى غرفهم في المدرسة الشرعية القديمة التي أصبحت مخصصة للمبيت منذ صدور قرار توحيد المدارس الشرعية.

ــ التقيد باللباس الشرعي ــ الجبة والعمامة ــ إلزامي، ولو كان الطالب في الصف الأول.

ــ الجهاز التدريسي فيها يشمل كل المدرسين الذين كانوا يدرسون في المدارس الشرعية القديمة التي كانت موجودة قبل عملية التوحيد والتي مر ذكرها باستثناء المدرسة العثمانية التي تمكن أصحابها من إبعاد قرار الضم والتوحيد عنها،

---

(76) بقي اسم (الشعبانية) هو المشهور على ألسنة الناس حتى اليوم.

كيما تبقى أوقافها الوافرة خالصة لهم من دون غيرهم، والذي يؤكد هذا الاستنتاج كون تلك المدرسة ــ على سعة ارجائها ــ كانت متدنية في عطائها ومردودها العلمي، وقد بدا هذا الأمر واضحا عند حديثنا عنها آنفا (77).

ويضم الجهاز التدريسي أيضا نخبة من العلماء ذوي الثقافات والمعارف العالية، لم يأتوا من المدارس القديمة، لكنهم عينوا فيها ابتداء لا انتقالا.

وقد كان من جملة مدرسيها آنذاك أصحاب الفضيلة الأساتيذ : عبد الفتاح أبو غدة، عبد الوهاب التونجي، محمد الملاح، نجيب خياطة، عبدلله سراج الدين، أبو الخير زين العابدين، عبد الرحمن زين العابدين، أحمد قلاش، محمد المعذل، ابراهيم ترمانيني... وغيرهم.

ــ شمل المنهاج الدراسي فيها المقررات التالية : تفسير القرآن الكريم وتجويده، الحديث الشريف، الفقه بمذهبيه الحنفي والشافعي، أصول الفقه، الخطابة، اللغة العربية، التاريخ الاسلامي، الحساب، المواد المهنية : كالخط وتجليد الكتب والضرب على الآلة الكاتبة والمحاسبة التجارية.

ــ حامل شهادتها ليس له أولية في التوظيف، فتلك الشهادة غير معترف بها رسميا ولهذا السبب أدخلت بعض المواد المهنية في المنهاج الدراسي حتى يتمكن المتخرج من الشعبانية من الكسب بيده إن لم تؤهله شهادته للعمل الوظيفي.

ــ النظام المالي لمعهد العلوم الشرعية «الشعبانية» يعتمد على الواردات التالية :

1. الوقفيات الخاصة بالمدرسة الشعبانية.
2. مساعدات مادية محددة من ميزانية دائرة الأوقاف بحلب.
3. تبرعات المحسنين.

أما النفقات على ضوء هذا النظام المالي، فكانت معظمها تصرف على النحو التالي :

ــ رواتب كاملة لمدرسين لم يأتوا إلى الشعبانية من المدارس القديمة، يتراوح أجر الساعة الدرسية لكل واحد منهم بين العشر ليرات سورية والخمس عشرة ليرة

(77) انظر : ص 386

سورية في ذلك الوقت، يراعى في تقدير ذلك المؤهل العلمي، والخبرة التعليمية في المدرس.

أما المدرسون الذين قدموا إلى الشعبانية من مدارسهم التي ألغيت، فيقبض كل واحد منهم أصل مرتبه من متولي وقف مدرسته التي كان يعمل بها، حتى إذا زادت حصصه الدراسية في الشعبانية عما كانت عليه سابقا فإنه والحالة هذه يقبض منها عوضا ماليا عن حصصه الاضافية فيها.

ـــ رواتب للطلبة المجاورين في الشعبانية، الذين تحققت فيهم شروط الواقف. أما الطلاب الذين وفدوا إليها من مدارس أخرى، فإنهم يقبضون رواتبهم من وقفيات مدارسهم. وهناك طلبة انتسبوا إليها ابتداء، ورضوا أن يدخلوها بلا راتب أصلا، لأنهم كانوا زيادة على عدد المجاورين الذين خصهم الواقف برواتب محددة.

ـــ أصبحت طريقة التدريس فيها حديثة، فالطلاب يجلسون على المقاعد المدرسية المعروفة بينما المدرس يلقي الدرس أمامهم قائما ومستعينا بالسبورة.

والامتحانات فيها كانت فصلية وخطية، بحيث يخضع الطلاب لامتحانين اثنين في السنة الواحدة [78].

والحق : أن المدرسة الشعبانية بعد سنة توحيد المدارس الشرعية 1949م خطت خطوة هامة نحو الأمام، سواء في جهازها التعليمي، أو في مناهجها التدريسية، ولكنها بقيت متأخرة في المستوى عن المدرسة الخسروية، مما جعل الشهادة الصادرة عنها غير معترف بها رسميا، وكان ذلك للأسباب التالية :

1. كونها مدرسة خاصة، وغير خاضعة لدائرة الأوقاف، لأن القائمين عليها كانوا يرون في إلحاقها بالأوقاف ـــ وهي دائرة حكومية ـــ تقييدا لها ومساسا باستقلالها.

2. كانت مناهجها على قوتهاالعلمية محصورة في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية، ولم تشمل العلوم الكونية كالجبر والهندسة واللغة الأجنبية وغيرها، نعم ... أدخلت في مناهجها مادة الحساب، ولكن المقرر فيها اقتصر على العمليات الحسابية البسيطة.

(78) جمعت هذه المعلومات ـــ بعد ترتيب وصياغة جديدين ـــ بطريقة الحوارا لشخصي مع السيد مالك منقاري الذي كان يعمل في الشعبانية محاسبا بدءا من افتتاحها سنة 1949 وإلى غاية 1954م.

3. لم تشترط في قبول الطالب أن يكون حاملا للشهادة الابتدائية كشرط أساسي لابد منه، بل قبلت حاملها وقبلت معه تالي القرآن الكريم ولو كان لا يحمل الابتدائية كما مر سابقا.

هذه هي الأسباب الظاهرة التي أمكن الوقوف عليها والتي جعلت شهادة المدرسة الشعبانية أو معهد العلوم الشرعية غير معترف بها رسميا في ذلك الوقت فيما نظن.

2. المدرسة الخسروية (79)

قال الشيخ الطباخ رحمه الله : «تنسب الخسروية إلى واقفها خسرو باشا بن سنان الذي وقفها وأوصى ببنائها، وخسرو باشا هذا ــ رحمه الله تعالى ــ ولي كفالة حلب سنة 938هـ، ثم ولي كفالة مصر سنة 941هـ، ثم صار الوزير الرابع في الدولة السليمانية (80) العثمانية» (81).

تقع الخسروية في محلة تسمى السفاحية، وهي تجاور القلعة من جهة غربها، يلوح بناؤها الضخم من مكان بعيد، لما اتسم به مسجدها من قبة عالية رائعة، ومنارة مرتفعة جذابة «وهي أول جامع ومدرسة وتكية (82) بنيت في أيام الدولة العثمانية بحلب... وكان الانتهاء من بنائها سنة 951هـ، ولم يبق الآن (في العشرينات من هذا القرن) من هذه العمارة سوى جامعها ومدرستها» (83).

أما الجامع فهو «مربع الشكل طوله نحو ستة عشر مترا، وعرضه كذلك، وعرض جدرانه أزيد من مترين، ولعله لذلك لم تؤثر فيه الزلزلة التي حصلت سنة 1237هـ، وخربت الأبنية التي حولها، يتخلل جدرانها الأربعة عشر شبابيك واسعة

(79) درج لفظها بين الناس «خسرفية»، وهو خطأ، وربما كان السبب في ذلك ــ كما صرح أحد طلبتها القدامى ــ أنهم كانوا إذا ضجروا من التعليم وظروفه أو ضغوطه قالوا : خسروا فيه، وهم يقصدون أنهم «خسروا فيها»!!؟

(80) نسبة إلى السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان. استمر في السلطنة منذ سنة 926هـ إلى 974هـ، انظر : شذرات الذهب، المرجع السابق، ج 8 ص 375 و 376.

(81) انظر : أعلام النبلاء ــ المرجع السابق، ج 3 ص 148 ــ 149.

(82) التكية : كلمة تعني رباط الصوفية الذي يجتمعون فيه على اوارادهم وأذكارهم.

(83) الفزي : كامل : المرجع السابق، ج 2، ص 93.

جدا، يسع الواحد منها فراشا مفروشا... (و) منارة الجامع عظيمة الارتفاع، مستديرة الشكل على طراز منارات الأستانة[84]..» [85].

وفيه أيضا من «الجهة الشرقية ميضأة، ومطهر لتغسيل الموتى، وست حجرات... وفي الجهة الغربية مدرسة فيها عشر حجرات، ثمان منها للمجاورين.. وواحدة للمدرس... وأخرى للبواب... (أما) الجهة الشمالية (ففيها) عشرة حجرات معدة للمسافرين..» [86].

كانت تلك لمحة موجزة عن نشأة المدرسة الخسروية، وشكل بنائها، وأما عن وقفياتها الخيرية فلقد «وقف عليها الواقف خسرو باشا وأخوه مصطفى اوقافا هائلة تبلغ نحو 300 عقار يطول الشرح لو ذكرناها... ومعظم الأماكن المجاورة لها هي وقف عليها، ولها اوقاف في مدينة عينتاب ودمشق، ذلك غير القرى والمزارع التي هي حول حلب، وقد استولت ايدي المتغلبين على هذه الأوقاف الكثيرة، ومزقتها كل ممزق... وقد كان بعضها خربا... وبعضها مشرفا على الخراب...» [87].

ولقد وزعت الواردات الخيرية تلك على متولي الوقف، وناظره، ومدرس وحيد، وثمانية مجاورين من الطلبة، ثم على قراء يتلون كتاب الله العزيز في أوقات محددة، وهيئات معينة، تتكرر بتكرر الأيام والمناسبات، وعلى مرافق الجامع والمدرسة أيضا. ولقد صرفت تلك الواردات الوقفية على شكل أعطيات مالية أو وجبات غذائية، أو نفقات مرفقية رسمتها شروط وقفية مفصلة تفصيلا لا تعزب عنه صغيرة ولا كبيرة، بحيث تحمل قارئها على الدهشة والاستغراب [88].

قال الشيخ الطباخ في وصف الحالة التعليمية في الخسروية : «شرط الواقف رحمه الله أن يكون المدرس بها حنفي المذهب... تعاقب عليها العديد من المدرسين

---

(84) يلاحظ أن هذه المدارس من المعالم الهامة التي حفظت لنا الأشكال المعمارية السائدة في البناء حينئذ.

(85) انظر : الطباخ : محمد راغب ــ اعلام النبلاء ــ المرجع السابق ــ ج 3، ص 158 ــ 159.

(86) الغزي : المرجع السابق، ج 2 ــ ص 94.

(87) الطباخ : الاعلام : المرجع السابق ــ ج 3 ــ ص 157.

(88) من شروط الواقف : أن يخبز في كل يوم 360 رغيفا، وزن كل رغيف 72 درهم، كل عشرة رطل (وزنها) من دقيق الحنطة... ويصرف كل يوم 8 أرطال من الأرز يطبخ شوربة من اللحم المذكور... في كل ليلة جمعة 10 أرطال أرز يطبخ حلوى...
انظر في ذلك : الغزي : المرجع السابق، ج 2، ص 95 ــ 97.

الخطباء (الواحد تلو الآخر)، ويغلب على الظن أن أمرها كان جاريا على السداد إلى أن حصلت الزلزلة العظمى بحلب وذلك سنة 1237هـ (1822م) فذهب كثير من الأبنية التي كانت موقوفة على هذه المدرسة من أسواق ودور وخانات، وفي ذلك الحين اختل أمر التدريس فيها وأهمل أمر هذا الجامع وما اشتمل عليه، وصار مأوى للغرباء والفقراء... وللعسكر في بعض الأحيان، وصارت الحجرات فيها تتداعى للخراب... ولما حصلت الحرب العامة وذلك في سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وثلاثين (1914م) وشغل هذا المكان بالعساكر والذخائر، كما شغل غيره من المساجد والمدارس والمعابد، ثم شغل بعد انتهاء الحرب العامة وذلك سنة 1337هـ (1918م) بفقراء (غرباء) صاروا يتخذون أطعمتهم داخل الحجر، اسودت جدرانها من الدخان والأوساخ، وتعطلت فيها القشرة الكلسية وداخل البناء بعض الوهن» (89).

ونتيجة لهذه الأوضاع أخذت انظار المصلحين ذوي الغيرة العلمية ــ قبل نشوب الحرب العالمية الأولى وبعدها ــ تتوجه تلقاء هذه المدرسة التي كادت تصبح أثرا بعد عيد، ومن أبرز هؤلاء المصلحين :

ــ الشيخ محمد رضا الزعيم (90) : الذي قال فيه الشيخ أمين الله عيروض : «أول من سعى لاحيائها (الخسروية) ونشر العلم فيها، فضيلة العلامة الجليل الشيخ محمد رضا الزعيم، فقد رم المدرسة، وبنى حجرا فيها، وجدد الرواق الشمالي جميعه على الهيئة التي نراها اليوم، ودرس في المدرسة كبار الكتب العلمية، وتخرج على يديه كبار علماء حلب» (91).

ذكر الشيخ الطباخ أن الزعيم أخذ يجدد المدرسة تلك بعد أن صار متوليا عليها، لكنه ما لبث أن ارتحل إلى دمشق ــ موطنه الأصلي ــ سنة 1320 هـ، قبل الحرب العامة بثلاث سنوات، وهو لم ينته بعد من اتمام عملية الاصلاح والترميم التي بدأها (92) ليظهر من بعده دور المصلح الثاني الذي تبدى أثر عمله الطيب على الخسروية سنة : 1340هـ ــ 1921م... إنه الشيخ يحيى الكيالي.

---

(89) اعلام النبلاء : المرجع السابق، ج 3، ص 157 ــ 158.

(90) هو والد المرحوم حسني الزعيم رئيس الجمهورية العربية السورية لفترة امتدت من 30 آذار سنة 1949 إلى 14 آب من السنة نفسها.

(91) سلسلة دليل الشهباء : القسم الثاني ــ الحركة العلمية : ص 10.

(92) انظر : الاعلام ــ المرجع السابق ــ ج 7، ص :538.

ـــ يحيى الكيالي : الذي قال فيه الطباخ رحمه الله تعالى «... قيض الله لدائرة الأوقاف الرجل الهمام السيد يحيى الكيالي فإنه ـــ وفقه الله ـــ لما ألقيت إليه مقاليدها واستلم زمامها، بادرت إلى مذاكرته في هذا الشأن [93] فألقى سمعه إليه، وأقبل بكليته عليه، ولم يمض بضعة أسابيع، وإذا به قد أبرز هذا المشروع الجليل لحيز الفعل، وأعلن افتتاح المدرسة الخسروية وعين لها أساتذة، وصار الطلاب يهرعون إليها من الشهباء وما حولها. وكان افتتاحها في أوائل سنة 1340 هـ(1921م) ووضع لها نظاما خاصا، وعين لجنة دعيت المجمع العلمي، برئاسة مفتي حلب الشيخ عبد الحميد الكيالي، بحثت في هذا النظام ثم صادقت عليه.

وأدخل في نظامها من العلوم ما عدا الآلية (العربية ونحوها) والدينية علم الأخلاق، وهذا العلم مع شدة الحاجة إليه لم يكن درسا يتلقى، بل يكتفي الطلاب ـــ من شاء منهم ـــ بمطالعته من نفسه، وعلم التاريخ الاسلامي، والانشاء والجغرافيا وقانون الحقوق الطبيعية وقانون الأراضي واحكام الانتقالات وأحكام الأوقاف وعلم الحساب.

والمدرسة في هذه السنة وهي سنة 1343 هـ ذات خمسة صفوف انتظم في سلكها نحو ثمانين طالبا، والامتحانات التي حصلت في السنتين الماضيتين دلت على نجاح تام ومستقبل زاهر، ونيطت عرى الآمال بأنها ستخرج عما قريب علماء متقنين يتمكنون من خدمة دينهم وأوطانهم ونشر ألوية العلم في ربوعها.

ثم ذكر الشيخ الطباخ «أن الكيالي أتم ترميم المدرسة، وأكمل حجرها التي في الجهة الشرقية لعدم تمكن الشيخ محمد رضا الزعيم من إتمامها، واتخذ فيها قاعة للمطالعة وضعت فيها خزائن الكتب» [94].

ولقد أشاد الغزي أيضا بتلك المكرمة التي أتحف بها الكيالي المدرسة الخسروية، فقال رحمه الله تعالى : «اهتم مدير الأوقاف السيد يحيى الكيالي بشأنها (الخسروية) فرتب فيها مدرسين ومجاورين (طلبة) وجعل لكل واحد منهم معلوما (راتبا)

---

(93) المقصود رغبته في أن تكون المدارس الدينية ذات صفوف مرتبة وكتب وعلوم معينة ونظام يرجع إليه، لتكون مسافة التحصيل قريبة على الطالب.

(94) نفس المرجع : ج 3، ص : 162.

يقوم بكفايته، واعتنى بإعمار ما بقي من أوقافها فزادت غلاتها... فعاد لهذه العمارة انتعاشها، وامنت على حياتها بعد أن وصلت إلى دور الاحتضار...» [95].

ونورد فيما يلي مقتطفات من أقوال أربعة من العلماء اللذين تلقوا تحصيلهم العلمي في الخسروية، على فترات متعاقبة، وهي أقوال غطت أربعة عقود زمنية، عقد العشرينات والثلاثينات والأربعينات والخمسينات من هذا القرن، وبذلك تكون صورة الخسروية أقرب إلى الوضوح، ويكون بحثها أدنى إلى بلوغ رتبة الحق والصواب. على أن اثنين منهم وهما : الشيخ أحمد قلاش، والشيخ محمد الخطيب، يتحدثان عن الخسروية قبل أن تسمى بالكلية الشرعية، أما الآخران منهما فهما الأستاذ محمد نديم خديجة واستاذنا الدكتور ابراهيم سلقيني، اللذان يتحدثان عنها على أنها كلية شرعية.

انتسب القلاش إلى الخسروية سنة 1341 هـ ـــ 1922م، أي بعد افتتاحها بسنة واحدة، لأنه كان يدرس آنذاك في الشعبانية، لذلك دخلها وهو في عداد طلاب الصف الثاني منها، ليتخرج منها سنة 1929م.

أما الشيخ محمد الخطيب فقد انتسب إلى الخسروية سنة 1933م، وتخرج منها سنة 1939م.

ولقد أفاد كل من القلاش، والخطيب، بمعلومات تتعلق بالخسروية زمن دراستهما بها، يمكن ترتيبها على النحو التالي :

1. النظام الداخلي والمسلكي فيها :

ـــ تتكون المرحلة الدراسية فيها من ستة صفوف، لا تعلوها مرحلة أخرى لا فيها ولا في حلب كلها.

ـــ لم تكن هناك سن محددة تشترط في الطالب حتى يدخل المدرسة، ثم شرط فيها بعد كون المنتسب لا يقل عمره عن خمسة عشر عاما ولا يزيد على ثمانية عشر.

ـــ أن يقضي راغب الانتساب إليها سنة كاملة يستمع خلالها لدروس تؤهله لدخول الصف الأول، ثم يخضع بعد ذلك لاختبار أو مسابقة القبول، التي هي عبارة

(95) المرجع السابق : ج 2، ص 97.

عن أسئلة في القواعد والفقه وتلاوة القرآن الكريم تجويدا. لكن ربما قبلوا في حالات استثنائية طلابا غير مستمعين.

ـ لا يجوز للطالب أن يمضي أكثر من سنتين في الصف الواحد، وكذلك لا يحق له أن يرسب في السنة الأخيرة.

ـ يتألف الدوام اليومي من أربع حصص درسية، حصتان منها قبل الظهر واثنتان بعده على أن تكون الأولى منهما قبل العصر، والثانية بعده. ثم ازدادت بعدئذ الحصص الدرسية، فأصبحت ستا، ومنها أربع قبل الظهر، واثنتان بعد العصر.

ـ تعطى الدروس على شكل حلقات، الطلاب فيها يجلسون على البسط والوسائد، أما المدرس فيتميز عنهم بطاولة صغيرة يجلس خلفها واضعا عليها كتابه المقرر. ثم تطورت فيما بعد غرفة الصف لتضم مقاعد خشبية عليها يجلس الطلاب ويكتبون... وسبورة يكتب عليها المدرسون.

ـ يخضع الطالب لامتحانين اثنين في العام الدراسي الواحد، امتحان نصفي ويكون خطيا تحريريا، وآخر نهائيا ويكون خطيا وشفهيا في المادة الواحدة، وتعتمد للامتحانات الشفهية لجنة من علماء المدرسة، تستضيف إليها أساطين العلماء من خارج الخسروية، وكذلك أصحاب السلطة والنفوذ كمحافظ المدينة فمن دونه.

ـ يلزم الطالب بارتداء الجبة، ووضع العمامة، وإعفاء اللحية.

ـ يحظر على الطالب أن يرى بعد المغرب في الأماكن المشبوهة أو المريبة.

ـ في الخسروية وغيرها من المدارس الملغاة بقرار التوحيد (توحيد المدارس) غرف يخصص غالبها لمبيت القرويين من الطلبة، ولا مانع من اعداد بعضها لطلاب المدينة.

ـ يمنح الطالب حين تخرجه شهادة الخسروية بعد أن يكتب فيها جميع المواد التي أتمها الطالب بنجاح، ويوقع كل مدرس إلى جانب مادته، ثم المدير، فمدير الأوقاف، فالقاضي الممتاز، فالمفتي.

ولكن، ومع ذلك كله، فإن تلك الشهادة كانت لا تسمن ولا تغني من جوع، لأنها غير معترف بها من طرف الدولة وقتئذ.

2. المنهاج التدريسي فيها :

يضم المنهاج التدريسي في الخسروية المواد التالية، اذكرها واذكر مع بعضها اسماء مدرسيها أوالكتب المقررة فيها :

- مادة التفسير : ويدرسها الشيخ أحمد الشماع.
- مادة مصطلح الحديث : ويدرسها الشيخ محمد راغب طباخ.
- مادة التاريخ : ويدرسها الشيخ محمد راغب طباخ.
- مادة الفقه الشافعي : ويدرسها الشيخ عمر المرتيني، والكتاب المقرر فيها هو شرح الخطيب على متن أبي شجاع.
- مادة الفقه الحنفي : ويدرسها الشيخ أحمد الزرقاء.
- مادة أصول الفقه : ويدرسها الشيخ أسعد العبجي.
- مادة الأخلاق : ويدرسها الشيخ عيسى البيانوني.
- مادة الشمائل المحمدية : ويدرسها الشيخ أبو الفضل الكيلاني.
- مادة الفرائض (المواريث) : ويدرسها الشيخ عبد الله عبد المعطي.
- مادة التوحيد (العقيدة) : ويدرسها الشيخ فيض الله الأيوبي.
- مادة المنطق : ويدرسها الشيخ فيض الله الأيوبي.
- مادة النحو : ويدرسها الشيخ محمد الناشد، والكتاب المقرر فيها هو شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك.
- مادة الصرف : ويدرسها الشيخ عمر أسد.
- مادة الانشاء : ويدرسها الشيخ كامل غزي.

كانت تلك أهم الموالد الدراسية التي ذكرها القلاش والتي كان قد قرأها أيام دراسته في الخسروية في العشرينات من هذا القرن.

ولكن الشيخ محمد الخطيب اضاف في ما ذكر سابقا من المواد، المواد التالية التي درسها في الخسروية في الثلاثينات من هذا القرن الميلادي : السيرة النبوية، والخط، والتجويد، والحديث النبوي : وهي عبارة عن دراسة النصوص الواردة في كتاب الأربعين النووية، والتصوف المستمد من كتب أبي حامد الغزالي.

ومن الممكن أن تكون هذه المواد مستوعبة ضمن المواد التي ذكرها الشيخ القلاش آنفا. ثم ذكر الخطيب مادتين دراسيتين لم يذكرهما القلاش في الأغلب، هما :

ـــ مادة الجغرافية : التي يدرسها الطلاب بدءا من الصف الثالث فما فوق.

ـــ مادة الحساب : التي تبدأ مع الطالب من الصف الأول، لكن المقرر فيها ينتهي عند بحث القاسم المشترك الأعظم، وهي بذلك لا تعدو كونها تدرب الطالب على حل بعض المسائل الحسابية التي تواجهه في حياته اليومية.

3. النظام المالي فيها :

وضعت دائرة الأوقاف يدها على جميع الأموال الوقفية العائدة للمدرسة الخسروية، ثم باشرت بنفسها ادارة تلك الأموال وحددت بالتالي ميزانية تنظيم نفقات الخسروية على مختلف الأصعدة.

فالطالب يقبض ليرتين سوريتين شهريا، وهو راتب لا يفي بالحاجات الضرورية، إلا أن سقفه يرتفع بارتفاع صف الطالب.

ولم يبق ذلك الراتب على حاله، بل ازداد في الثلاثينات من هذا القرن أو في العقد الثاني من افتتاح الخسروية، حتى بلغ راتب الطالب في الصف الأول أربع ليرات سورية، وراتب الطالب في الصف الثاني خمس ليرات سورية... وهكذا مع كل صف جديد يزداد الراتب ليرة، حتى إذا ما ارتقى الطالب إلى الصف السادس ـــ وهو الأخير ـــ قبض تسع ليرات سورية، علما أن قيمة الليرة الذهبية تعدل آنذاك خمس ليرات سورية، وهذا يعني أن اعطية الطالب أصبحت كافية، بل ربما زاد منها لشراء الكتب وغيرها من الحاجات التي تهم الطلبة.

ولكن الطلاب وفق هذا النظام المالي المحدث ليس لهم وجبات يومية من الطعام كما هو الأمر في شروط الواقف رحمه الله تعالى.

وقد تسمت الخسروية منذ أن افتتحها السيد يحيى الكيالي مدير دائرة الأوقاف وذلك سنة 1340 هـ ـــ 1921م بالمدرسة العلمية، وبقيت على الحال التي فصلناها سابقا على لسان كل من أحمد القلاش ومحمد الخطيب، إلى أن دخلت سنة 1942م وهي السنة التي تسمت فيها الخسروية بالكلية الشرعية [96] وذلك بعدما ادخلت على انظمتها بعض التعديلات التي نال المنهاج الدراسي الحظ الوافر منها.

---

(96) كان ذلك بموجب المرسوم الاشتراكي رقم 200، واستمر الحال كذلك حتى سنة 1959م حينما سميت المدرسة «الثانوية الشرعية».

أكد ذلك الأستاذ محمد نديم خديجة [97] الذي انتسب إلى الخسروية في العام الذي تسمت فيه بالكلية الشرعية، وصرح به أيضا الدكتور ابراهيم سلقيني [98] الذي انتسب إلى الكلية الشرعية سنة 1945م، وتخرج منها سنة 1951م، وهو حتى بعد تخرجه منها لم تكن حالها لتخفى عنه لأن والده الشيخ محمد سلقيني بقي مدرسا فيها مدة طويلة.

وأكد أيضا كل من خديجة وسلقيني أن أبرز ما تميزت به الكلية الشرعية عن المدرسة العلمية ــ سابقا ــ هو تعديل المناهج الدراسية فيها، التي جاءت لتشمل هذه المرة العلوم الشرعية والعربية التي مر ذكرها والعلوم الأخرى التي اقتضت متطلبات العصر دراستها، مثل علوم الجبر والهندسة والفيزياء والكيمياء واللغة الفرنسية ــ أيام الاحتلال الفرنسي ــ ثم اللغة الانجليزية ــ بعد جلاء الفرنسيين عن سورية ــ.

وكان القصد من إدخال هذه المواد الجديدة هو تأهيل الطالب في جملة الثقافات الشرعية والعربية الكونية اللازمة، وحتى يبقى في الوقت ذاته للكلية الشرعية كيانها المستقل المتميز إلى جانب المدارس الرسمية الأخرى، وكان الشيخ راغب طباخ هو أول من سعى إلى تأسيس هذه الكلية وأول من أدخل إلى منهاجها الدراسي مثل تلك المواد الدراسية التي لم تكن في حسبان من سبقه من العلماء، لذا فهو يعد بحق مؤسس الكلية الشرعية، وأول من تولى إدارتها.

ولقد عانى الطباخ من رجال ينتسبون إلى العلم أعلنوا معارضتهم ادخال مثل هذه المواد في منهاج التدريس بحجة أنها مواد غريبة ليست من صلب المواد الشرعية، وبلغ الانكار ذروته والمعارضة أشدها حينما تعلق الأمر بتعليم اللغة الأجنبية التي هي «لغة عدو احتل البلاد وقهر العباد وانتهك الحرمات والمقدسات».

لكن المتأمل في هذه القضية يجد أن الحق كان حليفا للشيخ الطباخ، لأن دعوة الاسلام إلى العلم جاءت عامة تشمل العلوم الشرعية والعلوم الكونية، بل العلوم كلها في نظر الاسلام شرعية، وإنما جاء هذا التقسيم من حيث الاصطلاح أو

---

(97) في لقاء شخصي أجري مع فضيلته.

(98) في لقاء شخصي أجري مع فضيلته وهو عالم جليل وأستاذ جامعي معروف ومدير سابق للخسروية.

الاستعمال العرفي، فالله سبحانه وتعالى دعا إلى النظر المولد للمعرفة والعلم في أرجاء السموات والأرض، فقال جل شأنه ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض..﴾ (99) وقال سبحانه ﴿وقل ربي زدني علما﴾ (100) حيث يلاحظ كيف أن لفظة العلم وردت في الآية الكريمة بصيغة التنكير حتى تفيد طلب الاستزادة من كل علم نافع، سواء أكان العلم شرعيا بالمعنى العام، أم كان شرعيا بمعناه الخاص والمتعارف عليه. وبخصوص تعلم اللغات الأجنبية فهو يأتي من باب العلم اللازم الذي تحصل به أمور نافعة وأخرى لابد منها، وكذلك يأتي من باب أن من تعلم لغة قوم أمكن مكرهم، ولهذا الغرض وغيره أمر النبي ﷺ زيدا بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم كتاب اليهود، يعني خطهم (101) قال زيد رضي الله عنه «أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود، وفي رواية : بالسريانية، وقال : «إني والله ما آمن يهود على كتابي»، فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته وحذقته فكنت اكتبه إليهم، وأقرأ له كتبهم» (102).

أما الهيئة التدريسية في الكلية الشرعية فقد كانت مؤلفة من لفيف من كبار العلماء ومشاهيرهم منهم من أتينا على ذكره في عداد مدرسي الخسروية قبل تحولها إلى كلية شرعية، ومنهم من لم يذكر اسمه هناك فنذكره هنا مع بيان المادة التي قام بتدريسها، وذلك على النحو التالي :

ـــ محمد سلقيني ومحمد خير زين العابدين : يدرسان مادة التفسير.

ـــ مصطفى الزرقاء ومحمد الجبريني : يدرسان مادة الفقه الحنفي.

ـــ سعيد الادلبي وولده أحمد : يدرسان مادة الخطابة والشعر.

ـــ محمود شعبان الزيدي ونهاد الهبراوي : يدرسان مادة الرياضيات.

ـــ عمر يحيى وعبد الله حمادة وناجي أبو صالح : يدرسون النحو والقراءة.

---

(99) من الآية : 101 من سورة يونس.

(100) من الآية : 114 من سورة طه.

(101) انظر : «العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر ـــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، ج 13، ص 198، ط : 1407هـ ـــ 1987م ـــ دار ريان للتراث : القاهرة ـــ مصر.

(102) أخرجه البخاري تعليقا في كتاب : الأحكام ـــ باب : ترجمة الحكام، وهل يجوز ترجمان واحد، ووصله أبو داود برقم : 3645، والترمذي برقم : 2716، وأخرجه أحمد في مسنده : ج 5، ص 186.

ــ عبد الجواد عطار : يدرس مادة الخط.
ــ نجيب خياطة : يدرس الفرائض (المواريث) والتجويد.
ــ طبيب الاسنان محمد الريحاوي : يدرس مادتي الكيمياء والفيزياء.
ــ طبيبا الأسنان ظافر أبو ريشة، ومنيف العقيلي : يدرسان اللغة الفرنسية.
ــ زاهد عجنجي : درس اللغة الانكليزية بعد جلاء الفرنسيين عن سورية.
ــ نجيب جبل : يدرس مادة الجغرافية.
ــ المحامي فؤاد قسطلي : يدرس مادة علم الاجتماع.
ــ غالب سالم : يدرس مادة الرسم والأشغال.

وبهذا التفصيل والبيان لأعضاء الهيئة التدريسية، والمواد الدرسية في الكلية الشرعية، يتضح لنا بجلاء ذلك المستوى العلمي المرموق الذي بلغته تلك الكلية الزاهرة.

يضاف إلى ذلك تلك الشروط التي حددتها ادارتها لقبول الطالب فيها، والتي كان من بينها أن يكون راغب الانتساب حاملا للشهادة الابتدائية، وهذا شرط هام وضروري لم يسبق أن شرط أبدا في المدرسة الخسروية قبل سنة 1942 م التي فيها أسست الكلية الشرعية هذه. فإذا أضفنا إلى ما سبق ذكره أن الامتحانات ــ في هذه الكلية ــ أصبحت جدية وشاملة، نصفية ونهائية، خطية وشفوية، يكون استغرابنا شديدا حينما نعلم أن شهادتها لم تعادل بالشهادة الثانوية العامة، مما جعل حاملها يحتاج إلى دخول امتحان خطي وشفوي إذا ما أراد الانتساب إلى كلية الشريعة في جامعة دمشق، في حين يدخل تلك الكلية مباشرة حامل الثانوية العامة.

وهذا يعني من الناحية الواقعية أن شهادة الكلية الشرعية كانت شهادة فنية ليس غير [103] كما هو شأن الشهادات الحرفية الأخرى.

أما النظام المالي للكلية الشرعية فكان خاضعا لدائرة الأوقاف وانظمتها، وهذا يقتضي أن يقبض طلابها وجميع العاملين فيها من مدرسين وغيرهم رواتبهم من دائرة الأوقاف.

---

(103) هذا قبل صدور المرسوم 36 سنة 1972 القاضي بمعادلة شهادتها بالثانوية العامة.

وكان المعدل الوسطي لما يقبضه الطالب شهريا أربع ليرات ونصف الليرة السورية، في الوقت الذي كانت فيه الليرة الذهبية تعدل خمس ليرات سورية ونصف الليرة وهو مبلغ مقبول إلى حد ما في ذلك الزمن.

هذا ... ولقد بلغ عدد المتخرجين من الخسروية منذ افتتاحها سنة 1340هـ ـــ 1921م وحتى سنة 1948م مئتان وواحد وخمسون طالبا، أصبح بعضهم فيما بعد من مشاهير العلماء في العالم الاسلامي، ونذكر منهم [104] :

ـــ معروف الدواليبي : وكان تخرجه سه 1927م.
ـــ محمد الحامد : وقد تخرج سنة 1933م
ـــ عبد الرحمن رأفت باشا : وقد تخرج سنة 1941م.
ـــ محمد فوزي فيض الله : وكان تخرجه سنة 1942م.
ـــ عبد الفتاح أبو غدة : وقد تخرج سنة 1942م.

مما سبق يظهر لنا بوضوح الدور البارز الذي قامت به كل من المدرستين الشعبانية والخسروية في مضمار تحصيل العلوم الشرعية. وإذا كان الخسروية أطول باعا في هذا المجال من الشعبانية، فإن ذلك يعود لطول مدة افتتاحها خلافا للشعبانية التي اعتراها انقطاع طويل دام قرابة الثلاثين عاما ـــ كما ظهر سابقا [105] ـــ ولأن الخسروية قد امتازت بعناية أكبر نسبيا من طرف دائرة الأوقاف والسادة العلماء، مما أكسبها شهرة كبيرة جعلت أحد الدارسين فيها يصفها بأنها كانت بحق «أزهر سوريا» في زمانها [106].

(104) انظر : عيروض : أمين الله ـــ المرجع السابق، ص 11 ـــ 14.
(105) كان ذلك الانقطاع منذ عام 1922م حتى عام 1949م، أفاد هذا القلاش والمنقاري في حديثيهما.
(106) ذكر ذلك : محمد نديم خديجة في حديثه المشار إليه آنفا.

خاتمة

وهكذا تمت بحمد الله أبواب البحث وفصوله التي جمعت معلومات كانت متناثرة في بطون الكتب وصدور الرجال، وأوضحت أفكارا كانت غامضة، تتعلق بقضية هامة، وموضوع ذي بال، لا تزال آثاره ظاهرة، وذيوله بادية للعيان، وهي في الحقيقة أمور ما كنا نحسبها إلا ظواهر عارضة في المجتمع، وإذا بنا نكتشف من خلال هذا البحث أنها كانت وليدة أوضاع وظروف التعليم الشرعي، سواء أكانت تلك الظواهر ايجابية أم سلبية، نافعة أم غير نافعة.

ولو أننا ألقينا الآن نظرة عابرة على جملة ما تضمنته الصفحات السابقة، لثبت لدينا رسوخ مدينة حلب في أعماق الزمان وحقب التاريخ البعيدة، وأنها حاضرة تتمتع بأهمية تاريخية متميزة، ومكانة جغرافية حساسة، ورتبة علمية وثقافية سامقة.

ولظهر لنا أيضا أن التعليم الشرعي في حلب قبل عام توحيد المدارس الشرعية لم يكن خاضعا لنظام دقيق يربط المقدمات بالنتائج المرجوة من انشاء المدرسة، يضاف إلى ذلك أن المدارس الدينية كلها كانت تفتقر حينئذ إلى مظاهر التنسيق والتعاون المشترك وتبادل وجهات النظر وثمار الخبرة العلمية فيما بينها، مما جعل المردود فيها كلها محدودا مع كونه قاصرا على طرف من العلوم لا تنضج معه شخصية الطالب العلمية نضوجا كافيا، ولا تتبلور من خلاله تبلورا واضحا شخصية المسلم الذي لا يؤتى الاسلام من قبله.

ولما أخذت تلك المدارس تضعف شيئا فشيئا، وأوشك معين العلم فيها أن يجف أو ينضب، ظهرت فكرة توحيد المدارس الشرعية إلى ساحة الوجود، وطبقت فعلا في أواخر سنة 1949م بقرار صادر عن دائرة الأوقاف الرسمية في حلب، فكانت نتيجة ذلك أن توحدت جميع المدارس الشرعية في مدرستين اثنتين هما : الشعبانية والخسروية.

وما كان دافع المطالبين بتوحيد تلك المدارس إلا أنهم أرادوا ضبط جهود المدرسين فيها، وحمل الطلبة على الدراسة بجد وإخلاص، حتى لا يكون ثمة فوضى وبعد عن المسؤولية، وتضييع للوقت والمال بلا نفع ولا طائل.

ولقد أبرز البحث أيضا الخطوات التي سارت عليها قدما كل من المدرسة الخسروية ـــ العلمية ثم فيما بعد الكلية الشرعية ـــ والشعبانية ـــ معهد العلوم الشرعية ـــ وكيف كانتا تتسابقان إلى بلوغ ذروة العلم وتحصيل السيادة فيه.

وبالنتيجة تمكنت الخسروية من معادلة شهادتها بالشهادة الفنية السورية [107]، بينما بقيت شهادة الشعبانية غير معترف بها رسميا [108].

ولابد لي أن أشير أخيرا إلى أن مدينة حلب وفي زمن كتابة هذا البحث لا تزال تحتفظ ببعض مدارس التعليم الشرعي الأصيل، التي من أهمها مكانة وأعظمها أثرا :

1. الثانوية الشرعية : وهي في الأصل «الخسروية»، وقد سبق الحديث عنها، وأضيف هنا أنها أصبحت ذات فرعين : واحد للذكور وآخر للاناث.

2. المدرسة الشعبانية : السالفة الذكر أيضا، ويشرف على إدارتها الآن العلامة المحدث والمربي الفاضل عبد الله بن نجيب سراج الدين حفظه الله.

3. المدرسة الكلتاوية : التي أنشأها العارف بالله المربي المرحوم الشيخ محمد النبهان ويتولى أمورها في الوقت الحاضر أولاده بالتعاون مع خيرة طلابها الذين أصبحوا اليوم من شيوخ حلب وعلمائها البارزين.

(107) عدلت شهادة الخسروية التي هي «شهادة الثانوية الشرعية» بالشهادة الثانوية العامة منذ عام 1972م، بعد ما طرأ تعديل آخر على المنهاج ادخلت بموجبه مع المقررات الشرعية العلوم الكونية المعتمدة في المدارس التابعة لوزارة التربية.

(108) وهي كذلك حتى اليوم.

مراجـــع البحـــث

ـــ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء : طباخ : محمد راغب، حلب، سورية، دار القلم العربي ط 2، 1989م.

ـــ الثقافة الاسلامية : طباخ : محمد راغب. حلب، سورية، مكتبة طباخ اخوان ط 1950م.

ـــ حلب القديمة والحديثة : رواس قلعة جي : عبد الفتاح، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة ط : 1989م.

ـــ سلسلة دليل الشهباء : عيروض : أمين الله، صفحات مصورة من الكتاب المذكور.

ـــ شذرات الذهب في أخبار حلب : عبد الحي ابن العماد الحنبلي، ط : دار الفكر.

ـــ فتح الباري بشرح البخاري : العسقلاني : ابن حجر. القاهرة، مصر، دار الريان للتراث ط 1987م.

ـــ الفقه الاسلامي وأدلته : الزحيلي : وهبة. دمشق، سورية، دار الفكر ط 1984م.

ـــ الكامل في التاريخ : ابن الأثير : عز الدين. بيروت، لبنان، دار صادر، ط 1979م

ـــ معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب : العرضي : أبو الوفاء. دمشق، سورية، دار الملاح ط : 1987م،

ـــ معجم البلدان : الحموي : ياقوت. بيروت، لبنان، دار صادر.

ـــ نهر الذهب في تاريخ حلب : الفزي : كامل. حلب، سورية، دار القلم العربي ط 2، سنة 1991م.

★ يضاف إلى ذلك المقابلات الشخصية التي سبق الاشارة إليها في غضون البحث، والتي تمت مع أصحاب الفضيلة الأساتذة : الدكتور ابراهيم سلقيني، أحمد سردار، أحمد قلاش، مالك منقاري، محمد الخطيب، محمد سلقيني، محمد نديم خديجة.

مركز تحقيقات کامپیوتری علوم اسلامی


ملاحق



كلمــة
الدكتور محمد فاروق النبهان
مديـر دار الحديث الحسنيـة

بمناسبة

ندوة النهضة الحديثية
في القرن السادس والسابع الهجري

التي نظمتها جمعية العلماء خريجي
دار الحديث الحسنية
بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
والتي انعقدت بدار الحديث الحسينة بتاريخ
28 ـــ 30 أبريل 1993

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين

وبعد

اهتمت الحركة العلمية في الغرب الاسلامي منذ نشأتها الأولى بالرواية، وكانت الرحلة إلى المشرق هي الظاهرة الأولى التي ارتبطت بتاريخ هذه الحركة، وكان العلماء يتنافسون في هذه الرحلة العلمية، ويعودون بزاد وافر من الرواية، في كل ما هو مأثور من القراءات والأحاديث والسير والأحكام.

واشتهر الغرب الاسلامي بمناهجه النقدية في مجال الرواية والتشدد في قبول المرويات، والدقة في معايير الجرح والتعديل، وهذا المنهج النقدي الدقيق جعل الغرب الاسلامي «**دار حديث**»، وأصبح العلماء المغاربة رمزا للمحدثين الذين يحظون بتوثيق ما يروى عنهم، وبالاطمئنان إلى مروياتهم.

وإذا كانت مدرسة الحديث في الغرب الاسلامي قد بدأت منذ أوائل القرن الثالث بفضل جهود محمد بن وضاح القرطبي وبقي بن مخلد فإن هذه المدرسةقد نمت وازدهرت في القرن السادس والسابع بفضل الرعاية التي حظيت بها علوم الحديث من ملوك الدولة الموحدية الذين كانوا يشجعون العلماء على الدراسة والبحث، ويستدعونهم إلى مراكش لكي يقوموا بمهمة التدريس والتعليم... وازدهرت بفضل هذا التشجيع علوم الحديث، وأصبح هذا العلم مما يفتخر به، وعكف عليه العلماء والأطباء والفلاسفة والصيادلة، وتؤكد الروايات التاريخية ان أبا العباس احمد النباتي المعروف بالعشاب الذي اختص بالأدوية والحشائش الطبية كان من كبار علماء الحديث، وألف مصنفات في هذا العلم، وتحدث عن زوائد البخاري على مسلم وما انفرد به مسلم عن البخاري، ولخص كتاب الكامل للجرجاني في الضعفاء والمتروكين ووصفه لسان الدين ابن الخطيب بأنه من العجائب في علوم النبات والأعشاب، وأنه جمع بين الصنعتين علم النبات وعلم الحديث لوجود قدر مشترك بينهما وهو الرحلة والتقييد وتصحيح الأصول وتحقيق المشكلات وحفظ الأديان والابدان..

اشتهر عدد من اعلام المحدثين في هذه الفترة التاريخية من ابرزهم عبد الحق الاشبيلي صاحب كتاب «الأحكام الشرعية» الذي يعتبر من أبرز المصنفات الحديثية التي اشاد بها العلماء، وتناولوها بالبحث والدراسة، والحافظ ابن الجد الذي كان يعتبر حجة زمانه في الحفظ والرواية والدراسة.. والحافظ ابن القطان الفاسي، وكان من اعلم الناس بصناعة الحديث واحفظهم لرجاله وكان ذا بصيرة بالرواية والأسانيد والرجال مكنته من معرفة العلل وقواعد النقد الحديثي بطريقة أهلته لان يكتب كتابه الهام «بيان الوهم والايهام» الواقعين في كتاب الأحكام لعبد الحق الاشبيلي.

وبالاضافة إلى هؤلاء المحدثين الذين اشتهرت كتبهم، فهناك عشرات من علماء هذه الفترة الغنية بعلمائها، من امثال ابن دحية الكلبي وسليمان الكلاعي وابن مروان اللخمي الباجي الذي كان يسرد الحديث بمجلس الخليفة المنصور بمراكش وابن الصيقل الذي استدعاه يعقوب المنصور إلى مراكش من تلمسان، لكي يسمع علمه في المجالس والمساجد...

ولقد أسعدني أن أجد معظم علماء هذه المرحلة التاريخية قد تناولها الباحثون في دار الحديث الحسنية بالدراسة والبحث، تعريفا بهؤلاء الأعلام، وتحقيقا لمصنفاتهم،

وجمعا لتراثهم العلمي وبيانا لمكانته، مؤكدين بذلك أن الغرب الاسلامي قد احتضن بجدارة علوم الحديث، وقاد نهضة حديثية متميزة بآثارها العلمية، وحافظ على هذا التراث الحديثي، وأضاف إليه الكثير من ملامح التجديد والاغناء، سواء في مجال التعليل والتوثيق، أو في مجال تأصيل المناهج النقدية وأساليب التخريج..

وانا مدعوون في هذه الندوة الموفقة إلى أن نضع أيدينا على الاسباب الحقيقية التي أدت إلى ازدهار هذه المرحلة التاريخية الغنية بعطائها وتراثها ومصنفاتها، والمعرفة لا تنمو إلا في أرض خصبة، وفي ظروف مناخية ملائمة للنمو، سواء من حيث طبيعة التغذية التي تمد الفكر المعرفي بما يتطلبه من أسباب النمو أو من حيث حرية المفكر، الذي يستولد أفكاره من رؤيته المعرفية، بحيث تكون الفكرة كالوليد يحمل خصائص آبائه أصالة انتماء واشراقة تعبير..

وليس هناك اقسى على الفكر من تضييق الخناق عليه، ومطاردة أنفاس الحياة فيه، فالازهار الجميلة هي نتاج نبتات صغيرة غرست بعناية وسقيت برعاية، واحيطت بمشاعر الدفء الربيعي إلى أن يستقيم ساقها وتقوى فروعها، وعندئذ تعطي عطاءها الجزيل، أزهارا متنوعة الألوان والأشكال تسُرُّ الناظرين...

ومن واجب الأجيال اللاحقة أن تكبر ذلك الجهد الذي بذلته اجيال العطاء التي اقتحمت عصور الركود بجهد مضاعف، واضاءت شعلت الحياة في مسيرة العلم، سواء من حيث التجديد في منهج التصنيف أو من حيث التأصيل والتقعيد، مؤمنين بدور الفكر في تصحيح الأنساق التقليدية للمفاهيم والتصورات الفكرية...

وغاية هذه اللقاءات العلمية أن تحقق هدفين اثنين :

أولهما : اغناء البحث العلمي بدراسات جادة تضيف الكثير من أوجه التعريف بمصنفات الائمة الاعلام، وتسليط الأضواء على ما أضافوه إلى الثقافة الحديثية من معارف...

وثانيهما : دراسة الأسباب التي أدت إلى الازدهار لكي يستفيد هذا الجيل من دروس التاريخ وعبر الأيام، ولكي يؤدي التاريخ دروه كمدرسة حية ملهمة ترسم للاجيال المقبلة ملامح الطريق، فلا يضل جيل ولا يتعثر موكب، في مسيرة الحياة العلمية وقوانينها الثابتة التي لا تختلف عن قوانين الطبيعة في اغناء التجربة الانسانية

بتجارب الأولين التي ينقلها التاريخ إلينا بقدر كبير من الانصاف والموضوعية، مقدرا جهود الأجيال التي اعطت وأغنت، معترفا بدور الأجيال التي استكانت واستسلمت...

لقد أضاف الغرب الاسلامي إلى ثقافتنا الاسلامية الكثير من الملامح المضيئة، في مجال القراءات والحديث والسيرة، وفي مجال الفقه والأصول والفلسفة، ومازالت الآمال معقودة على الغرب الاسلامي، أن يضيف ويغني... والمغرب عاصمة الغرب الاسلامي التاريخية والحضارية والثقافية سيظل باستمرار موطن الأمل، لعطاء جديد في مجال العلم والثقافة، بفضل ما اكرمه الله به من قيادة حكيمة مؤمنة بهذا التراث الاسلامي العظيم تؤكد في كل مناسبة اعتزازها به، كعقيدة وثقافة وسلوك..

اننا نجتمع اليوم في رحاب دار الحديث الحسنية، التي امتدت أغصانها ونما عطاؤها واصبحت اسرتها المتكافلة والمتناصرة تطل من علو على مسؤوليات ثقافية وعلمية وتوجيهية في شمال المغرب وجنوبه، في جهد مشكور، لتأصيل المسيرة الثقافية وتغذية الشخصية المغربية بمقوماتها الروحية لكي يظل مغرب الحسن الثاني مغرب الأصالة والعقيدة والاسلام...

اننا نعتز كل الاعتزاز بما تقوم به جمعية خريجي دار الحديث الحسنية من نشاطات علمية وثقافية، بفضل جهود فضيلة الأخ الأستاذ الدكتور محمد يسف الكاتب العام للجمعية الذي قاد مسيرة هذه الجمعية بحكمة وبصيرة، واهنئه باسم هذه المؤسسة على الثقة الملكية السامية التي قادته إلى العاصمة العلمية قيدوما لكلية الشريعة فيها، لكي يواصل عطاءه العلمي، في تكوين الأجيال القادرة على احياء الدور الحضاري للمغرب كما اهنيء الجمعية به...

ومن واجبنا أن نعبر عن اعتزازنا بمعالي الأخ الأستاذ الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية الذي يقف بصدق إلى جانب هذه المؤسسة، مشجعا رسالتها، مؤمنا بدورها العلمي والثقافي، وبفضل هذا التشجيع اقيمت ندوات علمية مفيدة، ونظمت حلقات دراسية هامة ونشرت رسائل واطروحات أغنت المكتبة الاسلامية...

وفي الختام ادعو الله تعالى أن يحفظ مولانا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وان ينصر به الاسلام والمسلمين، وان يوفقنا لكي تكون هذه المؤسسة

في موضن رضاه، يسعد بما تنجزه من أعمال، وسوف تظل هذه المؤسسة الحسنية مؤسسة الولاء والوفاء للعرش العلوي المجيد، الذي يكرم العلم والعلماء، ويعلي شأن الثقافة الاسلامية لكي تكون ثقافة الوطن والمواطن... كما ادعو الله تعالى أن يقر عين جلالته بسمو ولي عهده الأمير سيدي محمد وصنوه سمو الأمير مولاي رشيد...

وأجدد تهنئتي لجمعية العلماء الخريجين بما تقوم به من نشاط علمي وثقافي، وأرجو الله تعالى أن يوفقها ويسدد خطاها، لكي تكون الأمل في تعميق القيم الاسلامية في مجتمع يعتز بالاسلام ويرفع لواء الدفاع عن ثقافته وعقيدته وتاريخه.


مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

دور منبر الجمعة في المجتمع الاسلامي

مساهمة الدكتور محمد فاروق النبهان
مدير دار الحديث الحسنية

المقدمـــة

إلى المؤتمر العالمي الثاني لخطباء الجمعة في العالم الاسلامي الذي انعقد بمراكش يوم 1 شعبان 1413هـ /25 يناير 1993.

بسم الله الرحمن الرحيم

يتميز الاسلام بخصوصيات واضحة، تعبر عن منهجه في التربية الاجتماعية، وتجسد ثقته بالانسان كوعاء حي مؤهل لتحمل مسؤولية البناء الحضاري من خلال قابلياته النفسية ومؤهلاته العقلية التي تجعله موطنا للخطاب التكليفي، الذي ينيط بالانسان مسؤولية الحفاظ على استمرارية الحياة البشرية من خلال منهج متكامل للحياة، يضمن للانسان أمنا وكرامة وحرية واستقرارا.

ومن هذا المنطلق جاءت دعوة الاسلام واضحة وملحة لتكوين شخصية المسلم والنهوض بمستوى وعيه الفكري وتكوينه الثقافي لكي يكون مؤهلا للتكليف الشرعي، موثوقا باختياراته واجتهاداته، ملتزما منهج الاستقامة في السلوك، مدافعا عن الفضيلة الانسانية، بانيا بذلك مجتمعا إنسانيا جديرا بأن يوصف بما يليق بالانسان من كرامة ومسؤولية...

ولا حدود لثقة الاسلام بالانسان، فالانسان هو خليفة الله في أرضه، وهذه الخلافة هي خلافة مسؤولية وتكريم، فالمسؤولية هي أداة البناء والعمران لاستمرار البشرية وتعاقب الأجيال، والتكريم هو أداة التميز، لكي يظل الانسان محاطا بالرعاية التي توفر له أسباب التميز عن المخلوقات الأخرى.

والثقافة في الاسلام هي **أداة التكوين والتنوير**، لكي يكون العقل الانساني محاطا بأسباب المعرفة مزودا بما يضمن له سلامة الرؤية وسداد الاختيار، فلا يضل فيما كلف به، ولا يضيق بما سخر له، يبحث عن الحقيقة، ويقتفي أثرها، ثم يجتهد ويختار...

وثقافة الاسلام هي ثقافة انسانية تبحث عن أفق رفيع لاختياراتها، تضيق بما ترفضه الفضيلة من أنانيات فردية ومظالم اجتماعية وانحرافات سلوكية، وتفتح الأبواب أمام الانسان لكي يجسد من خلال سلوكه العام سمو رؤيته الانسانية وعمق احترامه للقيم الأخلاقية، ومؤكدا بذلك عظمة التكوين الانساني في تعلقه الجاد بما يضمن تكافل البشرية في دفاعها المشروع عن الحياة الانسانية...

وليست ثقافة الاسلام مجرد ثقافة تعليم لمتطلبات معرفة ضرورية لاستمرار الحياة، وانما هي ثقافة تصحيح وتسديد للاختيارات الانسانية لكي تكون تلك الاختيارات لائقة بالانسان، مجسدة وعيه الانساني، ومؤكدة تمسكه بالفضيلة الانسانية، معلنة عن ادانته لكل ما يناقض مبادىء العدالة والحرية والكرامة، ولهذا اعتمدت ثقافة الاسلام على مصادر نقلية تمثلت في القرآن الكريم والسنة النبوية، لكي تكون هذه المصادر هي أداة التصحيح، ترسم عن طريق الخطاب الشرعي ملامح الثقافة الاسلامية ومبادئها وأصولها، تاركة للعقل البشري حرية التفسير والاجتهاد، ضمن ضوابط تضمن سلامة التفسير والتأويل، لكي تكون ثقافة الاسلام مجسدة قيم الاسلام الخالدة، ومعبرة عن ذلك الأفق الرفيع الذي يليق بانسانية الانسان...

والمسجد في تراثنا الاسلامي مكان للعبادة ومدرسة للثقافة، وهذان هدفان لا ينفصل احدهما عن الآخر، وكان المسجد في العصر النبوي يؤدي دوره الديني والثقافي والاجتماعي، وهو موطن اللقاء المتجدد، وهو الساحة الحقيقية للمجتمع الاسلامي، تناقش فيه قضاياهم، وتتوحد فيه آراؤهم، ويجتمعون في رحابه كلما حزبهم أمر أو أصابهم مكروه، يدافعون من خلال اعتصامهم بالمساجد عن دار الاسلام، ويؤكدون فيها تناصرهم وتضامنهم في معارك الجهاد والتحرير...

وما ضاق مسجدنا الاسلامي بقضايانا، ولا انحرف عن مهمته، فمنه انطلقت صيحات الجهاد، وفي رحابه انتظمت مواكب المجاهدين، وكانت منابر مساجدنا هي

نبضات القلوب التي تبعث الحياة في شرايين هذا الجسد الاسلامي، وفي نفس الوقت فقد كانت مساجدنا هي المدارس الحقيقية التي أنارت تاريخنا بالعلم والمعرفة، وطاردت بقوة وضراوة أمية تلك العصور التي كانت الامية فيه فضيلة لدى الأمم الأخرى، واشتهر المسجد الاسلامي بدوره العلمي والثقافي، وأصبحت بعض مساجدنا كالقرويين والزيتونة والأزهر من أشهر مؤسسات العلم والمعرفة، وتخرج منها علماء كانوا أبرز علماء عصرهم في كل المعارف والعلوم...

ويعتبر منبر الجمعة من أبرز منابر الثقافة، فهو منبر الثقافة الاسلامية العامة، ورواده هم المسلمون، لا يتخلف احد عن موعده، وكل مسلم مطالب بأن يحضر درس الجمعة، وأن ينصت لخطبة الجمعة، وهو الحد الأدنى من الثقافة المفروضة، وخطيب الجمعة هو المعلم الموجه والناصح، وهو مؤتمن على أداء رسالة دينية وثقافية، وخطبة الجمعة هي الدرس الثقافي الأسبوعي الذي يجب على كل مسلم أن يحضره، وأن ينصت بخشوع وأدب لما يقوله خطيب الجمعة من بيان وحكمة ولما يدعو إليه من فضيلة واستقامة، ولما يعرض له من قضايا اسلامية جادة يوضح فيها موقف الاسلام ورأيه، داعيا كل مسلم أن يكون مناصرا لأخيه المسلم في جهاده، معلنا تكاتف المسلمين وتلاحمهم في الدفاع عن حقوقهم المشروعة.

ولقاء الجمعة في المساجد هو لقاء الأخوة الاسلامية، وهو لقاء القلوب التي تنصت بخشوع لما تسمعه من بيان وتوجيه ونصيحة وارشاد، وهو لقاء ثقافة وتعليم، ولقاء تربية وتهذيب، وهو في نفس الوقت لقاء تعارف وتناصر وتكافل.

ومن هذا المنطلق فإن هذا اللقاء الاسلامي الكبير يهدف إلى أمرين :

أولا : توجيه الاهتمام إلى أهمية خطبة الجمعة كخطاب ديني وثقافي واجتماعي يسهم بطريقة مؤكدة في توجيه اختيارات المسلم الفكرية ومساعدته على فهم المواقف الاسلامية السليمة.

ثانيا : **الحفاظ على اصالة هذا الدور التوجيهي لخطبة الجمعة** عن طريق دراسة المشكلات التي يمكن أن تسيء لدور المسجد في التوجيه والتكوين.

وبالرغم مما تؤديه خطبة الجمعة من دور ايجابي في تكوين رأي عام اسلامي

موحد، يدعو للفضيلة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإننا نطمح من خلال هذا اللقاء أن نضع استراتيجية موحدة مدروسة بعناية ودقة لتوضيح الأمور التالية :

أولا : بيان دور المسجد في الحياة الاسلامية، وتعزيز هذه المكانة المتميزة وتسليط الأضواء على الجوانب الايجابية التي تسهم في دعم هذه المكانة، سواء على الصعيد الديني أو الثقافي.

ثانيا : العناية بتكوين خطيب الجمعة، لكي يكون مؤهلا من الناحية الشخصية والفكرية والسلوكية لاداء دوره التوجيهي والثقافي، فهذا منبر توجيه، ولا يجوز أن يعتلي منابر التوجيه إلا من كان مؤهلا لمهمة التوجيه، صادق اللهجة أمين الكلمة موثوقا برأيه واجتهاده، صادقا في نصحه مستقيما في سلوكه، واضح الحجة فيما يدعو إليه، يوحد ولا يفرق، ويبني ولا يهدم، يقرب النفوس ويغذيها بالأمل ولا يخيفها ولا يرعبها ولا يدفعها لليأس، يختار لموضوعاته ما يحقق أهداف المجتمع الاسلامي في نصح رشيد ودعوة للخير وحث على الاستقامة وتحذير من أخطار الفتنة والفوضى والتطرف، والعنف، والاحتكام إلى الشرع فيما وقع الخلاف فيه، واحترام حرية الآخرين فيما لا يؤدي إلى فتنة أو رذيلة أو خروج عن احكام الاسلام، وتشجيع المنهج الاسلامي في الدعوة والنصح والتوجيه...

ثالثا : توفير الأسباب المادية والمعنوية لخطيب الجمعة لكي يؤدي مهمته التوجيهية بطريقة لائقة، والاعتراف بدوره التوجيهي كأداة لترسيخ القيم الاسلامية في النفوس، والابتعاد عن كل ما يؤدي إلى الفتنة مما وقع الخلاف فيه بين المسلمين، إلا فيما يهدف إلى تصحيح عادة مستقبحة، أو مقاومة انحراف وقع الاجماع على ادانته والتصدي له...

ومنبر المساجد هو منبر الاسلام، لايملكه احد إلا فيما يعبر فيه عن رأي الاسلام، في دعوة إلى معروف أو نهي عن منكر، وحرية خطيب الجمعة مقيدة بما يؤدي إلى فضيلة اسلامية، وبما يدافع به عن أحكام الاسلام، ولا يجدر أن يستخدم منبر الجمعة لأهداف خارجة عن نطاق مهمته التي حددها الاسلام، لكي يظل هذا المنبر مقدسا في نظر الجميع، معترفا له بدوره التوجيهي والاصلاحي، فإذا استخدم هذا المنبر لأهداف غير اسلامية فسرعان ما يفقد مكانته القدسية، وتضعف ثقة الناس به، ويصبح عرضة للنقد والتجريح...

وليس من مصلحة منابر الجمعة أن تكون منابر للتطرف، فالتطرف ليس فضيلة في جميع الأحوال، وهي ظاهرة ليست صحية، تؤدي في معظم الأحيان إلى نتائج سلبية، وبخاصة إذا كانت ظاهرة التطرف معبرة عن حالات احتقان نفسي بعيدة عن أي اهداف اسلامية مشروعة.

والخطيب الناجح هو القادر على أن يقول كلمة الاسلام بحكمة مقرونة بالاقناع، وبأسلوب معبر عن الصدق والرغبة في النصح، من غير انفعال ولا تطرف ولا إساءة، فكلمة الخير تجد صداها في النفوس والنصيحة الصادقة لا ترفض أبدا، لأن القلوب بطبيعتها لا ترفض الخير ولا النصح، ولا تضيق بكلمة الحق، وعلينا أن نضيق الخناق على خصوم الاسلام بما نطوقهم به من كلمة حق لا تثيرهم ومن مطالبة بالاصلاح لا تستفزهم، ومن وسيلة للاقناع تغريهم بالانصات لكلمة الحق والاذعان لاختيارات الاسلام...

ولا مصلحة لأمتنا في أن تكون منابر الجمعة منابر صراعات داخلية، تعمق مشاعر التفرقة وتنمي عوامل التمزق وتسهم في تكوين رواسب سلبية ينعكس أثرها على مسيرة المجتمع الاسلامي، وفي نفس الوقت فإننا نريد أن تحترم المشاعر الاسلامية، وأن يعترف لمنبر الجمعة بدوره التوجيهي والتثقيفي بعيدا عن أية وصاية تسيء لدور هذا المنبر في توعية المسلمين بأمور دينهم...

وأخيرا...

نريد لمنبر الجمعة أن يكون منبر الكلمة الاسلامية.. الناصحة المرشدة الموجهة... التي ينصت الجميع لها من حاكمين ومحكومين بثقة واطمئنان، ويجدون في ثناياها قدسية الحق وهيبة الصدق، وما ضاقت نفس بكلمة حق وصدق أبدا إذا جاءت هذه الكلمة محمولة على طبق من ارادة خير في اسداء نصح وبيان حق.

وخطيب الجمعة مؤتمن على قدسية رسالة الاسلام، والرسالة الحقة تجد صداها في القلوب المؤمنة نورا يطارد ظلام الغرائز النفسية المتسلطة، فتنقلب النفس في لحظة صفاء روحي من وضع مملوء بالغضب والحقد والرغبة في العنف والانتقام إلى نقيض يفيض بالخير والفضلة والرحمة، ممتنا لناصح جميل نصحه، مكبرا فيه صدقه وحكمته.

﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾...

مساهمات الدكتور محمد فاروق النبهان
مدير دار الحديث الحسنية في الملتقيات العلمية والفكرية

ـــ شارك الدكتور محمد فاروق النبهان ببحث عنوانه «**دور المؤسسات الإسلامية في توجيه الحياة الثقافية والفكرية في المجتمعات الاسلامية**» في ندوة «توجيه الشريعة الإسلامية للحياة الفردية الجماعية» التي نظمتها كلية الشريعة بفاس بتاريخ 26 نوفمبر 1992.

ـــ وألقى فضيلته كلمة عن «**دور منبر الجمعة في المجتمع الاسلامي**» في المؤتمر العالمي الثاني لخطباء الجمعة الذي نظمته وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بمدينة مراكش يوم 25 يناير 1993.

ـــ وشارك فضيلته ببحث عنوانه «**شخصية السيوطي من خلال كتابه الإتقان في علوم القرآن**» في ندوة الإمام السيوطي التي نظمتها المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالقاهرة في شهر مارس 1993.

ـــ وقدم فضيلته عرضا في الدورة الأولى لأكاديمية المملكة المغربية لعام 1993 التي انعقدت بالدار البيضاء بعنوان : «التكنولوجيا والانسان والتنمية : أية علاقة ؟» وذلك في 10 ماي 1993.

ـــ وحضر فضيلته اجتماع المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بعمان يوم 12 يوليوز 1993 وقدم عرضا بعنوان «**خطة موحدة لمستقبل العالم الإسلامي**»، كما ألقى بتكليف من المجمع **كلمة الترحيب بالعضو الجديد في المجمع الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور** مؤرخ المملكة المغربية ومدير الوثائق الملكية.

ـــ وساهم فضيلته بعرض عنوانه «**أهمية الربط بين المناهج الثقافية والتنمية الاجتماعية في المؤسسات الجامعية**» في ندوة «مستقبل العالم الإسلامي الثقافي» التي عقدتها بمدينة فاس ما بين 5 ـــ 7 أكتوبر 1993 المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع جامعة القرويين.

كما شارك فضيلته في الندوة التي انعقدت بمكتبة أحمد بنسودة بفاس حول **دور المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم في خدمة الثقافة الاسلامية**، والتي ساهم فيها كذلك الدكتور عبد العزيز التويجري مدير عام المنظمة، والدكتور عبد الوهاب التازي سعود عميد جامعة القرويين والدكتور يوسف الكتاني الأستاذ بكلية الشريعة بفاس.

ـــ وحضر فضيلته الندوة التربوية التي نظمتها المدرسة العليا للاساتذة بفاس يوم 9 نوفمبر 1993 حول موضوع «**طرق تدريس العلوم الاسلامية**».

ـــ وألقى فضيلته محاضرة عن «**دور الجامعات الاسلامية في تأصيل المسار الثقافي العام**» بمدرج كلية الشريعة بفاس يوم 11 نوفمبر 1993.

ـــ وشارك فضيلته في حفل التأبين الذي نظمته جمعية فاس سايس (فرع الرباط) يوم 19 نوفمبر 1993 للتعريف بجهود العلامة الكبير **سيدي ابراهيم الكتاني** ـــ رحمه الله ـــ فألقى في الخزانة العامة للكتب والوثائق **كلمة بالمناسبة تشيد بمكانة الفقيد العلمية وبجهاده الوطني**.

ـــ وساهم فضيلته في الدورة الثانية لأكاديمية المملكة المغربية التي انعقدت بالرباط ما بين 6ـــ8 دجنبر 1993 ببحث عن «**التكييف القانوني للاجراءات الحمائية في إطار حقوق السيادة**».

ـــ وأجرت التلفزة الفرنسية حوارا مع فضيلته حول موضوع «**الإسلام والظاهرة الأصولية وآفاق المستقبل**».

ـــ وصدر لفضيلته كتاب عنوانه «قضايا معاصرة : تأملات وآراء» (دار عكاظ بالرباط : 1993).

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

محاضرات وحلقات دراسية نظمتها دار الحديث الحسنية

النشاط الرمضاني (رمضان 1413هـ) :

ــ ألقى فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ **عبد الكريم الداودي** محاضرة حول «**منهجية علماء المغرب في التدريس والفتوى**».

ــ وألقى فضيلة الأستاذ الدكتور **ابراهيم بن الصديق** الأستاذ بكلية أصول الدين بتطوان مجموعة محاضرات في **علوم الحديث في الغرب الاسلامي**.

ــ وألقى فضيلة الأستاذ الدكتور **محمد سعيد رمضان البوطي** الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة دمشق محاضرة عن «**الأحكام الشرعية بين النصوص والمصالح**» وكان فضيلته قد ألقى في رمضان السابق (1412 هـ) محاضرة عن «**الاعجاز العلمي في القرآن الكريم**».

ــ وألقى فضيلة الأستاذ الدكتور **مصطفى الزرقا** محاضرة عن «**تقنين أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي**».

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

الحلقات الدراسية :

وفي إطار الحلقات الدراسية التي تنظمها دار الحديث الحسنية لفائدة الطلبة والباحثين :

ــ ألقى الدكتور **علال الغازي** الأستاذ بكلية الآداب بالرباط محاضرة بعنوان «**منهجية تحقيق كتب التراث**» (20 يناير 1993).

ــ وألقى الدكتور **فاروق حمادة** الأستاذ بكلية الآداب بالرباط محاضرة عن «**الإمام مالك وتأصيله للأحكام الشرعية من السنة النبوية**» (27 يناير 1993).

ــ وألقى الدكتور **يوسف الكتاني** الأستاذ بكلية الشريعة بفاس محاصرة عن «**مدرسة الإمام البخاري بالمغرب**» (3 فبراير 1993).

ـــ وألقى الدكتور **محمد بنشريفة** مدير الخزانة العامة للكتب والوثائق بالمغرب محاضرة عن **«دور المكتبات في النهضة العلمية»** (24 فبراير 1993).

ـــ وساهم الدكتور **عباس الجراري** الأستاذ بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط بمحاضرة عنوانها **«نحو بحث علمي إسلامي : مفاهيم ومنطلقات»** (24 نوفمبر 1993).

ـــ وساهم الدكتوز **التهامي الراجي** الأستاذ بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط بمحاضرة عن **«أثر الأداء الاقرائي في تفسير النص القرآني»** (1 دجنبر 1993).



أخبار دار الحديث الحسنية

زيارات الشخصيات والوفود العلمية لدار الحديث الحسنية

زار دار الحديث الحسنية الشخصيات والوفود العلمية الآتية :

ــ سماحة مفتي لبنان الشيخ **رشيد قباني**

ــ سماحة مفتي دمشق **الشيخ بشير الباري**

ــ فضيلة الدكتور **محمد صهيب الشامي** مدير أوقاف حلب

ــ فضيلة الدكتور عبد الرزاق السعدي من علماء العراق

ــ وفد من **علماء سوس**.

ــ وفد من **المحامين العرب** المشاركين في مؤتمر المحامين العرب.

ــ وفد من **الأساتذة الأمريكيين**.

ــ وفد من **علماء الكويت**.

ــ وفد من **علماء إيران**.

تعيينات لعلماء متخرجين من دار الحديث على رأس مؤسسات جامعة إسلامية

ــ عين فضيلة الأستاذ الدكتور **محمد يسف** خريج دار الحديث الحسنية والأستاذ بها قيدوما لكلية الشريعة بجامعة القرويين بفاس.

ــ وعين فضيلة الأستاذ الدكتور **ادريس خليفة** خريج دار الحديث الحسينية قيدوما لكلية أصول الدين بتطوان.

ملخص لأطروحات الدكتوراه المناقشة
في دار الحديث الحسنية ابتداء من سنة 1990م

1. جامعة القرويين ودورها في الحركة الإصلاحة والتحريرية بعد مطلع القرن العشرين.

للطالب : **أحمد بغداد**
إشراف : **الدكتور ابراهيم حركات**

المضمـون :

استهل الباحث أطروحته بمدخل عن بناء القرويين وتاريخها ومدارسها وخزانتها قديما وحديثا وعلمائها.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وخصص الباب الأول لنظام التعليم بالقرويين من سنة 1900 إلى 1930م حيث تطرق للدور السياسي والإصلاحي للقرويين ولمواقف علمائها من الأحداث الكبرى والتيارات الفكرية البارزة بالاضافة إلى علاقة القرويين بالأزهر وبالزيتونة. أما الباب الثاني فتعرض لتنظيم التعليم بالقرويين من سنة 1930 إلى سنة 1963م.

بينما تناول الباب الثالث التطورات التي طرأت على القرويين والمؤسسات الموازية لها من سنة 1963 إلى يومنا هذا، مع تركيز خاص على دار الحديث الحسنية وعلى الصراع الذي خاضته جامعة القرويين للاستمرار في أداء رسالتها بالاضافة إلى مشاركة علمائها في المسيرة الخضراء ودور المجالس العلمية في الصحوة الاسلامية بالمغرب.

تقع الأطروحة في جزأين ومجموع صفحاتها (492) صفحة.

2. مدرسة الإمام الحافظ أبي عمر ابن عبد البر في الحديث والفقه وآثارها في تدعيم المذهب المالكي بالمغرب.

للطالب : **محمد بنهعيش**

الإشراف : **الدكتور محمد فاروق النبهان**

المضمــون :

بدأ الباحث أطروحته بمدخل يرصد العوامل التاريخية والموضوعية لقيام المدرسة.

وفي الباب الأول تناول حياة الحافظ ابن عبد البر ومكانته العلمية وتأثر طائفة من العلماء به.

وفي الباب الثاني تطرق الباحث إلى مميزات الحديث عند ابن عبد البر رواية ودراية وإلى آرائه في علوم الحديث ومصطلحاته مع عينات من صنيعه في «المسند» وفي «التمهيد».

وخصص الباب الثالث لآراء الحافظ ابن عبد البر واجتهاداته الفقهية انطلاقا من فقهه وأصول هذا الفقه ومصادره ومنهجه فيه.

أما الباب الرابع فقد انصب على خصائص المدرسة ومميزاتها ومناهجها ومصادرها وأصولها ثم على دورها في خدمة الحديث والفقه وأثرها الفقهي في تدعيم المذهب المالكي بالمغرب.

تقع الأطروحة في ثلاثة أجزاء ومجموع صفحاتها (780) صفحة.

3. كتاب «المحصول في علم الأصول» للقاضي أبي بكر ابن العربي المالكي — دراسة وتحقيق.

للطالب : الحسين التاويل
الاشراف : الدكتور التهامي الراجي

المضمـــون :

صدرت الأطروحة بمقدمة عن أثر القواعد الأصولية في تقدم التشريع وعن أصالة التشريع الإسلامي.

وخصص الباب الأول لنشأة وتدوين علم الأصول وتطوره وتسلل مباحثه وفي الفصل الخامس عرف الباحث بالمحصول وتحدث عن منهجه في التحقيق.

أما الباب الثاني فتطرق فيه الباحث لحياة ابن العربي قبل وبعد رحلته إلى المشرق كما تحدث عن شعره وعقيدته وولايته للقضاء.

أما بقية الأطروحة فضمت المتن المحقق «للمحصول» ومعلوم أن الكتاب تناول المباحث المتداولة في علم الأصول مبتدئا بمقدمات تمهيدية ومسائل في التكليف معرجا بعد ذلك على القواعد الأصولية اللغوية خاتما بمصادر التشريع الاجتهادية.

تقع الأطروحة في جزأين : الأول مخصص للدراسة وفيه (230) صفحة والثاني والثالث ضما المتن المحقق ومجموع صفحاتهما (416) صفحة.

4. الإعجاز بالنظم وأثره في الدراسات القرآنية

للطالب : عبد الكريم مشهداني
الإشراف : الدكتور التهامي الراجي

المضمــون :

خصص الباحث الباب الأول لفكرة الإعجاز بالنظم فتحدث عن ظهورها وبين مفهوم النظم عن الدارسين القدامى لينتقل بعد ذلك إلى مفهومه عند عبد القاهر الجرجاني باعتباره نقلة نوعية في هذا المجال، وأبرز مآخذ النقاد على عبد القاهر كما أبرز حفاوة النقاد المعاصرين به مقدما نماذج من فنون النظم وأبوابه.

وفي الباب الثاني المخصص لأثر النظم في الدراسات القرآنية تحدث الباحث عن النظم في أعمال المفسرين من خلال طائفة من قدماء المفسرين ومحدثيهم وعرض لعلاقة النظم بالمتشابه وعلاقته بالقراءات وبأصول الدين وأصول الأحكام.

تقع الأطروحة في قسمين ومجموع صفحاتها (794) صفحة.

5. الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال (1331 ـــ 1376 هـ / 1912 ـــ 1956م)

للطالب : ادريس خليفة
الاشراف : الدكتور محمد فاروق النبهان

المضمـــون :

تطرق الباحث في القسم الأول من أطروحته إلى اسم المدينة (تطوان) وموقعها ووصفها وسكانها وعمرانها وآثارها ومواردها الاقتصادية.

وخصص القسم الثاني لجهاد القبائل الشمالية ضد الاستعمار الإسباني ولتاريخ الحركة الوطنية بالمدينة.

أما القسم الثالث المخصص للتعليم والثقافة بتطوان فقد استعرض فيه الأوضاع العامة للتعليم في تلك الفترة وأنواع التعليم ثم تحدث عن التيارات الثقافية السائدة وخاصة التصوف والسلفية، بينما تناول في باقي الفصول الصحافة والبحث العلمي والمكتبات والمخطوطات والجوائز الأدبية وأعياد الكتاب والمعارض الثقافية والجمعيات والنوادي ومجالس العلم والثقافة الخاصة كما تناول الحياة الأدبية والموسيقى والصناعة التقليدية.

وفي القسم الرابع ترجم الباحث لأهم العلماء والأدباء التطوانيين منهم أصلا والذين دخلوا تطوان وكانت لهم بها علاقة في تلك الفترة وأدرج الباحث في نهاية الأطروحة ملاحق تضمنت ظهائر ثقافية ونصوصا شعرية ونثرية سياسية وأدبية وأخرى عن الحياة الاجتماعية وصورا للمعالم الأثرية بتطوان...

تقع الأطروحة في ثلاثة أجزاء (الجزء الثالث خاص بالملاحق) ومجموع صفحاتها (597) صفحة.

6. ابن قدامة المقدسي ومنهجه في الفقه

الطالب : **فؤاد عبد اللطيف عثمان**
الاشراف : **الدكتور خالد عيد**

المضمــون :

صدر الباحث أطروحته بباب تمهيدي عن عصر ابن قدامة سياسيا ودينيا واجتماعيا.

وتناول في الباب الأول شخصية ابن قدامة وعائلته وطور تلقيه للعلم وشيوخه الذين أثروا في مسيرته العلمية كما تحدث عن مكانة ابن قدامة واجتهاده.

وفي الباب الثاني المخصص لطور العطاء في حياة ابن قدامة تحدث الباحث عن اهتمامات ابن قدامة العلمية المتنوعة وعن انتاجه العلمي وعن تلامذته ومدى تأثرهم به.

أما الباب الثالث فتناول منهج ابن قدامة حيث بين استفادته من مذاهب وعلماء خارج المذهب الحنبلي وحلل أصول منهجه وابرز الثمرات والنتائج التي أثمرها هذا المنهج.

تقع الأطروحة في جزأين ومجموع صفحاتها (588) صفحة.

7. نظرية العقد في الفقه الإسلامي من خلال عقد البيع

للطالب : **محمد سلامة**

الاشراف : **الدكتور أحمد الخمليشي**

المضمــون :

استهل الباحث أطروحته بتمهيد عن نشأة العقد وتعريفه وتصينفاته وتحدث في القسم الأول عن الأسباب والأحكام العامة لعقد البيع في الفقه الاسلامي فتعرض لأسباب صحة عقد البيع وآثاره ولأسباب بطلان هذا العقد وعدم نفاذه ولزومه.

وفي القسم الثاني درس الباحث العقود المسايرة لعقد البيع في الأحكام العامة فتعرض للعقود المسايرة لعقد البيع في أسباب صحته وآثاره ولأسباب بطلان هذا النوع من العقود ودعم نفاذها ولزومها. أما القسم الثالث فخصص للمقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي في أحكام العقد العامة، حيث نجد أحكام العقد من حيث التكوين وآثار العقد بين الفقهين الإسلامي والغربي من جهة الموضوع والأشخاص.

تقع الأطروحة في جزء واحد من (423) صفحة.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

8. **مختصر تفسير يحيى بن سلام لأبي عبد الله محمد ابن أبي زمنين ــ دراسة وتحقيق.**

للطالب : **عبد السلام الكنوني**

الاشراف : **الدكتورة عائشة عبد الرحمان**

المضمــون :

قدم الباحث لأطروحته بمدخل يؤطر الموضوع ثم تطرق في الباب الأول إلى الحديث عن سيرة يحيى بن سلام وشيوخه وتلاميذه ومصنفاته وخص تفسيره بالحديث عن مواضع ذكره في كتب التراجم والفهارس، كما تناول مسألة تداول هذا التفسير رواية ومرجعا.

أما الباب الثاني فقد خصصه الباحث لابن أبي زمنين حيث تناول سيرته وأسرته وشخصيته وشيوخه وتلاميذه ومصنفاته بالاضافة إلى الحديث عن كتابه المختصر مبرزا مواضع ذكره وروايته وعمل صاحبه في الاختصار ومصادره. وبذلك انتهى القسم الأول من الأطروحة.

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وفي القسم الثاني من الأطروحة يبدأ الباحث بوصف النسخ التي اعتمدها في تحقيق مختصر ابن أبي زمنين وعرض منهجه في التحقيق ثم يقدم متن المختصر محققا.

تقع الأطروحة في ستة أجزاء الأول في (198) صفحة وهو خاص بالدراسة والخمسة المتبقية أفردت للمتن المحقق ومجموع صفحاتها (1245) صفحة. وتجدر الاشارة إلى أن وصف النسخ ومنهج التحقيق موضعهما بداية الجزء الثاني.

9. حقوق المعوقين بين الشريعة والقانون

للطالب : **مصطفى القضاة**
الإشراف : **الدكتور عمر الجيدي**

المضمـون :

صدر الباحث أطروحته بمقدمة عن مفهوم الإعاقة وأصنافها والفرق بين طبيعتي التشريع الإسلامي والقوانين الوضعية.

وخصص الباب الأول لمفهوم الشخصية الحقوقية ولحقوق المعوق الأساسية فحدد المفهوم بين التشريعات الوضعية والإسلامية وعرض للحقوق الأساسية للمعوق — مع ما تستدعيه من وسائل — ومن ذلك حق الحياة وسلامة الجسم وحق الاسم والنسب وحق سرية الحياة الخاصة والمراسلات وحق التعليم وحق العمل وحقوق أخرى مدنية وسياسية واجتماعية.

أما الباب الثاني فتضمن وسائل رعاية المعوقين في الشريعة الإسلامية كالتشريعات المالية التي فيها مصلحة للمعوقين ومبدأ التكافل الاجتماعي كما طبق في عصور الإسلام الزاهرة والتشريعات الخاصة برفع الحرج والتخفيف عن المعوقين، وقارن ذلك بوسائل رعاية المعوق في القوانين الوضعية الغربية والعربية.

تقع الأطروحة في جزأين ومجموع صفحاتها (466) صفحة.

لائحة الرسائل والأطروحات المسجلة والمناقشة بدار الحديث الحسنية ابتداء من 1990.

الرسائل المسجلة

اسم ونسب الطالب	عنوان الرسالة	تاريخ التسجيل	الإشراف
لحسن اتبوبشت	التحكيم بين الشريعة الإسلامية والقانون	24 /1 /1990	د. عبد السلام الادغيري
محمد القرقري	العلماء والصوفية في معركة وادي المخازن	30 /1 /1990	د. محمد يسف
عبد الهادي القرقري	أبو حامد الفاسي : حياته وآثاره مع تحقيق كتابه «شرح عقد الدرر في نظم نخبة الفكر».	20 /2 /1990	د. محمد الراوندي
أحمد الطاهر	علم أصول الفقه في العصر المرابطي	12 /4 /1990	د. عمر الجيدي
عثمان عبد الصادق	«فتح الملك الناصر في إجازات مرويات بني ناصر» لمحمد المكي بن موسى الناصري ـــ دراسة وتحقيق	6 /7 /1990	د. محمد الراوندي
عبد اللطيف يسف	أبو الحسن علي التسولي من خلال مؤلفاته واختياراته الفقهية.	16 /10 /1990	د. محمد يسف
أحسين أشرقي	«شرح جامع بهرام على مختصر خليل» لعبد الله السملالي ـــ دراسة وتحقيق.	26 /11 /1990	د. عمر الجيدي

محمد العاجي	مختصر الشيخ خليل الجندي ودوره في حفظ المذهب المالكي بالمغرب.	1990/11/26	د. عمر الجيدي
محمد بورفاق	تحقيق كتاب «فضائل القرآن» للغافقي.	1991/3/25	د. محمد يسف
سيدي فوزي الصديقي	شرح «الدرر اللوامع في في أصل مقرأ الامام نافع» للمشوري ــ تقديم وتحقيق.	1991/12/18	د. محمد يسف
عزيزة الادريسي	كتاب «الواضحة» لعبد الملك بن حبيب.	1992/1/30	د. معمر نوري
أمينة زبير	المسطرة القضائية عند أبي بكر ابن عاصم من خلال منظومته «تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام».	1991/2/14	د. عمر الجيدي
عمر لشكر	«أجلى مساند على الرحمان في أعلى أسانيد علي بن سليمان» لعلي بن سليمان الدمناتي ــ دراسة وتحقيق.	1992/2/14	د. عمر الجيدي
أحمد زرقوني	«اللباب في مشكلات الكتاب» لأبي عبد الله الشطيبي ــ تقديم وتحقيق.	1992/2/24	د. محمد الراوندي
محمد الرحيمي	«نور النبراس في شرح سيرة ابن سيد الناس» لبرهان الدين العلمي ــ دراسة وتحقيق.	1992/3/25	د. محمد يسف
نعيمة دريعة	«الأجوبة الناصرية» لمحمد بن ناصر الدرعي ــ دراسة وتحقيق.	1992/4/14	د. محمد يسف

ايمان المعزوزي	الشيخ أبو شعيب الدكالي وأثره في الحركة السلفية بالمغرب.	15 /5 /1992	ذ. السعيد بوركبة
ليلى الغمري	دار الحديث الحسنية ودورها في الحركة الثقافية المغربية.	2 /6 /1992	د. محمد فاروق النبهان
سعد أصبان	مراعاة الخلاف وتطبيقاته في الفقه المالكي.	5 /6 /1992	د. عمر الجيدي
عبد الله جودات	«مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار» لأبي مدين الفاسي ــ تقديم وتحقيق.	22 /7 /1992	د. محمد يسف
الحسين محجوبي	القضاء العرفي في المغرب في عهد الحماية.	11 /11 /1992	ذ. السعيد بوركبة
فتيحة عبدلاوي	ابن عبد البر ومنهجه في توثيق الرجال.	19 /1 /1993	د. ابراهيم بن الصديق
محمد محجوبي	الشفعة في القضاء المغربي من خلال اجتهادات المجلس الأعلى.	19 /1 /1993	د. عمر الجيدي
فاطمة بقال	موقف الفكر الاسلامي من التطورات الطبية المتعلقة بحياة الانسان.	20 /2 /1993	د. عمر الجيدي
عبد الرحمان معزيز	مسؤولية الطبيب الجنائية عن أخطائه المهنية في الشريعة الاسلامية والقانون.	22 /2 /1993	د. عبد السلام الإدغيري
لحسين أجاك	«منية السائل خلاصة اختصار الشمائل» لمحمد عبد الحي الكتاني ــ دراسة وتحقيق.	15 /2 /1993	د. محمد يسف

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

ادريس اجويلل	عبد الملك بن حبيب وأثره في الفقه المالكي.	2 /3 /1993	د. محمد الروكي
محمد العلوي المحمدي	الدروس الحسنية في المغرب : دراسة وتوثيق.	19 /4 /1993	د. محمد فاروق النبهان
المصطفى بوسلامة	بيع الأصول العقارية غير المحفظة في ضوء الفقه المالكي والقضاء المغربي.	26 /4 /1993	د. عبد السلام الإدغيري
عبد السلام المهداني	توظيف القواعد الأصولية في توجيه الخلاف الفقهي من خلال كتاب «بداية المجتهد» لابن رشد القرطبي.	5 /5 /1993	ذ. السعيد بوركبة
محمد الرافعي	«الدليل الماهر الناصح شرح المجاز الواضح في قواعد المذهب الراجح» لمحمد يحيى الولاتي ـــ دراسة وتحقيق.	25 /5 /1993	د. عمر الجيدي
تميم الحلواني	نظرية الاستصلاح عند الإمام الشاطبي وتطبيقاتها في قاعدة سد الذرائع ـــ (دراسة تحليلية).	6 /7 /1993	د. محمد الروكي
سيدي محمد بن البشير	«الأجوبة الواضحة عن الأسئلة الفاضحة لمن يدعي الاجتهاد ناصحا» لمحمد يحيى الولاتي الشنقيطي ـــ دراسة وتحقيق.	23 /9 /1993	د. عمر الجيدي
لطيفة الحسني	«المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق» لأحمد الونشريسي ـــ تقديم ودراسة وتحقيق.	27 /9 /1993	ذ. السعيد بوركبة

محمد جوهار	أبو بكر الأبهري وجهوده في الفقه المالكي.	1993/ 9/ 30	د. محمد الروكي

الأطروحـــات المسجلـــة

اسم ونسب الطالب	عنوان الأطروحة	تاريخ التسجيل	الإشراف
علي أبو لعكيك	الاتجاه السلفي في التفسير : نشأته وتطوره.	1990/ 1/ 9	د. محمد فاروق النبهان
الأمين اليملاحي	الامام عبد الله بن وهب وروايته الحديثية والفقهية	1990/ 1/ 15	د. محمد فاروق النبهان
الحسن العبادي	فقه النوازل في سوس : قضايا وأعلام.	1990/ 3/ 1	د. محمد فاروق النبهان
الحسن العلمي	النوازل القرآنية لدى قراء المغرب.	1990/ 5/ 2	د. محمد يسف
عبد العزيز الخليفي	القاضي أبو الأصبغ ابن سهل وكتابه «الإعلام بنوازل الأحكام».	1990/ 10/ 16	د. عمر الجيدي
محمادي الخياطي	ابن برجان والتفسير الصوفي.	1990/ 10/ 31	د. محمد بنشريفة
عبد الخالق أحمدون	العقوبة المالية في الفقه الاسلامي وتطبيقاتها في المغرب مع تحقيق رسالة «مطالع التمام ونصائح الأنام» لأبي العباس أحمد الشماع الهنتاتي.	1990/ 12/ 3	د. عمر الجيدي
مصطفى المسلوتي	السيرة النبوية في دراسات المستشرقين الفرنسيين.	1991/ 4/ 2	د. محمد يسف

محمد يحيى ولد حبيب الله	الحركة الاصلاحية الحديثة في بلاد شنقيط.	12 /4 /1991	د. محمد يسف
عبد الكريم شهبون	أبو يحيى ابن عاصم وكتابه «شرح التحفة».	19 /5 /1991	د. عمر الجيدي
جمعة محمود الزريقي	نظرية استغراق الذمة بالمال الحرام من خلال كتاب «التقسيم والتبيين في حكم أموال المستغرقين» لأبي زكريا الشبلي.	21 /10 /1991	د. محمد فاروق النبهان
العيد شريفي	كتاب «الاعتصام» للامام الشاطبي ـــ دراسة وتحقيق.	24 /12 /1991	د.محمد يسف
محمد الأمين بن عبد الرحمان الشيخ	«الثمار اليانع على أصول جمع الجوامع» لخالد الأزهري ـــ دراسة وتحقيق.	11 /3 /1992	د. محمد يسف
محمد وراضي	المتصوفة السوسيون في القرن الرابع عشر الهجري.	5 /6 /1992	د. محمد فاروق النبهان
أحمد غاني	أبو حامد الغزالي وأثره على المدرسة الأصولية المالكية.	7 /7 /1992	د. محمد فاروق النبهان
عبد الحق ابن المجدوب الحسني	الحالة الاجتماعية بفاس في القرن الثالث عشر الهجري من خلال الحوالة الاسماعيلية.	8 /9 /1992	د. محمد فاروق النبهان
أحمد الوراييني	المباني الأصولية لفروع العاصمية.	15 /9 /1992	د. محمد ابن معجوز
ماماهاسي تنابو	المدرسة الحجازية بمالي وسونغاي ومنهج الفقهاء في تدوين المذهب المالكي.	30 /9 /1992	د. الحسين التاويل

اسماعيل الخطيب	مدى تأثر المدرسة الفقهية الأندلسية بآراء المفسرين إلى عصر ابن عطية.	28 /10 /1992	د. محمد فاروق النبهان
الحسن الحاج أبو بكر	عبد الله بن فودي : حياته وعلمه، وتحقيق كتابه «كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن».	2 /12 /1992	د. عبد السلام الادغيري
مصطفى الحرشوني	أساس فكرة المحاماة في القضاء الاسلامي في الغرب الاسلامي.	1 /2 /1993	د. محمد فاروق النبهان
الصديق علي أوهيبة	حكمة تشابه قصص الأنبياء في القرآن الكريم.	26 /4 /1993	د. عمر الجيدي
عبد الله غاني	العلاقة بين القاعدة الأخلاقية والقاعدة التشريعية في الاقتصاد الاسلامي.	4 /5 /1993	د. محمد فاروق النبهان
الحسين العمريش	الرواية بين القراء والمحدثين.	1 /11 /1993	د. التهامي الراجي
محمد ابن عزوز	مدرسة الحديث بالشام خلال القرن الثامن الهجري.	24 /11 /1993	د. محمد فاروق النبهان
حميد حماني	مدرسة العقيدة في عدوتي المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط.	14 /12 /1993	د. ابراهيم بن الصديق

الرسائل المناقشة

اسم ونسب الطالب	عنوان الرسالة	تاريخ التسجيل	الإشراف
الحسن العلمي	«إنشاد الشريد من ضوال القصيد» لابن غازي — دراسة وتحقيق.	25 /1/ 1990	د.التهامي الراجي
عبد الخالق أحمادون	الشبهة وأثرها في جرائم الحدود في الفقه الجنائي الاسلامي.	7 /2/ 1990	د. عمر الجيدي
عبد العزيز عيادي	الأنصاص المتداولة في حفظ القرآن الكريم وتعليمه (رواية ورش).	21 /3/ 1990	د. محمد ابن شقرون
قاسم يوسفي	مؤتمر القمة الاسلامي بين الأمل والعمل.	3 /5/ 1990	د. عبد الهادي التازي
الجيلالي المريني	القواعد الأصولية عند الشاطبي من خلال كتابه «الموافقات».	4 /5/ 1990	د. محمد يسف
مصطفى المسلوتي	«شرح القصيدة الشقراطيسية» لأبي شامة الدمشقي ــ دراسة وتحقيق.	14 /5/ 1990	د. محمد يسف
البشير الريسوني	العمل والعمال في ظل الكتاب والسنة.	28 /5/ 1990	د. عبد السلام الادغيري
حسن اليندوزي	حقوق الأجير في الفقه الاسلامي والتشريع المغربي.	31 /5/ 1990	د. أحمد شكري السباعي

حميد حماني	جانب العقيدة في فكر الحسن اليوسي ـــ دراسة وتحقيق لبعض تراثه في العقيدة.	1 /6 /1990	د. محمد يسف
عبد العزيز الخليفي	الاختـلاف الفقهـي في المذهب المالكي مصطلحاته وأسبابه.	13 /7 /1990	د. عمر الجيدي
عبد الكريم شهبون	التأصيل الفقهي للقضاء وقواعد المرافعات عند عمر بن الخطاب وأثر ذلك في القضاء الاسلامي.	5 /12 /1990	د. عمر الجيدي
محمد الهبطي	الفتاوى بالمغرب من نصف القرن العاشر إلى الثاني عشر.	25 /2 /1991	د. عمر الجيدي
مصطفى الحرشوني	فقه الرأي عند الامام مالك.	27 /2 /1991	د. عمر الجيدي
محمد اليوسفي	الإمام السهيلي ودراسة كتابه «التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام».	20 /6 /1991	د. التهامي الراجي
حدو أمرو	الفقيه الأديب العربي المساري وآثاره العلمية.	28 /1 /1992	د. محمد ابن معجوز
أحمد البوشخي	«الفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع» لعبد الرحمان ابن القاضي ـــ دراسة وتحقيق.	5 /2 /1992	د. التهامي الراجي
محمد الكنوني	أثر التوبة في الحدود.	26 /2 /1992	د. عبد السلام الإدغيري

محمد ابن المجدوب الحسني	«إزالة الدلسة عن وجه الجلسة» لمحمد بن أحمد التماق ـــ دراسة وتحقيق.	4 /3 /1992	د. عمر الجيدي
أحمد غاني	مناهـج الأصوليين في استنباط الحكم الشرعي عند تعارض الأدلة.	12 /5 /1992	د. محمد ابن معجوز
عبد الحق ابن المجدوب الحسني	الحوالات الحبسية ودورها في حماية الممتلكات الوقفية في المغرب.	6 /7 /1992	د. محمد يسف
الحسن الحاج أبو بكر	علماء غانا وجهادهم في نشر الاسلام ابتداء من نهاية القرن الثاني عشر الهجري.	7 /7 /1992	د. عبد السلام الادغيري
ماما هاسي تنابو	العلاقة بين دولة مالي وبين المغرب الأقصى من خلال المذهب المالكي.	17 /7 /1992	د. عمر الجيدي
أمينة أمزيان الحسني	أم سلمة أم المؤمنين.	16 /12 /1992	د. عبد السلام الهراس
عبد الله محراش	دراسة المهموز من كلم القرآن وتحقيق «مقالة الأئمة الأعلام في تحقيق الهمز لحمزة وهشام» لابن القاضي.	12 /10 /1993	د. التهامي الراجي

الأطروحات المناقشة

اسم ونسب الطالب	عنوان الأطروحة	تاريخ التسجيل	الإشراف
أحمد بغداد	جامعة القرويين وأثرها في الحركة الإصلاحية والتحريرية بعد مطلع القرن العشرين.	10 /2 /1990	د. ابراهيم حركات
محمد بنيعيش	مدرسة الإمام الحافظ أبي عمر ابن عبد البر في الحديث والفقه وآثارها في تدعيم المذهب المالكي بالمغرب.	23 /2 /1990	د. محمد فاروق النبهان
الحسين التاويل	«المحصول في علم الأصول» للحافظ ابن العربي ـــ دراسة وتحقيق.	6 /6 /1990	د. التهامي الراجي
عبد الكريم مشهداني	الإعجاز بالنظم ومكانته وأثره في الدراسات القرآنية.	7 /11 /1990	د. التهامي الراجي
ادريس خليفة	الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال.	14 /11 /1990	د. محمد فاروق النبهان
فؤاد عبد اللطيف عثمان	ابن قدامة المقدسي ومنهجه في الفقه.	6 /12 /1990	د. خالد عيد
محمد سلامة	نظرية العقد في الفقه الإسلامي من خلال عقد البيع.	16 /10 /1991	د. أحمد الخمليشي
عبد السلام الكنوني	«مختصر تفسير ابن سلام» لابي عبد الله ابن أبي زمنين ـــ تحقيق ودراسة.	26 /11 /1991	د. عائشة عبد الرحمان
مصطفى القضاة	حقوق المعوقين بين الشريعة والقانون.	15 /5 /1992	د. عمر الجيدي



فهارس الأعداد السابقة
من مجلة دار الحديث الحسنية



فهرس العدد الأول

صفحة

افتتاحية — للدكتور محمد فاروق النبهان 9

• علوم القرآن والحديث 13

- فقيه الأندلس عبد الملك ابن حبيب في ميزان المحدثين
للأستاذ ابراهيم بن الصديق 15

- رباعيات الامام البخاري
للأستاذ يوسف الكتاني 37

- الأحرف السبعة ، معناها، دلالتها، آثارها
للدكتور فاروق حمادة 65

- مباحث في الكتاب والسنة
للدكتور محمد تقي الدين الهلالي 87

• التشريع الاسلامي 115

- المدخل الى الاقتصاد الإسلامي
للدكتور محمد فاروق النبهان 117

- تأثر القانون الدولي العام بأحكام الاسلام في أسرى الحرب
للدكتور عبد السلام الادغيري 173

- أضواء على القياس في الشريعة الاسلامية
للأستاذ السعيد بوركبة 193

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

- أصول المحاكمات أو المسطرة في التشريع الاسلامي
للأستاذ عبد الله البكوري 247

● الفكر الإسلامي 265

- مدخل الى تاريخ الفكر الاسلامي في العصر المريني الأول
للأستاذ محمد المنوني 267

- ابن باجة في " تدبير المتوحد "
للدكتورة فوقية حسين محمود 295

● اللغة العربية 351

- تطور اللغة العربية نتيجة اتصال أهلها بغيرهم
(الحلقة الأولى : اتصالهم بالساميين) للدكتور التهامي الراجي الهاشمي 353

- اللغة العربية وتطورها التاريخي
للأستاذ الحسين وجاج 375

● دراسات اجتماعية 393

- المشكل الديموغرافي والتطور الاقتصادي
للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله 395

- خاطرة للأستاذ محمد حمار الصقلي 419

• شخصيات علمية	425
- القاضي أبو العباس ابن عرضون للأستاذ عمر الجيدي	427
• كتب	447
- قانون التأويل في علوم التنزيل للقاضي أبي بكر ابن العربي المعافري للأستاذ المصطفى صغيري	449
• لائحة الأطروحات والرسائل المناقشة في دار الحديث الحسنية	467
• لائحة الأطروحات المسجلة في دار الحديث الحسنية	470
• لائحة الرسائل المسجلة في دار الحديث الحسنية	472
• الفهرس	477

فهرس العدد الثاني

الصفحة

11 ـ مقدمة العدد ....

15 ـ ندوة العدد بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري ....

دراسات قرآنية :

45 ـ تأثير أمثال القرآن على أمثال اللغة العربية للاستاذ المرحوم ابو بكر المريني

77 ـ نماذج في تخريج القراءات .... للدكتور التهامي الراجي

دراسات حديثية :

103 ـ بين ابي طاهر السلفي وشيوخ الحديث في المغرب .... للاستاذ سعيد احمد اعراب

127 ـ الشروح المغربية لصحيح البخاري .... للدكتور يوسف الكتاني

153 ـ دور الحديث واثرها في حفظ العلم .... للاستاذ الحسين وجاج

185 ـ الحديث الصحيح واثره في التشريع .... للاستاذ عبد الصمد العاقل

195 ـ ابن عبد البر حافظ المغرب .... للاستاذ محمد بنيعيش

دراسات فقهية :

231 ـ الفقه المالكي والوحدة المذهبية بين المغرب وصحرائه .... للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

243 ـ تأثر القانون الدولي العام باحكام الاسلام في اسرى الحرب .... للدكتور عبد السلام الادفيري

275 ـ اصالة الفقه الاسلامي وضرورة النهوض به للاستاذ عمر المعداني

الصفحة

285 ـ الاجتهاد المطلق ... ... للاستاذ محمد هشام الايوبي

311 ـ موقف يعقوب المنصور من الظاهرية ... ... للاستاذ عبد الهادي حسين

335 ـ حكم التامين في الشريعة الاسلامية ... ... للاستاذ محمد الورياغلي

دراسات اسلامية :

345 ـ ابو بكر الصديق منقذ للاسلام ... ... للدكتور ابراهيم حركات

373 ـ الاسلام والتحديات المعاصرة ... ... للدكتور رشدي فكار

381 ـ موقف اليهود من الاسلام والمسلمين ... ... للاستاذ سعيد بوركبة

تراجم شخصية :

419 ـ الامام المناوي من خلال كتابه صرف الهمة للاستاذ ادريس خليفة

449 ـ محمد بن وضاح القرطبي ... ... للدكتور نوري معمر

465 ـ ندوة الامام مالك :

رسائل جامعية :

469 ـ الرسائل المسجلة في دار الحديث الحسنية

471 ـ الاطروحات المناقشة .

فهرس العدد الثالث

الصفحة

5 ـ مقدمة العدد .... للدكتور محمد فاروق النبهان

5 ـ نص الكلمة السامية التي وجهها صاحب الجلالة امير المؤمنين الملك الحسن الثاني نصره الله بمناسبة مطلع القرن الهجري الخامس عشر ....

دراسات قرآنية وحديثية :

35 ـ ابن الابار المحدث .... للاستاذ سعيد اعراب

53 ـ مخطوطات مغربية في علوم القرءان والحديث للاستاذ محمد المنوني

123 ـ منهج الامام البخاري في علم الحديث .... للدكتور يوسف الكتاني

143 ـ نماذج من اوهام النقاد المشارقة في الرواة المغاربة .... للاستاذ ابراهيم بن الصديق

159 ـ خصائص المثل القرآني .... للمرحوم ابي بكر المريني

187 ـ المنهج النقلي لعلماء الحديث .... للدكتورة عائشة عبد الرحمن

دراسات فقهية واصولية :

217 ـ أثر القاضي عياض في فقه العمليات .... للدكتور عمر الجيدي

239 ـ هل تقدم المصلحة على النص الشرعي ؟ .... للاستاذ محمد يعقوب خبيزة

281 ـ اصول مذهب الامام مالك التي امتاز بها عن بقية المذاهب .... للاستاذ عمر المعداني

الصفحة

293 ـ الخصائص الاسلامية للشريعة بين اليهودية
والاسلام ....للاستاذ السعيد بوركبة

321 ـ نشأة نظرية الاخذ بما جرى به العمل عند
فقهاء الاندلس والمغرب ... .للاستاذ عبد السلام العسري

341 ـ حدود الالفاظ المتداولة في اصول الفقه والدين للدكتور فاروق حمادة

361 ـ مقارنة بعض احكام الاسلام على اسرى الحرب
ببعض مواد القانون الدولي العام ... ...للدكتور عبد السلام الادغيري

دراسات عامة :

399 ـ امتنا العربية بين الاسلامية والعلمانية ... .للدكتور رشدي فكار

411 ـ التيارات الفكرية في صدر الاسلام ... .للدكتور ابراهيم حركات

435 ـ العقيدة والعمل ايهما يوجه الآخر ويؤثر فيه؟ للاستاذ محمد حمادي الورياغلي

443 ـ الاستثمار المحظور في الاقتصاد الاسلامي للاستاذ علال الخياري

493 ـ معهد المواهب بشمال المغرب ... ...للاستاذ عبد القادر العافية

515 ـ دخول المذهب المالكي الى الغرب الاسلامي:
اسباب ذيوعه وانتشاره ... ...للاستاذ عبد الهادي الحسيسن

537 ـ مؤتمر الجزيرة الخضراء ودور علماء
القرويين في احباط مساعيه ....للاستاذ احمد بغداد

شخصيات :

551 ـ الامام ابن غازي العالم المجاهد ... ...للاستاذ محمد سلامة

فهرس العدد الرابع

صفحة

7 ـ مقدمة العدد .... للدكتور : محمد فاروق النبهان

دراسات حديثية :

15 ـ افتتاحيات البخاري وختماته .... للدكتور : يوسف الكتاني

47 ـ نماذج من أوهام النقاد المشارقة في الرواة المغاربة (2) .... للاستاذ : ابراهيم ابن الصديق

65 ـ ابو الحسن ابن القطان المحدث الناقد (562 ـ 628 هـ / 1166 ـ 1230 م) للاستاذ: عبد الهادي الحسيسن

91 ـ ضوابط معرفة الحديث الموضوع عند المحدثين .... للاستاذ : ادريس عزوزي

107 ـ حجية القراءات ومناهج الائمة في الاستدلال بها على الاحكام الشرعية للاستاذ : عبد الهادي حميتو

دراسات فقهية وقانونية :

145 ـ أثر الامام مالك في تدعيم مكانة السنة النبوية في المنهج الفقهي العام .... للدكتور : محمد فاروق النبهان

163 ـ الحسبة بين الشريعة والقانون الوضعي المغربي لسنة 1982 .... للدكتور : احمد شكري السباعي

195 ـ النظام القضائي بالمغرب في العصر السعدي .... للدكتور : ابراهيم حركات

صفحة

صفحة	العنوان	المؤلف
217	ـ نظرية الغبن بين الشريعة والقانون	للاستاذ : السعيد بوركبة
251	ـ نظرية الضرورة والحاجة في المذهب المالكي وتطبيقها على شهادة غير العدول	للاستاذ : عبد السلام العسري
273	ـ الفقه والحديث في مذهب مالك	للاستاذ: محمد حمادي الورياغلي
285	ـ التعامل بالربا من كبائر الاثم	للاستاذ : محمد سلامة
	دراسات عامة :	
307	ـ نظرة الاسلام الى العمل والعامل	للدكتور : عمر الجيدي
321	ـ الدين والنبوة وحاجة البشر اليهما	للاستاذ : محمد بن حماد الصقلي
341	ـ مسؤولية رجل التعليم في توجيه الشباب ووقاية المجتمع من الجريمة	للدكتور:عبد السلام الادغيري
353	ـ جهاد علماء القرويين المتواصل في احياء تنظيم التعليم الاصيل	للاستاذ : احمد بغداد

فهرس العدد الخامس

دراسات حديثية

الصفحة

ـــ مقدمة العدد 3

ـــ المحدثون المغاربة في موسوعتي «ميزان الاعتدال «الذهبي» ولسانه» لابن حجر للاستاذ سعيد أعراب................7

ـــ ثلاثيات الامام البخاري .. للدكتور يوسف الكتاني............33

ـــ الحديث المرسل حده ومذاهب العلماء في الاحتجاج به .. للاستاذ عمر ازدادو 55

دراسات فقهية وقانونية

ـــ أثر الروابط التاريخية للشعوب في تفسير مبدأ تقرير المصير... للدكتور محمد فاروق النبهان 83

ـــ ظهور فن التوثيق في المذهب المالكي.. للدكتور عمر الجيدي............ 123

ـــ الشفعة .... للاستاذ السعيد بوركبة............143

ـــ تعدد الاقوال والروايات في المذهب المالكي وطرق الترجيح بينها للاستاذ عبد السلام العسري.......181

ـــ المزارعة (أو المشاركة في الانتاج الزراعي...).... للدكتور علال الحياري 223

ـــ مدى تأثير الحاجة في حكم الفوائد المصرفية ... للاستاذ محمد حمادي الورياغلي....257

ـــ إحسان القرابة في الاسلام وبعض التقنينات العربية ... للاستاذ محمد حبيب التجكاني.....273

دراسات عامة

ـــ تجارة الرق بافريقيا من خلال
الموقفين العربي والاوروبي — للدكتور ابراهيم حركات 325

ـــ المذهب المالكي في نيجيريا — الدكتور عبد السلام الادغيري 354

ـــ «فتح المجيد بكفاية المريد «للشيخ
عبد السلام اللقاني .... — للدكتور داود علي الفاضل 373

ـــ الحركة العلمية في العصر الموحدي .. — للاستاذ عبد الهادي الحسيسن 413

ـــ «ملحق» نص المرسوم المتعلق بتنظيم
الدراسات والامتحانات في دار الحديث الحسنية 435

ـــ فهرس العدد : 453

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

فهرس العدد السادس

مقدمة 7

المقالات العلمية

عقد الامامة في الفكر السياسي الاسلامي 10

للدكتور محمد فاروق النبهان

النظام السياسي في العصر الأموي 30

للدكتور ابراهيم حركات

هاء الكناية 47

للدكتور التهامي الراجي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نصوص مختارة من الرسائل التي نوقشت في دار الحديث الحسنية

التعريف بالعلة 71

للدكتور إبراهيم بن الصديق

في بيان بعض القواعد العامة للوقف
وعرض ماطراً على وقف المبطي 95

للأستاذ الحسن وكاك

تحليل مسائل ابن رشد 161

للأستاذ محمد الحبيب التجكاني

نظرية السبب في الفقه الاسلامي 180

للدكتور حمداني شبيهنا ماء العينين

دراسة تحليلية لقواعد الفقه للمقري 202

للدكتور محمد الدردابي

القضاء في الاسلام 221

للدكتور أحمد سحنون

أدب الرحلات 256

للأستاذ اسماعيل الخطيب

أبحاث تمهيدية مقدمة الى دار الحديث الحسنية

السنة ومنهج الاستنباط في الفقه المالكي 272

للأستاذ محمد علي بن الصديق

دراسة تحليلية لكتب التربية الاسلامية
بالسلك الثاني الثانوي 312

للأستاذة عائشة مديدش

أجوبة حديثية للحافظ المنذري 386

للأستاذ أحمد الزيادي

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

عرض رسائل وأطروحات 413

اعداد الدكتور عمر الجيدي

لائحة الأطروحات العلمية التي نوقشت في دار الحديث الحسنية
من أجل الحصول على دكتوراه الدولة في العلوم الاسلامية 419

لائحة الرسائل العلمية التي نوقشت
في دار الحديث الحسنية من أجل الحصول على دبلوم
الدراسات العليا في العلوم الاسلامية 423



فهرس العدد السابع

- مقدمة العدد 7

مقالات علمية

- علة الإنفاق على الزوجة فى نظر الفقه الاسلامي

د. محمد فاروق النبهان 11

- الأحرف السبعة...القراءات القرآنية

ذ. محمد يعقوبي خبيزة 27

- أنواع العام في الإصطلاح الأصولي

ذ. إدريس حمادي 57

- المصالح المرسلة وضعا واستعمالا

ذ. حمادي الورياغلي 69

- الإقطاع والوضع القانوني للأراضي في عهد السعديين

ذ. عبد السلام الغرميني 80

- المبدأ والمصير، وما بينهما في دستور الحكيم الخبير

ذ. أحمد بغداد 88

- الإقتداء بالسلف وآراء الأئمة في ذلك

ذ. علي بولعكيك 102

- بنو حمو الأدارسة يجعلون سبتة عاصمة ملكهم

ذ. إدريس خليفة 112

مختارات من الأطروحات والرسائل المقدّمة إلى دار الحديث الحسنية

- التعريف بإمام القراء أبي زيد عبد الرحمن بن القاضي

ذ.محمد بالوالي 131

• جنايات الحدود في فقه ابن عمر رضي الله عنه

ذ. محمد سلامـة 144

• بطـلان العقـود وإبطالهـا

د. حمداتي شبيهنا ماء العينين 175

أبحاث تمهيدية مقدَّمة إلى دار الحديث الحسنية

• الشاطبيـة وشروحهـا

ذ. أنيسة الغازي 229

• الإجازات العلمية وإسهامها في الحركة الفكرية بالمغرب

ذ. مصطفى المسلوتي 238

• منهج أبي حامد الغزالي في المستصفى من علم الأصول (450 هـ ـ 505 هـ)

ذ. المكي أقلاينة 253

• المصادر الأصولية لما في منظومة المرشد المعين من أفكار فقهية

ذ. أحمـد الورايني 276

• القسمـة فـي الفقـه الاسلامـي

ذ. نعيمـة ابريشـة 298

• الأحباس المعقبة والمشتركة

ذ. محمد بن الحسين كعواشي 329

• أضواء على الحوالات الوقفية بالمغرب

ذ. عبـد الله لخضـر 358

فهرس العدد الثامن

مقدمة العدد

مقالات علمية

• أدلة المخطوطات ومراكزها بالمغرب والبلاد العربية

ذ. محمد المنوني 11

• مدى إفادة أحاديث الآحاد في مناهج الاجتهاد

د. محمود الخالدي 47

• اختيارات مدونة الأحوال الشخصية من أقوال وروايات المذهب المالكي غير المشهورة واختياراتها من خارج المذهب المالكي

ذ. عبد السلام العسري 74

• مكانة عقد البيع بين بقية العقود

ذ. محمد سلامة 144

• الإحسان الإلزامي في الاسلام

ذ. محمد الحبيب التجكاني 151

• من الفقهاء الأعلام في الغرب الإسلامي :
الحافظ أبو بكر بن الجد صاحب كتاب الزكاة

ذ. عبد الهادي الحسين 188

مختارات من الأطروحات والرسائل المقدمة إلى دار الحديث الحسنية

• التعريف بمنبهة أبي عمرو الداني في أصول القراءات والقراء

د. الحسن وكاك 207

• كتاب «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لأبي عبيد القاسم بن سلام :
مخطوطاته ومحتواه

ذ. أحمد الخياطي 232

• ابن الفرضي ناقدا لرواة الحديث

ذ. أحمد اليزيدي 255

بحوث تمهيدية مقدمة إلى دار الحديث الحسنية

• الوجوه والنظائر في القرآن الكريم

ذ. عبد الرحمان البحيري 330

• ظاهرة التوثيق الحديثية من خلال أبرز مصادر التخريج

ذ. صالح فنان 370

• المحدثون في عهد السلطان المولى محمد بن عبد الله

ذ. أحمد العمراني 427

فهرس العدد التاسع

مقدمة العدد 7

مقالات علمية

خصوصية التشريع الكرائي الحبسي والامتيازات التي يضمنها لصالح مؤسسات الأوقاف بالمملكة المغربية
ذ. السعيد بوركبة 13

مجهودات سلاطين المغرب في توحيد المغرب العربي الكبير
د. عبد السلام الادغيري 33

مختارات من الأطروحات والرسائل المقدمة إلى دار الحديث الحسنية

تعليل الحديث في كتاب عبد الحق الاشبيلي «الاحكام الشرعية»
د. ابراهيم بن الصديق 57

دخول العقيدة الأشعرية إلى المغرب
ذ. عبد الله غاني 95

بحوث تمهيدية مقدمة إلى دار الحديث الحسنية

التلاوة المغربية للقرآن الكريم
ذ. أحمد الراضي 151

التصوير البلاغي في الحديث الشريف
ذ. عمر لمين 197

المحدث محمد بن عبد السلام الخشني وأثره في تأسيس مدرسة الحديث بالأندلس
ذ. يوسف بن ماجد 247

المحدثون في عهد السلطان المولى محمد بن عبد الله (2)
ذ. أحمد العمراني 283

الامام ابن شهاب الزهري ومروياته في السيرة النبوية
ذ. معاذ الجحجاح 323

الامام الشاطبي : مكانته العلمية ومؤلفاته
ذ. أحسين أشرقي 371

التعريف بكتاب «تمام النصيحة في إرشاد الطلبة» لمؤلفه سيدي يورك بن عبد الله بن يعقوب السملالي
ذ. عبد السلام بن محمد الخلد 399

مراكز التعليم في عهد بني مرين
ذ. محمد لواح 417

فهرس موضوعات العدد 471

فهرس العدد العاشر

مقدمة العدد 7
د. محمد فاروق النبهان

مقالات علمية

ابن خمير السبتي وآثاره 13
د. محمد بنشريفة.

نظرية استغراق الذمة بالمال الحرام 45
من خلال كتاب «التقسيم والتبيين في حكم أموال المستغرقين»
لأبي زكرياء يحيى بن محمد بن الوليد الشبلي
د. جمعة محمود الزريقي

مختارات من الأطروحات والرسائل المقدمة إلى دار الحديث الحسنية

مصطلحات المذهب المالكي 65
د. عبد العزيز بن صالح الخليفي

القواعد الأصولية عند الإمام الشاطبي 123
من خلال كتابه الموافقات
د. الجيلالي المريني

دخول المذهب المالكي إلى شمال نيجيريا 161
وانتشاره فيه
د. صالح أكنوى

الحركة العلمية والثقافية بتطوان 277
من الحماية إلى الاستقلال
د. ادريس خليفة

بحوث تمهيدية مقدمة إلى دار الحديث الحسنية

قياس العلة عند الامام مالك 345
د. مصطفى الحرشوني

العلامة علي بن سليمان الدمنتي 369
وإسهاماته في الدراسات الحديثية
د. عمر لشكر

المحدثون في عهد السلطان 423
المولى محمد بن عبد الله (3)
د. أحمد العمراني

فهرس العدد الحادي عشر من مجلة دار الحديث الحسنية

• مقدمة العدد

د. محمد فاروق النبهان 5

مقالات عملية

• شخصية السيوطي من خلال كتابة «الاتقان في علوم القرآن»

د. محمد فاروق النبهان 11

الله ورسوله أمن وأفضل ـــ الخطبة النبوية إثر غزوة حنين ـــ

د. فاروق حمادة 23

مختارات من الأطروحات والرسائل المقدمة إلى دار الحديث الحسنية

• مدخل إلى مدرسة الأنصاص القرآنية بشمال المغرب

ذ. عبد العزيز عيادي 43

• مقارنة بين منهج ابن قدامة المقدسي ومنهجي ابن عبد البر وابن حزم في العقيدة والفقه

د. فؤاد عبد اللطيف عثمان 87

• القواعد الاصولية عند الإمام الشاطبي (2)

ذ. الجيلالي المريني 153

• الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال (2)

د. ادريس خليفة 191

بحوث تمهيدية مقدمة إلى دار الحديث الحسنية

• مصادر الحافظ ابن عبد البر القرطبي في كتابه «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»

ذ. لحسين أجاك 255

• وجهة نظر حول ابن حزم ومدى تأثر الفكر الأندلسي بالحركة العلمية في المشرق

ذ. محمد محجوبي 273

• جهود الزاوية الناصرية في خدمة الحديث وعلومه على عهد الشيخين أبي عبد الله ابن ناصر وخليفته أبي العباس

ذ. عثمان عبد الصادق 287

• المحدثون في عهد السلطان المولى محمد بن عبد الله (4)

ذ. أحمد العمراني 349

• مدارس التعليم الشرعي الأصيل في مدينة حلب السورية بين عامي 1918 — 1958م

ذ. تميم الحلواني 377

ملاحق

• أنشطة دار الحديث الحسنية وأخبارها

• لائحة للرسائل والأطروحات المسجلة والمناقشة في دار الحديث الحسنية ابتداء من سنة 1990 (مع ملخص للأطروحات المناقشة).

• فهارس الأعداد السابقة من مجلة دار الحديث الحسنية



مطبعة المعارف الجديدة
زنقة الرخاء - يعقوب المنصور - الرباط